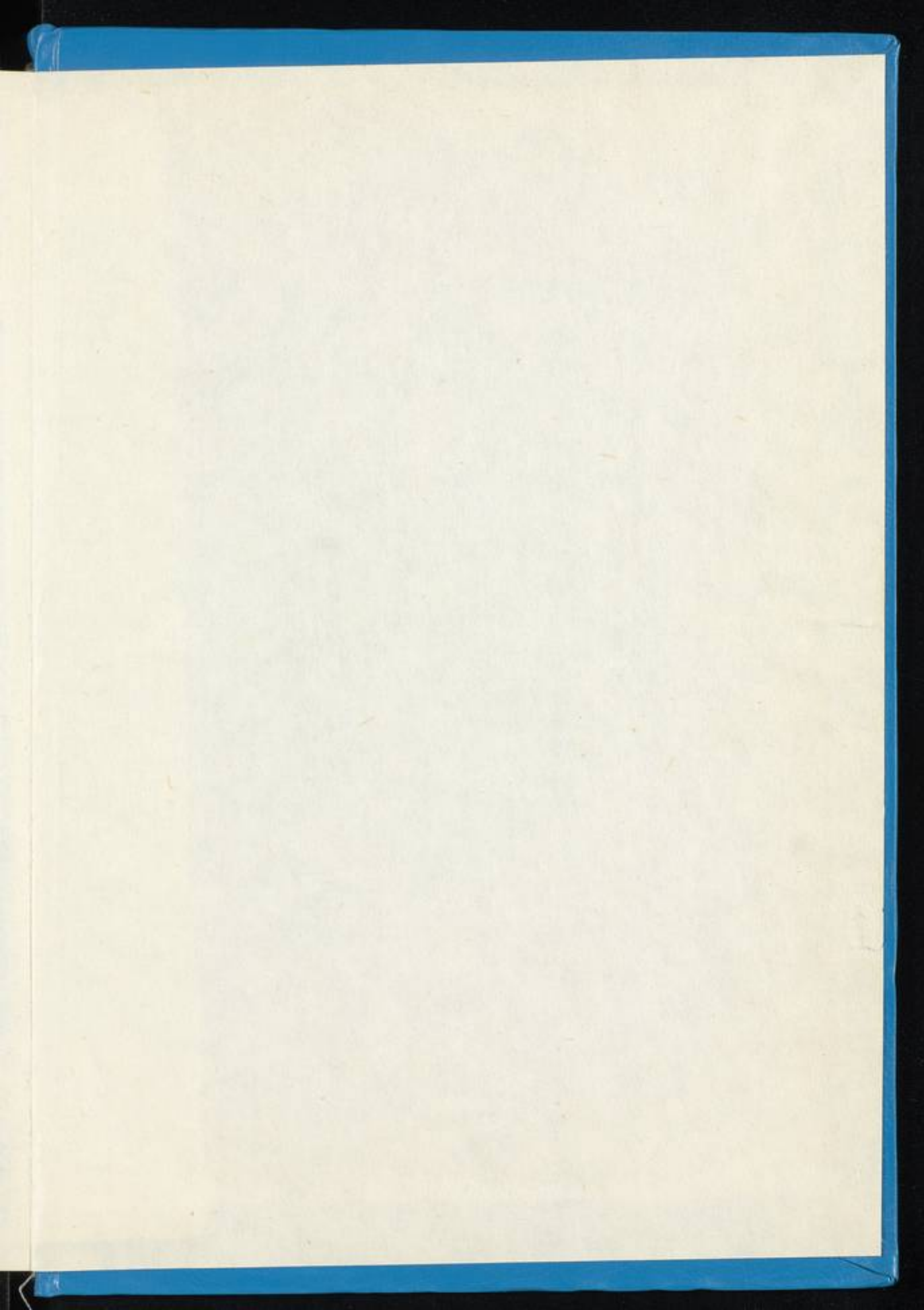




هُجُجُ الْبِلَاغَةِ

نِزَامُ السِّيَامَةِ وَمَنْهَلُ الشَّرِيبَةِ





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

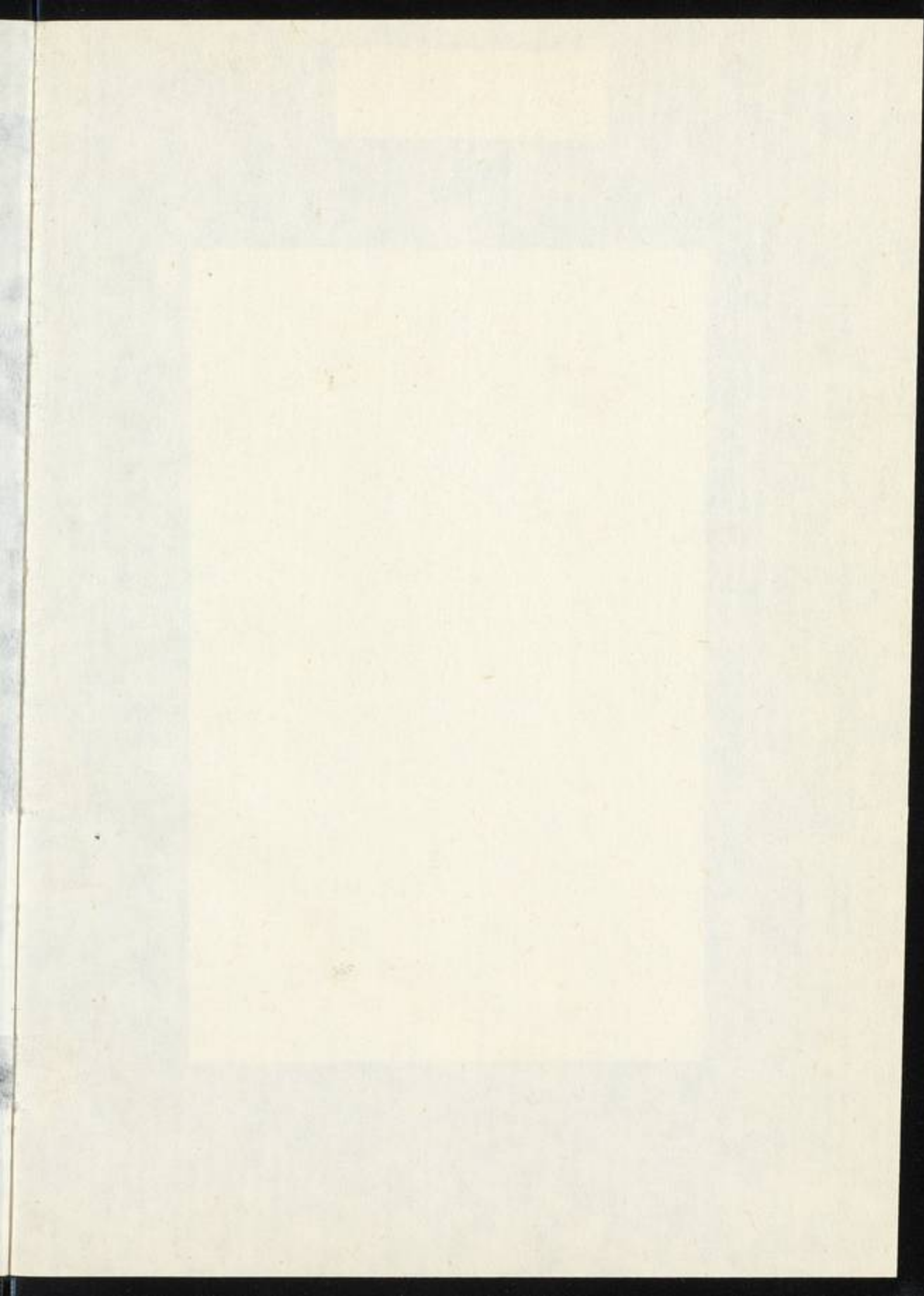
DUPL



32101 021972888

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



Nahj



«نهج البلاغة»

نبراس السّياسة و منهل التّربية

مجموعة بحوث ومقالات
لعدة من العلماء والمفكرين

~~2264~~
~~.1067~~
~~.8285~~

2264
.1067
.8285
1984

مؤسسة نهج البلاغة
طهران - إيران

| | |
|-----------------|---|
| ● اسم الكتاب : | نهج البلاغة لبراس السياسة ومنهل التربية |
| ● المؤلف : | عده من العلماء والمفكرين |
| ● الطباعة : | مطبعة سلمان الفارسي - قم |
| ● تاريخ الطبع : | ذوالحجّة، ١٤٠٤ هـ |
| ● عدد النسخ : | ٢٠٠٠ |

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>



32101 021972888

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

89-312586

محتويات الكتاب

| | |
|-----|---|
| ٩ | المقدمة |
| ١٧ | بيان الإمام الخميني |
| ٢١ | أعمال المؤتمر الثالث (ليبب بيضون) |
| ١٠٧ | نهج البلاغة بعد ألف عام (عمد علي اسير) |
| ١٢٥ | الضمان الاجتماعي كما يصوره الإمام علي «ع» (الشيخ التسخيري) |
| ١٣٩ | نقض شبهة الإضافات في نهج البلاغة (السيد عبد الزهراء الخطيب) |
| ١٤٩ | خواطر مستوحاة من مطالعة نهج البلاغة (الشيخ توري) |
| ١٥٩ | تساوي القوي والضعيف في نهج الإمام علي «ع» بالحق (الشيخ محفوفي) |
| ١٧٩ | المرأة في الاسلام ومن خلال نهج البلاغة (ليبب بيضون) |
| ٢٣٣ | من وحي نهج البلاغة (حسين مسعودي) |
| ٢٤١ | الزهد في نهج البلاغة (عيسى سليمان حبيب) |
| ٢٥٩ | الفقر، اسبابه وعلاجه (ليبب بيضون) |
| ٣٣٣ | الدرس اللساني المستنبط من الرسالة الإلهية في نهج البلاغة (الراجي الهاشمي) |
| ٣٤٧ | الفقر، مكافحته وعلاجه (محمد خير الحلواني) |
| ٣٦٧ | مكانة الطبقة العاملة ودورها في وقاية المجتمع (محمد بامبا النجاي) |

« نحية لأمير المؤمنين في ذكرى مولده »

ماذا أقول مرتلاً يا حيدر
من بحر علمك نستمد ونزار
وكثير فضلك لا يعد وعصر
طه الأمن بما يحب ويؤثر
قولاً جليلاً عن ندادك يُعبر
دون الحقيقة عاجز ومقصر
يُعنق المسكين مني سباب ويعذر
شعري. فعجزني عن سنائك مبرر
كيا أفيك . فإنني لأقدر
وإذا عذرت فإن حلمك أكبر
مني تسرع على هداك وتجهر

آيات فضلك من بياني أكبر
منك البلاغة والبيان وكلنا
فبأي إنساد أفيك محيي
ياسيد البلغاء يا من خصه
كم شاعرٍ قبلي أمامك لم يجد
يتسابقون الي غلاك وكلهم
ملككت مهابتك العقول وربما
عفواً أمير المؤمنين إذا كبا
لويثك أئسد ما حبيت قصائدأ
فإذا عثرت فان وجدي سابق
حسي اعتزازاً أن كل خلية

بهم الزمان مؤرج ومعطر
شغفاً بحبك في الحياة وكبروا
لك . يا إمام. وكل أرض منبر
وبنسكهم شرف اليقين مُفسر
لزموا هداك بأكبد تنفطر

واقبت في ذكراك محفل اخوة
عرفوك معرفة البصير فهللوا
وسعوا اليك فكل همس صيحة
بجباههم أتر السجود مُترجم
وعلى المحبة والمودة والوفاء

إلا لديك ونحن باسمك نصر
بضياتك الوضاء ساعة يُحشر

باسيدي سبل النجاة عزيزة
أيفوز في الدارين من لم يستر

منك المكارم في الزمان تحدر
أطللت فيه على البرية تُقمّر

باباب علم الهاشمي محمد
جئنا نشارك خاشعين بمولد

لما طلعت فكنت أول مؤمن
ووقفت للاسلام حصناً واقباً
يا هول ما شهدت وما حملت وما
ماذوالفقار وحثه ومضاؤه
يا سيدي عذراً فإني هائم
لاالشعر بنصف إن ذكرتك مادحاً
لكها هبة الفقير سكتها

سمع النداء شبابه المتفجر
فيه الشهامة والرجولة تزخر
لاقت بسيفك في المعارك (خبيبر)
لولا يدك . وأن زندك فُشهر
بجليل قدرك عاجز مُتَقَرَّر
منك الخصال. ولا الملاحم تُسفر
من جا نحي... ولا يلام المُعسر

يا أخوة بهج البلاغة ضَمَّهم
منكم اليكم جئت أحمل مهجتي
حسي إذا ذكر الذين تشرفوا

* * *
للمكرمات فرشد ومُبْتَر
مهراً لحي والمحببة تمهر
بلقائكم أني أعتد وأذكر
عبدالرحيم الحصني

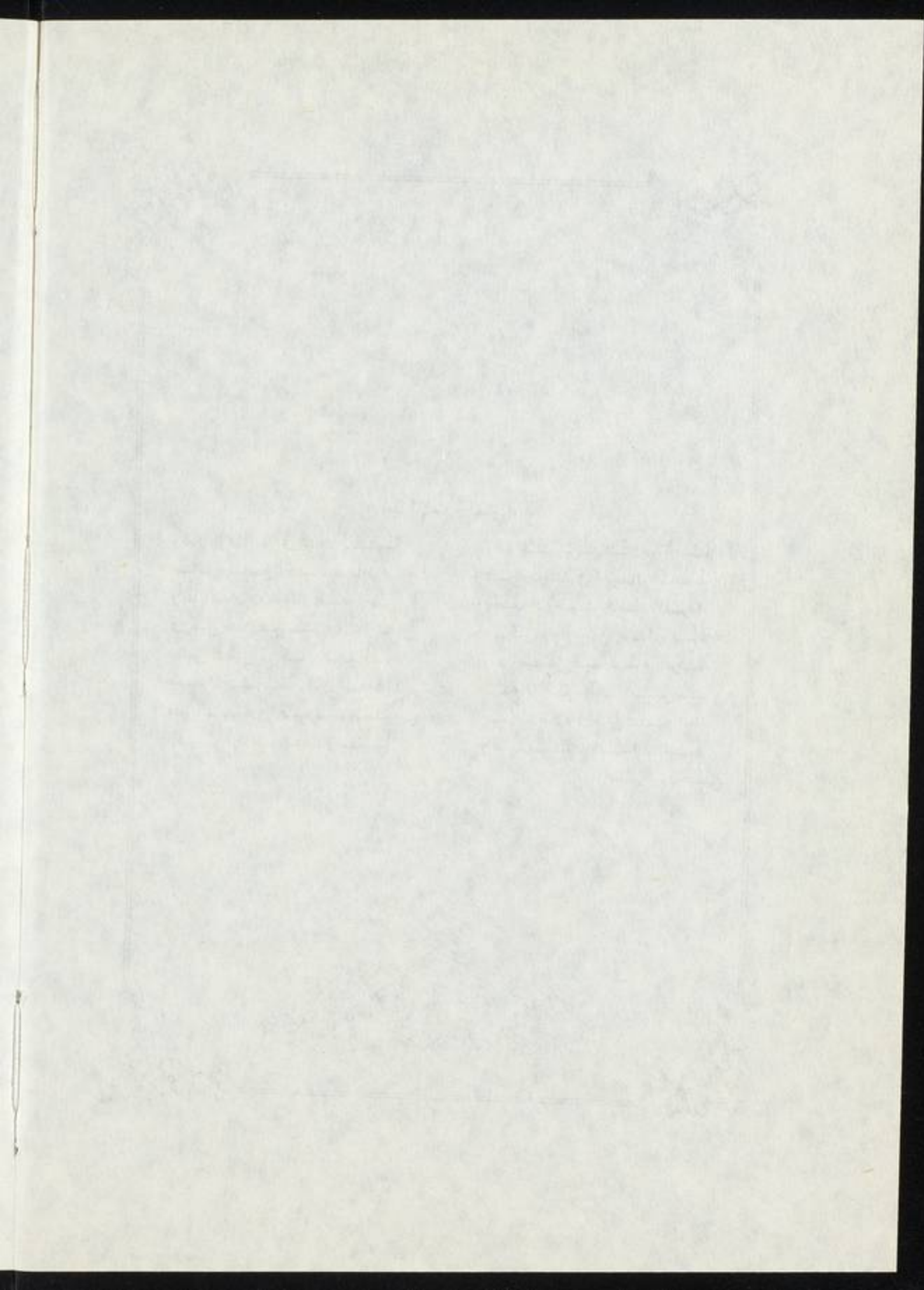
« تحية للإمام الخميني »

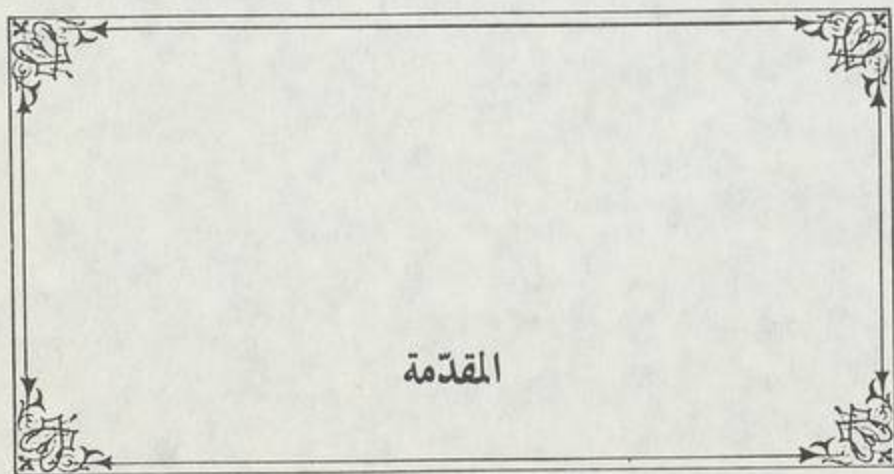
ركن الإمامة أي شعريُنشدُ
تتألق الصور الحسان بخاطري
وأنا الذي دمه القصيد وُحُّه
في كل لحن من نشيدي عازك
يا ابن الذين نواكبت شهداؤهم
وهناك - فاطمة - ترى أبناءها
نور النبوة في جبينك شعلة
واقبت أرضك هائما ومهتناً

وأنا عليك من البلاغة أحمدُ
فتهون دونك في الجمال فتخمدُ
الحب الوحيد وقلبه المتوقد
وبكل روض من صداي مغرَّدُ
ودم الحسين لهم يمدُّ ويرقدُ
بدم يطلُّ وآخر يترصد
حسرت ظلام الامس فانبلج الغدُ
والله يعلم والمحبة تشهدُ

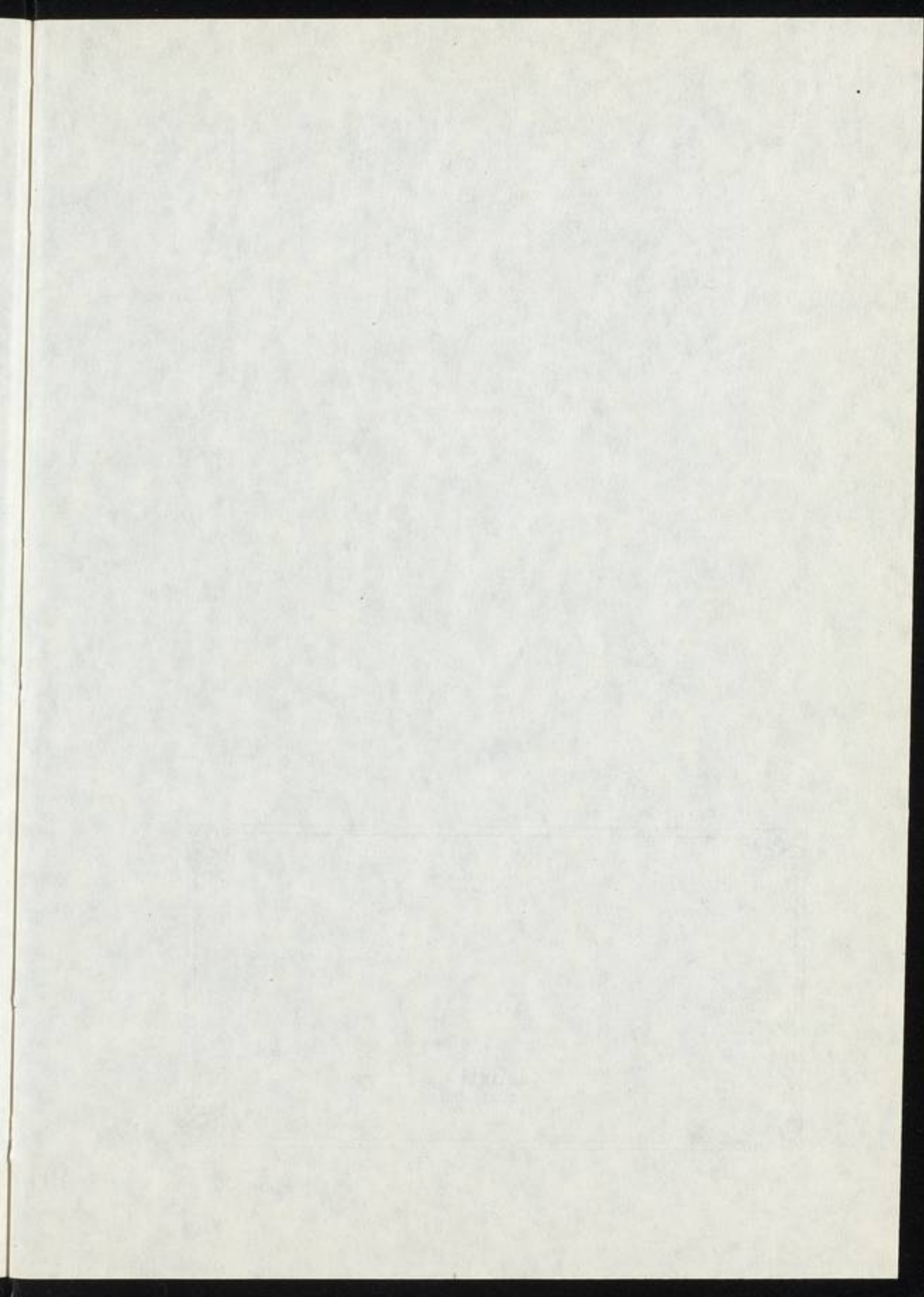
عبدالرحيم الحصني







المقدمة



نهج البلاغة، هذا السفر الخالد

إن كتاب نهج البلاغة هو ينبوع متدفق جياش، يزداد تدفقاً كلما نقبت فيه كما ظهر مدى اتصاله ببحار المعارف الالهية أيضاً. فالكتاب ليس رائداً لجيل أو قرن فحسب وإنما هو رائد لكل الأجيال ولكل القرون. ويعود تدفق نهج البلاغة وخلوده إلى شخصية من أوجده، فهو ظل رقيق لشخصية الامام علي (ع) المشرقة. وليس مضي الزمان هو الذي أضفى على السفر بهاءً وعظمة وإنما هي شخصية الامام الجليلة التي أضفت على تلكم الكلمات روحاً وروعةً وخلوداً.

أجل، إن نهج البلاغة هو مجلي للحب وثمار للمعرفة، ودليل للسياسة، ونبراس للسياسة، ومنشور للحكم، وميزان للعدالة ومثار للحماس، ومعدن للكياسة، ومنهل للتربية، ومحراب للعبادة، ومثال للفصاحة والبلاغة.

والغريب في أمر الكتاب أن المشاهد فيه تتغير بصورة تُريك أن الحق قد غلب كل الظنون الباطلة، ويعبر الشيخ محمد عبده العلامة المصري الشهير في مقدمته لنهج البلاغة عن هذه الحقيقة بالقول:

«... فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات وموضوعات متفرقات، فكان يخيّل إليّ في كلّ مقام أنّ حروباً شبت وغارات

شئت، وأنّ للبلاغة دولة وللفضاحة صولة، وأنّ للاوهام عرامة، وللريب دعاة، وأنّ جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج والقويم الأملج، وتمتلج المهج براضع الحجج، فتفل من دعاة الوسوس وتصيب مقاتل الخوانس، والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وأنّ مدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، بل كنت كلّما انتقلت من موضع إلى موضع أحسّ بتغيّر المشاهد وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية، توحى إليها رشادها وتقوم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال... وأحياناً كنت أشهد أنّ عقلاً نورانياً لا يشبهه خلقاً جسدياً فصل عن الموكب الإلهي واتّصل بالروح الانساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد الفوز الأجلّي...».

أجل، لقد اهتدى عليّ (ع) إلى الحقائق الثابتة وفلسفة الخلق بصورة تجد كلامه الشفاف يخلد الحياة وهو أيضاً خالد خلود الدهر. فلاغرو، إذ هو من كلام من تربى في أحضان النبيّ (ص) وارتوى من معين الوحي ونما وترعرع في بيت القرآن... وهو من كلام من لمس كلام الله بكلّ كيانه، فتجسد فيه الإيمان وأصبح هو ذاته مجلى للحقّ وباب مدينة علم النبيّ (ص) إذن، فلاعجب أن يصدر منه كلام على مستوى نهج البلاغة... وهذا موضوع لانخوضه هنا.

فالمجاهدون والعلماء ومرابطو الملحمة، الخالدة، قد سلكوا هذا المسلك حريصين ومضحين بكلّ ما عندهم من نفيس، فجعلوا تلك الموسوعات والمصادر الكبيرة في تناول من ينشد الحقّ، فجزاهم الله عتاً خير الجزاء.

وبصدد الخلود الذي يتمتع به نهج البلاغة، فالكتاب جوهرة لا يعلوها غبار البلى، يزداد لمعاناً وإشراقاً يوماً بعد يوم ونرى العالم يتعرّف عليه أكثر وأحسن، لأنّه من كلام إمام لمس الآلام كلّها وشعر بما يعانيه الانسان، وجرب الأعاصير والفتن وخرج منها خالصاً مرفوع الرأس، وذلك بفضل مالهديه من معرفة ونور إلهيّ كإمام. إنّ نهج البلاغة يحتوي على كلام الامام الذي صيغ في عبارات قصيرة جزلة رائعة

تصوّر لك الكمال الانساني تصويراً دقيقاً، وتميّز خطّ الفلاح من المسالك الوعرة والمهاوي والمهالك، ولذلك، ليس نهج البلاغة كتاب بلاغة فحسب بل هو في نفس الوقت نهج جهاد ونهج حياة ونهج فلاح.

ولكن من المؤسف أنه مضى ألف عام على جوهرة مشرقة مثل نهج البلاغة وذخيرة زاخرة مثل هذا السفر الكريم ولكنّ الأمة الاسلامية لم تستفد منه حق الاستفادة، ومع أنّ العلماء تمتّعوا به وعانوا الكثير في سبيل سبر أغواره، نرى عامة الناس في المجتمع الاسلامي وثقافتهم محرومة من بركات هذا النبراس حتى النصف الأخير من هذا القرن، حيث أنس العالم الاسلامي منذ ذلك الوقت باسم هذا الكتاب وتأسى بتعاليمه أصحاب الحركات الفكرية والثورية. على أيّ حال نأمل أن يكون نهج البلاغة نهج فلاح ونهج نجاح للأمة الاسلامية جمعاء.

مؤسسة نهج البلاغة

فهل يمكن أن ننظر إلى مثل هذا السفر نظرة سطحية ونكتفي بقراءة ترجمة منه أو عبارة، أو خطبة، أو فصل، أو كتاب؟! إنّ الذي يمكنه أن يستند إلى نهج البلاغة ويستفيد منه هو من يستطيع أن يغور في أعماق بحره ويدرسه دراسة شاملة، وإن لم يكن شخصياً من أهل التحقيق، وليست لديه مقدرة علمية فيجب أن لا يحكم على ما فيه إلا بالاستعانة بتفاسير أهل التحقيق وشروحهم، شأنه في ذلك شأن كلّ المصادر والينابيع الاسلامية، حيث يمكن الاستنباط منها بعد دراسة دقيقة وشاملة لجميع جوانبها.

إنّ نهج البلاغة الذي هو من أعلى المصادر الاسلامية شأناً في الثقافة الاسلامية يشبه القرآن الكريم إلى حدّ، فيجب أن تتوفّر عند الباحث تلك المقدرة العلمية حتى يستطيع دراسة كلّ أبعاده وزواياه وسبر أغوار كلام الامام، ومن ثمّ يستنير به في فلسفته الالهية والايديولوجية الاسلامية ويهتدي إلى صراط للحياة السعيدة... وهذه مهمة تفوق طاقة إنسان واحد، فيجب أن يكرّس رهط من العلماء جهودهم في سبيل هذا المنشور.

لقد تألم المفكر الاسلامي الكبير، العلامة الشهيد مرتضى مطهري عندما وجد أنّ نهج البلاغة ظلّ مجهولاً ومهجوراً على رفوف المكتبات، ولم يتجاوز المعاهد العلمية إلى أوساط العمامة، وكان يرى تأسيس مؤسسة يجتمع فيها جماعة من العلماء حتى يعملوا

للتعريف بنهج البلاغة في أوساط الناس كما هو حقّه... ومن المؤسف أنه أسست في النظام البائد، مؤسسات للكتب الأسطورية مثل الشاهنامه وبنفقات باهظة كانت تفرض على الشعب المحروم في الوقت الذي ليس أنهم لم يؤسسوا مؤسسة أو مجمعاً يخص القرآن العظيم ونهج البلاغة فحسب، بل اعتبروا البحث والتحقيق عن القرآن ونهج البلاغة جريمة نكراء عاقبوا عليها أشد عقاب.

وأخيراً وفي عام (١٣٥٥هـ. ش) و بإرشاد من الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري تأسست مؤسسة نهج البلاغة، واجتمع فيها إخوة مخلصون وبدأوا العمل لتحقيق الأهداف التالية:

- ١ - تصنيف المعارف العلوية السامية التي يحتوي عليها نهج البلاغة.
- ٢ - إعداد البطاقات عن المواضيع المستخرجة من نهج البلاغة.
- ٣ - إعداد تفسير موضوعي عن المعارف الواردة في نهج البلاغة.
- ٤ - إعداد دروس في الحقول المختلفة من نهج البلاغة من أجل استفادة كلّ الفئات في المجتمع.
- ٥ - تأسيس مؤسسة للمراسلة ونشر دروس عن نهج البلاغة، وسائر المعارف الاسلامية من أجل التعريف بالاسلام من نافذة نهج البلاغة والمصادر الاسلامية الأخرى.
- ٦ - طبع نصّ من نهج البلاغة، طبعة محققة على أحسن المناهج المتبعة في تحقيق النصوص.
- ٧ - إعداد ترجمة فارسية من نهج البلاغة ترجمة دقيقة تخلو قدر المستطاع - من كلّ عيب ونقص.
- ٨ - ترجمة نهج البلاغة إلى اللغات العالمية الحية.
- ٩ - نشر الترجمات القديمة الموجودة من نهج البلاغة.
- ١٠ - تحقيق ونشر شروح نهج البلاغة التي ظلت غير مطبوعة حتى الآن.
- ١١ - تأسيس مكتبة خاصة يجمع فيها كلّ ما كتب حول نهج البلاغة وشروحه وترجماته الموجودة في مكتبات إيران والعالم.
- ١٢ - إعداد الأفلام والميكروفلمات عن مخطوطات نهج البلاغة وشروحه وترجماته، الموجودة في مكتبات ايران والعالم.

١٣ - الاتصال بالمجامع الاسلامية والعلمية في ايران لتعريف نهج البلاغة أحسن فأحسن.

١٤ - الاتصال بالمجامع الاسلامية والعلمية والفكرية في العالم لنفس الغرض .
لقد تأسست المؤسسة كما أشرنا إليه بأقل إمكانيات، حيث بدأ الاخوان الزملاء العمل فيها بإعداد البطاقات التي بلغ عددها أكثر من ٥٠٠٠ بطاقة حول ١٢٠ عنواناً من العناوين الأصلية والفرعية. وأثناء تصاعد الثورة، إنخرط فيها الاخوان العاملون في المؤسسة كل في خندق، حتى انتصرت الثورة الاسلامية في ايران بعون الله تعالى وبقيادة الامام الخميني وجهود الأمة المسلمة في هذا البلد، حيث دفن الطاغوت في مزابل التاريخ ولذلك كانت المؤسسة عاطلة طوال عامين ولم تنجز أي شيء. وكان الثوريون الحقيقيون يرون أن الثورة الثقافية الاسلامية هي من أهم الأمور بعد الثورة يجب أن نعالجها ونحققها، وجيل الشباب بعد الثورة، الشباب الذي تحدى الاضطهاد وهرب من بيداء الثقافة الاستعمارية، كان متعطشاً للوصول إلى معين الثقافة الاسلامية الصافي، حيث كانت أدنى غفلة تكفي حتى ينتهز العدو الفرصة لتحقيق أهدافه.

ولذلك وفي عام (١٣٥٨هـ.ش). استأنفت المؤسسة نشاطاتها وهذه المرة بكل إرادة وعزم مساهمة منها في الثورة الثقافية، سادة بذلك بعض الفراغ الموجود في الدراسات الاسلامية.

المهرجان الألفي لنهج البلاغة

كانت السنة الألف لتأليف نهج البلاغة قد حلت وكانت أعلى فرصة تسنح ليجتمع أولئك المفكرين والباحثون الذين قضوا سنين طويلاً في دراسة هذا الكتاب والبحث عن مضامينه السامية، ويقدموا نتائج جهودهم لعشاق نهج البلاغة. وعلى هذا قررت المؤسسة إقامة مهرجان بمناسبة مرور ألف عام على تأليف نهج البلاغة. والجدير بالذكر أن المؤتمرات والمهرجانات الثقافية التي أقيمت في النظام البائد، كانت على أساس التقاليد الطاغوتية التي لم تكن في الواقع إلا ستاراً للجرائم والخيانات.

إن كسر القوالب الطاغوتية هو من المهمات الضرورية للثورة الثقافية الاسلامية،

فأزمنت المؤسسة أن تقيم المهرجان بطابع إسلامي وبأقل كلفة. إننا وجهنا الدعوة إلى العشرات من العلماء المتزمين والمعنيين بالدراسات الإسلامية، ووصلت إلينا منهم حوالي ٢٠٠٠ صفحة من المواضيع المختلفة حول نهج البلاغة، طبعت منها في المؤسسة حوالي عشرين رسالة بين فارسية وعربية وانكليزية، كما وزعنا عشرين مقالاً بالطباعة العادية، حتى ننشرها فيما بعد في مجلدين كذكرى لهذه المناسبة العزيزة.

مع انعقاد المهرجان الألفي لتأليف كتاب (نهج البلاغة) وافتتاحه بالبيان التاريخي الهام الموجه من قبل القائد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية... سماحة الامام الأكبر الخميني دام ظله... وكان البيان في الواقع يحمل تأييده الكامل ومساندته المتواصلة لمؤسسة (نهج البلاغة) والحث بها للعمل في اطار هذا الكتاب الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه... استقبلت الجماهير الحاضرة المحتشدة في قاعة الاحتفال، على اختلاف اتجاهاتها البيان بكل حفاوة وتكريم... وفي الوقت نفسه اخذت المؤسسة على نفسها اعادة اقامة هذا المهرجان في كل عام، عند ذكرى ميلاد الامام علي عليه السلام... وذلك بوضع دراسات وبحوث تتناول كافة جوانب الكتاب الفكرية الحيوية المتنوعة.

وعلى هذا بحول الله وقوته اقامت المؤسسة ثلاثة مهرجانات عامة مكلفة بالتوفيق والنجاح، وهي مازالت على عزمها في استمرار اقامة المهرجانات في كل عام ان شاء الله تعالى.



ان الكتاب الذي بين يدك يضم مختاراً من البحوث والدراسات العلمية والقضايا الفكرية التي أقيمت خلال هذه المهرجانات الثلاثة باللغة العربية، نقدمها الى ابناء لغة الضاد... لغة القرآن الكريم... لغة نهج البلاغة... لتكون فائدتها عامة والاستفادة بها شاملة للجميع.

وختاماً نسأل المولى سبحانه... أن يكلل أعمالنا بالنجاح والفوز... و يوفقنا الى ما فيه خير البلاد والحضارة... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

مؤسسة نهج البلاغة

ايران طهران

نص النداء الذي وجهه الامام الخميني قائد الثورة
الاسلامية ومؤسس الجمهورية الاسلامية الى مؤتمر
الفية نهج البلاغة.

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أي شيء يريد مؤتمر الفية نهج البلاغة أن يتحدث... وأي شخص هذا
الذي يريد أن يعرفه المؤتمر؟!

أيستهدف علماء العالم الكبار أن يعرفوا مولانا أمير المؤمنين الى الآخرين، أم يعرفوا
نهج البلاغة؟!

بأية مؤونة وبأي رصيد نريد أن نلج هذا الوادي؟

أنريد أن نتحدث عن شخصية علي بن أبي طالب وعن حقيقته المجهولة، من خلال
رؤيتنا المحجوبة المهجورة.؟!

تري، هل إن علياً عليه السلام كان من عظماء الدنيا ليحق للعظماء أن يتحدثوا
عنه، أم ملكوتياً ليحق للملكوتيين أن يفهموا منزلته؟!

بأي رصيد يريد أهل العرفان أن يعرفوه غير رصيد مرتبتهم العرفانية، وبأية مؤونة
يريد الفلاسفة أن يفهموه سوى مالدتهم من علوم محدودة؟!

كم استطاعوا حتى الآن أن يفهموه كي يسيطوا اللثام عن شخصيته أمام
المهجورين؟!.

ما فهمه العلماء والفضلاء والعرفاء والفلاسفة عن هذا المظهر التام الإلهي، بكل
مادتهم من فضائل وعلوم سامية، إنما فهموه من خلال حجاب وجودهم ومرآة نفوسهم

المحدودة، وعلي غير ذلك .

من الأولى -إذن- أن لانلج هذا الوادي، وان نقول: إن علياً كان عبداً لله، وهذا أعظم شاخص يمكن أن نذكره عنه، وكان ربيب النبي الأعظم، وهذه من أكبر مفاخره.

من الذي يستطيع أن يدعى أنه عبداً لله وانه متحرر من كل عبودية أخرى غير الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟! وعلي هو ذلك العبد المتحرر من كل عبودية غير عبودية الله، وهو الذي اخترق حُجب النور والظلمة ووصل الى معدن العظمة، وحاز بذلك قصب السبق.

أي شخص يستطيع أن يدعي أنه تربى في حجر الرسول الأعظم وتحت رعايته وفي ظلّ تربية الوحي والموحى إليه، منذ صباه وحتى آخر عمر صاحب الرسالة سوى علي بن أبي طالب؟! فهو الذي تصل في أعماق نفسه وروحه الوحي وتربية صاحب الوحي.

انه لذلك عبد الله حقاً وريبب ذلك العبد الأكبر لله.

أما كتاب «نهج البلاغة»، المنبثق عن روحه لتعليمنا وتربيتنا، نحن الراقدون في حضيض الذات والغارقون في حجاب الذاتية والأنانية، فهو بلسم للشفاء ولعلاج الأمراض الفردية والاجتماعية.

أنه مجموعة لها أبعاد تسع أبعاد الانسان والمجتمع الانساني الكبير وتمتد هذه الأبعاد امتداد تاريخ البشرية، وعلى امتداد المجتمعات والدول والشعوب، وعلى امتداد كل الممارسات الفكرية والفلسفية والتحقيقية الرامية الى التعمق في هذا الكتاب.

فيأتيها الفلاسفة والحكماء... تعالوا للتحقيق في جل الخطبة الأولى من هذا الكتاب الإلهي، وسخروا أفكاركم العميقة واستعينوا بأصحاب المعرفة لتفسير هذه الجملة القصيرة من قوله: «مع كل شيء لاجمقارنة وغير كل شيء لاجمزايلة» وحاولوا أن يكون فهمكم لها فهماً واقعياً يرضي ضمائرهم ودون أن تسلكوا طرقاً ملتوية عاجلة لارضاء أنفسكم بفهمها، كي تتضح أمامكم أبعاد رؤية ربيب الوحي، وكي تعترفوا بقصوركم وقصور غيركم.

هذه العبارة ونظائرها وردت في كلمات أهل بيت النبوة لتبين وتفسر كلام الله في سورة الحديد للمفكرين في آخر الزمان، حيث يقول: «وهو معكم أينما كنتم».

من المؤمل أن تستطيعوا، أنتم أيها العلماء والمفكرون الرساليون المجتمعون في المؤتمر

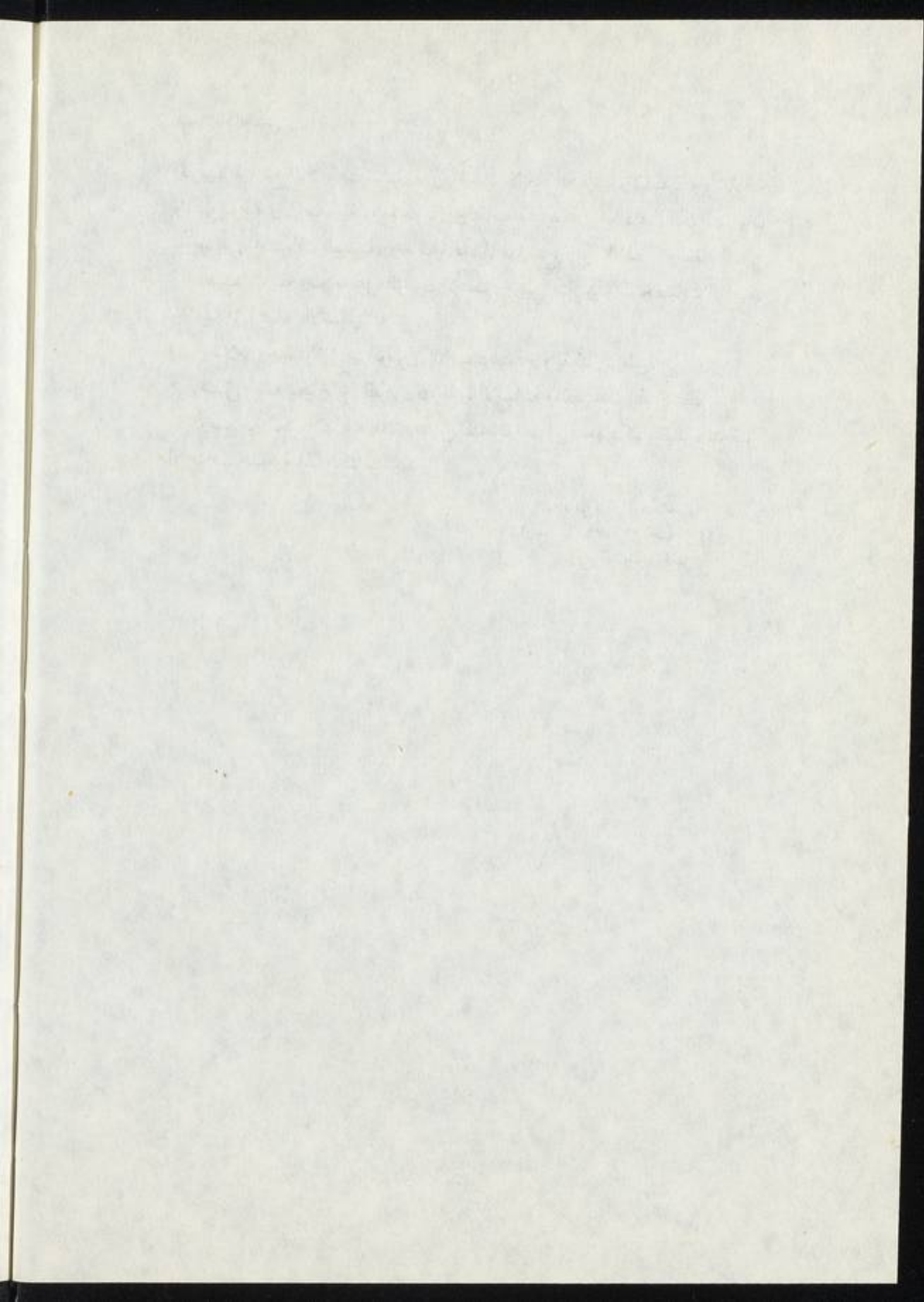
الموقر لالفية نهج البلاغة أن تبينوا، قدر ماتيسر، الأبعاد العرفانية والفلسفية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية والعسكرية. والثقافية وغيرها من أبعاد هذا الكتاب، وأن تعرفوه على المجتمعات البشرية، وتعرضوه عليهما، فهو متاع زبونه الانسان والعقل المنير. صلوات الله وسلامه على الرسول الأعظم، مرّبي مثل هذه الشخصيات الإلهية، وهاديا الى كما لها الانساني اللائق.

وسلاماً وتحية لمولانا أمير المؤمنين، الانسان النموذج والقرآن الناطق. سيبقى اسمه باقياً مابقي الدهر. فهو قدوة الانسانية ومظهر اسم الله الأعظم. وسلاماً لكم أيها العلماء... يامن تفتحون الطريق، بجهودكم القيمة، لتحقيق الأهداف السامية لهذا الكتاب المقدس.

والسلام على عباد الله الصالحين.

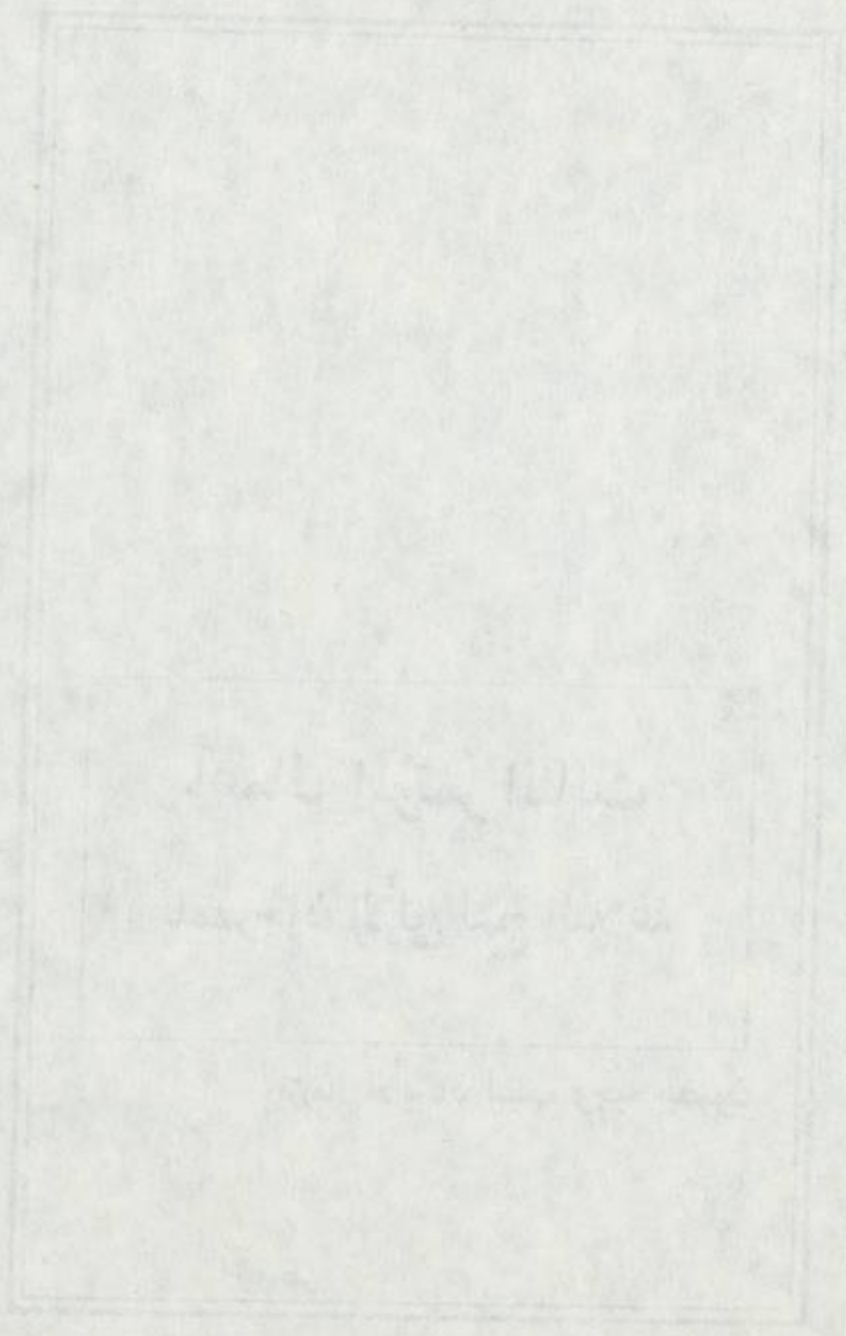
٢٧ اردبيشت ١٣٦٠، ١٢ رجب ١٤٠١

روح الله الموسوي الخميني



أعمال المؤتمر الثالث
للمهرجان الألفي لنهج البلاغة

قررها: الأستاذ لبيب وجيه بيضون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الطيب الطاهر

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
الذي ولد في مكة ليلة الاثنين
عاشوراء سنة الفيل

بعد اشتراكه في المهرجان الألفي لنهج البلاغة قبل عامين، وجهت لي الدعوة من مؤسسة (بنياد نهج البلاغة) في طهران، لحضور المؤتمر الثالث لنهج البلاغة. وقد أجمعت دعوة هذه المؤسسة واشتركت في احتفالها.

بنياد نهج البلاغة:

هي مؤسسة عامرة قام بتأسيسها منذ سبع سنوات الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري، وذلك حين شعر رحمه الله بالحاجة الملحة الى هذه المؤسسة للعناية بكل ما يتعلق بنهج البلاغة، باعتباره منبع إلهام الأمة والثورة. ولما اندلع فجر الثورة الاسلامية المباركة كانت هذه المؤسسة موضع عناية المسؤولين ودعمهم المادي والمعنوي، حتى بدأت توثق قطفها يانعة باذن الله. وبعد وفاة الشهيد مطهري تولى قيادة هذه المؤسسة عدة من الأفاضل الذين كتبوا على انفسهم مهمة ترويح الدين والشريعة وعلوم أهل البيت (ع).

بعض انجازات البنياد:

١- وقد دأب هؤلاء الأفاضل تحت اشراف العلامة مطهري على وضع تصنيف مبتكر لعلوم نهج البلاغة، فقسموا مواد النهج الى ستة عشر باباً رئيسياً كمايلي:

١- معرفة الله

٢- النبوة

٣- القرآن والاسلام

٤- الامامة

٥- المعاد

٦- الانسان

٧- المسائل المعنوية (الأخلاق)

٨- العلم والمعرفة

٩- علوم الطبيعة

١٠- علم الحياة

١١- المسائل الاجتماعية

١٢- المسائل الاقتصادية

١٣- الدنيا والآخرة

١٤- الجهاد

١٥- الحقوق المتقابلة

١٦- الحق والباطل

ويتفرع كل باب من هذه الأبواب الى عدد من الفصول، ومجموع الفصول هو ١٦٠ فصلاً. ويندرج تحت كل فصل الفقرات المتعلقة به، وقد بلغ مجموع هذه الفقرات خمسة آلاف فقرة.

ولبيان هذا التصنيف رُسمت ست عشرة لوحة توافق الأبواب السابقة. وعلى كل لوحة كتبت الفصول المتفرعة عنه، وبجانب كل فصل عدد الفقرات المتعلقة به، ويمثل هذا العدد بخط يتناسب طوله مع عدد الفقرات.

وبناء على هذا التصنيف وضع (ارشيف) النهج المؤلف من خمسة آلاف بطاقة

كتبت على كل بطاقة فقرة.

وقد اعتمد البنياد لانجاز هذا الارشيف على كتاب نهج البلاغة.

٢- وقد أسس البنياد مكتبة حديثة ضمت كل الكتب المتعلقة بنهج البلاغة اضافة الى الكتب الاسلامية الاساسية. وهي مكتبة تتسع باستمرار لتغطي حاجات الباحثين في علوم النهج ومعارفه.

٣- وسعيًا وراء دراسة علوم النهج وتقديمها لجمهور المسلمين ليستفيدوا من معارفها، أقامت المؤسسة المهرجان الأثني الأول والثاني والثالث. وقد جعلت كل المواضيع التي قدمت للمهرجان الأثني الاول، وترجمت بعضها الى العربية، وهي تعمل الآن على طباعة المواضيع اللاحقة.

٤- وقد عكف الدكتور جواد مصطفى صاحب كتاب (الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه)، على وضع نسخة محققة من نهج البلاغة، انطلاقاً من النسخ المخطوطة للنهج الموجودة في إيران وعددها ستة: نسختان منها في مكتبة مرعشي في قم، ونسخة في مدرسة نواب في مشهد، ونسخة في مدرسة مطهري في طهران، ونسخة في مكتبة نصيري، وقد طبعها الشيخ حسن السعيد و يرجع تاريخها الى ٤٩٤ هـ وهي أقدم نسخة معتمدة من النهج.

وسوف يطبع البنياد هذه النسخة المحققة فور انتهاء وضعها.

هذا وان بنياد نهج البلاغة يعمل جاهداً على تحقيق أغراضه واستكمال أهدافه، ليعطي نهج البلاغة بعض ما يستحقه من الاهتمام والتقدير، ويميط اللثام عن كنوزه الدفينة التي أهملها السابقون، مع أن فيها الدواء الشافي لكل عللنا السابقة وأمراضنا الحاضرة.

ان نهج البلاغة هو نهج الحياة، نهج السعادة، نهج الدين، نهج الأخلاق، نهج العزة. انه المنهل الصافي لفهم مبادئ الاسلام، والطريق المستقيم لمعرفة حقائق الايمان.

ندوة في الفندق مع الدكتور جواد مصطفى:

ولمّا رجعنا الى فندق آزادي، فوجئت بوصول أخي العزيز الدكتور السيد جواد مصطفى من مشهد، وجلسنا بحضور الدكتور رفيع نتجاذب وطرف الأحاديث.

(تجريش). ويعتبر هذا الفندق من أكبر فنادق طهران، وهو يتألف من ٢٢ طابقاً. وفي الطابق الأول يتمّ الغداء والجلوس. ويوجد في الفندق مكتبة ومحل لبيع الزهور ومحل لبيع الصناعات اليدوية. وقد أعطى كل شخص غرفة بسرير عريض وتلفزيون. ويوجد على جدار كل غرفة كتابة بالزياتي مع تزيينات ملونة وهي شطرة من بيت شعر للشاعر سعدي الشيرازي وهي:

كس نديدم كه گم شد از ره راست
وتعني: مارأيت أحداً يضل اذا سار في الطريق المستقيم.
وجاء مساء حجة الاسلام دين پرور رئيس بنياد نهج البلاغة للسلام علينا.

يوم الاثنين:

انقطع المطر الذي نزل ليلاً، وانقشع السحاب نسبياً.

زيارة بنياد نهج البلاغة في مقره الجديد:

ذهبنا صباحاً لزيارة بنياد نهج البلاغة في مقره الجديد وسط العاصمة.
وهناك تعرفنا على بعض الأخوة العاملين في المؤسسة.

زيارة المكتبة:

وقد أفردت غرفة كبيرة للمكتبة، وهناك اطلعت، على بعض الكتب المتعلقة
بنهج البلاغة، منها:

- ١- غرر الحكم ودرر الكلم من كلام أمير المؤمنين علي (ع) الذي جمعه الشيخ عبدالواحد الآمدي، وفيه أحد عشر ألف كلمة. وهو يزيد على حجم نهج البلاغة.
- ٢- نهج الصبّاعة في شرح نهج البلاغة تأليف العلامة الشيخ محمدتقي التستري ويقع في ١٣ مجلداً.
- ٣- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة تأليف الشيخ محمدباقر المحمودي - طبع النجف، ويقع في سبعة مجلدات.
- ٤- نهج البلاغة منظوم، من شعر محمدعلي الأنصاري، ويقع في عشرة مجلدات.

قال الدكتور مصطفى اننا في ايران نملك عدداً كبيراً من نسخ نهج البلاغة، ولكن المعتمد منها ست نسخ، اثنتان في مكتبة مرعشي في قم، ونسخة في مدرسة نواب في مشهد، ونسخة في مدرسة مطهري في طهران، ونسخة في مكتبة نصيري طبعها الشيخ حسن السعيد، ويرجع تاريخها الى سنة ٤٩٤ هـ وهي أقدم النسخ.

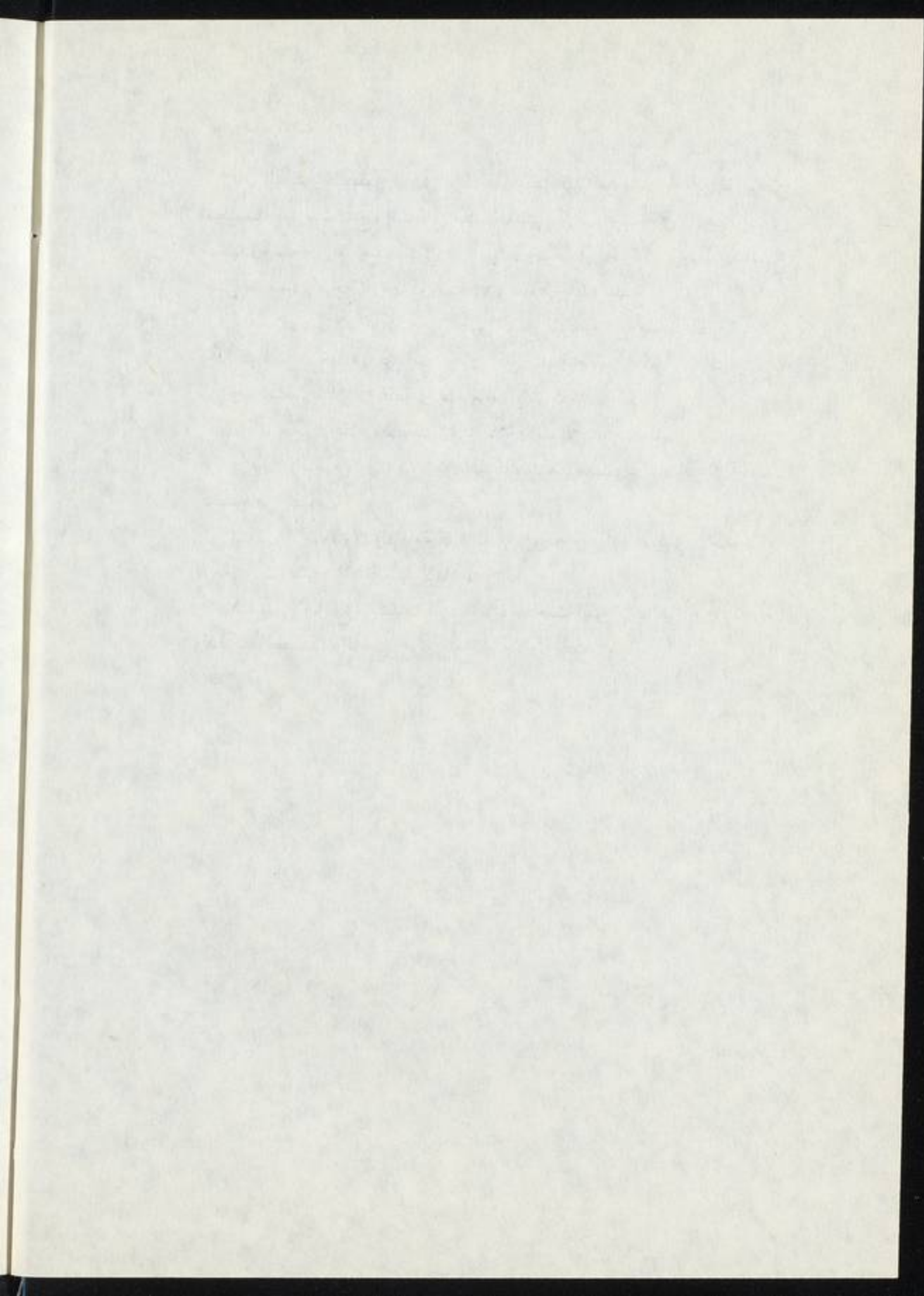
ثم قال: وانني الآن عاكف على تحقيق النسخ المطبوعة على أصولها المخطوطة، وانني أجد كثيراً من الأخطاء، حتى أنني أجد في كل صفحة غلطة أو أكثر. وقد ضبطت مثلاً ٣٨ غلطة في عهد مالك الأشر لوحد.

ثم قال حجة الاسلام مصطفى: من الملاحظات التي عثرت عليها:

١- قول الامام (ع): وأنا من رسول الله كالصنوم من الصنوم، ذكرها ابن أبي الحديد: كالضوء من الضوء.

٢- قول الامام (ع): والإمامة نظاماً للأمة، يوردها ابن أبي الحديد: والأمانة نظاماً للأمة، ولكنه يشرح الأمانة بأنها الامامة.

٣- قول الامام (ع) عندما مرت امرأة فأعجبت القوم: وانما هي امرأة كامرأة. وقد ذكرها بعضهم: وانما هي امرأة كامراته. والأول أفصح.



برنامج المؤتمر الثالث للمهرجان

الألفي لنهج البلاغة

اليوم الاول

الاربعاء في ١٣ رجب ١٤٠٣ هـ

المصادف لميلاد الامام علي عليه السلام

البرنامج الافتتاحي:

تلاوة آيات من القرآن الكريم

كلمة حجة الاسلام الشيخ مهدوي كني

كلمة حجة الاسلام مشكيني

نشيد بمناسبة مولد الامام علي (ع)

* * *

كلمة لحجة الاسلام دين پرور

نشيد باللغة العربية عن مولد الاسلام

قصيدة للشاعر السوري الأستاذ عبد الرحيم الحصني

كلمة للأستاذ لييب بيضون حول بنياد نهج البلاغة وأعماله

* * *

محاضرة لآية الله خزعلي، تحت عنوان: (الخطابة بمنظار نهج البلاغة).

اليوم الثاني

الخميس في ١٤ رجب ١٤٠٣ هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم

• • •

ندوة حول:

(مكافحة الفقر بمنظار نهج البلاغة) اشترك فيها:

الدكتور محمد خير الحلواني (من سوريا)

الاستاذ عبدالرحيم الحصني (من سوريا)

الاستاذ لبيب بيضون (من سوريا)

حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور

• • •

محاضرة للدكتور الراجي التهامي الهاشمي تحت عنوانه:

(اللغة في نهج البلاغة)

محاضرة للاستاذ جواد آملی تحت عنوانه:

(عبي والفلسفة الإلهية)

اليوم الثالث

الجمعة في ١٥ رجب ١٤٠٣ هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم

نشيد

• • •

كلمة الاستاذ رزنجو: أسباب التلاحم بين الحكومة والشعب في نهج البلاغة

ندوة حول (المرأة في نهج البلاغة) اشترك فيها

١- الاستاذ لبيب بيضون

٢- الدكتور جواد مصطفى

٣- الاستاذ عميد زنجاني

• • •

محاضرة للاستاذ جلال الدين فارسي بعنوان:

(الامام علي (ع) والقرآن)

اليوم الرابع

السبت في ١٦ رجب ١٤٠٣ هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم

نشيد

• • •

كلمة للدكتور سيد جواد مصطفى: الاتحاد في نهج البلاغة

كلمة الشيخ محمد سليمان اليحفوفي: التساوي بين القوي والضعيف في الحق في

نهج البلاغة

كلمة حجة الاسلام زين العابدين قرباني: عوامل التعاون بين الشعب والحكومة

من منظار نهج البلاغة

كلمة الاستاذ پرورش وزير التربية والتعليم بعنوان: الوجه الأعلى.

• • •

اليوم الخامس
الأحد في ١٧ رجب ١٤٠٣ هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم
نشيد لرجال الشرطة

• • •

كلمة حجة الاسلام قراءتي: التقوى في نهج البلاغة
ندوة حول (الحرب والصلح) اشترك فيها:
الاستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي
حجة الاسلام السيد محمد باقر الحكيم
محاضرة للاستاذ فلسفي بعنوان:
(كلمة حق يراد بها الباطل)

• • •

كلمة الختام

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر في يومه الأول:

خصصت حسينية الارشاد الفخمة لاقامة المؤتمر هذا العام. حيث يبدأ الاحتفال الساعة الرابعة بعد الظهر ويستمر ثلاث ساعات أو أكثر. دخلنا الحسينية وقدرينت بأكاليل الورود، احتفالاً بمولد أمير المؤمنين الامام علي (ع) في ١٣ رجب. وقدرصع محراب الحسينية بالقيشاني الذي كتبت عليه الآيات والأحاديث والأشعار. وسلطت عليه الأضواء. وعلى جانبه آلة التصوير التلفزيوني. وفي أعلى المحراب كتب على هيئة هلال لا إله إلا الله.

وتحت الهلال كتبت الآية: (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير).
وقد خصصت للنساء سقيفة خاصة. وتتسع الحسينية لخمسة آلاف شخص.
وقد تضمن البرنامج الافتتاحي هذا اليوم:

(١) القرآن الكريم: تلاه شاب عمره نحو ست عشرة سنة، وصوته وأداؤه حسن، وقد ذكر أنه كان الأول في مسابقة قراءة القرآن الكريم، وان الامام الخميني حفظه الله قد قدّم له جائزة سنوية.

وقد اتبع هذا العام نظام الترجمة الآنية من اللغة الفارسية الى العربية، ممّا سهل لي تدوين المواضيع المختلفة، وكنت أتضايق من وضع السماعات على أذني ثلاث ساعات متواصلة.

- (٢) كلمة حجة الاسلام الشيخ مهدي كني: ومما جاء فيها: لقد كان خلق النبي (ص) القرآن، ونحن يجب ان يكون خلقنا نهج البلاغة. وفي نهاية كلمته تمنى ان يكون هذا المهرجان منشأ للأخوة والوحدة والصفاء بين المسلمين.
- (٣) كلمة آية الله مشكيني: وقد تليت بالنيابة عنه، وجاء فيها: يا علي، لقد ولدت في بيت الله، في الكعبة، وطهرت الكعبة من رجس المشركين، ثم استشهدت أيضاً في بيت الله، في المحراب.
- أنت الذي قلت: ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير. وحقاً مها حاول الانسان الوصول اليك والى علومك فانه لا يصل من شدة علوك. لا أمدحك بأنك خليفة، فالخلاقة ليست شيئاً في جنبك. ان عظمتك لها جوانب لا تحصى، ومن أبرزها أن ذرية الامامة منك وآخرها الامام المهدي الذي ينتظر العالم ظهوره. ليستلهم المسلمون من شخصيتك معاني الصبر والتضحية.
- ان الملايين من المسلمين تتوجه اليك مستلهمة من هديك ما يخرجهم من مصاعبهم ومعضلاتهم.
- (٤) نشيد: ثم اصطفت ثلة من طلاب الابتدائي وأنشدت أبياتاً عن الامام علي (ع) وعن نهجه. وكان كل مقطع ينتهي بكلمة (يا علي) في نغم عذب شجي.
- (٥) كلمة لحجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور.
- بدأ الكلمة بحمد الله والصلاة على رسوله، ضمن مقطع من نهج البلاغة. ثم شكر المشتركين في المؤتمر، وهنأ الحضور بمولد أمير المؤمنين علي (ع) ... ثم قال:
- ان مفاهيم نهج البلاغة تستطيع ان تبني الانسان الكامل الصالح.
- لقد حاول البعض التشكيك بنهج البلاغة حتى يبعدوا نهج البلاغة وصاحبه عن ساحة الوجود وميدان المجتمع.
- كفي يفهم أفراد المجتمع ما هو نهج البلاغة يجب أن يتوجه كل فرد الى نهج البلاغة، ليعود نهج البلاغة الى المجتمع. ومن هنا كان لزاماً ان توجد مؤسسات ومؤتمرات لنهج البلاغة. وأتمنى أن يبني هذا العمل على أساس علمي وفني. وكنا نبحت عن جهة تنهض بهذه المهمة. كنا ننتظر الأوامر من القيادة لكي تأمرنا بهذا العمل. وقد صدرت هذه الأوامر فعلاً من القائد الكبير، وأوكل الامام الخميني مهمة نهج البلاغة الى هذه المؤسسة.
- نأمل من المشتركين في هذا المؤتمر أن يدركوا أبعاد نهج البلاغة الفكرية

والشكافية والاجتماعية والعسكرية، وان يعرضوا هذا الكتاب على المجتمعات الفكرية، لأنه موجه الى كل الناس، والى كل ذي عقل وفكر.
إننا في مؤسسة نهج البلاغة نفكر في إعداد موسوعة علمية، تستطيع ان تعرف القارئ بموضوعات نهج البلاغة، ونحن جادون في هذا العمل، رغم ما يحتاجه من جهود واسعة وأعمال شاقة.

وقد وضعنا تصنيفاً يقسم موضوعات نهج البلاغة الى ٣٠٠ موضوع، بحيث نغطي لكل عالم موضوعاً ليحققه ويبحث فيه. وان نتائج التحقيقات والدراسات تعرض على هذا المؤتمر وأمثاله، ثم تطبع وتقدم للجمهور. وبالنسبة لهذا المؤتمر، فقد جرى الاهتمام بعدة موضوعات، ستقفون عليها من خلال الكلمات والمحاضرات والندوات التي ستقام.
وان المسائل المطروحة للبحث ليست بعيدة عن حاجة المجتمعات الاسلامية في الوقت الحاضر.

أشكر كل من ساعدنا في هذا المؤتمر، ولاسيما وزارة الخارجية ووزارة الارشاد الاسلامي.

(٦) نشيد عربي: ثم انتظم أحد عشر طالباً ابتدائياً، يوشحون صدورهم بالعلم الاسلامي الايراني، وقد لبسوا على رؤوسهم قبعات عسكرية مبرقعة، وبدأوا ينشدون:

ظهر الدين المؤيد بظهور الهادي أحمد

(٧) قصيدة للشاعر السوري الاستاذ عبدالرحيم الحصني، وجاء فيها:

آيات فضلك من بياني أكبر ماذا أقول مردداً يا حيدر
منك البلاغة والبيان وكلنا من بحر علمك نستمد ونزأر
فبأي قافية أفيك محبتي وكثير فضلك لا يعدد ويحصر
ياسيد البلغاء يا من خصه طه الأمين بما يُحِبُّ ويؤثر
كم شاعر قبلي أمامك لم يجد قولاً جلياً عن نذاك يعبر
يتسابقون الى علاك وكلهم دون الحقيقة عاجز ومقصر

ملكت مهابتك العقول وربما
عفواً أمير المؤمنين إذا كبا
لوبت أنشد ما حييت قصائداً
فاذا عثرتُ فان وُردي دافق
حسبي اعتزازاً أن كل خلية
وافيت في ذكراك محفل إخوة
عرفوك معرفة البصير فهللوا
وسعوا إليك فكل همس صيحة
بجباهم أثر السجود مترجم
وعلى المحبة والمودة والوفاء
ياسيدي سبل النجاة عزيزة
ياباب علم الهاشمي محمد
جننا نشارك خاشعين بمولد
لما خلصت فكنت أول مؤمن
ووقفت للاسلام حصناً واقياً
يا هول ماشهدت وما حملت وما
ما ذوالفقار وحده ومضاؤه
ياسيدي عذراً فاني هائم
يا إخوة نهج البلاغة ضمهم
منكم إليكم جئت أحمل مهجتي

ذَلَّ المدين متى يهاب ويعذر
شعري فعجزني عن سناك مبرر
كيا أفيك، فاني لأقدر
واذا حكمتُ فان حلمك أكبر
مني تُسيرُ على هداك وتجهر
بهم الزمان مؤرّج ومعطر
مشغفاً بجبك في الحياة وكبروا
لك يا إمام، وكل أرض منبرُ
ولنسكهم شرف اليقين مقدرُ
لزموا هداك بأكيد تتفطر
إلا لديك ونحن باسمك نفخر
منك المكارم في الزمان تحدر
اطللت فيه على البرية تقمر
سمع النداء شبابه المتفجر
فيه الشهامة والرجولة تزخر
لاقت بسيفك في المعارك خبير
لولا يدك وأن زندك مشهر
بجليل قدرك عاجز متعثر
للمكرمات فرشد ومبشر
مهراً لحبي والمحبة تُمهر

(٨) كلمة الاستاذ لبيب بيضون عن أعمال بنياد نهج البلاغة وضرورته، وقيمة نهج البلاغة وصلته به. وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله

أهدي سلامي وأبعث تحياتي وأزف أشواقي...

الى من دكَّ عروش الطاغوت والكفر، على أنغام الفتح والنصر

الى من طارد فلول الباطل والضلال لبني صروح الايمان والكمال

الى باعث الأجداد بالهمم الشداد، على طريق الحق والسداد

الى أمين الأمة وإمام الكلمة

روح الحق وربحانه، ورحمته ورضوانه

(روح الله الخميني)

الى رجال الحرب والجهاد، ودعاة العزة والحرية والرشاد، من أتباع علي والسبطين

والسجاد، وأبي ذر وعمار والمقداد.

الى اللبوات الصامدات، والشريفات الفاضلات، حفيدات فاطمة الزهراء، وزينب

الكبرى، عقيلة الهاشميات اللواتي شيذن حميد الخلال والخصال، في نفوس الشبان

والاطفال، حتى قدموا للحياة الرجال، ودفعوا الى الوغى الابطال، فلقنوا دروس

الكرامة للاجيال، وأحيوا في القلوب جذوة الآمال.

الى شهداء الصدق الذين لم ير الكون مثلهم بطلاً ولا رأى الثقلان آثاروا الموت ليبقى

الدين والاسلام راسخ البنين، واستجابوا لنداء الله، خالق البرايا والأكوان. الرحمن

علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان. الذي خلق الارض، ورفع السماء، ووضع

الميزان: بأن المجرم المعتدي في جهنم يتقلب في النيران. والشهيد في مقعد صدق عند ربه

خالد في الجنان.

حيات من شعب سورية الى شعب ايران، تأكيداً للجهاد المشترك ضد
العدوان... ومن جبل قاسيون الى جبل شميران، ذروة الشمم والاسلام، وقمة الولاء
والايمان، في يوم مولد الامام، أمير المؤمنين علي عليه السلام.
وهذه المناسبة الكريمة ألتى عليكم بعض الاشعار من ملحمة نظمها في مدح
امير المؤمنين والأئمة الاطهار، وهي بعنوان (القصيدة العصماء). قلت:

فدونك الحقّ آل البيت فاحتسب
جنى قطوف الهدى والعلم والادب
بكل زوج بهيج اللون مرتغب
مأثر الحق والابجاد والحسب
وفي الصدور معين غير منتضب
كيلا تعيش رهين الشك والريب
وجدت فيهم منار الحق لم يغيب
رمز الحقيقة في الأزمان والحقب
وللرسالة نبع دائم الصبب
من كل رجس فحازوا عالي الرتب
حصن حصين بقي من اعظم الكرب
إلا سفينتهم طافت ولم تُصب
يجلون غامض ماقدغاب في الحجب
وكل قولهم أي من الكتب
والصفح عندهم فرض ولم يجب
إن هزها سغب جادته بالرطب

دع الجدال ولا تسأل عن السبب
آل الرسول ومن في الناس غيرهم
باكورة المصطفى في روضهم زخرت
فأصبحوا في المعالي دوحة جمعت
في وجههم آية التوحيد مشرقة
لا ترج غيرهم في كل معضلة
إن غاب عنك بريق الحق في زمن
تبدل الحق تبديلاً وما برحوا
هم للنسبة فجر مونق أبداً
صلى الاله عليهم حين طهرهم
هم الأمان من البلوى وحبهم
هاج المحيط فكل السفن غارقة
هم حجة الحكم أفضى الخلق قاطبة
في كل حكم هم أي ومعجزة
أصل الندى والإبأ والكل فرعهم
تاريخهم دوحة للحق باسقة

* * *

صنو النبي وباب العلم والأدب
وينتمي لعلاه كل فتسب
نصت بصحتها الآيات في الكتب
فلا وربك لا ينجو من العطب
نجم يظاوله في الأنجم الشهب
هو الامام بلاشك ولا ريب
أن ينكروا فضله في كل منقلب
به الأعادي على رغم من الكذب

معادن العلم والتقوى وحسبهم
من فيضه قد أفاضت كل مكرمة
قلها مدوية بالحق صارخة
من لا يوالي علياً في عقيدته
هو العلي على كل وليس له
هو الأمير وساقى الحوض منفرداً
أعداؤه شهدوا بالحق اذ عجزوا
وكيف يُنكر فضل للفتى شهدت

أن الروائح ما إن تخفها تطب
تختال مشرقة مشبوبة اللهب
لنفسه نسباً في كل منتسب
كأساً قدارتشت من بجره الرحب
وغيره قطرة في العلم لم يُصب
إمام كل الوري في كل مطلب

قد حاولوا كتمها دوماً وما علموا
وكيف يمكنهم طمساً لشمس ضحي
نهاية المنتهى فالكل يطلبه
وكل نابغة من بعده ظهرت
مجامع العلم دانت في القيادة له
هو المفضل قطعاً لامثيل له

المهرجان الأثني لنهج البلاغة:

أيها المستمعون الأكارم

لقد أتاحت لي مؤسسة نهج البلاغة اللقاء بكم منذ سنتين في المهرجان الأثني الأول لنهج البلاغة. وهناك تعرفت على هذه المؤسسة الكريمة، التي تعمل برئاسة أخي حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور، تلك المؤسسة التي يمتد تاريخ تأسيسها الى سبع سنوات خلت، حين شعر الاستاذ الشهيد مطهري رحمه الله بالحاجة الملحة الى هذه المؤسسة، فأنشأها بتوجيهه ورعايته لشعوره بقيمة نهج البلاغة في حياة الأمة والثورة. ولما اندلع فجر الثورة الاسلامية المباركة، كانت هذه المؤسسة موضع عناية المسؤولين ودعمهم، حتى بدأت تؤتي قطفها يانعة باذن الله.

بنياد نهج البلاغة:

البنياد كلمة فارسية اشتقت من الكلمة العربية (البنيان) وتعني البناء والانشاء والتأسيس.

يقول النبي الاكرم(ص): «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وإن اعضاء مؤسسة نهج البلاغة هم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لخدمة ونشر كلمة الله من طريق ولي الله الامام علي(ع)، الذي كان كلامه بعد النبي(ص) فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق.

وينضم الى أسرة بنياد نهج البلاغة هذا العام، ثلة مؤمنة من مفكري وعلماء الدول العربية والاسلامية، الذين جاؤوا الى طهران قلب الاسلام، ليقدموا ماتجود به

قرائحهم من علوم نهج البلاغة وفنونه، يريدون بذلك اظهار بعض جوانب هذا المحيط الزخار، الذي أنعم الله به علينا نحن المسلمين، بعد النعمة الكبرى التي جاء بها النبي (ص) من قرآن وحديث.

وكما كان الامام علي (ع) نفس رسول الله وصنوه ونظيره، فان كلام علي (ع) هو نفس كلام النبي (ص) وصنوه ونظيره، لايفترقان مدى الدهر، كما أخبر العزيز الخبير، حتى يردا حوض الكوثر.

ان الملاحظ في تاريخ الاسلام، ان المسلمين لم يعطوا نهج البلاغة حقه من الرعاية والدراية، والتفهم والدراسة، وهذا من قلة حظهم وسوء طالعهم. ولاعجب في ذلك، فتي كانوا قد أنصفوا أهل البيت (ع) وعرفوا حقهم في حياتهم، حتى يعرفوا حق علومهم وكلماتهم؟ تلك الكلمات النصوص التي لو استرشد بها المسلمون وساروا على هديها والتزموا بنصائحها، لما ضلوا عن الطريق، ولما استوجبوا من ربهم عذاب الحريق، ولكانوا خير أمة أخرجت للناس، لان التمسك بالثقلين وهما القرآن والعترة، هو النجاة من الغرق والأمان من الضلال والهلاك. وما رأيت أحداً التزم بصراطها المستقيم، وسار على هديها القويم، فضاع عن جادة الصواب، وخسر نفسه يوم الحساب.

وكما قال الشاعر سعدي الشيرازي:

كس نديدم كه گم شد از ره راست.

(ما رأيت أحداً يضل في الطريق السوي)

قيمة نهج البلاغة

من هنا تأتي قيمة نهج البلاغة، فهو باب الاسلام الكبير، الذي نستطيع منه أن نطل على حديقة الاسلام ونقطف زهوره ووروده. إنه نهج الحياة، نهج السعادة، نهج الدين، نهج الاخلاق، نهج العزة والكرامة. انه المنهل الصافي لفهم الاسلام، والطريق المستقيم لمعرفة الايمان.

اما من الناحية الثورية، فقد كانت حياة علي (ع) كلها ثورة، ثورة ضد الكفار في حياة النبي (ص)، وثورة ضد المستكبرين ومن أجل نصرة المستضعفين من بعده. لذا كان كتاب نهج البلاغة كتاب الثورة الصحيحة في جميع أبعادها، في تحقيقها وإيجادها، ثم في ترسيخها والمحافظة على مكتسباتها وإنجازاتها.

ان نهج البلاغة هو سبيل تحرير النفس ودفعها الى الاسلام الصحيح ليحقق قوته وينشر نوره. وان الثورة الايرانية بعد أن قامت بواجبها الاول في تحرير الأرض والوطن من أرجاس المعتدين البغاة، عليها أن تنصرف الى تحرير النفس وتربيتها على الحق وتزويدها بروح الاسلام، إذ بقوة النفس نستطيع الجهاد والكفاح والانتصار على الأعداء، كما نستطيع نشر عيبر الاسلام في أرجاء الارض.

مسؤولية مؤسسة نهج البلاغة:

وتظهر هنا أهمية مؤسسة نهج البلاغة والمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقها، فإن من أول أهدافها استقطاب علوم النهج ومعارفه وكل مايت اليه بصلة، ودراسة تلك الأفكار، ثم طبعها ونشرها وتقديمتها الى الجمهور الاسلامي وغير الاسلامي في كافة أنحاء المعمورة، حتى يطلع عليها القاصي والداني، فتكون للمؤمن زيادة في ايمانه، ولغير المسلم دعوة له الى الايمان والاسلام.

وان ماحققته مؤسسة نهج البلاغة في السنوات الوجيزة من عمرها، لتعتبر مفخرة للفكر والاسلام. فبعد أن طبعت كل الدراسات المتعلقة بالنهج، أقامت المهرجان الألفي لنهج البلاغة عام ١٤٠١ هـ حيث اشترك فيه عشرات العلماء والمفكرين، وكان تظاهرة ثقافية اسلامية لم يشهد لها مثل في البلاد الاسلامية عدا عن البلاد العربية. وقد طبع البنياد كل المواضيع التي ألفت في ذلك المهرجان. ثم وضع خطة مستقبلية لاستكمال البحوث الشاغرة التي لم يتناولها الأقدمون بالدراسة رغم قيمتها واهميتها، ليستكمل الدراسات النهجية، فتصبح الاستفادة كاملة من النهج. وذلك اضافة الى تأسيس مكتبة عامرة، كانت غرساً في الماضي، ثم أضحت دوحة يتفياً ظلها الدارسون والباحثون كلما أرادوا.

علاقتي بنهج البلاغة

أرجع للحديث عن علاقتي بنهج البلاغة، وما استطعت أن أقدمه في هذا المجال. لقد كان والدي وهو يودع الدنيا يقول: عار على المسلمين أن يصنف قرآنهم رجل أجنبي مثل جول لابوم، وعار على الشيعة أن لا يوجد فيهم من يصنف نهج البلاغة. لقد تأثرت كثيراً من كلام والدي المرحوم، وقررت بعد وفاته أن أحقق رغبته، فعملت

من عام وفاته في ١٣٨٩هـ وحتى عام ١٣٩٨هـ، حتى ألفت كتاب (تصنيف نهج البلاغة) وهو كتاب ييؤب مواد النهج حسب الموضوع، بحيث يسهل على القارئ التعرف على علوم النهج وموضوعاته، و يعطيه المادة اللازمة لكل موضوع. وقد طبعت هذا الكتاب في دمشق، وصدر في ١/ رمضان المعظم سنة ١٣٩٨هـ، ووصلت بعض النسخ منه الى ايران.

وكان تأليف هذا الكتاب سبباً لدعوتي الى المهرجان الأثني لنهج البلاغة، حيث قدمت موضوعاً علمياً حول نهج البلاغة، يتناسب مع اختصاصي، وهو (علوم الطبيعة في نهج البلاغة). وقد طبع البنياد هذا الكتاب ثم ترجمه الى اللغة الفارسية.

أما هذا العام فقد اشتركت بموضوعين هما:

الاول: المرأة في الاسلام ومن خلال نهج البلاغة - ٥٠ صفحة

الثاني: الفقر - أسبابه وعلاجه

وسوف يقف الاخوة المستمعون على مضمون هذين الموضوعين في الندوات القادمة

إنشاء الله.

والى اللقاء في الأيام القادمة، والسلام عليكم ورحمة الله.

٩ - محاضرة لآية الله خزعلي حول:

(الخطابة بمنظار نهج البلاغة)

يتميز الانسان بنعمة البيان، وهو انواع:

١- بيان عادي كالكلام الذي يدور بين الناس.

٢- الكلام الذي يبين الحقوق والقوانين، وهذا يجب أن يكون دقيقاً وواضحاً.

٣- بيان الخطابة: وهو يستهدف نقل الفكر الى المستمعين بشكل دقيق، ويجب

ان يكون طرح هذا البيان وفق العواطف التي تؤثر في المستمع بشكل عميق، بحيث تدفعه الى العمل والتطبيق.

الخطيب هو الذي يستطيع ان يعطي مثل هذا التأثير.

لقد استخدم الخطباء والمتكلمون نهج البلاغة لمثل هذا التأثير. واعترفوا بعجزهم

امامه، وقالوا ليس هناك نظير لمثل هذا الكلام، إنه فوق كلام الناس. فلننظر قيمة

كلام علي (ع) وتأثيره.

الجاحظ أعجب بقول الامام (ع): «قيمة كل امرئ ما يحسنه» وقال في كتابه البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ مانصه:

فلولم نقف من هذا الكلام إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية.

وفي هذه الكلمة الثمينة قال الشريف الرضي في النهج (الحكمة ٨١): وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن اليها كلمة.

أما طه حسين فحين يصل الى موقعة الجمل، يضع اصبعه على أولئك الذين لم يعقلوا الاسلام بشكل جيد، ووقفوا ضد علي (ع). انه يقف أمام مسألة طلحة والزبير واختلافهما مع الامام، ويتعجب من هذا الاختلاف. ويذكر قول الامام (ع) عن الحق:

«لا يمكن معرفة الحق من أفواه الرجال، انما يعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله.»

ثم يقول: انني لم أسمع اعظم من هذا الكلام.

أما الشريف الرضي فقد كان أديباً وبلغياً، وحين يصل الى الخطبة ١٦ من نهج البلاغة، وفيها قول الامام (ع) عن الحق والباطل:

«حق وباطل، ولكل أهل، فلئن أمير الباطل لقدماً فعل، ولئن قلّ الحق فلربما ولعل، ولقلما أدبر شيء فأقبل.»

يقول: ان في هذا الكلام الأدنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان. وان حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به، وفيه زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فمها إنسان، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق (وما يعقلها إلا العالمون).

ان هذا الكلام يخيّر الشريف الرضي ويأخذ بلبه، ويؤكد أن هذا البيان لا يمكن أن يأتي به غير الامام علي (ع).

وفي آخر الخطبة ٢١ من النهج، وفيها قوله (ع): «فان الغاية أمامكم، وان وراءكم الساعة تحذوكم. تخففوا تلحقوا، فانما ينتظر بأولكم آخركم.»

يقول الشريف الرضي: ان هذا الكلام لوؤزن، بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله (ص)، بكل كلام مال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً.

فأما قوله (ع): «تخففوا تلحقوا» فاسمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة! وأنفع نطقها من حكمة.

وقد أثر عن النبي (ص) قوله: ان من البيان لسحراً. وقصة ذلك أن عمرو بن الأهتم التميمي كان مع الزبير بن بدر وجماعة من دهاة العرب بحضرة النبي (ص). فقال (ص): انني سمعت بأن الزبيران أفصح العرب فأتقولون فيه؟ فقال عمرو: مطاع في أدنيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبيران: يارسول الله، انه ليعلم مني اكثر من هذا، ولكنه حسدني. فقال عمرو: أما والله يارسول الله إنه لزمير المروءة (أي قليلها)، ضيق العظن (أي بخيل)، لثيم الخال، أحق الوالد. وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولقد رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أسوأ ما علمت.

فقال رسول الله (ص): «إن من البيان لسحراً، وان من الشعر لحكماً».

ومن أكثر خطب الامام (ع) تأثيراً الخطبة الغراء رقم ٨٢، ومطلعها: أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار... وآخرها: قبل الضنك والمضيق، والروع والزهوق، وقبل قدوم الغائب المنتظر وإخذة العزيز المقتدر.

قال الشريف الرضي بعد هذه الخطبة: وفي الخبر أنه لما خطب (ع) بهذه الخطبة، اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب.

ومن ذلك الخطبة رقم ١٩٣، حين سأله همام عن صفات المتقين، فأجابه قائلاً: يا همام اتق الله وأحسن (فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). لكن همام الذي كان يعرف علوم علي (ع) لم يقنع بهذا الجواب وسأله ثانية. فلما ذكر له صفات المتقين بالتفصيل خرّ صعقاً. قال (ع): أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.

هذا وان كلام علي (ع) يمثل قمة البلاغة، وفي ذلك يقول ابن ابي الحديد: انظر الى البلاغة كيف تنتظم فيها الكلمات...

ومن ذلك قوله (ع) في وصف عثمان وصحبه: بين نثيله ومعتلفه. فكأنه يقول: ان هؤلاء قد أضاعوا القيم الانسانية، وأصبحوا كالحیوانات، ليس همهم إلا اشباع شهواتهم.

ومن ذلك قوله (ع) في آخر الخطبة الشقشقية: «وما أخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم». فأين علماء المسلمين اليوم من هذا، وبعض الدول

الاسلامية تنتج عشرات الملايين من براميل النفط، وهناك كثير من بيوت المسلمين ليس عندهم نفط ليقودوا السراج في الليل. هذا أبشع الظلم.

وقال (ع) في الخطبة رقم ٣١ عن عثمان: «استأثر فأساء الأثرة». وان عظمة ايران اليوم أتت من أن عالماً عظيماً لم يخف الطاغوتين، ولم يطلب لنفسه شيئاً، بل قام ليهلك الأعداء والكفار، ليثبت أن الاسلام أكبر من كل طواغيت الارض.

وقال (ع) في ذم أهل البصرة بعد موقعة الجمل: «كنتم جند المرأة، واتباع البهيمة. رغا فأجبتم، وعقر فهر بتم».

ولننظر الى هذه الكلمات التي قال فيها الرضي بأنها لم تسمع من غير علي (ع). وقال ابن ابي الحديد فيها: انه يتصرف بها فينظمها كالقلادة والعقد، بياناً لبراعته وقوة تأثيره فيها:

«ولكن ألق الزبير، فانه ألين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفنتي بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فاعدا بما بدا؟!».

ومؤدى هذا الكلام أن الامام (ع) أراد أن يحل المشكلة مباشرة بينه وبين الزبير بدون تدخل الغير.

ثم لننظر الى قول علي (ع) لأصحابه حين منعهم معاوية الماء: «قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، وتأخير محلة، أو روقوا السيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين». (الخطبة رقم ٥١).

فهو (ع) لم يقابل معاوية بالمثل حين ملك مشرعة الفرات، لأنه مقيد بما جاء به الاسلام.

ان طريقنا هو طريق علي (ع).

واعلموا أيها الطغاة البغاة أنكم ستواجهون دائماً من يقولون: لا إله إلا الله، وسوف يلقنوناكم درساً لا تنسونه أبداً.

ان الامام (ع) في كلامه لكميل بن زياد يقسم الناس الى ثلاثة أصناف:

١- همج رعاع

٢- حملة للدين غير ملتزمين به.

٣- العلماء الربانيون الأتقياء.

والامام (ع) باعتباره عالماً ربانياً زهد بالحياة، ولكن زهده لم يدفعه الى الانعزال

عن الدنيا، بل انه مع زهده مارس الحياة بكل مرافقها، مارسها كما أراد وليس كما تريد. وكان من مبدئه ان يشارك الفقراء والعاجزين والمستضعفين، حتى يحس بأحاسيسهم ويستطيع مد يد العون اليهم، وفي ذلك يقول(ع): «أقنع من نفسي أن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون لهم قدوة في جشوبة العيش.» لقد كان همّه أن يشارك الناس في كل محنهم ومشاكلهم. ونحن عاملون على نهجه وسائرون على هديه.

اللهم ألهمنا السير على هدى علي(ع) وأن نخلص كل المستضعفين في العالم، كما كان يفعل علي(ع).



المؤتمر في يومه الثاني:

١- القرآن الكريم

٢- نشيد وقد أنشده سبعة طلاب من الحلقة الثانوية.

٣- ندوة حول (مكافحة الفقر بمنظار نهج البلاغة)

اشترك فيها السادة:

الدكتور محمد خير الحلواني (من سورية)

الاستاذ عبدالرحيم الحصني (من سورية)

الاستاذ لييب بيضون (من سورية)

حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور

وسوف اقتصر على الكلمتين الاخيرتين.

٤- كلمة الاستاذ لييب بيضون: وهي معالجة للسؤال التالي:

الى جانب دعوة الاسلام الى مكافحة الفقر، نجد ثمة دعوة الى الزهد والترفع عن

متاع الدنيا. فكيف نوفق بين الدعوتين؟

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على الوجوه الغر الميامين، من أتباع أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، تحت

لواء الحمد الى جنات النعيم. حشرنا الله واياكم في زمرة محمد وآل محمد، صلوات الله

عليهم اجمعين.

للجواب على هذا السؤال حول مكافحة الفقر والدعوة الى الزهد، لا بد أن نلاحظ أن للفقر معاني مختلفة، وللغنى معاني مختلفة ايضاً. ولذلك نحن نقول: الفقر الممدوح والفقر المذموم، ونقول الغنى الممدوح والغنى المذموم.

فالشارع الحكيم لا يستنكر الفقر ويحاول مكافحته إلا عندما يكون هذا الفقر سبباً لقلة الدين والخروج عن مرضاة الله تعالى. لذلك كان الفقير المتعفف الصابر ممدوحاً، ومفضلاً على غيره.

وكذلك فإن الشارع الأقدس لم يستنكر الغنى ويحاول مكافحته، إلا عندما يكون هذا الغنى لغير الله، أما اذا استخدمه صاحبه لطاعة الله كان ممدوحاً.

وعليه فان معيار التفضيل في الاسلام هو في مدى ارتباط الانسان بالله، سواء كان في حالة اليسر أو في حالة العسر. وما الغنى والفقر إلا شكلان من أشكال الامتحان الالهي للانسان، ليظهر مدى توجهه الى الله وارتباطه به.

وعلى هذا النحو فاننا لانرى أن معنى الزهد الذي دعا إليه النبي (ص) والامام (ع) هو الخلو من متاع الدنيا ومادياتها، وانما هو أن لا يرى الانسان لتلك المتع أي قيمة في نظره اذا ما قورنت بطاعة الله تعالى، فيستخدمها لخدمة الله وارضائه. فاذا هو خرج من عبودية المادة الى عبودية الله كان زاهداً حقيقياً، ولو كان يملك الدنيا بأسرها.

وعلى العكس من ذلك، اذا كان المرء فقيراً وكانت نفسه متعلقة بالدنيا، لم يكن فقره ليدل على أي معنى من معاني الزهد.

أما الغنى الحقيقي فهو ليس غنى المال، انما هو اليقين بالله. فالمؤمن يستمد غناه الحقيقي من الله، ويتوثق ذلك الغنى كلما ازداد يقينه بالله.

وتبندو النوازع التي تسيطر على نفس الانسان وفق اتجاهين: نوازع تدفعه نحو الله، ونوازع تدفعه نحو المادة والشهوات. وبقدر تحرر الانسان من ربة الشهوات وتوجهه الى الله يصبح غنياً. لأنه عند ذلك يستغني عن كل شيء في الوجود ما خلا خالق الوجود. وعندها تصبح كل الأشياء في نظره حقيرة أمام الله تعالى.

يقول الامام علي (ع): «إن من حق من عظم جلال الله سبحانه في نفسه، وجلّ موضعه من قلبه، أن يصغر عنده كل ما سواه. وإن أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه، ولطف إحسانه اليه. فانه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظماً» (الخطبة ٢١٤ نهج)

وفي هذا المعنى أروي لكم القصة التالية:

ان شخصاً سمع بزاهد، فأراد أن يزوره، ولما قدم عليه وجده يعيش في قصر فخم، ومن حوله الرياش والخدم. فقال له: عجبت من أمرك، وقد سمعت أنك زاهد، وما أرى آثار ذلك عليك!. فقال الزاهد: ليس الزهد أن لا تملك المال. وإنما الزهد ألا يملكك المال. ولقد أنعم الله عليّ بهذه الخيرات التي ترى، وأنا أعمل على إنفاقها في سبيل الله، وأسخرها لقضاء حوائج عباد الله، وأرى أن وجودها عندي وعدم وجودها سيان.

ويسمى الفقر الذي يصبح فيه الانسان غير مفتقر إلا الى الله (فقر الصالحين) وهو أرقى درجة يبلغها المؤمن في معارج الفضيلة والصلاح والسمو والفلاح، حيث يترفع عن مؤثرات الدنيا الفانية، زاهداً بمظاهرها الزائلة.

لنستمع الى الفيلسوف الاسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال، الذي كتبت بعض أشعاره على محراب هذه الحسينية، يصف لنا هذا النوع من الفقر، الذي هو الغني الحقيقي، فيقول:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| يا عبيد الماء والطين اسمعوا | ما هو الفقر الغني الأرفع |
| هو عرفان طريق العارفين | وارتواء القلب من عين اليقين |
| ذلك الفقر عزيز في غناه | هامة الجوزاء من أعلى خطاه |
| يرعش الدهر إذا دوى صداه | ليس غير الله في الكون إليه |
| فقرنا ليس برقص او غناء | ليس سكر النفس في موت الرجاء |
| فقرنا معناه تيسير الجهود | فقرنا معناه تسخير الوجود |
| فقرنا العادي سراج لو ظهر | ينجمل الشمس ويزري بالقمر |
| إنه إيمان بدر وحنين | إنه زلزال تكبير الحسين |
| قم وإبلغ نوره للعالمين | قم وأسمعه البرايا أجمعين |

ان هذا الفقر هو الذي دفع الى الجهاد أهل بدر وحنين، وهو الذي دفع الى كربلاء الشهادة مولانا الحسين، وهو الذي يدفعكم اليوم الى تطهير الأرض الاسلامية من رجس الكافرين والمنافقين.

ولقد ضرب الامام علي (ع) أروع مثل على هذا النوع من الزهد، حين طلق الدنيا ثلاثاً، حتى أصبحت في نظره لا تعادل عطفة عنز، والعطفة ماتشره العنزة من أنفها اذا عطست. وقد حكى ذلك علي (ع) في آخر الخطبة الشقشقية في معرض حديثه عن الخلافة فقال:

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء في أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلمها على غاربها (يشبه الخلافة بالناقة)، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز».

صدق ولي الله
والسلام عليكم ورحمة الله

٥ - كلمة حجة الاسلام السيد جمال الدين دين بروز:

كيف كافح الامام (ع) الفقر؟

لمكافحة الفقر ركز الامام علي (ع) على ثلاث نقاط هي:

١- التشديد على انفاق المال، والوقوف بوجه سوء الاستفادة المالية.

٢- التوزيع العادل

٣- المحاسبة الدقيقة في الامور المالية

النقطة الاولى: التشديد على انفاق المال

كان الامام علي (ع) يدقق في انتخاب الاشخاص المناسبين لتعيينهم كولاة. وبعد تعيينهم كان يدقق ويراقب عملهم دائماً، حتى لا يضيع بيت المال هدرأ. وكان ينظر باستمرار الى كيفية انفاقهم لبيت المال.

قال (ع) في الرسالة ٤٠ من النهج لأحد ولاته:

«أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد اسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك... الى ان يقول: فارفع إلي حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام».

والامام (ع) يدقق كثيراً على كل وال، مع أنه هو الذي ولاه، حتى يحفظ المال

وحق اصحاب المال.

النقطة الثانية: التوزيع العادل

التوزيع حسب حاجات الأفراد في المجتمع.

ان الامام(ع) في الخطبة ١٠٤ يؤكد على هذه المسألة فيقول:

«وانظرالى مااجتمع عندك من مال الله، فاصرفه الى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والحلات. ومافضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا»

وفي الرسالة ٢٥ يقول لأحد جباته المسؤول عن جمع الصدقات:

«ثم احذر الينا (أي سق الينا سريعاً) مااجتمع عندك، نصيره حيث أمر الله به» ولا تظن ان هذا المال هوتحت تصرفك تصرفه حيث شئت، انك مسؤول فقط عن جمع المال، ثم ترسله الى بيت المال، حتى نوزعه على أهله بمعرفتنا، وفق الموازين الشرعية.

النقطة الثالثة: المحاسبة الدقيقة

أذكر جملاً رائعة انتقيتها من النهج، وهي تقع تحت عنوان: من أين لك هذا؟ ومعناها أن الذين جمعوا الثروات وتركزت عندهم، هؤلاء يجب أن تدرس أوضاعهم بدقة، اذ كيف يجتمع عند شخص ملايين الليرات وغيره معدم؟! يجب أن ندرس المصادر التي جُمع منها المال، حتى لا يكون جمعه من طريق الحرام غير المشروع. رُفِعَ الى الامام(ع) أن أحد ولاته قد أساء استعمال المال، فبعث اليه الامام(ع) هذه الجمل القوية الشديدة من الرسالة ٤١: «واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم، اختطاف الذئب الأزل (أي السريع) دامية المعزى الكسيرة، فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك -لاأبالغيرك- حدرت الى أهلك تراثك من أبيك وأمك فسيحان الله! أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب؟!».

من هنا يتبين أن المجتمع الاسلامي يجب أن يقوم على مراقبة دقيقة لصرف المال. وقد أحدثت في ايران مراكز عدة لمراقبة صرف المال، ومن هذه المراكز (ديوان



٦- نشيد عربي: ثم اصطف تسعة طلاب على صدورهم أعلام الثورة، وأنشدوا:

يا شعوب زنجري واطردوا العدى

٧- كلمة الدكتور التهامي الراجي الهاشمي من المغرب العربي بعنوان:

(اللغة واللسانيات في نهج البلاغة)

ان لنهج البلاغة قيمة كبيرة في قلوب المراكشيين، وهو يدرس في كلية أصول الدين في تطوان، وفي كلية الشريعة الاسلامية في اغادير، وفي كلية الشريعة في العاصمة الروحية فاس، وفي كلية العقيدة الاسلامية في مراكش الحمراء. اننا نستطيع أن نجد في نهج البلاغة كل ماتحتاجه النظريات اللسانية القديمة والحديثة. فنهج البلاغة رحب ومعانيه كثيرة، ولذلك اقتصرنا في هذا المؤتمر على دراسة فقرة وردت عن القرآن.

يقول عليه السلام في الخطبة ١٩٦:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابحه، وسراجاً لا يخبونوقده. وحرماً لا يدرك فقره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه. وفرقاناً لا يخذم برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسفاهه. وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه»
لنحلل هذا النص لسانياً.

بدأ(ع) الفقرة بـ (أنزل) الفعل الرئيسي، وهو يعطينا (الانزال). وهو على مستويين، إما أن يكون موجهاً الى الأسماء، أو الى الأسماء ومادونه.
الفعل (أنزل) الى الأسماء، يستعمل كما استعمله الامام بعده (على). وفي القرآن أمثله كثيرة منها:

(هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهاً. فأما الذين في قلوبهم زيغ فينبهون ماتشابهه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله الا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الالباب) آل عمران ٧.
وأعطى الدكتور تهامي امثلة متعددة عن هذا الفعل (أنزل على) في الحالة العادية (نزل) والمضعفة (نزل) والمزيد بالهمزة (أنزل) والمزيد بالهمزة مبني للمجهول (أنزل)

وفي حالة الاستفهام (أُنزل).
ثم حاول حساب نسبة ورود فعل (نزل) في أجزاء النهج الثلاثة. ولم أعد أفهم
منه مغزى الموضوع والغاية منه.

٨- كلمة الاستاذ جوادى آملي (وهو من تلاميذ المرحوم العلامة الطباطبائي)، وهي
بعنوان:

(علي والفلسفة الالهية)

الفلسفة تعني معرفة الشيء الموجود وتمييزه عن العدم. معرفة العالم العقلي يقال لها
فلسفة. نتساءل لماذا كان زمام هذا البحث قد أعطي الى أمير من أمراء الكلام؟ لماذا
نسبنا الفلسفة الى علي(ع)؟ لأنه عالم المعقول. اذا فسرنا الفلسفة بهذا الشكل وهي
صيرورة الانسان عالماً عقلياً للعالم، فان علياً فيلسوف الهي.

استمع اليه وهو يتكلم عن الفلسفة الالهية فيقول:

«ما كنت لأعبد رباً لم أره».

وقوله: «لو كشف لي الغطاء ما زددت يقيناً».

انه يقول (ع) لو أزيح عن عيني ستار الغفلة الذي يميّزه كل الناس لأنهم نيام،
فلن ازداد يقيناً، لأنه لا يوجد أمام عيني أي غطاء.

وبشأن الوحي والنبوة والرسالة يقول(ع):

«أشم ريح الوحي وأرى نور النبوة».

من هنا نجد أن علياً(ع) حكيم في معرفة الله، وهو شاهد في ذلك وفيلسوف في
معرفة المعاد، ومتأله في الوحي والنبوة، وشاهد (أي بلغ درجة الشهود في هذه
المعرفة)، ولقديت هذه الدرجة حين قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فاني بطرق الساء أعلم
مني بطرق الأرض».

هذا الحكيم الالهي الكبير يتبن بهذا الشكل الفلسفة الالهية. لننظر في احدى
خطب الامام(ع) في الالهيات، والتي قال عنها الشريف الرضي أنها تجمع من أصول
العلم ما لا تجتمع خبطة أخرى. وهي تتميز بأنها مرتبطة بأعمق المسائل الفلسفية.
يقول(ع) (الخطبة ١٨٤): «كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول». هذا يعني
أن كل ما يمكن معرفته عن طريق العلم أو الشهود، فهو ليس بالله تعالى - كل ما هو

معروف من نافذة العرفان فهو- مصنوع وليس بصانع. فالصانع هو الذي صنع العقل، وأعطى الأرواح الفكر. وإذا كان الله تعالى هو الذي صنع الفكر والشهود، فالشاهد لا يمكن أن يلم به. ان الله تعالى ينبغي أن يعرف بآياته، وهو يقول (وعذركم الله نفسه). وفي الشطر الثاني من كلامه (ع) يقول: «وكل قائم في سواه معلول» أي أن كل شيء يقوم بغيره فهو معلول، أي يحتاج الى العلة.

هذه الكلمة تبطل كل ادعاءات الغربيين. فكل موجود ليس وجوده عين ذاته فهو معلول. وهو تعالى علة الكل، والكل معلول اليه.

هذا الأصل العام للعلية شرحه (ع) في خطبة أخرى رقم ١٨٢ حيث قال:

«فالويل لمن أنكر المقدر، وجحد المدبر. زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا اختلاف صورهم صانع. ولربلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق لما أوغوا (أي حفظوا). وهل يكون بناء من غير بان، أو حناية من غير جان؟!».

ان مفكري العلية والملاحدون عامة ليست لهم حجة فيما ادعوا، هذا تفسير لهذا الأصل العام الذين يتمثل في المعللة والمعلولية.

الامام السادس (ع) في الكافي يفصح عن هذا المبدأ فيقول:

«أبي الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها. وجعل لكل سبب سبباً، ولكل مشرع علماً، ولكل علم باباً. من عرفه عرفه، ومن جهله جهله، ونحن الهداة».

ان نظام الحياة من وجهة نظر هذا الحكيم المتأله، أن الله علة، وكل شيء معلول. ننتقل الى مسألة اخرى، وهي: كيف خلق الله العالم؟ هل عمل الله هو تحريك للمواد؟ هل العلية التي يتحدث عنها علي (ع) هي علة في محور الديالكتيك أم في محور الفلسفة الالهية السامية؟ هل عمل الله بمفهوم الحركة وهو متحرك أيضاً، أم أن الحركة لا يمكن ان تنسب اليه؟ لاذاته تتحرك، ولا أوصافه تتحرك. وليس عمل الله متصف بالحركة.

يجيب الامام (ع) عن هذه المسألة في الخطاب عامة وفي الخطبة السابقة بشكل خاص فيقول بأن الله فاعل لا بالحركة. أي أنه لا يتحرك هو، ولا يعمل بحركة فكرية ولا بدنية. لا يفكر مثل الانسان المفكر الذي يتفكر بحركة فكرية ذاتية. والله سبحانه لا يحتاج الى تحريك الأعضاء «فاعل لا باضطراب آله، مقدر لا بجول فكرة»

فالله سبحانه لا تجري عليه الحركة والسكون. وهو سبحانه غير محكوم بقانون

الحركة. فهو لا يتحرك وليست له حركة ولا سكون، فهذه الصفات من خصائص المادة، وهو خالقها. إنه ثابت، لا ساكن ولا متحرك. يقول (ع):
«ولا يجري عليه السكون والحركة. وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟»

لا يمكن لقانون أن يتحكم في رب العالمين وهو خالق العالمين.
إنها مدرسة علي (ع) الفكرية التي لا تمت الى المدارس الفلسفية الأخرى.
انه (ع) يثبت بنفس الطريقة والاثبات كل الصفات الذاتية. يقول (ع): داخل في الاشياء لا بمجازة، وخارج عنها لا بمباينة.

فهو سبحانه لا يمكن الوصول الى كنهه، لأن الفكر والوصول الى النتائج هو من الله تعالى: داخل في الأشياء لا بمجازة. وكل فكر هو خارج عن الله ليفكر في الله: وخارج عنها لا بمباينة. لذا لا يمكن فهم كنهه الله، ولكن يمكن أن نفهم أنه ليس كمثل شيء.

وإذا تجاوزنا هذا الحد، وجدنا قوله (ع) في الخطبة ٩٢:

«لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله حدس الفطن».

أي مهما حاول الحكيم أن يخلق بفكره، ومهما حاول العالم أن يخرجه بحور الشهود، لا يستطيع أن يجد شيئاً.

في أول خطبة له (ع) في النهج نقرأ أن الشيء المقرون بالأزلية وبغير المحدود، فهو ليس بالله ولا من صفات الله يقول (ع):

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له»

هذا الاخلاص يبينه بقوله: «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة». هذه القاعدة أخذها الفارابي فيما بعد وبنى عليها قاعدة = فاقد الشيء لا يعطيه.

المرحوم العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، يستنبط من هذه الفكرة قاعدة الفكر الذاتي «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه».

أية صفة يجب أن تسلب عن الله تعالى. تلك الصفة التي تقول انني غير موصوف. أما الوصف الزائد الذي يشهد عليه الزائد والمزيد فيجب أن يسلب عن رب العالمين. «بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة».

ثم يقول (ع): «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه». أي قرنه بالغير. «ومن قرنه فقد نثاه، ومن نثاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه».

هذه الاستنتاجات تعبر عن شيء واحد، وهو أنه إذا وصف سبحانه بشيء زائد، فقد وصف بشيء موجود سوى الله. الوجود المحض ليس له ساحل ولا منتهى. الكمال المحض هو علم محض. والحياة الصرفة كمالاتها غير محدودة. وصفته بالكمالات هي أيضاً غير محدودة.



هذه فلسفة علي (ع) من الناحية النظرية.

أما فلسفته (ع) في القسم العملي فهي سامية المعنى بعيدة الغور.

فلسفته العملية قال عنها: ليس لله آية أكبر مني.

ان مقامه (ع) تجسد في قوله لابن عباس: ما قيمة هذا النعل؟ قال ابن عباس: لا قيمة لها.

فقال (ع): والله لبي أحب إلي من امرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً.

ان مكانته (ع) تتجسد عندما سأله أحدهم... قال صاحبه: ألف مثقال ذهب أو

ألف مثقال فضة. فقال (ع): كلاهما عندي حجران. الذهب عند علي حجر وكذلك

الفضة. حجر أصفر وحجر أبيض... هذه مكانة علي (ع).

بعض تلامذة علي (ع) حازوا مكانة علي (ع).

قال علي (ع) في الحكمة ٧٧: «آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم

المورد».

هذا هو الذي يبين مقام علي (ع). أي سفر بعيد على علي (ع). انه السفر الى الله

تعالى. انه نفس سفر النبي (ص).

سلوا نهج البلاغة قبل أن تفقدوه. أي سفر هذا؟ الذي يقول عنه علي (ع) انه

بعيد. انه سير الى الله.

ولكن الامام (ع) يقول: «ان الراحل اليك قريب المسافة، وانك لا تعجب عن خلقك إلا أن

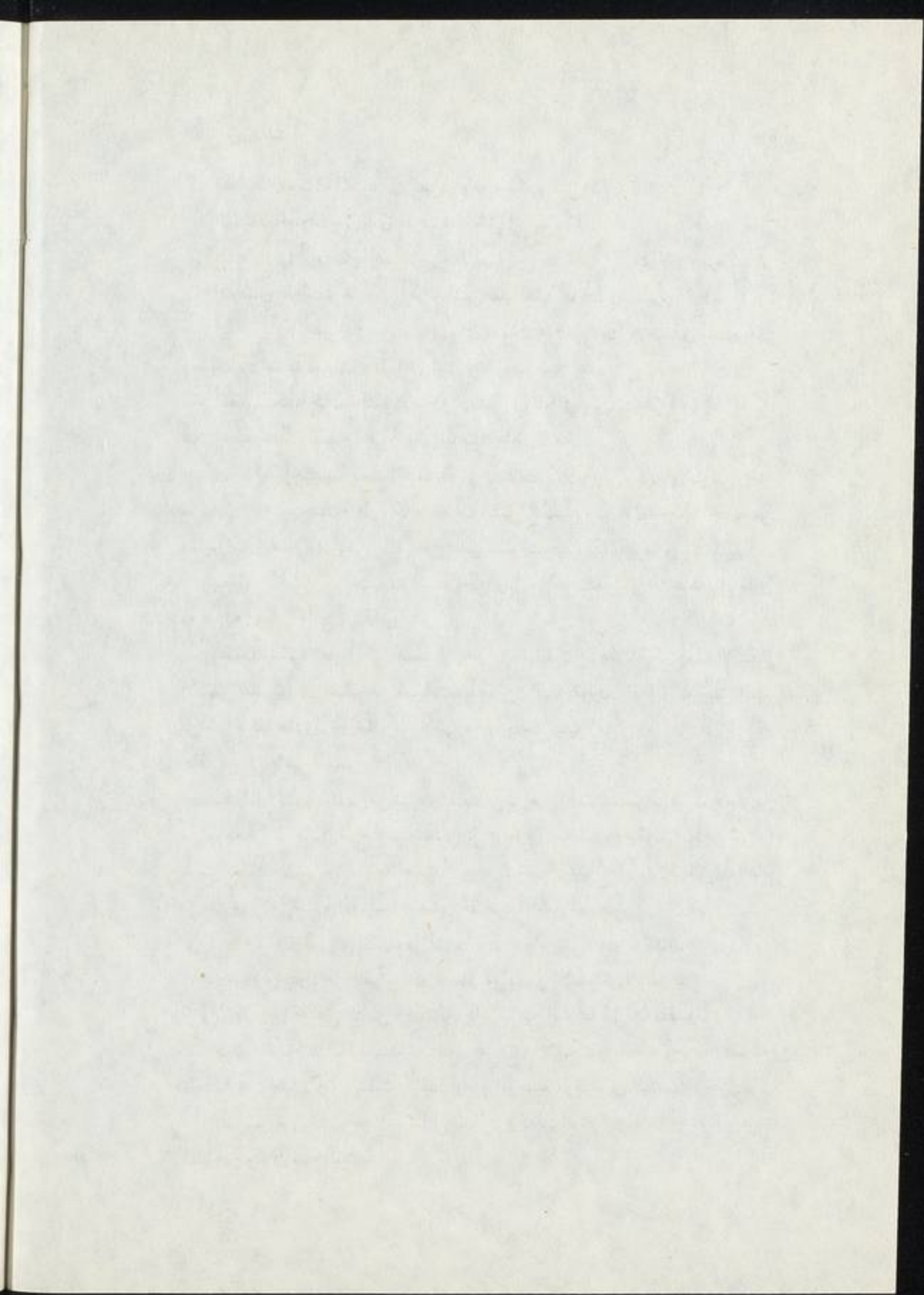
تعجبهم الآمال». اذن فالطريق الى الله قصير. وهل مقصوده (ع) من بُعد الطريق هو

السير الى الله.

ان الوصول الى الله ليس عسيراً ولا صعباً، لاسيما على علي (ع). لكن الصعب هو

السير من الله الى الله. إن هذا ما يتحدث عنه الامام (ع). وهذا ما يقصده بقوله.

انه إيصال رسالة المعبود الى العباد. وهو وسيلة وليس هدفاً.
الانسان العارف هو الذي يعرف ان الحق في الله تعالى.
ان علياً(ع) أراد أن يعرف الأسماء الالهية على حقيقتها. لذلك كان سفره بعيداً.
ان الذي قد ابتعد عن كل أهوائه ليس صعباً عليه أن يطوي مسيرته الى الله.
ان علياً(ع) هو الذي قال: «الهي اني لم أعبدك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك ولكن
وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» فهو(ع) ليس له محبوب سوى الله.
أنقل لكم كلمة ثقة الاسلام الكليني في الكافي يقول: لما عزم(ع) محاربة...
فتلا خطبة تحدث فيها وناجى ربه، عبأ بها جماهير الأمة.
في بداية الخطبة بعد الحمد قال: ان الله متفرد، لا من شيء كان، ولا من شيء خلق
ما كان... وهي خطبة طويلة. وبعد أن انتهى الكليني منها قال: وهذه الخطبة من
مشهورات خطبه(ع)، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد، اذا تدبرها وفهم ما فيها.
يقول الكليني. فلواجتمعت ألسنة الجن والانس على أن يبينوا التوحيد بمثل ما أتى
به علي(ع)، بأبي وأمي، لما قدروا عليه.
يقول المفيد تعليقاً على كلمة الامام(ع) السابقة: ان هذا الحكيم بهذا الابتكار
الالهي قدرة أكبر شبيهة من شبهات الملحدين. انهم يقولون: اما ان الله خلق العالم
من شيء فهو مادي، او خلقه من لا شيء، فلا يدخل عليه (من). اذن من أي شيء،
خلق الله؟ اللا شيء ليس مادة.
يقول(ع): ان الله ليس من شيء ولا عمله من شيء. ان الله شيء، ليس من شيء، ولا خلق من
شيء. يعلق الداماد في شرح أصول الكافي على قوله(ع): من شيء، فيقول: ان (من شيء) ليس
ليس نقيضه لا شيء. اذا وجد أحدهما لا يوجد الآخر. ان علياً(ع) يقول: لم يخلق الله العالم
من شيء، ولا من شيء. فهما ليسا نقيضين. نقيض كل شيء نفيه.
قال(ع): ان الله لم يخلق الأشياء من أشياء أخرى. «ولا من شيء خلق ما كان».
ان علياً(ع) يقول عن القرآن: ان الله تعالى تجلى لهم في كتابه ولكن لا يصرن.
وان علياً(ع) قد تجلى للناس في كتابه، فاسألوا نهج البلاغة قبل ان تفقدوه.
يجب عليكم أن تفهموا ما قال علي(ع). لا تكثفوا بخطبه وحكمه ومسائله
الاجتماعية. انها لازمة وليست كافية. وهذه المواضع موجودة في الكتب الأخرى.
اننا نريد إثبات وجود الله بدليل العقل، وكذلك الوحي والمعاد. وهذه البراهين
كلها موجودة في نهج البلاغة.



المؤتمر في يومه الثالث:

١- القرآن الكريم: وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت ...

٢- نشيد

٣- كلمة الاستاذ رزيجو تحت عنوان:

(أسباب التلاحم بين الحكومة والشعب في نهج البلاغة)

من وجهة نظر الامام علي(ع) الذي هو عصارة معارف الاسلام، ان حاكمية الله المطلقة على كل الوجود جارية ونافذة. ومن ذلك نجد أن ارادته نافذة على المجتمع البشري. يقول سبحانه:

(إن الحكم إلا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه)

فالحاكمية تختص بالله وحده، سواء على مستوى الكون أو المجتمع وهدايته. لذلك كان وضع النظام من الله لهداية المجتمع، عن طريق الوحي النازل على الأنبياء. يقول سبحانه:

(وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (الحديد- ٢٥)

لذلك كان الحكام في نهج البلاغة بعد الله هم الأنبياء.

يقول (ع) في الخطبة الأولى من النهج: «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على

الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم».

وبعد خاتم النبيين (ص)، فإن أئمة الهدى هم الذين يتحملون قيادة المجتمع. ومن بعد غياب قائمهم المهدي (ع) يقوم العلماء المستكملون للشرائط باقرار الدين الصحيح والمحافظة على الاحكام الشرعية.

أما الارتباط بين الجماهير والحكومة، فهو ارتباط يشبهه الامام (ع) بأنه كالارتباط بين الراعي والرعية. وكلمة الراعي والرعية قد استفاد منها الطواغيت لينصبوا من أنفسهم ولاية أمور غير شرعيين. ان الارتباط الذي قصده الامام (ع) ليس كما أراده الطواغيت، بل هو ارتباط كما بين الأب وأبنائه في الاسرة الواحدة. لأن ارتباط الراعي بالرعية يختلف عن امتلاك الراعي لغنمه. ليس هذا هو المقصود من تشبيه الراعي والرعية. ومن هنا فان المجتمع المستعبد الذي يحكم فيه الحاكم بالديكتاتورية، فهو أشبه بحكم الراعي في قطع الغنم. في هذه الحالة يصبح الأفراد مستعبدين من قبل الحاكم. أما في النظام الاسلامي فتلك العلاقة هي كالعلاقة بين الأب والابن. فجماهير الشعب هم عيال الله، الذين يتولى حاكميتهم الامام.

قال (ع):

«لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً»

ان هذه الحرية لا تتحقق إلا في ظل الحكم الاسلامي العادل، حيث يكون الناس سواسية كأسنان المشط. وهذا يؤدي الى ايجاد الثقة العميقة بين الرعية والراعي.

قال الامام علي (ع) في عهده لما لك الاشر:

«ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما»

وقال (ع): «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم»

وقال (ع): «فلا تشخص همك عنهم، ولا تصغر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم»

فانظر الى هذه المعاملة الانسانية التي فيها الرحمة واللفظ، وتلك هي علاقة الوالي

بالرعية.

وقال (ع): وصل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وقال (ع): واخفض للرعية جناحك واسط لهم وجهك وألن لهم جانبك .

ما أرف هذا الموقف العطوف الرحيم بالرعية.

وكما ان العائلة السليمة يربط بين أفرادها الحب والوثام، وهذان يؤديان الى نحو

الشخصيات، وكما ان حب الوالدين يوسع مدارك الأولاد و يفسح لهم المجال في المجتمع، كذلك ينمي الراعي شخصية أفراد الرعية.
ان الراعي يوجد الغرض والامكانيات التي تسمح للفرد بالحركة.
ثم ان الامام (ع) يؤكد على العدالة الاجتماعية.
يقول (ع) في الخطبة ٢١٤: وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل.
فأهم الحقوق التي يؤكد عليها الامام (ع): حق الراعي على الرعية، وحق الرعية على الراعي. وأوجد الله سبحانه تشريعاً دقيقاً لهذه الحقوق.
وهذا مما يؤدي الى استقرار الفكر في المجتمع الاسلامي.
واذا كانت هناك ثقة كاملة، وأدى كل واحد واجبه من الراعي والرعية، تفجرت الطاقات.

وهذا ما نجده في نهج البلاغة ولا سيما في عهد الامام ل مالك الاشتهر.
لنتكلم في واجبات الجهاز الحاكم تجاه الناس:
أكد (ع) على وجوب وجود القائد أو الحاكم العادل المتقي الجامع للشرائط.
ومن أهم واجباته ازالة الفوارق بين الطبقات، والوقوف ضد الانتهازيين والمناققين في جهاز القيادة.

أول سمة للحاكم: العدل. والعدالة تجعل النفس سليمة مستقرة. بينما الظلم لا يجعل نفس الظالم مستقرة، فإياك بنفس المظلوم. ان طريق الجور ضيق ولا يوسع حتى الظالم نفسه.

العدالة ناموس الهي، فلا يجوز لانسان واع أن يقف ساكناً أمام المظالم التي يراها بعينه. لا يجوز ان يسكت باسم المصلحة تجاه هذا الظلم.

انطلاقاً من هذا المبدأ نفهم سبب تأكيد الامام على ضرورة تنصيب الامام العادل، وعلى ضرورة ان يكون الوالي معزولاً عن تأثير المتنفذين في المجتمع. بل أن يكون الوالي من الطبقة التي ليس لها سابقة في الظلم. وأن يكون بعيداً عن الكذب والبخل والرياء.

الصفة الثانية للحاكم هي: التقوى.

انظروا الى هذه العبارات في عهده (ع) ل مالك الاشتهر:

«ان شرّوزرائك من كان للأشراقيلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكون لك بطانة، فانهم

أعوان الأئمة، واخوان الظلمة»

من هنا يتبين أن من أهم عوامل الثقة بين الحاكم والجماهير وتحريك الجماهير للتعاون والتلاحم مع الجهاز الحاكم، هو وجود القيادة الصالحة، فهي أهم عامل لوجود التوازن والاستقرار في المجتمع.

ان النموذج الكامل لهذا القائد الصالح، هو صاحب الذكرى الذي أقيمت هذه الذكرى لدراسة كتابه. لقد جمع خصال الحق وكان تلميذ المصطفى (ص).

انه رجل السيف والقلم، والمنبر والحكم. لقد كان في تقواه وعدله شديداً الى درجة لم يستطع أخوه عقيل أن يطيقها. وقد بلغ (ع) في كل الكفاءات الانسانية القمة السامية. حتى اجتمعت فيه المتناقضات، من قوة وخشوع، وهيبة وتواضع، وبساطة وعظمة. لقد اجتمعت فيه كل هذه الخصال في مظاهرها الايجابية... بهذا أصبح علي إمام المتقين.

أما من الناحية السياسية، فان وجهه السياسي يختلف عن وجوه السياسيين الميكافيليين. لم يُضخ بشيء من أية قيمة من قيمة الانسانية. يعزل الولاية غير الصالحين. يرفض طلب ابن عباس في ابقاء معاوية على الشام وعدم عزله. يرذ الأموال المغتصبة غير الشرعية.

يقول (ع) فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء، لرددته. فان في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق».

من غير علي (ع) يستطيع أن يقوم بذلك؟

كان (ع) يتجول في الليل بحثاً عن الفقراء والمساكين ليساعدهم.

كان يعيش من كده يمينه وعرق جبينه، وما ادخر شيئاً من حطام الدنيا. يصرح عن ذلك في كتابه الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة حيث يقول:

«ألا وان إمامكم قد اكنف من دنياه بطمره، ومن طعمه بقرصه. ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفرأ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً»

وفي آخر هذه الرسالة يقول (ع):

«ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي الى تخير الأظعمة، ولعل بالحجاز أو البجامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً وحوالي بطون غرني وأكباد حري، أو أكون كما قال الشاعر:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن الى الفد

«أفنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلي أكل الطيبات، كالبيضة المربوطة، همها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها، تكثرش من أعلافها، وتلهو عايراد بها».

ولانسسى خطابه لابن عباس في شأن الخلافة وقد رآه يخصف نعله بذبي قار فقال (ع): والله لسي (أي النعل) أحب إلي من إمرتك، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً. هذه الشدة في الله، تبين عظمة تقواه (ع). ولقد بلغ من شدة عدله (ع) أن انقلب عليه المنافقون، حتى أردوه في محرابه، ومع ذلك أشفق على ضاربه، وقال لهم: أطعموه مما تطعموني وأشربوه مما تشربوني، ولا تمثلوا بالرجل. لقد لازمت العظمة علياً حتى آخر لحظة من حياته.

• • •

٤ - ندوة حول (المرأة في نهج البلاغة) اشترك فيها السادة:

الاستاذ لبيب بيضون
الدكتور السيد جواد مصطفى
الاستاذ عميد زنجاني

٥ - كلمة الاستاذ لبيب بيضون، وهي معالجة للسؤال التالي:

زعم بعض المتشككين أن الامام علياً (ع) قد تحامل على المرأة في بعض كلماته في نهج البلاغة، فهاوردكم على ذلك؟
الجواب: ان الحكم على أي قول ورد في القرآن أو في نهج البلاغة، لا يجوز إلا ضمن المبادئ الأساسية التي تبناها الاسلام.

ونضرب مثلاً مبسطاً على ذلك وصف القرآن للشعراء، حيث يقول: (والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فلو أنه وقف هنا في كلامه، فهل كان يقصد بالشعراء كل الشعراء، أم أنه يقصد عموم الشعراء. ولو كان يقصد بالشعراء كل الشعراء لما أتبعها بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات). إذن

فالمؤمن غير داخل في كل الصفات المذكورة في الآيات، لأنه أصلاً منزه عن صفة الغواية والفساد.

وكذلك الأمر بالنسبة لبعض أقوال الامام علي (ع) في المرأة، التي جاءت لتبين عموم صفات النساء، المرتبطة بتكوينها العاطفي، السريع الانجراف الى الشر، اذا لم يكن لها ضابط من الدين.

من ذلك قوله (ع):

«المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها»

وقوله: «وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها».

فهل يمكن أن يُدخل الامام (ع) في وصفه هذا للنساء ~ المرأة المسلمة المؤمنة... معاذ الله.

اجتمعت باحدى الفتيات المؤمنات في بلدكم فقالت لي: لماذا تحامل الامام (ع) على المرأة في نهج البلاغة، ولم يمدحها بكلمة واحدة؟ بل قال: المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها!

فقلت لها:

١- أحسني ظنك بامامك يا آنسة، فالامام علي (ع) ليس عدواً لأحد، انما هو صديق للحق وعدو للباطل. مصداقاً لقول النبي (ص): «علي مع الحق، والحق مع علي».

٢- إن غرض الامام (ع) من كلامه هذا إن صحت نسبته إليه، هو بيان الواقع لأكثر ولا أقل. فنحن نرى النساء في العالم بدون مناقشة الأسباب، هن من أعظم أدوات الشر ومصادر الفساد.

ونجد نفس الغرض في قوله (ع): «ان النساء نواقص العقول، نواقص الحظوظ، نواقص الايمان...» فليس غرضه (ع) من هذا التشهير والتوهين من قيمة المرأة، بل هدفه بيان طبيعتها وحقيقتها.

وحين يشرح القول الأخير، يشرحه وفق ماورد في القرآن دون زيادة ولا نقصان. فهل في هذا أي تحامل على المرأة.

٣- أنت تعلمين أن كل رجل عادي حين يعطي رأيه بالمرأة فانه يعطيه من خلال تجربته في حياته مع المرأة، أقصد مع زوجته. فاذا كانت زوجته سيئة ظن أن كل النساء سيئات، واذا كانت زوجته صالحة اعتقد أن كل نساء العالم صالحات.

والامام علي(ع) لولم يكن معصوماً، فان زوجته فاطمة الزهراء، كانت سيدة نساء العالمين، فكيف تكون نظرتة الى المرأة من خلالها؟

٤- ان النساء لسنّ من درجة واحدة في القيمة. ففيهن المؤمنة والكافرة، والتقية والفاسقة، شأنهن في ذلك شأن الرجال. وقد اوضح ذلك القرآن الكريم بشكل لا يقبل الشك، حتى أنه ضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها من أكبر الكافرين، وكانت هي من أعظم المؤمنين، واستحقت بذلك أن تكون في أعلى مراتب الجنان. يقول سبحانه:

(وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت: ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة، ونجني من فرعون وعمله، ونجني من القوم الظالمين)(آخر سورة التحريم)

فاذا كان الامام علي(ع) يعلم هذا كله، ثم هو بعد ذلك يقول في نهجه: «المرأة شر كلها، وشرافها أنه لا بد منها» أو يقول: «النساء حائل إبليس» فهو لا يقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومشيلاها من المؤمنات أمثال: خديجة ومرم وأسية، وإنما يقصد بها المرأة الفاسقة الكافرة، التي هي كالشيطان، بل أسوأ من الشيطان، لأنها تنطلق في أعمالها بدافع من هواها ونزواتها، دون أن يكون لها أي ضابط أو زاجر.

إننا نفتخر بالمرأة الايرانية المؤمنة، التي تسعى في عملها على نهج مولاتنا زينب(ع)، والتي لم يخرجها تحررها عن ايمانها، نفتخر بها لأنها ركن أساسي من أركان البناء والثورة، وهي رغم ضعفها تقدم مثل الرجل أو أكثر منه، مصداقاً لقول إمام الامة وسليل الأئمة: «المرأة نصف المجتمع، ومربية النصف الآخر» بياناً لفضلها يقول(ع): لا يغدر من علم كيف المرجع.

هذا المعيار الذي وصفه الامام(ع) يشمل الرجل والمرأة.

العلم الذي يمثل قيمة عالية لا يرتبط بالرجل وإنما بالجنسين معاً.

ان درس الحرية الذي أعطاه الامام(ع) هو للجنسين أيضاً، حيث قال: لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً.

إلا أن المرأة من حيث تحمل المسؤوليات، يجب مراعاة طاقتها في تحمل تلك المسؤوليات، والرفق بها وعدم تحميلها أكثر مما تطيق. كما يفعل البعض في مجتمعنا اليوم حين ينادون بشعار: مساواة المرأة بالرجل.

يصور الامام(ع) هذا المعنى الجليل بأربع كلمات فيقول:

«فان المرأة ربحانة وليست بقهرمانة».

ان للمرأة محدودية، ولا تستطيع أن تتحمل مسؤولية تتجاوز قدرتها، إذ أن هذا جفاء بها وجور عليها. ان المجتمعات التي تبرمج لسعادة المرأة يجب ان تأخذ هذه الناحية بعين الاعتبار.

من ناحية أخرى لقد راعى الاسلام العواطف الرقيقة للمرأة، وسرعة انفعالها. فعندما يفتح جنود الاسلام بلاداً فيها نساء، كان الامام (ع) يوصي جنوده بالنساء خيراً، واذا رأوا النساء يشتمنهم فلا يعتدوا عليهن، فيقول: «ولا تهبجوا النساء بأذى، وان شتمن أعراضكم وسبن أمراءكم، فانهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول».

المرأة عاطفية حقاً، وحين ترى أولادها قد ذبحوا تثور عاطفتها فتتفوه بما لا تعقل. فالامام (ع) يدعو جنوده أن لا ينفعلوا عند سماعها، بل يعضوا عن قولها. وفي وجهة نظري، ان الادراك الانساني مشترك بين الرجل والمرأة، لكن قدرة الادراك في المرأة تنصرف الى الجانب العاطفي. وكما أن الرجل يستخدم عواطفه وقوة ادراكه في شهوته وغضبه، فان المرأة تستخدم ادراكها في عواطفها. وهذا يقلل من النسبة المثوية لتعقلها، فتكون قدرة تعقل الرجل أكبر. ونقول: ان المرأة تستخدم قسماً من ادراكها لعواطفها.

وانتهي موضوعي في الكلام عن حسن تبعل المرأة. ان الامام (ع) بالنسبة لشخصية المرأة، يعتبر المرأة بطة اذا أحسنت تبعلها. وبهذا يضع إطاراً جديداً للجهاد بالنسبة للمرأة فاضافة للجهاد الأكبر، هناك وقيمتها. والسلام عليكم.

٦ - كلمة الدكتور جواد مصطفى الخراساني، بعنوان:

(نقص المرأة في نهج البلاغة)

أتكلم عن نقص المرأة الذي أشار اليه الامام (ع) بقوله:

«ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول»

فأقول: هناك عقلان:

١- العقل الذاتي: وهذا ينضح في البنت قبل الصبي، ولذلك كلفت البنت

بالصلاة قبل الصبي.

٢- العقل الكسبي: وهو ما يكتسبه الانسان من تفاعله مع الحياة والمجتمع. وهذا العقل تحرم المرأة من بعضه، نتيجة انصرافها في البيت الى تربية الأولاد بعد ولادتهم. وليس من العدل أن نحرم المرأة من عاطفة الامومة، ونطلب منها أن تذهب الى ساحة الحرب.

وعندما يقول الامام (ع) بأنه يوجد في المرأة نقص، وهو في الناحية الفلانية، فليس مراده مذمة المرأة أبداً، إنما غرضه بيان الواقع الذي نص عليه القرآن.

٧- كلمة الأستاذ عميد زنجاني، بعنوان:

ماهي الأمور التي يعرضها الامام في النهج لدفع الظلم عن المرأة

في البداية أقول: ان الامام (ع) حين يتكلم عن المرء في نهج البلاغة فانه لا يقصد به الرجل فقط، وإنما الرجل والمرأة.
نسوق أمثلة على ذلك:

يقول (ع):

قيمة كل امرئ ما يحسنه

كل امرئ لاق ما يقر منه

المرء محبوء تحت لسانه

كفى بالمرء جهلاً إلا يعرف قدره.

القيم السلبية والايجابية يتساوى فيها الرجل والمرأة.

الحقوق الانسانية يتساوى فيها الرجل والمرأة.

جهاد آخر بطلته المرأة، ويتمثل في تشكيل الحياة الاجتماعية الموطدة السعيدة. فالمرأة تستطيع أن تبث الحياة والاستقرار في الأسرة، وأن تنمي الأسرة وتحافظ عليها. وبذلك ينتج الوجود الصالح.

إن حسن التبعل يمثل الجهاد الثالث. وهو مفاد قوله (ع): «جهاد المرأة حسن التبعل».

ومن أصول محافظة الاسلام على المرأة، ضمان أمنها، وقد اهتم الامام (ع) بهذا الضمان، وأكد على هذا الأمان. يقول (ع) في الخطبة ٢٧:

«ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقتلها وقتلها».

ذلك أن معاوية غزا بخيله الأنبار وفعل ما فعل بالنساء المسلمات والمعاهدات، فالامام (ع) يدعو أصحابه الى دفع مثل هذا الغزو. وعدم التعرض للنساء بأذى، فمن أبرز حقوق المرأة الأمان في الاسلام. تلك كانت معاملة الامام علي (ع) للمرأة.

٨- كلمة الاستاذ جلال الدين الفارسي، تحت عنوان: (نزول القرآن في نهج البلاغة)

ان المحدثين متفقون على أن أصحاب رسول الله كانوا متفاوتين في إدراكهم وفهمهم لمعاني القرآن. وكما كان أصحابه غير متساوين في حضور نزول القرآن، فانهم كانوا متفاوتين في معرفة القرآن وأسباب نزوله.

يقول سبحانه: (لنجعلها لكم تذكرة، وتعيها أذن واعية) (الحاقة ١٢)

نزلت هذه الآية في الامام علي (ع)، وهو المقصود بالأذن الواعية. ينقل ذلك الطبري وابن ابي حاتم وابن عساكر وغيرهم عن بريدة الأسلمي أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع): ان الله امرني أن أدنك ولا أقصيك، وحق على الله أن تعي، فنزلت الآية.

أنقل هذا المعنى من الدر المنثور المجلد ٣ ص ٢٦١، أسباب النزول للسيوطي ص ١٦٤، بعد نزول الآية (وتعيها أذن واعية) قال (ص): سألت الله أن يجعل أذن علي واعية. يقول علي (ع): وبعد ذلك لم أعد أسمع من رسول الله شيئاً فأنساه.

الثعلبي يروي هذا الحديث بشكل مسند لا مرسل. والآية السابقة في صدد سرد تاريخ الانبياء والأقوام المنقرضة، فيقول سبحانه: من أجل فهم وحفظ التاريخ المليء بالعبر، تاريخ الانبياء والشعوب، لابد من أن تكون للانسان اذن واعية.

ينتج من هذا أن علياً (ع) فهم واستوعب القرآن أكثر من غيره من الصحابة، ثم علمه للآخرين.

السيوطي والزرکشي متفقان على أن مصدر علوم القرآن جاء من علي (ع).
العلماء الآخرون كمجاهد قد تابعوا في ذلك وأخذوا عن علي (ع) وتعلموا على
ابن عباس.

ونلاحظ إضافة الى أن علياً (ع) كان أفضل من حفظ وأدرك القرآن، وأنه كان
متفوقاً في تفسير القرآن، فقد شمله قوله تعالى:

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فلقد كان علي (ع) أحد أسباب حفظ القرآن. وفي
تفسير قوله تعالى «ان علينا جمعه وقرآنه» يقول ابن عباس: ان الله قد طوى القرآن في قلب
علي (ع). وبعد وفاة النبي (ص) جمع القرآن خلال ستة أشهر.

في حلية الاولياء يروى أنه حين توفي النبي (ص) قال علي (ع): «أفست أن لأجمع
ردائي حتى أجمع القرآن».

المفسرون متفقون على هذه الحقيقة، وهي أن أول شخص عزم على جمع القرآن
وحققه هو علي (ع) قبل أن يعزم أحد على ذلك.

في مجمع البيان للطبرسي قال ابوذر: جمع علي (ع) القرآن وقدمه للمهاجرين
والانصار، وأراهم إياه، بناء على وصية الرسول (ص). وعندما فتحه أحد الانصار،
وجد فيه ما يفضح بعضهم.

اما كيف جمع علي (ع) القرآن فهذا بحث أساسي.

لقد وضع (ع) قضية جمع القرآن في أول قائمة أعماله بعد وفاة النبي (ص)، وذلك
لتقديره أهمية ذلك الجمع حتى يوصد الطريق أمام الذين يحاولون تحريف القرآن أو
التلاعب به.

من محاولات التحريف، أن بعضهم حاول حذف الواو من الآية: «إن كثيراً من
الأخبار والرهبان، ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله [و] الذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم» (التوبة - ٢٤).

انهم حاولوا حذف الواو ليوهموا الناس ان الذين يكتزون الذهب والفضة هم
الرهبان فقط، وليس مطلق الناس. ولكن علياً (ع) شهر سيفه وقال: إما أن تضعوا
الواو أو أقتلكم بسيفي هذا.

لقد جمع علي (ع) القرآن بدون زيادة ولا نقصان. قال ابو رافع: جلس علي (ع) بعد
وفاة النبي (ص) في بيته حتى جمع القرآن. ولم يجمعه حسب ترتيب النزول، وإنما جمعه
كما هو الآن.

هناك دلائل من القرآن تدل على ان ترتيب القرآن ليس من اختيار البشر، وانما من الله. انه ترتيب الهي لم تمسه يد البشر أو يد النبي (ص).

ميزة قرآن علي (ع)، أنه بعد أن جمعه، أوضح فيه كل مايتعلق بنزوله وأسباب النزول. ثم أوضح معاني الآيات لتلامذته بشكل دقيق، فحفظ القرآن من التحريف المعنوي ايضاً.

وكان (ع) يؤكد على ضرورة تعلم أسباب نزول الآيات، ليكون فهمها صحيحاً. وكذلك تسلسله حسب النزول.

في رواية ابن ابي داود والنسائي عن ابن عمر، قال تحدث أميرالمومنين عن القرآن فقال: اسألوني عن القرآن أقول لكم عن كل آية، أين نزلت وفي حق من نزلت.

ومما بيّنه (ع) الناسخ والمنسوخ.

نضرب مثلاً على ذلك: آية عدة الوفاة. فبالنسبة لترتيب النزول، تنزل الآية المنسوخة، ثم تنزل الآية الناسخة. لكن هذا الترتيب لم يراع في سورة البقرة، فقدمرت فيها الآية الناسخة رقم ٢٣٤ قبل الآية المنسوخة وهي الآية رقم ٢٤٠. فأما الآية المنسوخة رقم ٢٤٠ فهي قوله تعالى:

«والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً، وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج، فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم».

فقد كانت العادة عند العرب قبل الاسلام أن الرجل اذا مات لم يكن لأمراته من ميراثه شيء إلا النفقة حولاً كاملاً، على شريطة أن تعتد في بيت الميت، فان خرجت قبل الحول سقطت نفقتها. ثم نسخت هذه الآية بالآية رقم ٣٢٤ التي جعلت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر أيام، وهي قوله تعالى:

«والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً، يترصدن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، والله بما تعملون خبير».

وفي زمن تدوين القرآن كان يعرف كل واحد ماهو الناسخ وماهو المنسوخ. وهكذا نجد أن ترتيب السور والآيات توقيفي، أي حسب أمر الله تعالى. وكما ورد

عن ابن عباس، أن الوحي كان يخبر النبي (ص) و يأمره أن يضع الآية الفلانية بعد الآية الفلانية. وهذا ما كان في شأن آيتي عدة الوفاة السابقتين.

وكان من اسباب اهتمام الامام (ع) بأسباب النزول أن يبين إسهام كل مسلم

في بناء الدين، ولا يغمط أحداً فضله، لاسيما في ساحة الجهاد ضد الاعداء.
وفي حين حاول المؤرخون تزييف بعض الحقائق، فقد أعطى الامام علي (ع) لكل
ذي حق حقه.

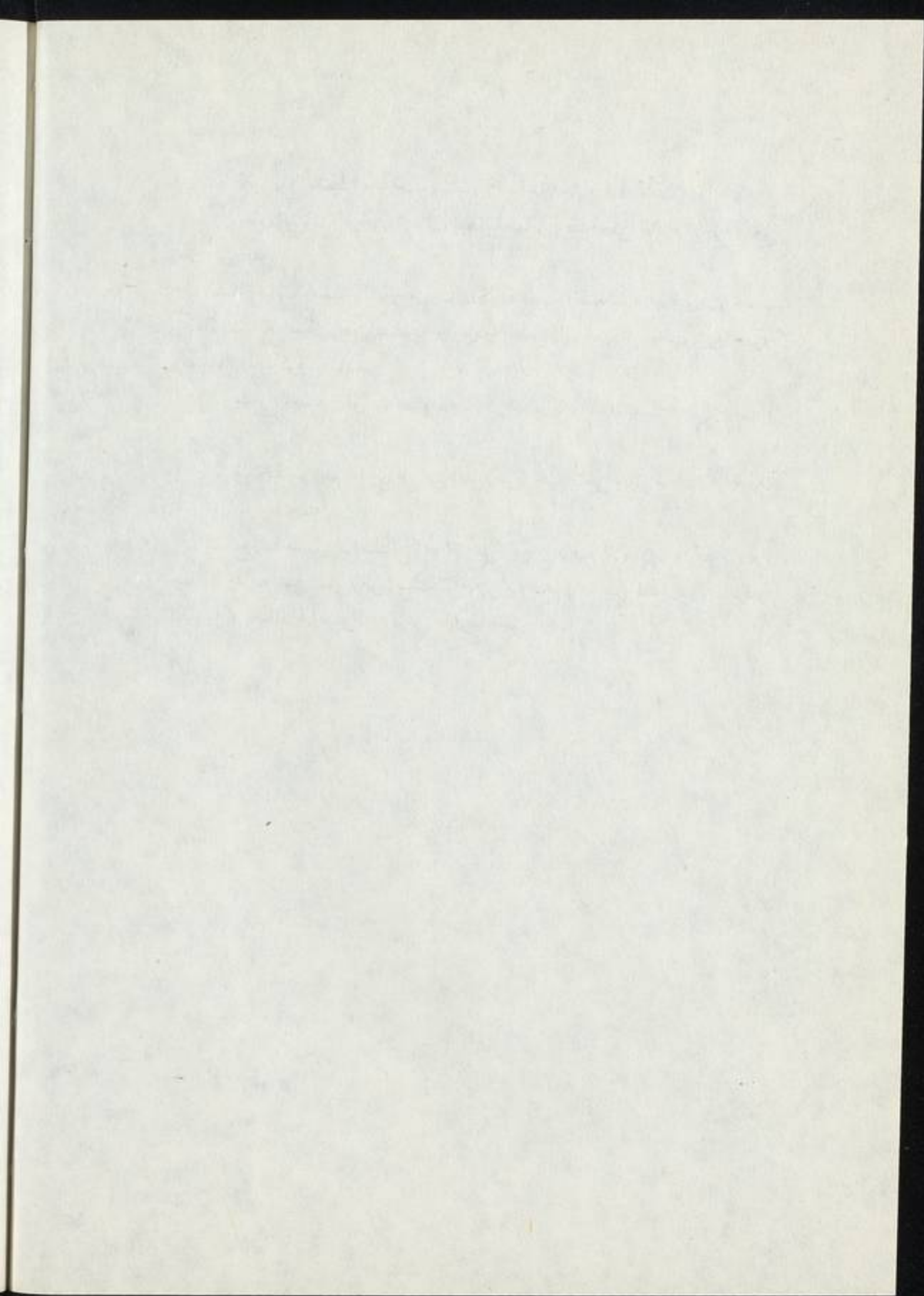
لقد حاول بعض المؤرخين إنزال قيمة بعض الصحابة ورفع غيرهم، حسب
أهوائهم السياسية. رفعوا المنتفذين ولم يوردوا الطعن الذي ورد في حقهم. بينما غمروا
الضعفاء ولم يذكروا جهادهم.

ان علياً (ع) يضع الحق في نصابه، ويذكر بجداد كل إنسان بعمله دون تزييف او
تشويه.

ان طلحة بن عبيد الله دافع عن النبي (ص) حتى أثنى بالجراح فلماذا يحاولون
غمر جهاده وتضحيته.

ينتج مما سبق أن علياً (ع) حافظ على الوجه الناصع للإسلام، وذكر كل من
جاهد ودافع عن النبي (ص) بشكل دقيق وواضح. أما غيره فقد أرادوا أن يرفعوا
الفارين و يضعوا المجاهدين، ولولا علي ماعرفنا الحق.

• • •



المؤتمر في يومه الرابع :

١- القرآن الكريم: من سورة الدهر.

٢- نشيد

٣- كلمة الاستاذ الدكتور جواد مصطفى، بعنوان:

(الاتحاد في نهج البلاغة)

لدراسة الاتحاد في منظار نهج البلاغة نقسمه الى المطالب التالية:

١- دور الرسالة الاسلامية في توحيد الناس بعد ان كانوا متفرقين.

٢- لزوم تعيين نائب للرسول بعد وفاته لادامة الوحدة بين المسلمين.

٣- ان الله سبحانه لم يعط السعادة الكاملة للذين تفرقوا.

- ٤- ان الاتحاد مع الكراهية أفضل من التفرق مع المحبة.
 ٥- لاعزة بلا اتحاد.
 ٦- كيف عامل الامام (ع) الذين تفرقوا عن الجماعة.
 ٧- عوامل الاتحاد والاتفاق وعوامل الاختلاف والتفرق.

المطلب الاول:

دور الرسالة الاسلامية في توحيد الناس بعد ان كانوا متفرقين:
 لقد أوضح الامام (ع) في الأجزاء الثلاثة من نهج البلاغة دور النبي (ص) في توحيد الناس حين أسس أكبر عقيدة وطبق أعظم شريعة.
 يقول (ع) في الخطبة ٩٤: قد صرفت نحوه أفئدة الابرار، وثبتت اليه أزمة الابصار. دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر (أو النواثر).

وفي الخطبة ٢٣١ يقول (ع) عن النبي (ص):
 فصدع بما أمر به، وبلغ رسالات ربه، فلم الله به الصدع، ورتق به الفتق، وألف به الشمل بين ذوي الأرحام، بعد العداوة الواغرة في الصدور، والضغائن القادحة في القلوب.
 فلقد استطاع النبي (ص) أن يضمم الجروح التي كانت بين الناس.

المطلب الثاني

لزوم تعيين نائب للرسول بعد وفاته لادامة الوحدة بين المسلمين.
 يقول (ع) في الخطبة ٢١٦: واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل. فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم.
 فيقول (ع) لا يمكن أن يترك الناس بدون حاكم. هناك حقوق بين الناس، وأكبر تلك الحقوق حقوق الوالي على الرعية، حتى يتسنى له ايجاد الوحدة فيما بينهم.

المطلب الثالث:

ان الله سبحانه لم يعط السعادة الكاملة للذين تفرقوا.
 يقول (ع) في الخطبة ١٧٦: «وان الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً، ممن مضى ولا ممن بقي»

لا يجوز على أي مسلم أن يختلف عن أخيه، سواء كان شيعياً أو سنياً. ولقد بين هذا المطلب (ع) بصيغة علمية، حيث قال في الخطبة ٢٣: ومن يقبض يده عن عشيرته، فإمّا تُقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة. الشخص الموجود بين أقاربه وعددهم مائة، إذا ألقى إليهم يد المحبة، فسوف تمتد إليه منهم مائة يد.

يمكن أن نطبق هذا المبدأ على السنة والشيعية. فالشيعي الذي يتعد عن السنة يفقد أيدياً كثيرة من المسلمين.

المطلب الرابع:

ان الاتحاد مع الكراهية أفضل من التفرق مع المحبة. لا بد أن تقترب من أخيك المسلم ولو كنت تكرهه، فهذا أفضل من البعد عنه. يقول (ع) في الخطبة ١٧٦:

«فان جماعة فيما تكرهون من الحق، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل.»

و يقول (ع) في الخطبة ١٤٧:

«وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل.» الى

ان يقول (ع):

فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم. ان القرآن كلكم تستندون عليه، وكلكم تقبلونه. وقد قال سبحانه (واعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وتعلمون أن أمتكم أمة واحدة. فكيف تستندون الى هذا المستمسك جميعاً، وهو يدعو الى الوحدة، وانتم تفرقون.

ليس في القرآن غيرالاتحاد، ومع ذلك فرق الخوارج أبناء الامة الاسلامية.

المطلب الخامس:

لاعزة بلا اتحاد.

ان العامل الاساسي للعزة والسعادة هو الاتحاد الذي يلاحم بين المؤمنين.

كتب الامام (ع) في هذا المطلب أكثر من أربع صفحات.

انظروا الى الأمم السابقة، كيف الذين تفرقوا من قبلكم بعد توحدكم، فإذا

كانت نتيجتهم؟

نضرب مثلاً على ذلك أبناء يعقوب (ع) كيف صار حالهم عندما تفرقوا بعد أن كانوا متفقين متحابين.

انظروا الى الأكاسرة والقيصرة كيف ذهبت ربحهم حين تفرقوا.
انظروا كيف كنتم من قبل متفرقين، ثم لما جاء النبي (ص) وتوحدتم، انتصرتم وأصبحتم أصحاب عزة ومنعة. ان المتحدين ولو كانوا بدون دين فانهم يصلون الى العزة.

يقول (ع) في الخطبة ٣/١٩٢:

فاذا تفكرتم في نفاوت حالهم، فالزموا كل أمر لزم العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومُدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلمهم. من الاجتناب للفرقة، وللزم للألفة، والتحااض عليها، والتواصي بها. الى ان يقول (ع):

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء (جمع ملأ) مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة. أم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا الى ماصاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، تشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحازبين. قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته. وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين.

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحق وبني اسرائيل عليهم السلام. فأشد اعتدال الأحوال، وما أقرب اشتباه الأمثال. الى أن يقول (ع) مخاطباً العصاة:

«ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من جبل الطاعة، وتلتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية. فان الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من جبل هذه الألفة، التي ينتقلون في ظلها، ويأوون الى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن، وأجل من كل خطر».

فنعمة الاتحاد ليس لها قيمة تعادلها وخطريوازنها.

المطلب السادس:

كيف عامل الامام (ع) الذين تفرقوا عن الجماعة.
يقول (ع) في معرض حديثه عن الحوارج والتحكيم:

«والزموا السواد الاعظم، فان يد الله على الجماعة، وإياكم والفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب. ألا من دعا إلى هذا شعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامي هذه».

في ثورتنا ترون أن الذين لم يأتوا إلى خطبة الجمعة، كيف أن الشيطان لعب في نفوسهم فأنحرفوا عن الدين، وقاموا بالفتن والقتل.

المطلب السابع:

عوامل الاتحاد وعوامل الاختلاف والتفرق.

ان بعض تعاليم الاسلام جاءت بصورة الوجوب وبعضها بصورة الاستحباب. واذا تعمقتنا فيها نجد أنها جميعاً تدعو إلى الاتحاد..

ان صلاة الجمعة والجماعة من أكبر عوامل الاتحاد.

التبسم في وجوه الآخرين هو من عوامل المحبة والاتحاد أيضاً.

المشاورة والنصيحة من عوامل الاتحاد.

هناك نحو ١٨٠٠ حديثاً حول أصول المعاشرة في الحياة الاجتماعية. وكلها

تهدف إلى الوحدة والاتحاد بين عناصر المجتمع.

منها: حق الجيران، الرأفة بالأيتام، وحسن الخلق، واعطاء الهدية، وتشجيع الجنائز، والدعاء للمؤمنين.

من هذه الوصايا أنك اذا أردت أن تسافر وكان صديقك مريضاً، فانظر ثلاثة أيام حتى تطمئن عليه.

ومنها أن تنادي أصحابك بأحب أسمائهم إليهم.

في مقابل هذه العوامل الطيبة، هناك عوامل للتفرقة وما أكثرها. من أهمها الغيبة والنميمة والاستماع إلى الحديث الخاص بين اثنين.

في نهج البلاغة يذكر من عوامل الفرقة في خلافة عثمان، أنه استأثر بالحكم والاموال ووزعها على أهله، فكان ذلك من عوامل الحقد عليه. يقول (ع): وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة.

ولما سأل احدهم الامام (ع): كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

وكان يريد بسؤاله إثارة الفتنة والتفريق. فأجابه الامام (ع) لنترك اثاره الفتنة

ولنهم بما نحن فيه من خطر يهدد الاسلام وهو قتال معاوية. يقول (ع) في الخطبة ١٦٢: «وهلم الخطب في ابن ابي سفيان، فلقد أضحكتي الدهر بعد إيكائه، ولاغرو والله، فياله خطباً يستفرغ العجب، ويكثر الأود! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسد قواره من ينبوعه. وجدحوا بيني وبينهم شراً وبيئاً».

وهذا يعني في زماننا أن لاننظر الآن، لماذا كان فلان شيعياً وفلان سنياً، وانما أن ننظر إلى ما هو أهم بكثير من ذلك، وهو الخطر الحاضر الذي يهدد عزتنا وديننا واسلامنا. فلننوح جهودنا ضد هذه الحرب المفروضة، لأن هذا هو الذي سينصرنا بمشيئة الله.

ولقد استطعنا سابقاً الانتصار على الطاغوت باتحادنا، وبتحادنا نستطيع أن نبني صرح ديننا وعماد عزتنا.

اللهم آت شهداءنا المنزلة الرفيعة في الجنة، مع شهداء بدر وأحد، وآت المعلولين والمجروحين صبر زين العابدين (ع).

والسلام عليكم ورحمة الله

٤- كلمة الشيخ سليمان اليحفوفي، بعنوان:

التساوي بين القوي والضعيف في الحق في نهج البلاغة

الحمد لله الناشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجوهر يده. نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه. فقد ساوى سبحانه بينهم في الخلق كما تساوا في الميثاق. انطلق الامام علي (ع) في التساوي بين الأقوياء والضعفاء في الحقوق، من حيث التساوي في الخلق والتفاضل في التقوى.

على هذا المتوال نسج الامام (ع) عدالته، وساوى بين الحقوق والواجبات. وقد ركز هذا المبدأ على أربع نقاط:

- ١- عالج الأسباب الداعية للاعتدال، فشخصها.
- ٢- عالج النفوس ليحرك نواحي الحقوق فيها لتحافظ على الحقوق تلقائياً.
- ٣- رسم أسلوباً لاعادة الحقوق لأصحابها.
- ٤- دفع حياته الشريفة ثمناً للعدالة، تتحدث عنها الأجيال.

النقطة الأولى: الأسباب الداعية للاعتدال:

القوي يضع عادة معاني الكمال التي تتناسب مع جبروته، ولا يرضى بالكمال الذي يتحلّى به الضعيف.

أراد الامام (ع) اقتلاع مثل هذه الرواسب من النفوس. فقال في الخطبة ١٩٢: «فاعتبروا بما كان من فعل ابليس، اذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد... عن كبر ساعة واحدة فن نابعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته» الى ان يقول (ع): «فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفركم بدائه، وأن يُجلب عليكم بخيله ورجله».

فوضع (ع) يده على الداء ووضع له الدواء.

النقطة الثانية: المعالجة النفسية:

يقول (ع): «فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، فانما تلك الحمية تكون في المسلم، من خطرات الشيطان ونحواته، ونزغاته ونفثاته.» فاطفاء نيران العصبية تقتل نوازع الشيطان. ان التكبر يثير العداوة والبغضاء، بينما التواضع يرفع صاحبه و يشيع المحبة. ان المتكبر يلجأ الى التكبر ليسد نقصه. لقد بلغ أجدادنا العلي بالتواضع.

يقول (ع) في الخطبة ١٩٢: «ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الجبينه على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فانهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية» الى أن يقول (ع): «فاعتبروا بما أصاب الأمم المتكبرين من قبلكم، من بأس الله وصولاته، ووقائمه ومثلاته».

المستكبرون يمتازون الله سلطانه، وأرادوا سدّ نقصهم وخللهم بالكبر، أما المتواضعون المستضعفون فكانوا أولياء الله، وهكذا كان أنبياء الله. وفي ذلك يقول (ع): «فلورخص الله في الكبر لأحد من عباده، لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه. ولكنه

سبحانه كره اليهم التكابر، ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض خدودهم، وعقرُوا في التراب وجوههم. وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين».

دخل موسى وأخوه هارون (ع) على فرعون، وعليها مدارع الصوف وبيديها العصي. فاشتربا عليه دوام الملك اذا هو آمن بالله. فألقى اليها أساور الذهب، ظناً منه أنهم سيرضخون له.

يقول (ع) في الخطبة ١٩٢/٢: «ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان... لفعل. ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء، واضمحلت الأنبياء... ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفة فباترى الأعين من حالاتهم، مع فناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الابصار والاسماع أذى.

ولو كانت الانبياء أهل قوة لا ترام، وعزة لا تضام، ومُلْكٌ تُمَدُّ نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرجال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم في الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة والحسنات مقسمة».

ان العلاقات التي لا تنفصم هي العلاقات المعنوية غير المادية الموجودة بين المستضعفين والمتواضعين.

ولقد لاقى الامام (ع) الأمرين ليجعل أصحابه يسيرون الى الحق، وهم يعصونه ويفسدون رأيه، حتى خاطبهم في الخطبة ٢٧ قائلاً:

«بأشباه الرجال ولارجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال. لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة - والله - جرت ندماً، وأعقبت سدماً. فأتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأبي بالعصيان والخذلان».

وخاطبهم في الخطبة ٢٥ قائلاً:

«اللهم إني قدملتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني. اللهم ميث (أي أذب) قلوبهم كما يمات الملح في الماء. أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غم: هنالك لودعوت أذاك منهم فوارس مثل أرمية الحمم»

٥ - كلمة حجة الاسلام زين العابدين قرباني، تحت عنوان:

عوامل التعاون بين الشعب والحكومة من منظور نهج البلاغة

قال النبي (ص): لا تصلح الامامة لرجل إلا أن تكون فيه ثلاث خصال:

- ووع يحجزه عن معاصي الله،

- وحلم يملك به غضبه

- وحسن الولاية على من يليه، حتى يكون لهم كالوالد الرحيم.

لقد تكلم البارحة في هذا الموضوع الاستاذ رزيجو، وقد أوكّل إلى أن أكمل الموضوع اليوم. وسأبدأ في بيان الرابطة بين الحكومة والشعب.

في الحكومة المستبدة تكون الرابطة بينها وبين الشعب كرابطة الموالي مع السيد المالك. العبد لا يملك أي اختيار لنفسه كالانسان الحر، ما كان بيده فهو لمولاه.

ونلاحظ ان مثل هذه الحكومة اذا هيأت وسائل العيش والصحة للناس، فانها لا تقدم هذه الخدمات لعزتهم، وانما تقدمها لتيسير منافعها الشخصية، ولتستطيع الحكومة أن تأخذ من الشعب كل طاقته. انها تربيههم كالأغنام من أجل الاستفادة منهم كاملاً، من حليبهم وصوفهم ولحمهم.

نجد العكس تماماً في الحكومة الاسلامية. فالرابطة عندها ليست كالتالي بين الموالي وسيدهم.

في المجتمع الغربي يقولون بالديمقراطية، أي أن الحكومة منبثقة من الشعب وأنها تؤمّن كل حاجات الشعب، لأنها من الشعب والى الشعب. وعلى هذا الأساس أباحوا قانون التحلل الجنسي بدعوى أن الشعب يريد ذلك، وأن هذا القانون هو من ارادة الشعب.

ان رابطة الحكومة الاسلامية مع الشعب ليست كما في الحكومات الديمقراطية.

اننا نستطيع أن نستشف ملامح الحكومة الاسلامية من أقوال الامام علي (ع).

ذكر عليه السلام أن الارتباط في الحكم الاسلامي بين الحاكم والشعب كرابطة الأب مع عائلته. العائلة مجموعة صغيرة، وكل فرد فيها له مسؤولية ملقاة على عاتقه. مسؤولية الأب هي حماية ورعاية الاسرة، على أساس الحق والعاطفة. الابوان هما

اسطونان من أساطين المحبة، ومثال حي للوفاء. ولكن هل الابوان في هذه المجموعة الصغيرة هما فقط بركان من المحبة؟ هل يرضون بكل مايفعله أطفالهم؟ هل يسمحون لكل ولد بأن يعمل مايشاء؟ أم يراقبونه، وإذا أخطأ فانها يطبقون عليه الجزاء. هل يسمح الوالد لولده أن يأكل كل مايشتهي؟ نعم أن الطعام شيء مفيد له، ولكن زيادته تضره، فالأبوان لايسمحان له بها.

الحكومة الاسلامية هي كالوالدين. إنها تريد الخير لأبنائها من الشعب، وإذا وجدت شخصاً يتعاطى المخدرات فانها تمنعه، حتى لايفسد المجتمع. انها تنصحه أولاً، وإذا لم يمتثل فانها تنزل به العقوبة الاسلامية، وهي حد الجلد، وإذا أعاد ذلك فحده القتل.

ينقل العلامة الكليني في الكافي ص ٤٠٧ عن الامام الباقر(ع) يقول: «الامامة وادارة أمور المسلمين لا تليق بأحد، الا برجل يمتلك ثلاث خصال». وقد ذكرناها في مستهل الحديث. وهي:

- ١- أن يكون متسلطاً على نفسه، وان تكون له قدرة في امتلاك نفسه
 - ٢- ان يكون حليماً، وأن يتسلط على غضبه.
 - ٣- ان يملك حسن الولاية على رعيته، أي أن تكون له قدرة على حكم مجتمعه بالطريقة الاسلامية. وأن يكون حليماً ورحيماً مثلما يكون الأب.
- يقول الامام علي(ع) في هذا المعنى في كتابه لمالك الاشرى لما ولاه مصر: «ثم تفقد من أمورهم ماينفقد الوالدان من ولدتهما.»

ينتج من هذا أن الرابطة الاسلامية بين الحكومة والشعب هي رابطة الأبوة كما بين الاب والأبناء.

والآن نتساءل ماهي العوامل التي تجعل الابناء في الاسرة يطيعون آباءهم؟ لأن تلك العوامل هي نفسها التي تجعل الشعب يطيع حكومته. هناك سبعة عوامل ذكرت في نهج البلاغة نذكر منها:

- ١- الولد في محيط الأسرة يجب أن يعي بأن أبويه ليسا عدوه وانما هما يعملان لمصلحته. وهذا من تكليف الله لهما، من أجل أن يكمل شخصية الولد و يقويتا روحيته.

وكذلك الأمر بالنسبة للحاكم المسلم، فعلى الشعب أن يحبه و يطيعه، لعلمه بأنه لم يأت الى الحكم رغبة في الحكم وانما ليقدم الشعب. وهذا مغاير للحكام الغربيين.

نشاهد هذا المعنى في أقوال اميرالمومنين (ع) يقول في الخطبة ١٢٩:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لَتَرَدَّ المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك».

فكأنه (ع) يقول: «اللهم إنك تعلم أي حين قاتلت في بدر وأحد، لم أفعل ذلك لأصل الى الحكم. اني لأجاهد وأسعى لأصل الى المال والمنال، وانما أسعى من أجل أن أرجع الأحكام الالهية الى الصواب، وأنفذها في المجتمع الاسلامي، وأرجع الأحكام التي تعطلت.

عندما يدرك المجتمع الاسلامي أن الحاكم جاء لاحياء المعالم الدينية، كما يفعل الامام الخميني الذي بلغ ٨٤ عاماً، وأنه لم يأت رغبة في شيء من حطام الدنيا، فانه يسعى وراءه بثقة و يقين، و يطيعه إطاعة تامة.

٢- التقسيم الصحيح للمناصب في الحكم:

ان أكبر عامل يمكن أن يخرج المجتمع عن السير في النظام الصحيح، هو عدم تقسيم المناصب بالشكل الصحيح. ولكن في هذه الجمهورية نحاول أن نقسم المناصب بشكل صحيح. اننا لانفرق بين المسؤولين.

عندما تعامل في العائلة أحد الأولاد معاملة مختلفة عن غيره، فانه يحقد ويحاول أن يقوم بأعمال غير طبيعية. فيجب على الحكام معاملة الجميع بالتساوي، وإلا يحصل في صفوف الشعب تدمير وتمرد.

وكذلك يجب أن يكون الحاكم مناسباً لعمله. الكفاءة والأمانة هما الأساس، كما قال الامام (ع). ويجب خاصة استبعاد المرتشين وأهل الوساطات. يقول (ع):

«من استعمل عاملاً من المسلمين، وهو يعلم بأن هناك من هو أعلم منه بكتاب الله وسنته، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين».

نحمد الله أن حكامنا في جمهوريتنا منتخبون بحق، ومنهم المستضعفون الذين كانت لهم سابقة قدرة وممارسة للحق.

٣- ان الاندفاع نحو العمل لصفة هامة للمسؤول، كما كان الامام الحسين (ع). يقول (ع) في هذا المعنى في الخطبة ١٧٣:

«أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم اليها، ولأنها كم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها»

ويقول (ع) في الحكمة ٧٣:

«من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم.»
فيجب على الحاكم أن يطابق قوله عمله، فأَنْ يكون أول من يطبعه ما يدعو اليه.

٦- كلمة الاستاذ پرورش وزير التربية والتعليم وهي بعنوان: الوجه الأعلى.

قال الامام (ع) عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم: «فزت ورب الكعبة» هذه الجملة تصور نتيجة عمله (ع)، لأن أعماله جميعها كانت من أجل الله. وهو في هذا القسم أشار الى المسار الصحيح للانسان.
لقد بدأ حياته (ع) من الكعبة حيث ولد بين أستارها، وحول هذه الحقيقة قال عبد الفتاح عبد المقصود شعراً معناه: أن الكعبة قبلة المسلمين، والامام (ع) ولد في هذا المكان الشريف. (يقول المؤلف) وانطبقت الكعبة في قلب علي (ع) حتى صار كعبة للمسلمين، لانه كان بعد النبي (ص) لهم الإمام، دون غيره من الأنام.
ان ما يقوله الانسان لحظة احتضاره يعبر عن شخصيته وحقيقة ذاته، فاذا واجه أحدهم الموت في حالة اصطدام، فصرخ يأماه، فهو إنسان عاطفي، واذا قال في تلك اللحظة إن أموالي لأولادي، فهو انسان مادي، لان اهتمامه بالمادة.
ان كلمة الامام السابقة (فزت ورب الكعبة) تعبر عن منهاج حياته، وعصارة وجوده. انها تصور نتاج عمله في دنياه.
في القرآن شاهد عبارة: اهل الفوز. والفوز يتخذ معنيين، وكلاهما شاهد على فوز الامام (ع).

المعنى الأول: العمل الحسن هو الفوز
المعنى الثاني: النتيجة الجيدة للعمل هي الفوز. في المعنى الأول، نجد قوله تعالى:
(ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه، فان أولئك هم الفائزون).
فقوله (ع): «فزت»، أي أن مجموع حياتي مرتبقي الله وخشيته.
فزت: تعني أنني أطعت الله في كل دنياي. انه حصيلة ما عملته. ويقول سبحانه:
«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون (التوبة- ٢٠).»

فكل من ملك جوهره الايمان وجاهد في سبيل الله، فقد فاز. ولقد كانت الهجرة والجهاد من جملة عمل الامام (ع).

ويقول تعالى:

«اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون» (المؤمنون - ١١١).

في هذه الآية معنى مختلف للفوز. فالفائزون فيها هم الذين استطاعوا أن يقفوا أمام عنت العدو وحاربوه، فهم في مأمن من الفوز. ويقول جلّ من قائل:

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً، في النوراة والاخيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة - ١١١).

فالذين لهم مثل هذه الصفات هم الفائزون. فالؤمن هو الذي يبيع روحه ونفسه، والله هو الذي يشتري، ونتيجة هذه التجارة هي الجنة.

ان جملة هذه الصفات هي اطاعة الله ورسوله، وحفظ حدود الله. لذا يجب ان تكون حياتنا محض اطاعة لله وللرسول. عند ذلك نفوز.

في المعنى الثاني للفوز، نجد القرآن يقرر أن ثمرة العمل هو الفوز. يقول سبحانه:

(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)

ويقول:

(قل أتبي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * من يصرف عنه يومئذ فقد رجمه، وذلك هو الفوز المبين) (الانعام - ١٦).

فنتيجة عمل الانسان هي الفوز المبين.

وقد كان عمل علي (ع) هو الفوز، كما كانت نتيجة عمله هي فوز أيضاً.

والآن لننظر ماهي العبرة من بحثنا.

اننا نستطيع ان نلفظ: الماء - التفاح. ولكن هذا لا يشبعنا. اذا سمعنا أن مؤتمراً مؤلفاً من ١٢٢ عالماً وهم يبحثون عن الماء وجميع خصوصياته، وكيفية الحصول عليه. وظلوا سنتين يبحثون في ذلك، فهل يروي ذلك عطشناً؟!.

نحن نذكر فضائل الامام وعظمته، وكل واحد يذكر ذلك وفق معلوماته ومطالعاته، ولكن ذلك لا يروينا شيئاً، اننا يجب أن نواصل طريقه ونتغذى بما تركه

لنا. اننا يجب أن نتنفس بروح ماتركه لنا(ع).
 ان تلامذة علي(ع) كأبي ذر قدساروا في هذا المطلب، ونحن يجب ان نسير في
 طريق الولاية، الذي هو طريق العمل والاقتداء.
 ولقد وضح لنا الامام(ع) طريق الفوز في نهجه.
 مثلاً يقول(ع) في الخطبة رقم ٥:
 «والله لابن أبي طالب آس بالموت من الطفل بثدي أمه»
 إننا نستطيع ان نسير على طريق علي(ع) فنفوز بما فاز به.
 نلاحظ ان الناس في الدنيا نوعان:
 - الاول يتغذى من الحياة، وهي كما قال سبحانه: لعب ولهو وزينة. من كان
 غداؤه من الدنيا فنتيجته الحرص والانحراف وضيق النظر والطمع والكبر والغرور.
 كل هذا هو نتيجة الرضاع من ثدي الدنيا.
 - والنوع الثاني يتغذى من ثدي الموت، كما صور لنا الامام نفسه وهو تحت ثدي
 الموت يتغذى منه.

ماذا يوجد في لبن هذا الثدي ياترى؟ توجد فيه حلاوة يذكرها القرآن.
 يقول تعالى: (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملافيكم، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة)
 (الجمعة-٩). ان حلاوة هذا الثدي هو لقاء الله.
 فاذا كنتم صادقين فتغذوا من ثدي الموت، فان أولياء الله يتغذون من هذا الغذاء.
 اننا نريد أن نرضع من ضرع الحياة المادية، وياخذنا الغرور. هذا الغرور تتمدد
 جذوره في أعماقنا وعروقنا. بينا الذي يتغذى من ثدي الموت فانه ينظر لما بعد الموت،
 وتهون عنده الحياة.
 ان الذي يتغذى من ثدي الموت لايسمح لنفسه بأن يتكلم على أخيه المسلم. فهذا
 عجز، وأكثر اخطائنا نتيجة العجز.
 يذكر العلامة الطباطبائي رحمه الله عن اسم الله الأعظم: اذا توجهتم الى عجزكم
 فانكم تعرفون عظمة الله. عندما تمرضون تتوجهون الى الله فتعرفون الله. تعرفون أن
 الله قادر. عندما نرى ضعفنا نقول: يا عظيم. هذا هو اسم الله الأعظم.
 ان الذي يتغذى من ثدي الموت يعيش في هدوء وسكينة، أما الذين يتغذون من
 ضرع الحياة فانهم يعيشون في الخوف والقلق.
 يقول الامام(ع): «من ارتقب الموت، سارع في الخيرات».

و يقول (ع): «الموت معقود بنواصيكم».
 اننا شيعة علي، وعلي يقول لنا:
 «ولكن أعينوني بوع واجتهاد، وعفة وسداد».

يوم الأحد:

ذهبنا اليوم الى نياوران لزيارة بعض قصور الشاه البائد، وهناك زرنا:
 ١- قصر أم الشاه، والملاحظ فيه انها خصصت غرفة لوسائل اللعب بالشطرنج
 والقمار، مع أنها كانت تظهر التدين، وتظهر امام الناس وهي تحمل المسبحة. وفي
 هذا القصر الكثير من الهدايا الثمينة.

ورأيت في إحدى الغرف لوحة كتبت عليها كلمة للامام الخميني هذا نصها:
 (طرزندگی اینها «خانواده پهلوی» مثل حیوانات است).

أي، ان الطراز الذي كان يعيشه الشاه وأسرته هو طراز الحيوانات.
 وكما قال الامام (ع): «هئها علقها»

وعندما خرجت من هذا القصر قلت: كل هذا القصر وما فيه من مقصورات من
 أجل امرأة واحدة، هي أم الشاه. ولم يسعها في النهاية غير القبر الذي وصفه
 الامام (ع) حيث قال:

«وانما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض، قيد قدّه، متعفراً على خده».

٢- القصر الأخضر: وكان هذا القصر لوالد الشاه، ثم أصبح له، وقد بني عام
 ١٣٠٦ هـ. ويسمى الآن المعرض الأخضر.

رأينا في هذا القصر غرفة الاستقبال وغرفة المكتب وصالون الاستقبال وهو من
 المرايا، وغرفة الطعام في القبو وقد اشترت موجوداتها من امريكا. وعلى الطاولة
 الخشب وضعت لوحة عليها كلمة للامام الخميني يقول فيها:

(الآن، تمام گرفتاری ما از امريكا است).

أي الآن كل مشاكلنا من امريكا.

وعندما خرجنا من القصر رأينا شعار ايران (الله) منسوج من الزهور على احدى
 ٣- قصر ابنة الشاه شاهنان وقد جعلت منظمة المحافظة على البيئية هذا القصر
 متحفاً للحيوانات المصترة. بعد أن يصطادوا الحيوان يضعونه في قالب للتحنيط، ثم

يخلعون عنه جلده، و يصنعون له قالباً ويحشونه بالقطن. وتظل القرون فيه أصلية، أما العيون فاصطناعية.

الحيوانات الموجودة في هذا المتحف مختصة بآسيا وافريقيا والهند. ورأينا في الطابق الثالث عظمة مدفونة في الصخور لرجل قيل منذ سبعة ملايين سنة. ولما غادرنا منطقة القصور قال أحد المرافقين: رفعت للشاه علامات، فلما علا، مات.

المؤتمر في يومه الخامس :

تضمن برنامج اليوم الفقرات التالية :

١- القرآن الكريم

٢- نشيد، وقد أنشده رجال الشرطة وهم يرتدون اللباس الكحلي.

٣- كلمة حجة الاسلام قراءتي، وهي بعنوان:

(التقوى في نهج البلاغة)

أتحدث عن شخص لأعرفه، وليس عندي شيء منه، أتحدث عن التقوى وعلي (ع).

أنا لأملك بضاعة التقوى، ومع ذلك أريد أن أتحدث عن التقوى!

ولن أجد أصدق تعبيراً عن التقوى مما ذكره الامام في نهجه عن التقوى، وقد اقتطعت من كلامه (ع) مقطعاً.

كان للامام (ع) صاحب يدعى همّام، وكان عابداً. فسأله: من هم المتقون؟ فتجنب الامام (ع) عن الجواب. ولكن همّام ألح عليه بتعداد صفات المتقين. فأجابه الامام الى طلبه.

لننظر في هذه الصفات لنرى ما نحن من التقوى!

قال الامام (ع):

(هم أهل الفضائل): الفضيلة في الاسلام تقوم على التقوى والصلاح فقط. لذلك نقول في الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

(منطقهم الصواب): يؤكد في هذا على أهمية الصدق والصواب في الكلام.
 (وملبسهم الاقتصاد): يلبسون اللين تارة والحشن أخرى.
 وهي صفة النبي (ص)، وقد قال: ألبس مالا تشتبه. وكان (ص): يركب البراق
 تارة والحمار تارة أخرى.

(ومشيهم التواضع): مشي المسلم يكون بتواضع، والله سبحانه يقول: ولا تصعر خدك
 للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً، ويقول؛ الذين يمشون على الأرض هوناً، لماذا يصعر الانسان
 خده للناس، ويمشي على الأرض بخيلاء؟
 (غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم) نظرهم مرتبط بما أمر الله به.

يقول النبي (ص): كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين غصت عن محارم الله،
 وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله» لهذا خلقت عين المسلم.
 (وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم). يقول سبحانه: الذين هم عن اللغو معرضون.
 وقال (ع): «الفكر في غير الحكمة هوس». القرآن يذكر الذين يتعلمون مالا ينفعهم، ومنهم
 من يتعلم ما يضرهم ولا ينفعهم. المتقون ينتخبون العلم الذي ينفع.
 الامام الكاظم (ع) يقول:

وجدت علم الناس في اربع: أن تعرف ربك - أن تعرف ما صنع بك...
 وقال الامام الرضا (ع): اذا لم يعرف الانسان علم التشريع، فان توحيده لله قليل. لأن
 الانسان عندما يطلع على العلوم الانسانية الصحيحة فان ايمانه بالتوحيد يزداد.
 من العلم النافع أن تعلم ما يخرجك من دينك.
 ماهي عوامل الانحراف؟.

سمعتم البارحة في التلفزيون، المقابلة التي أجريت مع قطبين من أقطاب الشيوعية
 في ايران، وكيف أنها انحرفا لأنها لم يتعلما العلم الصحيح المفيد.
 العلم المفيد يقوم على أساس معرفة الله، ومعرفة الهدف الذي أراده منا، ومعرفة
 ما يخرجنا عن ديننا.

هذه هي الأسس التي ينبغي أن يتركز عليها العلم.
 نرجع لنتساءل: من هم المتقون، وماهي علاماتهم.
 (عظم الخالق في أنفسهم، فصغر مادونه في أعينهم).
 لعلك ركبت طائرة، عند ذلك ترى أنك كلما ترتفع نحو السماء، فانك ترى كل
 شيء يتصاغر.

من هذا المنطلق قال الامام التقي الخميني: امريكا لا تستطيع ان تفعل شيئاً، طالما أن الله قد عظم في عينه، فصغر كل مادونه في نفسه. ان كلمة الخميني هذه، ليست جملة سياسية بل عرفانية، لقد تضاءلت امام عينه كل طواغيت الأرض. ان الله كبير في عين المتقين، ولذلك لا قيمة لمادون الله في أعينهم. كل الأشياء تتصاغر في عين المتقي، و يصبح همه الوحيد هو الله، والسير على خط الله.

(قلوبهم محزونة): المؤمن يتحمل آلام الرسالة، وهموم دنياه وما بعد موته. يتحمل هموم رسالته والسير إلى الله... خاب الجاهلون وخاب المتعرفون على غيرك. خسر الذين يسيرون نحو غير أهداف الله. سرعان ماتزول هذه و يظهر أنها سراب ببيعة يحسبه الضمآن ماء.

الهدف هو الله، وإلا فنحن خاسرون، لأننا عند ذلك لن نجد شيئاً من أعمالنا، بل نجد الله الذي سيحاسبنا.

ان الله سريع الرضا، يتقبل من يسير نحوه، ويحتضنه و يؤويه. والانسان عندما ينحرف عن الله فانه يتجه نحو آلهة متعددة. ولا يحقق رضا الله.

(وشروهم مأمونة) إن المسلم لا يفعل شراً. يسلم الناس من لسانه و يده. اللسان قليل الجرم، ولكنه كثير الجرم. يجب أن يوطر باطار الاسلام، والله يقول: (ويل لكل همزة لمزة).

يقول النبي(ص): لو استغفرت لهم سبعين مرة، فلن يغفر الله لهم، لأنهم همّازون غمّازون طقّازون.

(وأجسادهم خفيفة): يصومون، ولا يأكلون إلا القليل.

(وحاجاتهم خفيفة): ليست لهم حاجات وآمال طويلة. احتياجاتهم المادية قليلة. (صبروا أياً ما قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة): المؤمن يصبر على المضض في الدنيا، ليحصل على سعادة أبدية. لالذة بعدها النار. انهم لا تغريهم اللذات الآنية. الدنيا تتجاذبهم ولكنهم متعالون عن الانجذاب. فرص كثيرة تعرض عليهم لينغمسوا بالدنيا ولكنهم يأنفون ذلك. في المثل يقال: الدنيا مثل الظل، ان تركتها خلفك تبعتك، وان مشيت وراءها سبقتك.

ثم يقول(ع): (أما الليل فصاقون أقدامهم...)

الى أن يقول: (مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم، وأطراف أقدامهم).

يقول تعالى: تتجافى جنوبهم عن المضاجع.

(مفترشون لجباههم): هذه صفة المتقين في أسحار الليل. يمرغون جباههم بالتراب، وهي أسمى جزء في الانسان. تواضع لله ليتعالى عما دون الله.

يقول النبي (ص): «اذأردت أن بمشرك الله معي، فأطل السجود لله».

المتقون هم الذين يحبون إطالة السجود.

(لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير) لا يتظاهرون بفعل الكبير.

قال الامام الخميني: ان الولد الذي فجّر الدبابة في خرمشهر لم يرض لنفسه بالقليل، ومع ذلك لم ير عمله كبيراً مهما كان كبيراً.

(فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون).

العلامة البروجردي رحمه الله بكى وهو يشرف على الموت! قيل له: لم تبكي؟ قال: آه من قلة الزاد، وطول السفر، وبعُد الطريق. هذا الرجل الذي عمل الكثير لم يستكثر عمله أمام ما يجب أن يُعمل.

(إذا زكّي أحد منهم خاف بما يقال له): المتقي يخاف من الذي يمدحه.

إنه لا يلتذ بمن يمدحه، خلافاً لأولئك الذين يحبون أن يمددوا بما لم يفعلوا. نعم ثمة أفراد يحبون أن يتحلوا بالألقاب، وهناك الفئة المتقية، التي تستحق الألقاب ولكنها تأنف منها.

و يتابع الامام عليه السلام تعداده لصفات المتقين وهو يخاطب همام فيقول:

(لهم قوة في دين): لا تؤثر فيهم الوسواس.

(وحرصاً في علم): لا يعتبرون أنفسهم يوماً متخرجين من العلم، والرسول (ص)

يقول: وقل رب زدني علماً.

(وقصداً في غنى): المتقي ليس يحرص على طلب المال. وحينما يكون غنياً لا يندربل

هو معتدل في كل أمور حياته.

(وعملاً في فاقة): الانسان المتقي يحسبه الجاهل غنياً من التعفف. المتقون لا يظهرون

فقرهم للناس. هم أكبر من أن يتأثروا بمثل هذه المظاهر.

كان النبي (ص) في إحدى غزواته، اقتربت الشمس من الغيب، أرادوا أن

يأكلوا، فاحضروا عشرة قدور. فقال (ص): هذا إسراف. أحضروا قدراً واحداً طعاماً والباقي

ماء. وأوقدوا النار تحت القدور العشرة حتى يظن العدو السعة فينا.

يقول تعالى: لا يسألون الناس إلخافاً. أي لا يصرون على أخذ المال من الناس عن

طريق القرض وغيره. التي تكون القناعة غاية، وهو لا يتأثر ولا تتحطم نفسيته أمام

مسائل الحياة الاقتصادية.

(وصبراً في شدة): حين تعتوره الهزائم يقف صامداً.

الناس أمام الشدائد ثلاث مجموعات:

١- الذين يجزعون: وإذا مسه الشر كان جزوعاً.

٢- الصابرون: وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- الذين يندفعون نحو المصاعب والمشاكل: جاء بعضهم الى النبي (ص) وقالوا:

نريد أن نذهب الى الجبهة. فقال لهم: أنا ليس عندي سيف ولا حصان.

(وطلباً في حلال): المتقي يطلب الحلال حثيثاً.

كل الناس حلالهم مقدر. ليست الشطارة أن يحصل المرء على المال من أي طريق، وإنما الشطارة أن يحصل عليه من طرق الحلال كل الناس أرزاقهم مقدرة، ومن يستعجل الحرام يجرمه الله من الحلال. اذ ليس المهم الحصول على المال، إنما المهم الحصول عليه من طريق الحلال.

(ونشاطاً في هدى): ينشطون لهداية الناس، خلافاً للذين لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى. بعض الناس يتقاعسون في الصلاة. يصلى أحدهم فقط ليخلص من هم الصلاة وتعبها. المؤمن في المسجد كالسمكة في البحر، والمنافق في المسجد كالطير في القفص.

قال (ص): أفضل الناس من عشق العباد. يجب أن يكون الاتجاه الى العباد بالمشقة.

الحسين (ع) قال: اني أحب الصلاة. طلب من الجيش الذي يحاربه أن ينظروه ليستطيع القيام بالصلاة. ان المؤمن لا يقوم بالصلاة لانها واجبة فقط، بل لأنه يحبها ويعشقها.

(وعرجاً من طمع): الطمع أساس الانسياق وراء الكبائر والذلة، من أجل الحصول على حطام قليل من الدنيا. الطامع يحقد اذا لم يحصل على ما يريد، فالطمع أساس الرذائل. لذلك قال الامام (ع): حب الدنيا رأس كل خطيئة.

(يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل): انه دقيق ومحتاط في عمله، ولا يأخذ الغرور في ذلك.

رجل قام نصف الليل وصلى صلاة طويلة بلغت مناجاته ساعتين. أصابه الغرور. فقال له سبحانه: هذه الضفدعة التي تنق قرب دارك أفضل منك، لأنها تفعل ذلك لله وأنت لا تفعل ذلك لله.

(يعمل الاعمال الصالحة): الامام الحسن (ع) حين كان يقول لبيك اللهم لبيك ، كان يغمى عليه . ان كلمة لبيك كلمة كبيرة عظيمة . وعلي (ع) كان يخاف عندما يقول لبيك ، يخاف أن لا يرد الله عليه .

(يمسي وهمته الشكر، وبصبح وهمته الذكر): ليس الذكر أن يقول الانسان: سبحان الله والحمد لله . أفضل الذكر أن يذكر الانسان ربه عندما يريد أن يعصيه . زليخا قالت: هيت لك ، ولكن يوسف قال: معاذ الله .

(يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل): يقول سبحانه: كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . (تراه قريباً أمه): قيل لفتاة تزوجي . قالت: اني أريد أن أتزوج مليارديراً قريباً من الموت حتى أحصل على ثروة بسرعة . هذا هو طول الامل .

رحم الله أحد مراجع التقليد، اذ قال له شخص: يا آية الله، اذا أخبرك أحدهم أنك ستموت بعد أسبوع، فماذا تفعل؟ قال: أفعل نفس ما كنت أفعل، لأنني كنت أعمل دائماً وكأن الموت في الغد .

ان كنا نخاف الموت فهو من قلة تقوانا، ومن قلة استعدادنا للقاء الله . الصلاة تعودنا أن نستعد للقاء الله .

(قليلاً زله): لا يزل المتقي لأنه حذر . ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، لأن التجارب أمامه ترشده .

(خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، مينةً شهوته، مكظوماً غيظه) .
(الخير منه مأمول، والشر منه مأمون): المؤمن معطاء دائماً، وينضح منه الخير دائماً، لأنه بعيد عن الشر . والناس يعرفونه ولا يأملون منه إلا الخير .
(يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه): لا ينتقم .

لقد رأيت شخصاً في مكة وضع يده على حجر الكعبة وقال: إلهي أعف عمن ظلمني . إلهي اعف عمن أساء إلي . هذا دعاء المتقي المترفع عن البغضاء والضغينة . هناك روايات كثيرة تقول: ليس من شيعتنا، وليس منا، من يفعل كذا وكذا، وهي نحو ١٨ حديثاً .

ذكرت تلك الاحاديث في اصفهان في ٢١ رمضان، وكتبتها على سيورة . وذكرت هذا الحديث .

دخل النبي (ص) مسجداً فقال لبعض اصحابه: قم يا فلان واخرج . انت قم واخرج، وهكذا، حتى أخرج تسعة اشخاص . ثم صلى . قيل له: لم فعلت ذلك يا رسول الله . قال: هؤلاء يصلون

ولا يذكرون. ثم قلت لهؤلاء الناس: إذا جاء رسول الله ودخل مسجدنا، فلمن يقول قم، سيقول قم للكثير.

وفي اليوم التالي جاءني رجل وقال لي: لوجاء رسول الله لأخرجك أنت أيضاً من المسجد.

(ويصل من قطعه): القرآن يقول: (فاعفوا واصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فلماذا لا يعفون بعضكم عن بعض. كل الناس يوم القيامة في مأساة إلا من أتى الله بقلب سليم.

٤ - ندوة حول (الحرب والصلح في نهج البلاغة) اشترك فيها السيدان:

الاستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي
الاستاذ السيد محمد باقر الحكيم

٥ - كلمة الاستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي، بعنوان:

ماهي الحرب، وماهي القيم التي تتأثر بها في نهج البلاغة.

ثمة تصوران للحرب في الاسلام:

١- التصور الذي كان سائداً عند انحطاط المسلمين.

٢- التصور الحقيقي الموجود في الاسلام والقرآن ونهج البلاغة.

في فترة الانحطاط ساد تصور عن الحرب، وذلك عندما ضعف المسلمون أمام القوى الكبرى وتجاه وهج الحضارة الغربية. كانت الفكرة السائدة أن الحرب هي الدفاع ضد اعتداء الأجنبي فقط، وليس هناك فكرة حرب وجهاد لنشر الاسلام. ولكن وجهة نظر الاسلام عن الحرب تختلف كثيراً عن ذلك. الاسلام يحطم كل سد يقف أمام مسيرة الانسان نحو الله. أي شخص وأية مجموعة تقف أمام حركة المسير نحو الله فان الاسلام يحطمها، وكل عقبة تقف في سبيل ذلك فان الاسلام يحطمها ويقاومها. ان الاسلام لا ينتظر هؤلاء حتى يعتدوا، لأن وجودهم يشكل العدوان على الاسلام. من هنا ينهض الاسلام لمحاربة هؤلاء.

وحتى لو أعطينا صفة الدفاع عن النفس للحرب، فان هؤلاء يشكلون

العدوان، ويحب حربهم للدفاع عن النفس.
ان الجهاد في نهج البلاغة هو ضد كل من يقف ضد الله. لذلك قال الامام (ع):
اننا قررنا السير الى هولاء في الشام جيش معاوية. لقد عملوا بغير ما اراد الله،
واستأثروا بالنبي، واستأثروا بالحدود.
هولاء يعطلون الحدود، ويقفون أمام مسير الانسان نحو الله، والامة المسلمة مسؤولة
عن إزالة العقبات.
نعم، لا يمكن أن يجتمع هولاء المبطلون مع الحق، لذا فلا بد من إزالتهم لتتم كلمة
الحق.

في موضوع آخر يقول الامام (ع): فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفىء نور الله.
اذن فالنقوى تتجلى في الوقوف ضد من وقف في طريق الله. هولاء الذين
يقفون أمام النور الالهي يجب أن يقاتلوا، حتى ينتشر الحق والعدل، ويصل كلام الله
الى قلوب ناشدي الله.
انه وجود هولاء يمثل العدوان، لأنهم يعطلون الحدود، ويحولون دون وصول نور الله
الى القلوب والأعماق.
هولاء يجب اطفاء جذوتهم واسكات أنفاسهم، فطالما هم يتنفسون، فانهم
يحاولون اطفاء نور الله.

من زاوية أخرى، اذا تأملنا في أحاديث نهج البلاغة عن الجهاد، لانجد أنها تعني
صد الاعتداء على حدود المسلمين، وانما الجهاد منصب على الفاسدين والضالين.
الامام (ع) يؤكد أنهم ليسوا أهلاً لتولي شؤون المسلمين والحكم عليهم.
ولو تولوا عليكم لعملوا بكم بما عمل فرعون والجبارة وكسرى وقيصر. فيجب أن
يحاربوا حتى لا يفتح لهم المجال أن يعثوا في الارض فساداً.
هولاء يقفون أمام انتشار نور الله. هولاء مثل النباتات الطفيلية التي تعيق نمو
النباتات المفيدة، ولا بد من اقتلاع النباتات الطفيلية حتى تنبت النباتات الحقيقية
وتؤتي أكلها.

يقول (ع): «ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم (أي لوتهاونا في الحرب مثلما نهاونتم) ما قام للدين
عمود، ولا اخضر للايمان عود».

الطواغيت مثل ابي لهب وابي سفيان وغيرهما، ما كانوا يريدون أن ينتشر
الاسلام، ولأن تنمو نبتة الاسلام.

هذا الموضوع واضح في النهج، يقول (ع): «ولقد ضربت أنف هذا الامر وعينه، وقبّبت ظهره وبطنه، فلم أري فيه إلا القتال، أو الكفر بما جاء به محمد (ص)».

فليس هناك غير طريقين: اما الحرب أو أن يسيطر الفساد والانحراف على المجتمع الاسلامي.

الموعظة وحدها لا يمكن أن تقف أمام السليبيات. بعض الناس يستشري في نفوسهم الفساد بحيث لا يفيد فيهم الوعظ. هؤلاء يجب مقارعتهم بقوة السيف والسلاح.

يقول النبي (ص) عن الجهاد وانكار المنكر ما معناه: من رأى باطلاً يعمل به، ومنكراً يدعى له، فانكره بقلبه فقد أجر، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الظالمين هي السفلى، فهو أفضل الجهاد.

اذن غاية الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا.
ان أمن المجتمع واستقراره من أهم مرافق الحياة، فيجب تأمينه مهما كلف ذلك.
يقول الامام (ع) في الخطبة ١٧٣:

«ان أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فان شغب شاغب استعجب، فان أبي قوتل».

و يقول (ع): اني أقاتل رجلين: رجلاً ادعى ماليس له، وآخر منع الذي عليه. فالذي لا يحترم الحقوق المفروضة يجب قتاله، لأن اطاعة ولي الأمر هي أول الواجبات. ان هؤلاء المنحرفين لا يفهمون إلا بمنطق القوة، ولا بد أن يواجهوا بلغة القوة.
يقول (ع): «من سل سيف البغي قتل به». لأن منطق هذا الانسان هو القوة، ويجب أن يقتل بنفس المنطق.

و يقول (ع): «البغي لا يردع إلا بالبغي» فلا بد من منطق القوة لردع البغي، انه لا يردع بالموعظة.

ما أحوجنا الى قانون دفع القوة بالقوة، والشر بالشر. والامام (ع) يقول:
«ردوا الحجر من حيث جاء، فان الشر لا يدفعه إلا الشر».

٦ - كلمة الاستاذ السيد محمد باقر الحكيم، بعنوان:

ما هو معيار الحرب من وجهة نظر الامام علي (ع)؟

بدأ صدام يرفع عقيرته مطالباً بالسلام، وجمع اجتماعاً اسلامياً حضره السلاطين

ودعا فيه إلى السلام. وهو ادعاء باطل. وقرر ارسال لجنة للصلح. وقبل تحرك اللجنة ضرب صواريخه على مدينة (بول دختر).

ما هو معيار الحرب والسلام من وجهة نظر الامام علي (ع):

من ناحية الحرب المفروضة هناك نقطتان في سبب شن هذه الحرب:

١- الجمهورية الاسلامية التي تمثل السلطة الشرعية بقيادة الامام الخميني في إيران، وهي تمثل السلطة الاسلامية في العالم الاسلامي. لذلك فان الدول الكافرة اهتمت أن تزيل هذه الجمهورية بأية وسيلة. لأنهم يخافون ان ينتشر الاسلام في كل دولة، فيصبح قوة كبيرة تستمد قوتها من الله تعالى.

وقد استخدمت قوى الشر والاستكبار العالمي، صداماً لشن العدوان على الجمهورية.

٢- ثورة الشعب العراقي المسلم، وتفجير هذه الثورة بقيادة المرحوم السيد محمد باقر الصدر. وقد تحرك مع الشهيد الصدر جماهير الشعب المسلم في العراق.

في مثل هذا اليوم ١٧ شعبان كانت ثورة الشعب العراقي إثر اعتقال السيد الصدر، الذي أودى بحياته.

ان قوى الشر تدرك أن مسير الثورتين في اتجاه واحد، هو خسران كبير لقوى الشر في المنطقة. لذلك شنوا هذه الحرب المجرمة.

نريد ان نستفيد من نهج البلاغة من خلال هذه الحرب.

يجب أن نتذكر أن ما جاء في النهج شأن ما جاء في القرآن، هو قوانين ثابتة للمسلمين. وقيمة هذه المبادئ أنها كانت متقارنة مع التجربة التي خاضها الامام (ع).

هناك عدة نقاط:

١- لقد تجسد مفهوم الحرب اللذان تكلم عنها الشيخ الآصفي، واجتمعا في حرب صدام. وان الامام (ع) يذكر أن قتل شخص واحد من المسلمين كاف لقتال كل حربه ومن سكت عنه.

يقول (ع) عن أصحاب الجمل: فوالله لو لم يصبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله، بل اجرم جرمه، لخل لي قتل ذلك الجيش كله، اذ حضوره فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد. دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم.

(الخطبة رقم ١٧٠)

ووفق هذا المبدأ بدأت الجمهورية الاسلامية بحرب صدام، بعد أن قتل ماقتل من المسلمين حين بدأ الحرب.

٢- ماهي الاسباب الداعية لاستمرار الحرب؟

من أهمها استمرار السبب في استمرار القتال. ولقد رفض الامام (ع) إيقاف الحرب مع معاوية في صفين، ورفض التحكيم، لأن الحرب يجب أن تستمر طالما أن السبب مازال موجوداً. ان كثرة عدد القتلى ليس مبرراً لإيقاف الحرب. ان الامام (ع) يعتبر على أصحابه حين طلبوا منه إيقاف القتال، وقال: لقد أصبحت أنا المأمور وأنتم الأمر.

يقول (ع) في الخطبة ٢٠٨: «أيا الناس، انه لم يزل أمري معكم على ما أحب، حتى نهكتكم الحرب. وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهلك.

لقد كنت أمس اميراً، فأصحبت اليوم مأموراً. وكنت أمس ناهياً، فأصحبت اليوم منياً. وقد أحبيتم البقاء، وليس لي أن أحلكم على ما تكرهون».

فهو (ع) لم تكن في يده قوة أن يحملهم على ما يكرهون. ان مسألة الاستمرار في الحرب ترتبط بمسألة احقاق الحق ورد العدوان، وليست مرتبطة بالعدد.

يقول (ع) من خطبة له في صفين، رقم ٥٦: «ولقد كنا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضمض الألم، وجدأ في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان يتصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما، أيها يسقي صاحبه كأس المنون، فرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقتنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام، ملقياً جرانه، ومتبوتاً أوطانه. ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود».

ان القوى المستكبرة تحاول إيقاف الحرب، ولكن ذلك ليس مبرراً لإيقاف الحرب.

يقول الامام (ع) في الخطبة ٥٤ في ذكر البيعة:

«فنداكوا عليّ تذاك الابل الهم يوم ورودها، وقد أرسلها راعيها، وحملت مئانها. حتى ظننت أنهم قاتلي، أو بعضهم قاتل بعض لدي. وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره، حتى منعي النوم، فما وجدني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة».

٧- محاضرة للاستاذ الشيخ محمدتقي فلسفي، وهو شيخ طاعن في السن مليء بالعلم،

وهي بعنوان:

(كلمة حق يراد بها باطل)

اسباب الفتن: يقول الامام (ع) عن الفتن المقبلة، الخطبة ٥٠:
 «إنما بدء وقوع الفتن، أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال
 رجالاً، على غير دين الله. فلوأن الباطل خالص من مزاج الحق لم يتخف على المرادين. ولوأن الحق
 خالص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين. ولكن يؤخذ من هذا ضعف، ومن هذا
 ضعف، فيمزجان! فهناك يستولى الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى».
 هدفنا من هذه الكلمة أن ندرس كيف واجه علي (ع) تلك المشاكل.
 هناك معنيان للحق:

١- الحق بمعنى العدل في مقابل الظلم المجابه للحق.

٢- الحق في مقابل الباطل.

إلحاق الحق بالمعنى الأول لاقى الامام (ع) صعوبات كثيرة، ولاسيما من
 أصحاب المكتسبات الباطلة.

يقول الامام (ع) عن الحق:

«الحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف.»

انظروا كم مؤسسة في العالم الآن تنادي بالحق والعدل، وتتظاهر باحقوق العدل.
 «العدل أوسع الأشياء في التواصف». ولكن ليس المهم هو المناذاة بالحق، فهؤلاء
 الذين نادوا بالحق نراهم يقتلون الناس في إيران وفي كابل وفي كل مكان. انهم
 لم يقفوا ضد صدام الذي يقتل الآلاف من السكان المؤمنين. «وأضيقها في
 التناصف».

لم يهتم الامام (ع) من مواجهة الفاسقين، في الجمل وفي غيرها. ان طلحة والزبير
 كما ورد في النهج كانا يتوقعان من علي (ع) أن يشركهما في أمور الدولة وفي استشارتها.
 من كلام الامام (ع) كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه من
 ترك مشورتها (الخطبة ٢٠٣):

«لقد نغمتما بسيراً وأرجأتما كثيراً. ألا تخبراني، أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قسم

استأثرت عليهما به؟ أم أي حق رفعه إليَّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه؟»

انه يقول لهما: ان من المسائل المسلمة أنني لأحتاج الى المشاورة في الامور الاسلامية الواضحة لي.

انه (ع) ما كان يريد محاربة هذين الرجلين، اللذين كانت لهما سابقة في الاسلام، وكان متأثراً من وجود مثل تلك الظروف التي قادتة الى الحرب. ولكن المعيار هو القانون.

يقول (ع) في الخطبة ١٠: «الأوان الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجلته، وانه معي بصبري، ما لبست على نفسي، ولا لبس عليَّ».

ان برنامجي مستحکم، لم أخدع فيه نفسي.

اني أعرف أن طلحة والزبير صحابيان، ولكنهما لجا عليّ، وحقوق المسلمين أهم منها.

هناك أناس كانوا ناقلين من الأوضاع التي حدثت في عصر علي (ع).

قال أحد اصحاب الامام (ع) وهو الحارث بن حوت لعلي (ع): (الحكمة ٢٦٢):

أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة! فأجابه (ع): «يا حارث، انك نظرت تحتك، ولم تنظر فوقك، فحرت! انك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه.»

إنك لم تنظر الى فوقك، الى الرسالة الالهية، ولم تعرف الحق حتى تميز أهل الحق من أهل الباطل. وفي نفس المعنى قال (ع) للحارث الهمداني: يا حارث، الحق لا يعرف بالرجال.

كان معيار الحق عندنا في عهد الشاه هو الرجال، ولا نعرف الرجال بالحق. والصحيح أنك اذا عرفت الحق تعرف أهل الحق.

هذا هو النوع الأول من الحق وهو بمعنى العدل واحقاق الحق.

اما النوع الثاني وهو الحق المقابل للباطل. فنراه جلياً في أعمال الخوارج التي كانت في ظاهرها مع الحق وفي حقيقتها ضد الحق. ولذلك لما رفع الخوارج شعار (لا حكم إلا لله) قال الامام (ع): كلمة حق يراد بها الباطل.

جاء أحدهم الى الامام (ع) بعد حرب النهروان وقال له ان بعض الخوارج مجتمعون قرب الكوفة ويرفعون شعار (لا حكم إلا لله، ولوكره المشركون). وكان الامام (ع)

قد دحر الخوارج في موقعة النهروان حتى لم يفلت منهم عشرة.
قال (ع) لابن عباس: اذهب الى الحرورية وانظر ما الخبر؟
جاء ابن عباس الى الكوفة فوجد جماعة من المتزمتين الذين لا يفهمون سوى العصبية
والعربنة. نظر اليهم متعجباً منهم.
ولما عاد الى الامام (ع) قال له: ما رأيت؟ قال: رأيت غوغاء.
سأله (ع): هل هؤلاء من المنافقين؟ قال: لا، لقد تصلبت جباههم من اثر
السجود ومن كثرة العبادة.
فقال (ع) لابن عباس: اذا لم يرق هؤلاء دمأ ولا يقتلون أحداً فدعوهم وشأنهم. تلك
كانت سياسة علي (ع) بالنسبة للخوارج، وهي التي سار عليها إمام الامة بالنسبة
للمنحرفين.
الخوارج هم مجموعة من المسلمين لهم أفكار خاصة، كان يدخلون الى مسجد
علي (ع) ويطلقون شعارات، منها: لاحكم إلا الله، ولو كره المشركون، ويشيرون إلى
علي (ع).
واستمر أحد الخوارج في رفع شعاره، فرفع علي رأسه فقال: أعد قولك. فقال:
لاحكم إلا الله، ولو كره علي. فقال الامام (ع): قولوا مرادكم بصراحة.
قالوا: نحن أخطأنا حين واجهنا مسألة التحكيم، وبذلك فان معاوية وعلي
قد أشركا. ونحن لا بد لنا أن نتوب الى الله ونتضرع اليه كي يغفر ذنوبنا. وبعد التوبة
نتجه الى حرب معاوية.
قال (ع): لماذا لم تطلقوا هذه الشعارات عند التحكيم، وإنما الآن تطلقونها. قالوا:
كنا متعبين ومجروحين، والآن التأممت جراحنا.
قال (ع): لا يمكنني أن أنقض عهداً أبرمته مع معاوية. عندها قال (ع) عن
الخوارج: كلمة حق يراد بها باطل.
يوضح الامام (ع) في هذه الجملة، ضلال الخوارج، فشعارهم فيه حق ولكن هدفه
الباطل. فصحيح: انه لاحكم إلا الله، أي لا إمرة إلا الله، فلا بد من وجود الامام
الحاكم. ولكن الخوارج أرادوا بهذه المقولة حكومية الله، لينقضوا حكمي.
الباطل في هذا الشعار، هو أنه لافرق بين الحكم والحاكم. لاحكم الا الله. إن
قولهم: لاحكم إلا الله، هو حق، ولكن المراد به هو الباطل، وهو سلب حاكمية الله.
ان هذه الكلمة (كلمة حق يراد بها باطل) بذربها معاوية، حين رفع القرآن

على الرماح، وقال لجيش علي(ع): تعالوا لنحكّم القرآن بيننا. كذلك ان صدام اليوم يفعل كما فعل معاوية، يطلق كلمة الباطل بدعوته الى السلم. يريد إيقاف الحرب ليقوي نفسه وليس همه السلم.

الحرب الدائرة اليوم مع جميع قوى الاستكبار العالمي عن طريق صدام، هي حرب بين الكفر والاسلام، حرب بين اتباع الله واتباع الشيطان، حرب بين الفضيلة والرديلة، حرب الشرف والعزة مقابل السفه والذلة.

ان الشعب الايراني يقف اليوم أمام طريقين:

إما أن يصبر على الضائقة الاقتصادية و يقدم الشهداء، ويرى بعينه الأطفال والشيوخ يموتون تحت الألقاص، ولكنه واقف على قدميه.

أو أن يقف موقف التواطؤ والاستسلام، وهو طريق موت العزة والعلوية ودين الله.

في مهرجان امير المؤمنين هذا أقول هذه الجملة المرتبطة بحاضر ايران، وأريد من الايرانيين أن يفكروا بها بينهم وبين الله، وهي قول الامام(ع):

«ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الشرين»

القطعة والكلب يميزان بين الخير والشر، ولكن العاقل هو الذي اذا وقف أمام شرين لا بد منها، يستطيع أن ينتخب أهون الشرين، بعد أن يعرفهما ويميز بينهما. ان العاقل من يستطيع أن يبتعد عن أسوأ الشرين.

أمامنا اليوم شران: شر أول هو الضيق في الحياة الاقتصادية وتقديم الشهداء ومقتل الاطفال والشيوخ، وهو شر قاس.

وشر ثان وهو ذهاب العزة والكرامة والدين، وموت مذهب أهل البيت(ع)،

فلنختّر أهون الشرين.

٨- نشيد لبعض الأسرى العراقيين: علي... علي... علي...

٩- كلمة الختام لأحد أعضاء بنياد نهج البلاغة

يوم الاثنين:

وزع بنياد نهج البلاغة بعض الهدايا على المشتركين من الخارج، منها: محفظة جلدية، ونخاسة تذكارية نقش عليها بعض كلام الامام (ع)، وكتاب مصور بالأجنبية عن الشهداء وجرائم صدام، وكتب ثقافية أخرى. وماتزال وسائل الاعلام من جرائد واذاعة وتلفزيون تبرز أعمال هذا المؤتمر في كل يوم، وتنشر بعض موضوعاته.

زيارة قم المقدسة:

من جملة أهداف المؤتمر زيارة المراكز العلمية والدينية، لذلك قررنا اليوم زيارة مدينة قم المقدسة ثاني المراكز العلمية عند الشيعة بعد النجف الاشرف. وقد اتخذت هذه المدينة قيمتها بعد ما دفنت فيها فاطمة بنت الامام موسى الكاظم، والتي لقبت بالمعصومة لشدة تدينها وفضلها وكرامتها. وهي أخت الامام علي الرضا (ع) المدفون في مدينة مشهد شمال شرق ايران.

انجبهنا الساعة العاشرة صوب مدينة قم التي تقع جنوب طهران على بعد ١٦٠ كم. وقد راعى انتباهي الطريق الجديد الى قم وهو «اوتوبان» واسع وفي منتصفه حاجز حديدي.

وعندما وصلنا قم طالعنا مآذن حرم المعصومة، وهي عديدة وذات ارتفاع شاهق، أكثر من خمسين متراً. والحرم يتألف من الضريح المقدس وبجانبه المسجد الكبير، عدا الساحات المتفرعة عن الضريح.

اول عمل قننا به هو زيارة المعصومة عليها السلام، ومشهدها مرصع بالمرايا. والناس حولها كيوم الحشر من شدة الاقبال والتقديس. ثم صلينا في المسجد خلف

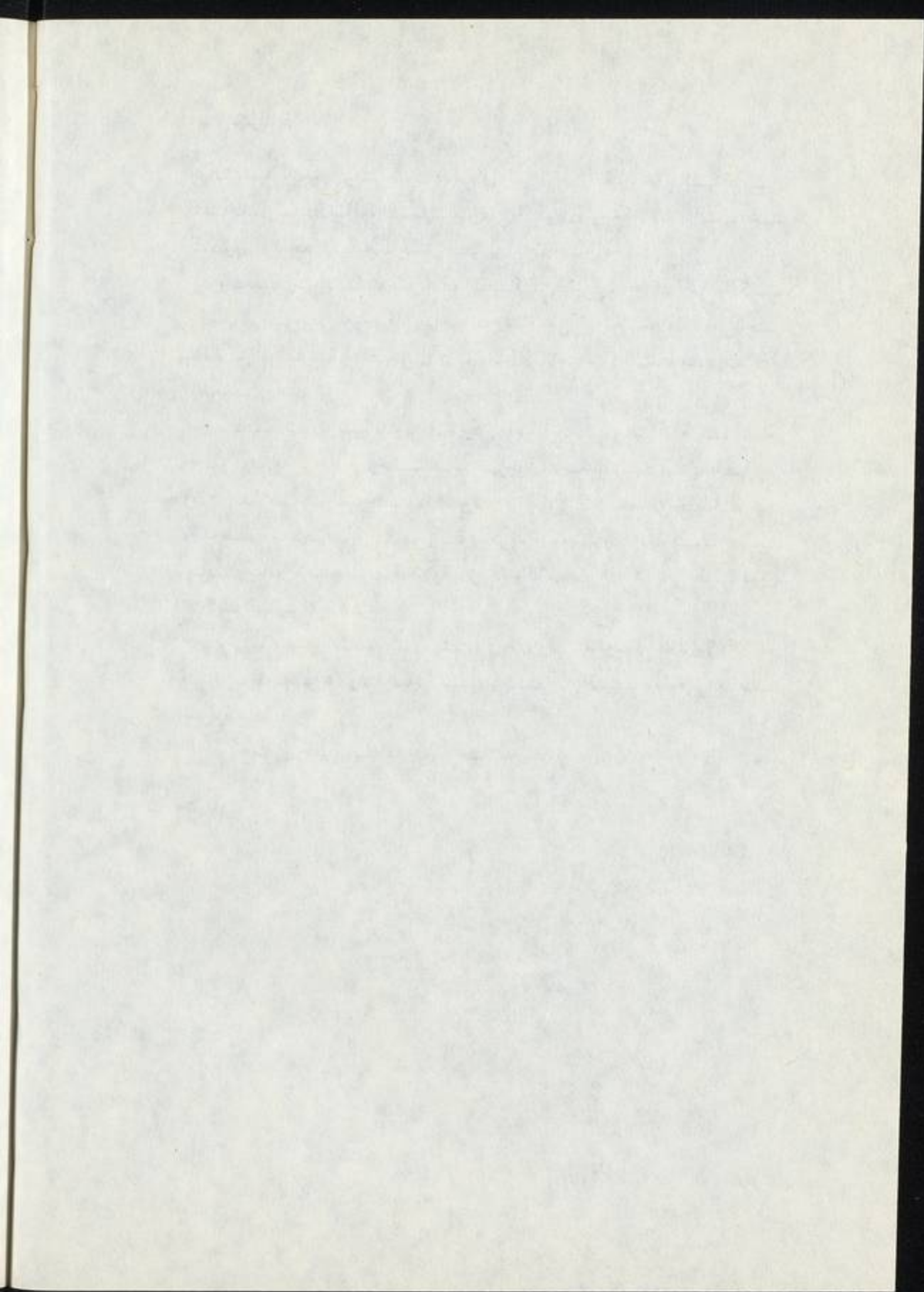
آية الله السيد النجفي المرعشي، وهو طاعن في السن. تم زرنا قبور بعض الشهداء ضمن المسجد، ومنهم آية الله الشهيد مرتضى المطهرى، وحجة الاسلام الشهيد محمد المنتظرى، وآية الله السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان.

ويستغرب الانسان من هذه المدينة التي ليس فيها غير المدارس والمكاتب والعلماء. فهي التي تخرج كل علماء ايران وغيرها من الدول الاسلامية. ومن الجدير بالذكر أن المدينة تحافظ على الآداب والتعاليم الاسلامية، فالنساء متقيدات كلياً بالحجاب.

ثم ذهبنا لزيارة أشهر مدارس قم، وهي المدرسة الفيضية، التي تخرج منها الامام الخميني وطلابه الأجلاء. وحضرنا هناك مهرجاناً بمناسبة استشهاد الشهيد مطهرى. ومن جملة فقرات المهرجان برنامج قام به ثلة من الطلاب الذين حفظوا القرآن، وقد اختار أستاذهم سورة البقرة، وكان يذكر للواحد منهم رقم الآية فيتلوها الطالب حالاً، وكان الاستاذ يبدل رقم الآية بالزيادة والنقصان، وإذا أشار على طالب معين تلا ذلك الطالب الآية بسرعة.

ثم زرنا مقبرة الشهداء (باغ بهشت) في قم، وهي بجوار مدفن أحد أولاد الامام موسى بن جعفر (ع) وهي صغيرة نسبياً، وكانت صور الشهداء معلقة على مناصب حديدية عالية.

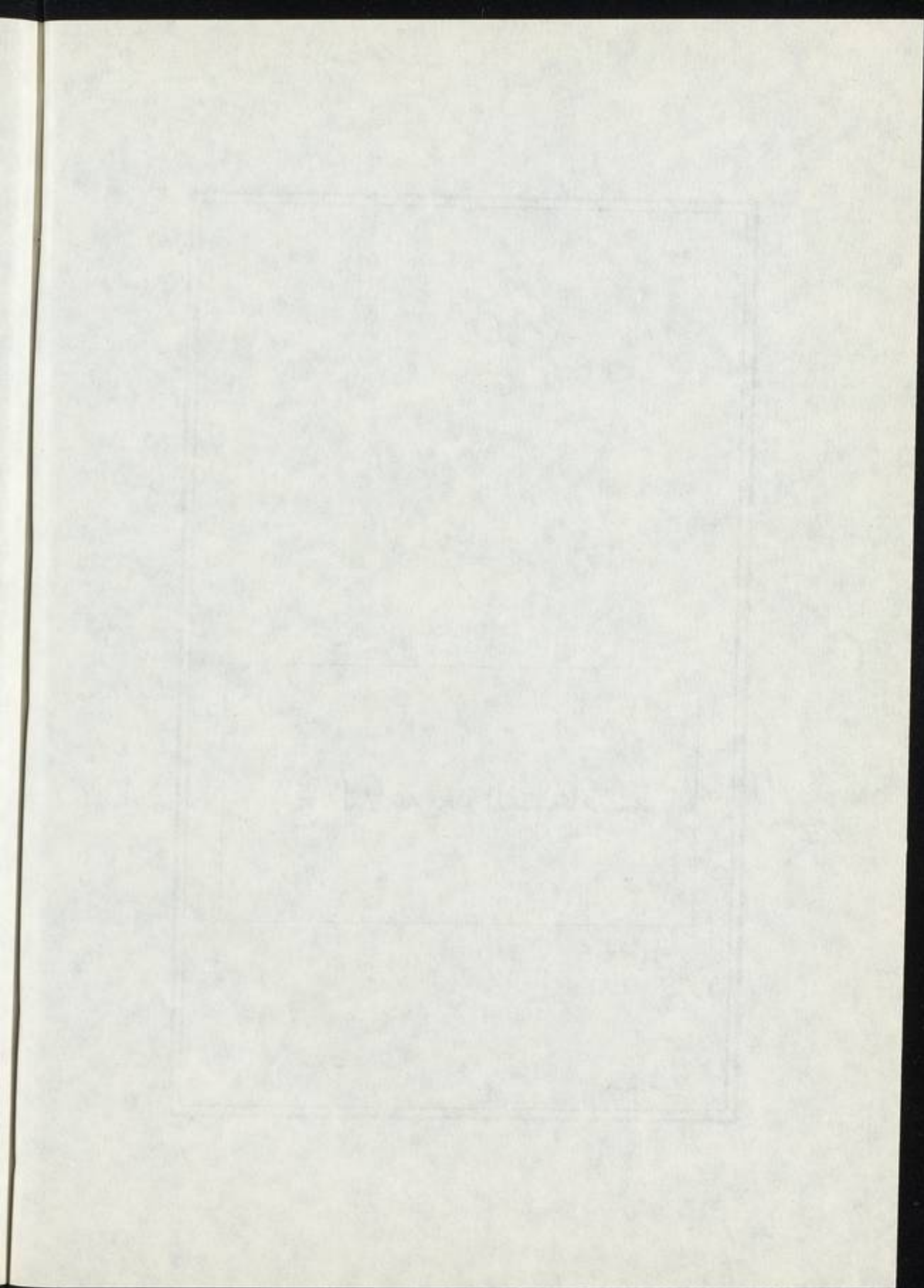
ثم رجعنا الى طهران بسلامة الله، والحمد لله رب العالمين.



نهج البلاغة بعد ألف عام...

محمد علي إسبر

جبلة، سوريا



تمهيد

انتهى الشريف الرضي من جمع نهج البلاغة سنة أربعماية للهجرة، وبدأ الشك في صحة نسبته للامام على عام (٦٠٨هـ). ومن المرجح أن ابن خلكان صاحب كتاب «وفيات الاعيان» أول أديب شك في نهج البلاغة وزعم أن مؤلفه هو الشريف الرضي، ثم قلده من جاء بعده من كتاب التراجم كصلاح الدين الصفدي وغيره... أما أدباؤنا العصريون فقد تفرقوا شيعاً امام هذا الشك: فمنهم من نهض يدافع عن نهج البلاغة ويثبت أن كل ما جاء فيه للامام... ومنهم من أخذ يدحض بعض المزاعم، ويثبت البعض الاخر، ومنهم من طلع علينا باسباب شك جديدة، ومنهم من يذهب إلى إقرار الشك واستبعاد صحة جميع ما جاء في النهج لعلي، ومن هؤلاء الأستاذ احمد حسن الزيات في كتابه «تاريخ الأدب العربي»^١

يقول الزيات تحت عنوان «نموذج من كلامه»: «كلام أمير المؤمنين يدور على أقطاب ثلاثة: الخطب والاوامر؛ والكتب والرسائل؛ والحكم والمواعظ، وقد جمعها على هذا النسق الشريف الرضي في كتاب سماه نهج البلاغة لأنه كما قال بحق: «يفتح للناضر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلاها، فيه حاجة المتعلم والعالم، وبغية البليغ والزاهد، ويضيئ في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ما هو بلال كل غلة، وجلاء

(١) والامام احمد امين في فجر الاسلام.

كل شبهة، والصحيح أن أكثر ما في هذا الكتاب منحول مدخول». هذا حكمه المطلق على كتاب نهج البلاغة أرسله كأمر مسلم به، ولكنه لم يدعمه بحجة قاطعة تتفق ومنهج البحث العلمي الحديث.

وقد سلك الزيات في حكمه هذا منهج ابن خلكان... فكان بذلك مقلداً من تقدمه تقليداً رائعاً... بيد أن ابن خلكان وغيره بسطوا أسباب شكهم في نهج البلاغة، فعبروا بذلك عن وعي غير ناضج في فهم الإمام وعصره... أما صاحبنا الزيات المفروض فيه أن يدحض بقلمه السيال، وبصيرته الناقدة هذا الشك الخاطئ فلم يزد على أن تحسّد من ابن خلكان إماماً بلا دليل مبرور، ولا سبيل قانع... أهكذا تكون دراسة الآثار الأدبية المشكوك في صحتها؟

وإنك لتحار متسائلاً: لم هذه الشكوك التي لا تتركز على أساس ثابت من العلم، ولا الأدب، ولا العقل، بل هي مجرد «ظنون» لا تمت إلى وجه من الحقيقة بسبب؟ يقولون إن أكثر نهج البلاغة من صنع جامعته الشريف الرضي، ويرجعون ذلك إلى عدة أسباب نجمها في أربعة: (١) صناعة السجع والتنميق اللفظي، وآثار الصنعة، مما لم يعهده عصر علي، ولا عرف إلا في العصر العباسي. (٢) التعريض بالصحابة: كمعاوية، وعمرو بن العاص، وطلحة والزبير وأشياهم، وهذا لا يصدر عن رجل فاضل كعلي. (٣) دقة الوصف والأفكار السامية، والسياسة المدنية، واستعمال الألفاظ الاصطلاحية، كالأين والكيف، والطريقة العددية في شرح مسائل وتقسيمات الفضائل والرزائل كقوله: الاستغفار على سبعة معان... والإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب^١... وكل ذلك لم يعرف إلا بعد تعريب كتب الفرس واليونان (٤) ادعاء علم الغيب، وهذا أمر يجمل عن مثله مقام علي.

وهانحن نناقش هذه الأسباب الأربعة؛ ونظهر بالبينة الثابتة فسادها وبطلانها.

السبب الاول

لقد درسنا خطب الامام واحدة واحدة؛ فلم نجد فيها ظلاً للصنعة، ولا أثر للسجع، ولا وجهاً للتنميق اللفظي. ولو أنها تنطوي على شيء من هذا لماخلت من

(١) راجع باب الحكم من نهج البلاغة

جفاف وتكلف... شأن كتابات الصنعة والسجع، ولما أبصرنا كل جملة من جملها تنبض بالحوية والمرح والخلود. ولما شاهدنا كل كلمة من كلماتها ملبية داعي الحاجة إليها فهي غير مضطربة ولا نابية كأنما خلقت لتحل هذا المحل. ولما وجدت النفوس في قراءتها هذه اللذة الروحية العميقة المنبجسة من حنايا ذلك الأسلوب القوي العالي الجاري عفو الخاطر جريان الماء الزلال الذي ينفحك بأرجه المؤمن أحياناً، ويلفحك بحرارة السياسية... حيناً فاذا بك تفقد ذاتيتك، وتعيش في فردوس القطعة التي تقرأها عيشة ناعمة راضية.

ولعل استواء الجملتين والثلاث في التقفية، وحلاوة الجرس الموسيقي، هو الذي ذر ذلك الشك في قلوب النقاد فأخذوا يزعمون أن عصر علي لم يعهد ذلك.. وقد غاب عنهم أن عصر علي هو العصر الذي حلق فيه العربي فوق ثريا البلاغة، وإن القرآن الكريم نزل في عهد علي، وأن علياً أول كوكب بشري آنس النبي نفسه، وضح عواطفه بقوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق».

وقبل نزول القرآن الكريم كان «النثر في الجاهلية موسيقى كالشعر، تتخلله أحياناً جمل موزونة مسجعة يأتي بها البدوي دون تكلف»^١ «وقد نقل لنا الرواة بعضاً من خطبهم وهي عادة قطع وجيزة من الوعظ ترسل سجعاً أو ما يقاربه»^٢ نقدم مثلاً على ذلك شيئاً من خطبة قس بن ساعدة التي أدركه النبي يلقيها في سوق عكاظ وهو راكب على جمل أحمر: «أيها الناس! اسمعوا وعوا. وإذا سمعتم شيئاً فانتفعوا. إنه من عاش مات. ومن مات فات. وكل ما هو آت آت. ليل داج. وساء ذات أبراج. وارض ذات فجاج. وبحار ذات أمواج»^٣ الخ... وقال لبيد يصف بقلة تدعى التربة: «هذه التربة لا تذكي ناراً. ولا تؤهل داراً. ولا تسر جاراً. عودها ضئيل. وخيرها قليل. وفرعها كليل. أقيح البقول مرعى. وأقصرها فرعاً. وأشدها قلعاً».

وروى ابن مسعود عن رسول الله أنه قال: استحيوا من الله حق الحياء. قلنا: انا لنستحي يا رسول الله! قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله: أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى. وتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة

(١) بطرس البستاني في كتابه الادب الجاهلي.

(٢) اللغة العربية وآدابها لآبليس المقدسي.

(٣) البيان والتبيين - الجزء الاول - للجاحظ.

الدينا»^١.

فهل في هذا سجع، وصنعة وتنميق؟؟؟
وهل الذي جاء في القرآن كقوله «والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى. وماينطق
عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذومرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى»^٢ سجع،
وصنعة، وتنميق لفظي؟؟؟
إننا نترك الجواب لحضرات الأساتذة النقاد.

السبب الثاني

عندما نروم التكلم عن السبب الثاني يعترضنا عسر مرهق، ذلك لأن لفظة
«الصحابة» تحيط الذين تطلق عليهم بهالة من القدسية في عرف العادات والتقاليد
الاسلامية المسيطرة... والحق اني أريد أن يكون هذا المبحث بنجوة من سلطان هذه
التقاليد، وتلك العادات الموروثة... أريده بحثاً نزهاً حراً يعتمد على أوثق كتب
التاريخ الاسلامي المجيد، ثم لأبالي بعد ذلك، رضي عبيد التقاليد العمياء
أوغضبوا... وإذن، فمن هم الصحابة؟؟.. الصحابة: أصحاب النبي الذين رأوه وطالت
صحبتهم معه، مفردة صحابي، وبناء على هذا التفسير، فإن معاوية، وعمر بن العاص، وطلحة،
والزبير، الذين تعرض لهم الإمام في خطبه من صحابة الرسول.

وهنا يعترضنا سؤال بارز له قيمته الرفيعة سواء كان ذلك من الوجهة التاريخية،
أو من الوجهة الاسلامية الدينية وهو: هل القول أنهم من صحابة الرسول كافٍ
لتقديسهم أبداً، وتحريم نقدهم، وتنفيذ أعمالهم، ولو أخطأوا، وحادوا في خطئهم عن
منهاج التشريع الاسلامي الأغر؟... لأحسب أن أي مسلم، مهما انحط في دركات
الجهل والغباوة، أو علا في درجات الفضل والمعارف، يستطيع أن يقول: نعم، لأنه
يكون بذلك عدواً لأقدس آيات الوحي، وجوهر تعاليم الرسالة النبوية. لا ريب في أن
صحبة الرسول شرف أئيل، ومجد باذخ، فهي تهذب النفس المؤمنة، وتغسلها في معين
الهدى الإلهي حتى تصبح جوهرة نورانية، لها صفاء النجوم ولألأؤها، وهي تضئ
القلب بمشعل الايمان الحلي، وتتجه بالعواطف والميول والرغبات والمشاعر شطرقانون

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر صفحة ٧٤ طبع مصر، وصاحب هذا الكتاب يقول: إن القرآن الكريم مسجع،
فتأمل...

(٢) سورة النجم . راجع أيضاً سورة الرحمن وغيرها...

الازلي الأعظم اتجاهاً كلياً... كل هذا تفعله صحبة الرسول إذا صادفت استعداداً واعياً كافياً في نفس الصحابي.

ولكن ماذا نقول إذا كان ذلك الصحابي - بعد وفاة الرسول - أسلس لنفسه العنان، فتقحمت به في مسارب الشهوات الدنيوية.. فعمل على تمزيق الوحدة الإسلامية، وأزهق مئات الألوف من النفوس المؤمنة البريئة، طمعاً بمنصب ملك جائر، ولم تردعه من الذكر الحكيم عظة زاجرة؟؟؟

ألا نقول إن صحبة الرسول لم تصادف عند هذا الصحابي استعداداً وافياً؟؟؟
أم نقول كما يقول الاكثرون من مقلدي المؤرخين - كان من صحابة الرسول - ومعنى ذلك أن نضعه في فردوس من التمجيد، والتقديس، لايسمو اليها، نقد، ولو خرج عن حكم القرآن، وعبث بسنة الرسول، وخالف رأي جماعة المسلمين. إن المؤرخ ذا البصيرة الحية الناقدة، وإن الحق الصراح، وإن العقل المتحرر المحمص لايقرون شيئاً من هذا. وبعد: فقد آن أن نسأل التاريخ عن حياة هؤلاء الصحابة الذين تعرض لهم الإمام بعد وفاة الرسول: هل كانت حياة وحي ورسالة؟؟ أم كانت حياة دنيا طماعاً، وأنانية متوثبة، وسياسة ماكرة غدارة، متجبرة، شهوانية؟؟؟
إن جواب التاريخ نور باهر يكشف عن كل دقيقة من سيرة حياتهم، لا يكاد يغادر صغيرة منها ولا كبيرة إلا أحصاها.

التاريخ يجيبنا: إن طلحة والزبير بايعا علياً، ثم أتياه بعد فراغ البيعة فقالا: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟؟!

قال علي: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان.
فقالا: بايعناك على أنا شريكاك في الامر. فقال علي: لا، ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والإعانة على العجز والوَد. فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما

(١) جاء في صحيح مسلم - الجزء الثامن، صفحة (١٥٧) مطبوعات مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، بيدان الازهر الشريف عن ابن عباس أن رسول الله قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم، ألا، وأنه سيحاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فاقول: يارب. أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فأنهم عبادك وإن تغفرهم فأنك أنت العزيز الحكيم»

قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم»

وفي حديث وكيع ومعاذ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك «

وروى ذلك صحيح البخاري في الجزء الرابع صفحة (١٦٩) باب قوله تعالى: واتخذ الله ابراهيم خليلاً... او في الصفحة (٢٠٤) في أواخر باب: واذكر في الكتاب مريم»

شيئاً نكثا البيعة^١ وخرجا يغمران بالناس، حتى ساقوهم إلى مجزرة وقعة الجمل التي سفك فيها دماء عشرة آلاف مسلم...

وأما عمرو بن العاص فإن معاوية بعث إليه بكتاب يطلب فيه نصرته، فاستشار هذا ابنه عبدالله ومحمداً. فأشار عليه عبدالله بالإقامة في منزله، أما محمد فقال له: الحق بجماعة أهل الشام. فقال عمرو: أما أنت يا عبدالله فامررتني بما هو خير لي في ديني. وأما أنت يا محمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي. ثم التحق بمعاوية مختاراً، وطلب منه لقاء مناصرته ولاية مصر فوعده بها... وفي خدعته لأبي موسى في أمر التحكيم، وحيدته عن نهج العدل الانور، كان سبباً لخلق فرقة جديدة في الاسلام لها مذهبها وآراؤها وهي: الخوارج الذين كانوا قذى في عين الدولة الاسلامية، وعملاً جباراً في إضعافها في كثير من الأحيان...

أرايت كيف خرج طلحة والزبير على إمام المسلمين بعد ما بايعاه، وبايعه عامة المهاجرين والانصار وساقوا إلى الموت عشرة آلاف مسلم لأن علياً أبن أن يقطع كل واحد منها ولاية ييسط عليها سلطانه، ويشبع أطماعه؟؟؟

وهل رأيت كيف اختار عمرو بن العاص الدنيا على الآخرة، وكيف فرق كلمة المسلمين طرائق قدا، وكان سبباً في إزهاق الألوف من النفوس المسلمة، المؤمنة، لأن معاوية وعده أن يجعله والياً على مصر؟؟؟

وأما معاوية فحسبك أن تعلم أنه مركز الدائرة في كل هذه الأعمال. فهو الذي أرسل إلى طلحة والزبير يحضهما على مناهضة علي ويعدهما بأن يبايعهما بالخلافة... وهو الذي كتب إلى عمرو بن العاص، وجعل له مصر طعمة لقاء مساندته إياه، وهو الذي مزق وحدة الإسلام بحروبه الدامية لخليفة المسلمين الشرعي علي، وبفرض البيعة لابنه يزيد، صنم الخلاعة وحيب الخمرة... وهو الذي ضحى على مذبح شهواته وميوله بعشرات الألوف من المسلمين في معركة صفين وحدها، مدرعاً ثوب المظاهرة بالمطالبة بدم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وهو عارف أن علياً أبرأ الناس من دم عثمان، ولما استتب له أمر الملك لم يطلب أحداً من قتلة عثمان^٢ بل تركهم أحراراً يرحلون بين سمعه وبصره. وإذا فعاوية لم يكن همه غير الاستيلاء على صولجان الملك -

(١) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٤١ و٤٢ إلى صفحة ٧٣

(٢) راجع حديث عائشة بنت عثمان مع معاوية في الامامة والسياسة حينما قدم المدينة بعد ما صار خليفة. راجع ابا الفداء وأي كتاب شئت من كتب التاريخ الاسلامي.

يريده ولو كان في حصوله عليه خفوت نفس الاسلام - يريد له ولأبنائه من بعده، وسيان عنده اطمأن الوحي الاسلامي أو غضب، تألف المسلمون أو تفرقوا، اقتتلوا أو اصطلحوا.

هؤلاءهم الصحابة الذين تعرض لهم الإمام، هؤلاءهم الصحابة الذين امتلأت أذهانهم بتلك الايات الخالدات اللواتي توج النبي بها مفرق علي بعد رجوعه من حجة الوداع في «غدير خم» ألا وهي: «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم والي من والاه. وعاد من عاداه. وأحب من أحبه. وأبغض من بغضه. وانصر من نصره. واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار»^١

وما كان رسول الله ينطق إلا عن ربه «وما ينطق عن أهوى. إن هو إلا وحي يوحى» نعم لقد سمعها أولئك الصحابة من فم رسول الله ووعوها... ولعلك تسألني: كيف جردوا السيف في وجه علي وحاربوه بعد ذلك؟ وأجيبك: إن حلاوة الدنيا ومباهجها سيطرت على كل نبضة في أجسامهم وكل خطرة في نفوسهم، فالت بهم عن الصراط السوي ميلاً عظيماً، فما على الامام والحالة هكذا إذا تعرض لهم في خطبه، لاسيما والنبي يقول:

«معاشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة. حرب لمن حاربهم. ولي لمن والاهم. لا يجهم إلا سعيد الجد طيب المولد. ولا يبغضهم إلا شقي الجد، ردئي الولادة»^٢:
وروت السيدة أم سلمة عن رسول الله أنه قال «علي مع القرآن. والقرآن مع علي. لا يفترقان حتى يردا علي الحوض».
إننا نرى أن النبي قد تعرض لهم... قبل أن يتعرض لهم علي، وفي هذا كفاية.

السبب الثالث

وإنه لمن المضحك حقاً أن يزعم حضرات النقاد أنه لم يكن للعرب في جاهليتهم، نصيب من دقة الوصف والتخيل. في حين أن دقة الوصف والتخيل صفة ملازمة للعربي، ولنظرة خاطفة في الشعر الجاهلي ونثره توقفنا على حقيقة ذلك. اسمع بعض

(١) روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً. راجع احمد، وابن ماجه، وابن عساکر، والطبراني، والحاكم والترمذي، والنسائي وغيرهم.

(٢) روى هذا الحديث ابوبكر الصديق، وهذا الحديث معروف بمحدث الخيمة - وكان في الخيمة علي وولده وفاطمة - ويجب أن يعلم أن جميع الاحاديث التي تقدمها متفق على صحتها من رجال السنة والشيعه.

بني الحارث من شعراء الجاهلية يصف الشمس^١:

أرانا مليك الكون بالشمس آية
مخبّأة أما إذا الليل جتّها
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلي
وألبس عرض الأفق ثوباً كأنه
تجلت وفيها حين يبدو شعاعها
عليها كردع الزعفران يشبه
فلما علت وابيض منها اصفرارها
وجللت الافاق ضوءاً وأسعرت
تري الظل يضوي حين تبدو وورقه
كما بدأت إذ أشرقت في مغيبها
وتدنفت حتى ما يكاد شعاعها
وأفنت قرونناً، وهي في ذلك لم تنزل

ألا ترى دقة الوصف والتخيل في هذه القصيدة الجاهلية؟؟ وأحيلك إلى قراءة شعر المعلقات حيث تبصر وصف المطر، والبرق، والفرس، والحرب...، وبوسعك أن تراجع وصف لبيد الذي مر لبقلة التربة... وقرأ الأوصاف الرائعة في القرآن الكريم. اصغ إليه تعالى يصف لنا حال أصحاب اليمين في مسارج الفردوس الأعلى: «وأصحاب اليمين. ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لامقطوعة ولا ممنوعة. وفرش مرفوعة...» الخ.

وتبصر حسنا في وصفه تعالى خلق الانسان وتطوره من حال إلى حال: «ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقه. فخلقنا العلقه مضغة. فخلقنا المضغة عظاماً. فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر. فبارك الله أحسن الخالقين»^٢

وبعد هذا فأني غرابة في أن يصف علي الخفاش والطاوس، علي الذي رضع ألبان العلم والأدب والفصاحة على يدي رسول رب العالمين محمد بما يبرز به علي من تقدمه، ومن يجي بعده؟

(١) انظر علم الادب للأب شيخو الجزء الأول.

(٢) سورة المؤمنون.

عهده للأشتر

وأما عهده للأشتر النخعي عامله على مصرفهما لا يختصم فيه اثنان، لأن أنفاسه الزكية تتردد وثيدة في مطاويه فتجعل منه روحاً وربحاناً... وأنا لنعجب كيف يتسرب الشك إلى قلم الزيات في هذا العهد لأنه ينضم على جملة صالحة من السياسة المدنية، ولايشك في عهد الخليفة الثاني عمر إلى أبي موسى الأشعري الذي قال عنه: «وقد اعتبره جمهور القضاة أساساً للنظام، وقاعدة للأحكام، وما أجدره بذلك»^١ لأن نشأة علي في ظلال أفنان الوحي والرسالة جديرة بأن تعده لمؤهلات لا تنهياً لغيره من رجال الاسلام أجمعين.

واسمع!! فهذا معاوية خصم علي السياسي يقع على الكتاب الذي أرسله إلى محمد بن ابي بكر حينما ولاه مصر، فيأخذ في دراسته وكلما أعاد قراءته ابدى العجب. فيقول له الوليد بن عقبة لما رأى إعجابه: «مر بهذه الأحاديث فلتحرق» فيقول معاوية: «مه لا رأي لك» فيجيبه الوليد: «أقن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها؟؟».

فيقول له: «ويحك أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا؟؟ والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم»^٢.

(١) والذي أثار إعجاب الأستاذ حسن احمد الزيات في عهد الفاروق عمر بن الخطاب هو: «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»

إن هذا القول الحكم لرسول الله، وليس للخليفة الثاني، يروي الامام البخاري في الجزء الثالث من صحيحه، صفحة (١٨٧) باب في الرهن في الحضرة: «حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا نافع ابن عمر، عن ابن ابي مليكة قال: كتبت إلى ابن عباس، فكتب إلي: إن النبي قضى: ان اليمين على المدعى عليه.

وجاء في الصفحة (٢٠) من شرح العقائد النسفية، طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق (١٩٧٤) أن رسول الله قال: البينة على المدعي، واليمين على من أنكر» - نقلاً عن: الترمذي: أحكام (١٢)، وابن ماجه أحكام، وأخرجه الدارقطني باضافة: إلا في القسامة على آخره، ورواه البيهقي في السنن عن ابن عباس، وابن عساکر عن ابن عمر، وأخرج مسلم شيئاً له عن ابن عباس في كتاب الأفضية - باب: اليمين على المدعى عليه» (١) هـ.

أقول: وروى الامام النووي في شرح أربعينه، نشر وتوزيع مكتبة دارالفتح بدمشق، صفحة (٩٣) عن ابن عباس أن رسول الله قال: «لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، لكن: البينة على المدعي، واليمين على من أنكر»^٣ إذنه، فكيف وقع الكاتب الكبير الزيات في هذه السقطة، ونسب الحديث للخليفة الثاني؟؟

(٢) راجع الصفحة (٢٨) من المجلد الثاني من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي (طبع مصر)

لايمرن عليك سهواً قول معاوية: «والله ما سمعت بعلم هو اجمع منه ولا أحكم»
وقل معي: ليت لنقادنا الأدباء من الانصاف في الاعتراف بأدب علي وعلمه مثل ما
لمعاوية في هذا الموقف.

الأين والكيف

أما استعماله الأين والكيف في تمجيد الحضرة الالهية، وتنزيهها عن الاحاطة
والحصر والوصف، فراجع إلى أن توحيدَه -عزوجل- يبقى ناقصاً إذا لم ينزه عن الأين
والكيف

يقول الامام من خطبة: «من حده فقد عده... ومن عده فقد أبطل أزه. ومن قال أين؟
فقد حيزه... ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه...»

ويقول في خطبة أخرى: «... ولا ينظر بعين، ولا يجد بأين...»^١
وانه ليدهشنا غاية الدهشة أن يقولوا: إن استعمال الأين والكيف في تنزيه
الحضرة الالهية لم يعرف إلا بعد تعريب كتب الفرس واليونان. وهذا الحموي
العلامة الشهير يروي في كتابه «فرائد السمطين» بالاسناد إلى مجاهد عن ابن عباس^٢
قال: «قدم يهودي على رسول الله (ص) يقال له «نعثل» فقال له: يا محمد اني أسالك
عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: سل
يا ابا عمارة!!

قال: يا محمد صف ربك! فقال (ص): «إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه،
وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الأوصاف أن تدركه. والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده،
والأبصار الاحاطة به، جل عما يصفه الواصفون. ناء في قربه، وقرب في نأبه، كَيْفَ الكيف،
فلا يقال له: كيف؟... وأين الأين. فلا يقال له: أين هو، منقطع الكيفية فيه والأينونة... الخ.
فتأمل جيداً ثروة حضرات النقاد الأدبية، وتضلهم من سيرة نبي الاسلام
وكفى...»

(١) إذا شئت أن تقف على المعارف العجيبة بأسلوب رائع، معجز، في تنزيه الحضرة القدسية فاقرأ خطب علي أمير المؤمنين

(٢) راجع الصفحة (٣٩) من كتاب غاية المرام

استعمال الطريقة العددية

يتشدد بعضهم كالاستاذ فؤاد افرام البستاني^١ في القول: إن استعمال الطريقة العددية لم يعرف في الأدب الجاهلي، ولا يكاد يعرف في الأدب الاسلامي، حتى عرب ابن المقفع كتاب «كلىة ودمنة»^٢ ويتخذ من ذلك ذريعة إلى القول: إن مثل هذا من صنع الشريف الرضي.

إنه لغريب حقاً أن يصدر مثل هذا القول عن أديب مشهود له بسعة الاطلاع، ووفرة المعارف كالبستاني... لأن بذور هذه الطريقة معروفة في الأدب العربي قبل الإسلام. اسمع مايقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين، أوجلاء، أو نفاز

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة. قال تعالى: «ثمانية أزواج: من الضان اثنين ومن المعز اثنين، قل آلذكرين حرم أم الأنثيين...»^٣

وقال النبي: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

وقال (ص): «إغنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك. وصحتك قبل سقمك. وفراغك قبل شغلك. وشبابك قبل هرمك. وغناك قبل فقرك»^٤.

وقال (ص): «أربع من اعطين فقد أعطي الدنيا والاخرة: لسان ذاكر. وقلب شاكر. وبدن على البلاء صابر. وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسه ولا ماله»^٥.

وقال الأحنف: «المؤمن بين أربع: مؤمن يحسده. ومنافق يبغضه. وكافر يجاهده. وشيطان يفتنه. وأربع لسن أقل منهن. اليقين. والعدل. ودرهم حلال. وأخ في الله»^٦.

نحسب أن هذا كاف ليثبت لحضرات النقاد ان الطريقة العددية كانت معروفة في زمن الإمام علي وقبله. بيدانه سلك في استعمالها نهجاً عليه مسحة من التوسع

(١) الروائع للبستاني - علي بن ابي طالب.

(٢) يجزم كثير من الأدباء أن كتاب «كلىة ودمنة» من تأليف ابن المقفع، وإنما ادعى تعريبه ليروج...

(٣) سورة الانعام.

(٤) العقد الفريد الجزء الثاني - باب مواظب الأنبياء - راجع إذا شئت مزيداً كتاب الجامع الصغير في أقوال النبي

(٦) البيان والتبيين - للجاحظ - الجزء الثاني صفحة ١٥٨

والتفنن، وذلك منتظر من ربيب رسول الله، ووارث علومه الذي يؤمن كل أديب انه أول مفكري الاسلام، وان كلامه فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق، وان الحكمة التي جاءنا بها حكمة سامية خالدة على الدهر، وان كتبه تتمتع بقوة منطقية سديدة، ومقدرة على القياس بالغة، وانه مجدد في كل ذلك بالنسبة إلى رجالات عصره، ونسيج وحده لا يشق له في هذا المضمار غبار.

نقول: انه منتظر من الامام علي الذي انفرد بهذه الميزات جميعاً وكلها جليل، رفيع، رائع، أن يستعمل هذه الطريقة على مدى أرحب... و يلوح لنا أنه استنبطها جميعها أو اكثرها من آي الذكر الحكيم، وأقوال النبي. اسمعه يقول: «من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً. من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة. ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول. ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة. ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة. وتصديق ذلك كتاب الله. قال الله في الدعاء: ادعوني استجب لكم. وقال في الاستغفار: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً. وقال في الشكر: لئن شكرتم لأزيدنكم. وقال في التوبة: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله عليماً حكيماً. فهل من مسوغ للشك يديه نقادنا بعد هذا؟؟؟

السبب الرابع

نكاد نجزم حين نعرض لدراسة السبب الرابع أن الشاكين في نهج البلاغة لم يقرأوه جميعه قراءة واعية لأن الإمام نفسه جلا هذه الشبهة في إحدى خطبة. ففي نهج البلاغة - انه عندما انتهى من خطبته التي أخبر بها عن الملاحم في البصرة - قام رجل كلبى من بعض أصحابه فقال: لقد أعطيت علم الغيب يا أمير المؤمنين!!

فضحك(ع) وقال: يا أخا كلب!! ليس هو يعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب، علم الساعة، وما عده الله بقوله: إن الله عنده علم الساعة.... الآية، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك، فعلم علمه الله نبيه، فعلمنيه، ودعالي أن يعيه صدري، و نضطم عليه جوانحي.

إننا إذا اخذنا بهذا القول وحده، و صرفنا النظر عن استنتاج القضايا الاجتماعية من مقدماتها وأسبابها، وعن قول النبي(ص): اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، فإننا نراه كافياً لصد ذلك الشك العائر.

نهج البلاغة وشراحه

لقد تولى شرح نهج البلاغة كثير من أعلام العلماء، فلم نعرف احدا منهم شك في نسبته لأmir المؤمنين علي (ع) مختص بالذكر منهم المرحوم الشيخ محمد عبده^١ وهو الذي بعث الكتاب من مرقده، ولم يكن أحد أوسع منه اطلاعاً، ولا أدق تفكيراً، لم يُشر إلى شيء من ذلك بل نعتقدانه - رحمه الله - كان مقتنعاً بأن الكتاب كله للإمام علي، وإن لم يصرح بذلك. والدليل على هذه العقيدة أنه يقول في مقدمته يصف الكتاب: «وإن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» بل هو يتجاوز هذا المقدار، إلى الاعتراف بأن جميع الالفاظ صادرة عن الامام، حتى انه يجعل ما في الكتاب حجة على معاجم اللغة.^٢

الخلاصة

نزل القرآن الكريم، فكان معجزاً في بلاغته، جديداً في كل ما شرع للناس من دين وقانون... جديداً فيما جاء به من سياسة وحكمة، وآداب أخلاقية واجتماعية... فكانت هذه الجدة حركة تطور عنيفة، ثقفت الأذهان بثقافة رفيعة جديدة، وأعدتها لحياة جديدة أيضاً^٣... فالعربي الذي كانت البادية خلقت منه إنساناً خشن الطباع، يعبد الاصنام، همه أن يغزو أخاه العربي، و يقتله ليظفر بأسلابه... يعيش في دنيا رحيبة من الجهل، والتفوضى والخرافات والتشيت... أصبح بين عشية وضحاها إنساناً مدنياً مؤمناً يعبد الله، ويحب أخاه العربي حباً صادقاً وفاقاً، قد امتلأت نفسه

(١) هو مفتي الديار المصرية سابقاً

(٢) محمد عبي الدين - أحد شراح نهج البلاغة، ويؤخذ عليه في مقدمته قوله عن الامام: فهو شاب له حدة الشباب، وطموحه، ونشاطه، فهذه الحدة، والنشاط والطموح، تعبير باطل، بعيد عن الباقية. لاسيما وقد أورده لتبرير موقف الامام نحو الخلافة والمعارضين... وليس معنى هذا اننا ننكر انه كان في امير المؤمنين طموح ونشاط، فهذه الصفات من مميزات الشباب الاسلامي الماجد، وما تفرقه الشريعة الاسلامية الفراء، وقد كانت متوفرة في الامام، ولكنها كانت محصورة ضمن إطار الشريعة والحق. ولو وجدت في علي حسب المعنى الظاهر الذي يستفاد من قول الاستاذ عبي الدين - احد اساتذة الازهر لتغير وجه التاريخ، ولما وسعه أن يقول في نفس الصفحة «ولم يكن يبلغ به طموحه إلى الانتقاض على جماعة المسلمين بعد الذي نزل في تأليفها ولم شعثها».

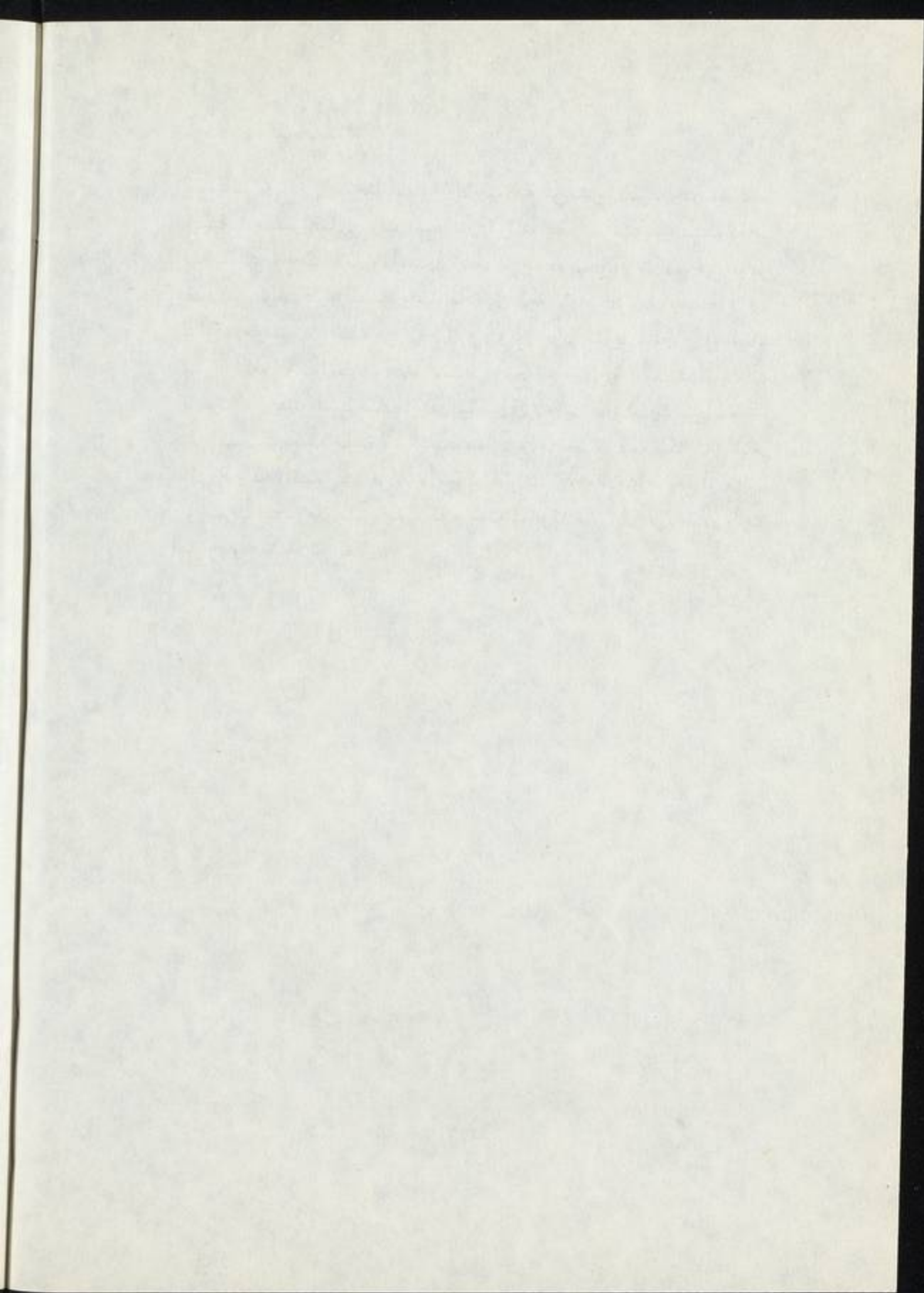
(٣) أثرت هذه الشقافة في قرائع الشعراء الذين ادركوا صاحب الرسالة، فرقت ألفاظهم، وصيغ الاسلام خيالهم بألوانه النواتية. راجع حسان بن ثابت وغيره من الشعراء المحضمين.

علماء، وحياته نظاماً. فهل ترى من الغريب أن انقلاباً فكرياً، واجتماعياً، وسياسياً، ودينيّاً، وحقوقياً... كالذي أحدثته البعثة المحمدية - انقلاباً أبداع من الأمة الجاهلة، الضارية، الممزقة، أمة جبارة بقوتها، عزيزة باتحادها، أصبحت بفضل القرآن وشرع القرآن نبراس هدى، وقائدة حكمة للمجتمع الانساني... أترى من الغريب ان مثل هذه البعثة الخالقة التي استطاعت أن ترتفع بعالم العرب إلى سنام الكمال البشري... وأن تبسط من ظل سلطانهم حتى يكاد يغمر نصف الكوكب الأرضي، أن تكون رجلاً مثل الامام علي بن ابي طالب، يخرج للعالم كتاباً كنهج البلاغة؟؟

إن أقل مايقال في مثل هذا انه شك في كفاءة الروح الاسلامية الحية النيرة. وشك في كفاءة الذهنية العربية الصافية عن قبول مؤثرات ثقافة الوحي - الإلهية النبوية.

إن كتاباً كالقرآن أخرج الدنيا العربية من الظلمة إلى النور لخليق أن يخرج للناس رجلاً كالامام علي الذي توفر له من تلك الثقافة الإلهية- النبوية مالم يتوفر لأحد غيره من المسلمين قط. فإنه نشأ في بيت ابن عمه محمد جامعة الاسلام العليا. فكان له منه أستاذ بر رحيم، فصيفه صلوات الله عليه بصيغته الأخلاقية، ونشأه على بلاغته النبوية، وحينما نزل القرآن الكريم، وبدأ بالقيام بأعباء الرسالة، كان علي أول من آمن به، وجاهد في سبيل دعوته، فاعتمده كاتب وحيه، وشرع كلما ألقي إليه بأية يلقنه كل ماتخبئه في تلافيفها من المعاني والأغراض، فكانت ثروته العلمية و الأدبية والشرعية تزداد كل يوم نماءً، فانفسح خياله وصفاً، ورهف شعوره، ونورت بصيرته، ولطف ذوقه الأدبي، وظل عليه السلام أقرب الناس إليه وأجلهم عنده مكانة حتى اختاره الله إلى جواره الأقدس. ولما ولي علي الخلافة، وشهر المعارضون في وجهه السيف، احتاج إلى الدفاع عن مركز الخلافة، فإذا به يشرق بتلك البلاغة التي رضعها صغيراً، وشب عليها كبيراً... بدرأ كاملاً... وإذا به ينطق بمكنون علمه الإلهي، وطرائقه الحكيمية، وآياته الأدبية، وروائعه في السياسة المدنية والحقوقية... فيجئي بماسيظل شمس البيان البشري حتى قيام الساعة. وهذه البلاغة السحرية، والروعة الدفافة في جمال الوصف ودقة التصوير وقوة السبك وغزارة المادة... وتلك الفلسفة الاخلاقية، والقواعد الاجتماعية، والسياسة المدنية، والمقدرة الجبارة على التصرف في فنون القول، والحكم الغالية وسمو الافكار ونضوجها... هي التي دعت ابن خلكان و لو من جاء بعده من كتاب التراجم إلى الشك في صحة نسبة نهج البلاغة للامام علي ولو انهم رجعوا إلى الزمان والمكان اللذين نشأ فيها الامام، وإلى الامواج السياسية التي

تقاذقت به... وإلى الجدة الثقافية والاجتماعية التي نشرها القرآن ودرسوها درساً دقيقاً عميقاً... ولو أنهم أدركوا أن القرآن والتربية النبوية هما المدرسة التي وجهت الامام، وأثرت في أدبه، لما رايناهم يمتنعون في شكهم حتى يتوهموه يقيناً. بل لو انهم قارنوا ببصيرة واعية نقادة بين لهجة الامام الصارمة، وأسلوبه الرفيع المتسق، وما يغلب على خطبه من مزاج ناري، وبين أقوال الشريف الرضي في مؤلفاته النثرية لكفونا وكفوا أنفسهم عناء الشك في «نهج البلاغة». وقد رأيت مما مربك اننا أظهرنا بالبرهان الثبت فساد مزاعم الشاكين في نهج البلاغة. ولانذكر قبل أن تختتم هذا البحث بكلمة خالدة للشيخ محمد عبده تبين من خلالها قيمة الكتاب الجليلة. قال رحمه الله «وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى، وكلام نبيه، وأغزره مادة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلال المعاني».



الضمان الاجتماعي
كما يصوره الامام علي (ع)

الشيخ محمد علي التسخيري



بسم الله الرحمن الرحيم

لا أجدني بحاجة للحديث عن عظمة الامام أمير المؤمنين عليه السلام أو عن المضمون الضخم للكتاب الرائع (نهج البلاغة) لأنهما من جهة أوضح من أن يوصفا ولأنني أعجز من يصف.

ولكن لنرد الموضوع المخصص دون مقدمات فنتحدث عن الضمان الاجتماعي كما يصوره الامام أمير المؤمنين (ع).

اننا نعتقد ان الضمان الاجتماعي له مجالات عديدة:

منها المجال الاقتصادي، والمجال الحقوقي، والمجال الأمني، والمجال الأخلاقي والتربوي وغيرها.

إلا انه عندما يطلق باللغة الاجتماعية المتداولة فانه ينصرف اكثر فاكثر الى المجالين الاولين (الاقتصادي والحقوقي) ومن هنا - ولعدم توفر الفرصة لدراسة كل الجوانب - فقد اقتصرنا على الجانب الاول آملي ان نعطي نظرة سريعة مستندة الى نصوص نهج البلاغة، رغبة في استجلاء الصورة الاسلامية المثلى، وعملاً على عكسها على واقعنا الاسلامي القائم في ايران الاسلام، ايران التي صممت على العودة الى الواقع الاسلامي وراحت بقيادة القائد الشجاع العالم الفذ الامام تحطم كل العوائق والعقبات في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم.

موجز في التصور الاقتصادي الأمثل للاسلام:

ان الاسلام دين واقعي فطري ولذا فهو لا يعمل على اغفال الحقائق الخارجية ومنهبا الحقيقة الفطرية كما يسعى بكل الاساليب للارتفاع بمستوى الواقع الى الشكل الأمثل.

وعلى هذا فقد لاحظ الاسلام في تصوره للوضع الاقتصادي السليم، واقع الانسان ودوافعه، وواقع المساحة التي يعيشها ومن ثم خطط لإسعاد المجتمع في هذا المجال ضمن تخطيطه العام الأوسع منه.

وإذ لم نكن بصدد إعطاء النظرية الاسلامية فلا أقل من الإشارة الى خطوطها الرئيسة:

وما نعتقده ان الاسلام عيّن المشكلة أولاً ثم راح يسعى للحل الجذري. وهذه المشكلة تتلخص في أمرين (الظلم، والكفر بانعم الله). ولوارتفعاً فقد حلت المشكلة تماماً.

فهذا القرآن الكريم بعد ان يذكر نعم الله ويعد منها، يعقب على ذلك بقوله تعالى: «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار».

ومن هنا فاننا نجد يصب كل جهوده لرفع هذين الجانبين من المشكلة فهدفه إذن تحقيق ما يلي:

اولاً: تنمية الانتاج والاستفادة الاقصى من النعم الموفرة.

وثانياً: تحقيق العدالة الاجتماعية والقسط، وقد أكد هذا كثيراً في مختلف

نصوصه، ومنها جعل القسط، أحد اهداف الانبياء الكبرى.

وهو يرى - هنا - ان القسط لا يتحقق الا اذا تحقق مبدئان هما:

أ: التكافل الاقتصادي

ب: التوازن في مستوى المعيشة.

وهما أمران يشترك الشعب والحكومة في القيام باعبائها على اختلاف بين

المسؤوليات.

ولكي يتحقق التوازن الاقتصادي في مستوى المعيشة يجب العمل على الارتفاع

بالطبقة الفقيرة الى حد (الغنى)، والهبوط بالمستوى الذي تعيشه الطبقة المترفة والمسرقة

ولايبقى بين مستويات المعيشة التفاوت معقول ومقبول يضمن قربها من جهة وبقاء الدافع المادي المحرك للانتاج الاكثر واننا لنجد الخطوات الاقتصادية التي قام بها الامام أميرالمومنين كلها تسير في هذا الاتجاه. فلننتبعها إذن تتبعاً سريعاً لنجد الروعة التي طرحها الاسلام وطبقها الامام في دولته الاسلامية.

ونستطيع ان نقسم هذه الخطوات الى قسمين:

الخطوات التربوية النفسية العقائدية.

والخطوات القانونية التشريعية.

وكلها تصب في الأهداف الماضية كما سنلاحظ.

ولكن قبل بيان هذين القسمين يجب ان نلاحظ ان بعضها قديميل الى جانب تنمية الانتاج، والآخر الى العدالة في التوزيع. ولكن لما كان الحقل الانتاجي والحقل التوزيعي مترابطين بشكل رائع فقد آثرنا أن لانقسمها الى خطوات انتاجية واخرى توزيعية.

الإمام يمهّد لتطبيق الاطروحة الاقتصادية تمهيداً نفسياً:

ويمكننا ان نختار من تعليمات الامام الامور التالية:

١- العمل على تعميق العقيدة في النفوس بحيث يتحول الوجود الانساني الى وجود موحد مطيع لله تعالى مضحّ في سبيله بكل ما يملك ونهج البلاغة مليء بمثل هذه التربية العقائدية.

ومن الواضح أن العقيدة اذا تعمقت انبثقت منها مفاهيم اجتماعية رائعة لها تأثيرها الاكبر في مسير الحياة الاجتماعية، وتلك من مثل مفاهيم: (خلافة الانسان لله) و(مفهوم التحويل المالي للانسان من قبل الله) و(مفهوم الأخوة الاسلامية) ومفهوم (الربح والخسارة في التصور الاسلامي) وغيرها.

كما ان هذه العقيدة والمفاهيم تترك آثارها في صياغة العواطف الاسلامية نحو المتقين والاخوة المؤمنين مما تمهد أكبر التمهد لتطبيق التصور الاسلامي المذكور.

٢- ونهج البلاغة مليء ايضاً بالتعليمات التي تحقق للانسان نظرة طريفة للجوانب المادية في هذه الحياة ف«من أبصر بها بصرتة، ومن أبصر اليها أعمته»

- ٣- التأكيد على ذم الحياة المترفة التي لا تشعر بآلام المعوزين، وهكذا ذم الاسراف والمسرفين وبيان انحرافهم عن الصراط الانساني.
- ٤- التذكير الدائم بأن المال مادة الشهوات وانه سبب لانحراف الانسان إن لم يبذل في سبيل الله.
- ٥- تعميق مفهوم العمل في سبيل الله ونسيان الذات في هذا الصدد، واذا تعمق هذا المفهوم حلت مشكلة التعارض بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية وكان التمهيد الأروع لتحقيق القسط.
- ٦- التأكيد على لزوم العمل وتحصيل الرزق وعدم الذلة عند الحاجة.
- ٧- تركيز الاحساس بآلام الآخرين وخصوصاً في مجال تحسيس الحكام بالتفكير الدائم بضُعاء شعوبهم.
- ٨- إعطاء صورة عن المثل الاعلى وهي تتمثل تاريخنا بالانبياء عليهم السلام وبه (عليه السلام) كقائد يمارس القيادة الفعلية في ذلك المجتمع على اساس نهج الانبياء.
- ٩- اعطاء بعض الصور المتكاملة عن مجتمع المتقين واتصافه بكل عناصر التقدم المادي بالاضافة للتقدم المعنوي.
- ١٠- وبالتالي التأكيد على ربط الانتاج بالتوزيع وذلك كما جاء في كتاب الامام الى حبيبه محمد بن ابي بكر عامله على مصر.
- فلنطالع إذن بعض النصوص في هذا المجال.

في ذم الترف والاقبال على الدنيا

يقول الامام عليه السلام:

«أقبلوا على جيفة قد أفتضحوا بأكلها وأصطلحوا على حُبها، وقن عشيق شيئاً أعشى بصره، وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة قد خرفت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه. وتلتهت عليها نفسه، فهو عبد لها، ولتمن في يديه شيء منها...» وهكذا يستمر هذا الوصف الى ان يشرف بهم على سكرات الموت فيقول: «فهُوَ يَقْضُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا صَحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَرْهَدُ فَمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنْ الَّذِي كَانَ يَغِيظُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ!» الى أن يقول (ع): «فصار جيفة بين أهليه، قد أوحشا من جانبيه، وتباعدوا من قربه، لأُسْعِدَ باكياً، ولأُجِيبَ داعياً» (نهج البلاغة ص ١٥٩-١٦١)

ويقول في خطبة رائعة أخرى: «سلطانها ذؤلك (أي الدنيا) وعيشها رنق، وغدبها أجاج، وحلوهها صبر، وغذاؤها سمام، وأسائها رمام، حيثها يعرض موت، وصحيحها يعرض سقم! فملكها قسلوب، وعزيرتها مغلوب، وموفورؤها منكبوب» الى أن يقول (ع): «أقهديه تؤثرون، أم إليها نظمتون، أم عليها تحرضون؟» - نهج البلاغة ص ١٦٥ -

ولتحقيق السمو في آمالهم يقول:

«وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا ظَلَمِي عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِفُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَتَلْتَرِكُنَّ أَمْوَالَكُمْ لِأَحَارِسَ لَهَا وَلا خَالِفَ عَلَيْهَا» (١٧٣)

«أما رأيتم الذين يأملون بعيداً، ويبنون مشيداً، ويجمعون كثيراً، كيف أصبخت يئوئهم قبوراً، وما جمعوا بوراً، وصارت أموالهم للوارثين وأزواجهم لغيرهم آخرين». - نهج البلاغة (١٩٠).

«ألا فما يصنع بالذنيا من خلقٍ للآخرة! وما يصنع بالمال من عفا قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه» (٢٢٢)

فقد ورد عنه (ع) في رواية صحيحة انه وضع على الخيل العتاق الراحية في كل فرس في كل عام دينارين، وجعل على البراذين ديناراً ومنها التشجيع المتواصل على الانفاق الحسن المستحب هذا الى ما في تطبيق باقي القوانين الاسلامية كالارث من دور في تفتيت المال ومنع تركيز الثروة.

كانت هذه بعض الخطوات الاقتصادية الاسلامية الضخمة التي خطاها على الصعيد القانوني لتحقيق الاهداف الكبرى التي اخذ على الامة عهداً ان تصبر على تحقيقها.

هذه هي الصورة الاسلامية للمجتمع الاسلامي السليم ولكن ماهو الواقع؟

ان الواقع الاقتصادي القائم اليوم يختلف تمام الاختلاف عنها.

فانك لتجد اختلال التوازن الى حدٍ ضخم جداً فيصل الدخل المتوسط لدى بعض المسلمين الى الصفر في حين يصل الدخل المتوسط في محل آخر الى ١٨/٠٠٠ دولار، وتجد تحول مبدأ التكافل العام الى مجرد مساعدات صغيرة تمنح لتحقيق اغراض سياسية بحتة... اما التنمية الانتاجية فهي اما معدومة أو انك تجدها تنمية كاذبة بقيام معامل المونتاج المعتمدة على الكفر العالمي تماماً والتي تفقد صفتها المستقلة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي تصب في جيوب مجموعة من المترفين الكبار المستغلين.

وهكذا نجد الترف والاسراف في جهة، والجوع والحرمان في جهة اخرى، ونجد

كل منطقة تتعامل مع المنطقة الاسلامية الاخرى كعميل اجنبي لافرق بينه وبين أي عميل آخر.

وهكذا يصدق قوله (عليه السلام) في تعبير رائع عن الصورة القائمة «اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بَدَل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً... أفهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا اعزاً أوليائه عنده؟ هيهات...» (١٨٧)

وفي ختام هذا الحديث نود ان نقدر للثورة الاسلامية الكبرى في ايران بقيادة الامام الزاهد العالم الشجاع الخميني الكبير على ما قامت به من خطوات رائعة في سبيل اعادة الصورة الاسلامية الاوفر وتحقيق الاهداف الكبرى الاخرى، ونحن نشير الى ذلك باختصار:

١- العمل على تنمية الانتاج وشكر أنعم الله باكتشاف الذخائر المتوفرة ولكن في اطار نفي السيطرة الاجنبية وحذف ما يقرب من اربعين الف خبير كانوا يمتصون دماغنا دون رحمة ويمهدون للاستعمار السياسي والثقافي.

٢- العمل على تحقيق القسط الاجتماعي عبر رفع مبادئ علي كلفها وتحقيق سيطرة قوية على منابع الأم مع الفسح المشروط للملكية الخاصة لكي تعمل عملها في اطار تنمية الانتاج ودون ان تؤثر على اختلال التوازن او تنكص عن اداء مهمة التكافل.

٣- العمل الحثيث على تركيز المقومات النفسية التي اشرنا إليها حتى لنكاد نجزم انها اليوم اكبر تأثيراً من أي اجراء قانوني.

٤- تطبيق الاحكام الاسلامية الثابتة واحداً بعد الآخر مما يترك اكبر الآثار في هذا المجال.

٥- التأكيد على الطبقة المحرومة وبذل اقصى المساعي للارتفاع بها.

٦- العمل على منع تركُّز الثروة والافادة من باقي الاشاعات الاسلامية.

ان ثورتنا الاسلامية لتفتخر انها اتبعت رسول الله (ص) خير اتباع وطبقت تعاليمه الالهية التي فهمها تلميذه أمير المؤمنين وطبقها عملياً في عهده الزاهر.

نفي الترف

وعن الرسول (ص) يتحدث فيقول: «وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَكْلٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبِيدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْفَعُ بِيَدِهِ نُوبَةَ وَبِرَكْبِ الْحِمَارِ الْعَارِي وَيُرِدُّ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ أَلْسَرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ النَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «بِإِفْلَاقَةِ - لِاحِدَى أَزْوَاجِهِ - غَيْبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَخَارَفَهَا». (٢٢٨)

الأنبياء كانوا مستضعفين جياً مجاهدين ...

يصفهم فيقول عنهم: (وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ، فَدَاخَتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَأَبْنَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَأَمْتَحَتَهُمُ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَقْضَتَهُمُ بِالْمَكَارِهِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا أَرْضِي وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدَ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالِاخْتِيارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالِاقْتِدَارِ. فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «الْمُحْسِبُونَ إِنْ مَا تُمِيدُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم) (٢٩١)

ذم الاسراف، والحزن أكثر من الحاجة

من كتاب له الى زياد:

«فدع الاسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجو ان يعطيك الله أجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين، وتطمع - وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، ان يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وانما المرء مجزي بما أسلف، وقادم على ما أقدم»

من أروع النصوص تطبيقاً للتوحيد بين المصالح الذاتية والاجتماعية

«فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك - فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه فاعتنمه وحمله اياه، واكثر من تزويدك وانت قادرٌ عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده، ونغتم

من استقرضك في حال غناك لييجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبه
كووداً...» (٣٩٨)

كسر النفس عن الشهوة

«وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس أماره بالسوء إلا مارحم
الله» (٤٢٧)

«المال مادة الشهوات» (٤٧٨)

«ماجاع فقير إلا بما متع به غني»

«ماعال من اقتصد»

«استنزلوا الرزق بالصدقة» (٤٩٨)

زهد علي

فوالله ماكنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وقرأ، ولااعدت لبالي
ثوبي طمراً، ولاحزت من ارضها شبراً.
وأيمُ الله - يميناً استثني فيها بمشيئة الله - لأرُوضن نفسي رياضةً تهش معها الى
القرص اذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً ولأدعن مقتلي كعين ماء، نَصَب
معينها، مُستفرغة دُموعها، أتمتليء السائمة من رعيها فتبرك؟ وتَشيع الرَبِيضَةُ من
عُشبها فتربض، و يأكل عليٌّ من زاده فيهجع؟ قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين
المتطاولة بالبهيمة الهاملة.

الضمان والعمل

«قد تكفل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلايكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم
من المفروض عليكم عمَلُهُ» (١٧١)

الوالي غير يخيل

«وقد علمتم انه لاينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام

وامامة المسلمين البخيل، فتكون في اموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم
بجبهله» (١٨٩)

المال للآخرين والصبر للنفس

«فن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير
والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب،
فان فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، وذرك فضائل الآخرة
- ان شاء الله» (١٩٨)

بين الزهد والانفاق

يقول للعلاء بن زياد الحارثي وقد رأى سعة داره:

ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وانت اليها في الآخرة كنت أحوج؟
بلى ان شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف وتصل فيهما الرحم، وتطلع منها
الحقوق مطالعها، فاذا انت قد بلغت بها الآخرة. (٣٢٤)

التنمية الاقتصادية

«واعلموا ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في
دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، واكلوها
بأفضل ما اكلت، فحضوا من الدنيا بما حظي به المترفون».

العمل الاقتصادي

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب
بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح.

ضمان أهل الذمة

روي في وسائل الشيعة عن علي (ع) انه مرّ بشيخ مكفوف كبير يسأل فقال أمير المؤمنين ما هذا؟ فقيل له يا أمير المؤمنين انه نصراني فقال الامام: استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال.

تحريك الهمة للعمل وعدم الطمع بما في أيدي الناس

يقول لولده الحسن (ع):

«واياك ان تجحف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذونعمة فافعل فانك مدرك قَسَمَك، وأخذ سهمك، وان اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وان كان كلُّ منه» (٤٠٢)

كرامة النفس

(ما قبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى) (٤٠٤)

الحاكم والشعب

«ولكن هيئات ان يغلبني هواي و يقودني جشعي الى تحيّر الاطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبّع أو أبيت مبطاناً وحوالي بطون غرثي، واكباداً حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وَحَسْبُكَ إِذَا أَنْ نَبَيْتَ بَيْطَةَ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقَيْدِ

أقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فاخلقت ليشغلني اكلُ الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها...» (٤١٨)

أما على الصعيد القانوني

فإننا نلمح التطبيق الكامل للتعالم الإسلامية في دولة علي الإسلامية ونذكر من الخطوات التي تمت في هذا السبيل:

١- إعلان الإمام لواليه على مصر أن التجار هم مواد المنافع وهذا يعني أن التجارة يجب أن تتخذ وجهة اقتصادية وتبتعد عن الاعيب الانحراف بالمال عن وظيفته الرئيسية فيقول (عليه السلام):

(ثم استوصى بالتجار وذوي الصناعات وأوصى بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببيدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعده والمطارح).

٢- وإعلانه عن الاتجاه الإسلامي لمنح نتيجة العمل على المادة الابتدائية أو شبيهها (كما يؤخذ في الحرب) للعامل نفسه ولهذه القاعدة تأثيرها إلى حد ما حتى في المجال الآخر (أي العمل على غير المادة الابتدائية) فيقول (ع) لأحد أصحابه وقد جاءه يطلب مالاً:

«إن هذا المال ليس لي ولالك، وإنما هو فيء للمسلمين، وجلبُ أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجنحة أيديهم لا تكون لغير أفواههم». (٣٥٣)

٣- توفير أقصى حد من الأمن الاجتماعي الذي يساعد للغاية على تحقيق الأهداف الإسلامية في المجال الاقتصادي.

و يتم ذلك عبر تطبيق نظام العقوبات الصارم بحق عمليات الاغتياال الاقتصادي والسرقة وقطع الطريق والربا والاحتكار والكنز والقمار واهدار الثروات، وراح يعلن أنه يسترجع اموال الأمة حتى ولو تزوجت به النساء.

فيقول (ع) عن بعض الاموال التي رأى أنها اخذت بغير حق:

«والله لو وجدته قد تزوج به النساء، ومُلك به الاماء لرددته، فان في العدل سعة،

ومن ضاق عليه العدل فالجوز عليه اضيق».

وبالنسبة للاحتكار يقول لمالك:

«فامنع من الاحتكار، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن

البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حُكراً، بعد نهيك اياه فنكّل به وعاقبه في غير اسراف» (٤٣٨)

والملاحظ هنا ايضاً ان المنع من الاحتكار هو نوع من انواع السيطرة المركزية على الاقتصاد، ومن هنا فهو يطرح التسعير الحكومي ...

٣- ومن المبادئ العملية التي طرحها الامام اتباعاً للاسلام هو مسألة التأكيد الحكومي وتوجيه السياسة الاقتصادية نحو الطبقة الفقيرة أو كما عبر الامام (الطبقة السفلى)، ومن الواضح ما لهذا التأكيد من دور في تحقيق التوازن وبالتالي تحقيق العدالة الاقتصادية.

فيقول مالك :

«ثمَّ اللهُ اللهُ اللهُ في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى، والزمنى، فان في هذه الطبقة قانعا ومعترأ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، وأجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للأدنى... فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم...» (٤٣٨).

٤- طرح مسألة التسوية في العطاء في الاموال العامة التي يشترك فيها المسلمون على السواء وكانت هذه خطوة ثورية أزعجت الكثير من ذوي التكبر والأشراف فراحوا يتوسلون بمختلف الوسائل ليعدل عن هذه السياسة ولكنه كان يجيبهم بأمثال هذه الاجوبة:

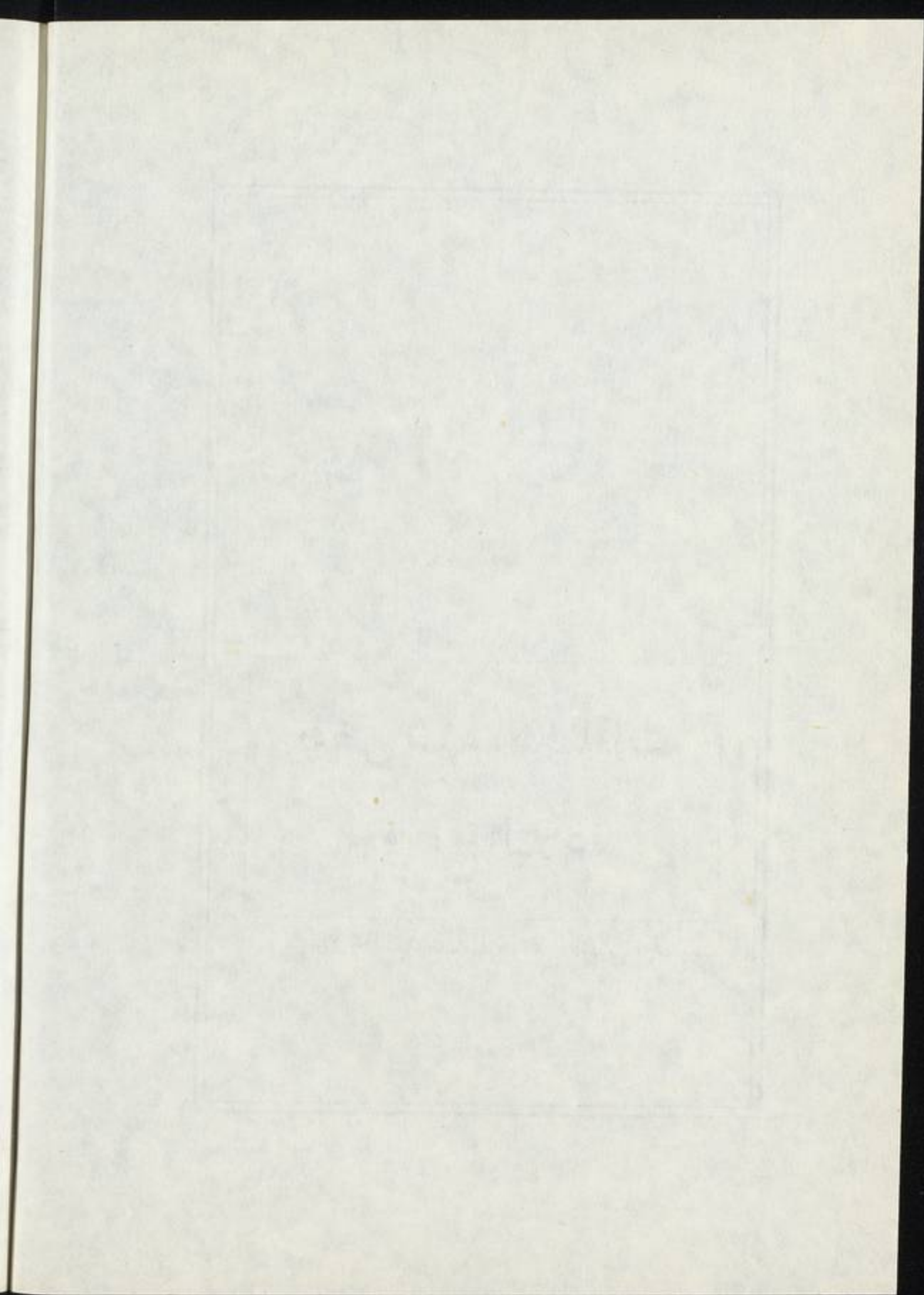
«أتأمروني ان أطلب النصر بالجور فيمن وُليت عليه، والله لا أطوره به ماسر سمين، وما أم نجم في السماء نجماً، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله الا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف» (١٨٣).

٥- العمل على منع تركّز الثروة باساليب مختلفة؛

منها مامر من منع الاحتكار والكنز والتسعيرة الحكومية، ومنها الاصرار على جميع الضرائب الزكوية الثابتة ومنها فرض الضرائب (غير الزكوية المتعارفة) على الاجناس.

نقض شبهة الاضافات
في نهج البلاغة

بقلم: السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.
من الشبه التي حامت حول «نهج البلاغة»، شبهة الزيادات في «النهج» فقد زعم مشيرو هذه الشبهة أن الشريف الرضي بعد فراغه من جمع «نهج البلاغة» ترك أوراقاً من البياض في آخر كل باب من أبوابه الثلاثة «لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد» فلم يبق «النهج» على ما وضعه الرضي بل تعرض لاضافات وزيادات حتى بلغ الى هذا الحد من الضخامة.

وقد تكلمنا عن هذه الشبهة باقتضاب في «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» تحت عنوان: «مشكلة الاضافات».

والواقع ان هذه الدعوى من الافتراء المحض كالاقتراء بان «نهج البلاغة» من وضع الشريف الرضي، وهي ممنوعة لأمر:

(الأول) أن النسخة التي بخط الرضي رحمه الله كانت موجودة في زمن ابن أبي الحديد المتوفى سنة (٦٥٥ أو ٦٥٦) كما ذكر ذلك عند شرح الكلام (٢٢٨) من باب الخطب «لله بلد فلان» الخ قال: «وفلان المكئي عنه عمر بن الخطاب» قال: «وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع «نهج البلاغة» وتحت فلان عمر» قال: «حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الشاعر الأديب»^١.

وابن أبي الحديد ألف «شرح نهج البلاغة» ما بين سنة (٦٤٠) و(٦٤٤) «فالنهج» إلى هذا الحد سالم من التغيير والاضافة، بل والى زمن كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم^٢

البحراني المتوفى عام (٦٧٦) لأنه أشار الى نسخة الرضي في مواضع من شرحه على نهج البلاغة.

(الثاني) أن كانوا - كعادتهم في رواية الكتب - يروون «نهج البلاغة» خلقاً عن سلف، ولا يكتفي بعضهم بروايته من طريق واحد، وإليك مثلاً «واحداً» من ذلك .
يوجد في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف نسخة من «نهج البلاغة» بخط السيد نجم الدين الحسيني الطبري فرغ من كتابتها يوم السبت من آخر صفر سنة سبع وستين وستمائة، وهي النسخة التي وصفها الأفتدي في «رياض العلماء» بقوله: «السيد نجم الدين أبو عبدالله الحسين بن أردشير بن محمد الطبري كان فاضلاً عالماً جليلاً، وكان من تلامذة الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد ويروي عنه» قال: «وقد رأيت في اصفهان نسخة من «نهج البلاغة» بخطه وتاريخ كتابتها سنة (٦٦٧) آخر صفر بالحلة السيفية في مقام صاحب الزمان عليه السلام عليها خط نجيب الدين المذكور، وهذه صورة خطه الشريف: أنها أحسن الله توفيقه قراءةً وشرحاً لمشكله وغريبه، نفعه الله وإيانا به بمحمد وآله، وكتب يحيى بن الحسن بن سعيد سبع وسبعين وستمائة وعليها خط السيد محمد بن أبي الرضا العلوي أيضاً، وهذه صورته: «أنها أدام الله بقاءه قراءة مهذبة، وكتب محمد بن أبي الرضا» وانتهى .

ثم أنه كان على ظهر النسخة أيضاً هكذا:

«قرأ عليّ السيد الأجل الأوحّد الفقيه العالم الفاضل المرتضى نجم الدين أبو عبدالله الحسين بن أردشير بن محمد الطبري - أصلح الله أعماله وبلغه أماله - كلّ ذلك الكتاب من أوله الى آخره فكلّ له الكتاب كلّه، وشرحت مشكله، وأبرزت له كثيراً من معانيه، وأذنت له في روايته عني عن الفقيه العالم المقرئ المتكلم مجدّ الدين أبي حامد محمد بن علي بن عبدالله بن زهرة الحسيني الحلبي - رضي الله عنه - عن الشيخ الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن معد الحسيني المروزي عن أبي عبدالله محمد بن علي الحلواني عن السيد الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي، وعن الفقيه عزّالدين أبي الحرث محمد بن الحسن بن علي الحسيني البغدادي عن قطب الدين أبي الحسين الراوندي عن السيد بن المجتبي المرتضى ابني الداعي الحسين الجليبي، عن أبي جعفر الدورستي عن السيد الرضي، فليروه عني متى شاء (بياض بالأصل) سنة سبع وسبعين وستمائة.

وعلى النسخة: صورة للمقابلة بنسخة صحيحة في الحضرة الغروية (تاريخها) في شهر رمضان سنة (٧٢٦).

وهذه النسخة في مكتبة (الامام الحكيم العاقمة في النجف الأشرف) وقد اطلعت عليها بنفسني .

واستمرت عادة العلماء برواية «نهج البلاغة» بالاجازة ، ونقله بالسماع ، وضبطه بالمقابلة من يوم صدوره الى زمن متأخر.

وقد أحصى شيخنا الأميني -عظّر الله مرقده- في الغدير ١٩٣/٤ تسع عشرة اجازة ابتداء في سنة ٤٩٩ إلى سنة ١٠٩٦هـ.

وقد اطلعت في العام الماضي (١٤٠٣) في مكتبة گوهرشاد في خراسان على نسخة من (نهج البلاغة) بخط محمد بن علي بن الحسن الحسيني، تاريخ الفراغ من تحريرها يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى سنة ٨١٨، وقد دققها العلامة المجلسي رحمه الله وكتب في آخرها بخطه الشريف ما هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أناه المولى الأولى الفاضل الكامل الذكي الرضي البهي المحقق المدقق جامع الفضائل النفسانية مولانا محمد مؤمن الرازي أيده الله تعالى سماعاً وتصحيحاً وتدقيقاً في مجالس شديدة آخرها ثامن شهر رجب الأصب من شهور سنة اثنتين وتسعين بعد الألف هجرية فأجزت له دام توفيقه أن يرويه عتي مع سائر ما أخذته متي بأسانيده المتصلة الى أرباب العصمة صلوات الله عليهم أجمعين، وكتب بيده الدائرة أفقر العباد إلى عفوربه محمد باقر بن محمدتقي عفي الله عن جرائمها حامداً ومصلياً ومسلماً».

(الثالث) هناك نسخ خطية من (نهج البلاغة) لا تزال موجودة تختلف تواريخها ولا تختلف محتوياتها وإليك بعضها:

أ - نسخة رأيت مصورتها عند العلامة الدكتور السيد جواد المصطفوي مؤلف كتاب «الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة» تبتدىء من الخطبة (٣٢) التي أولها (إنّا قد أصبحنا في دهر عنود... الخ) تاريخ كتابتها كما في آخرها: «فرغ من كتابته فضل الله بن طاهر بن مطهر الحسيني في الرابع من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة حامداً لله تعالى ومصلياً على رسول الله وآله الطاهرين.»

ب - نسخة السيد محمد المحيط الطباطبائي بطهران ذكرها الشيخ آغا بزرك في حرف النون من الذريعة تاريخ كتابتها سنة (٥١٢).

ج - نسخة السيد محسن الكشميري الكتبي ببغداد تاريخها سنة (٥٢٠) ذكرها الشيخ أيضاً في حرف النون من الذريعة.

د - نسخة رأيها أنا في مكتبة الآثار (المتحف العراقي) ببغداد برقم (٣٥٦) مخطوطات كاملة جيّدة الخط، واضحة الرسوم تأريخها كما في آخرها مكتوب بالحمرة هكذا بالحرف الواحد: «آخر كتاب (نهج البلاغة) فرغ من كتابته محمد بن سعيد بن الحسين العامري يوم الجمعة لإثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة خمس وستين وخمسائة» وقد ذكرت خصوصيات هذه النسخة في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) ١٨٨/١ وقلت: إن هذه النسخة من أتقن النسخ الخطيّة من (نهج البلاغة) ولكن الأرضة قد دبت إليها ونخرت بعض صفحاتها مع الأسف الشديد.

هـ - نسخة مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية برقم (٤٨٤٠) أدب كتبت بقلم النسخ الجيّد، مضبوطة بالشكل الكامل، ومعلّاة بالذهب، وبالازورد، وبصفحة العنوان دائرة مذهبة برسم خزانة (غياث الحق الدين) يليها صفحتان متقابلتان منقوشتان بنقوش هندسية بالذهب والألوان وبداخلها عنوان (كتاب نهج البلاغة من كلام علي عليه السلام والصلاة على محمد وآله الطاهرين) وبعض عناوين النسخة مكتوبة بالذهب، وفواصل الفقرات محلّات بالذهب أيضاً وبآخرها خاتمة النسخة داخل حلّية مذهبة جاء بها (تم الكتاب بالحضرة الشريفة المقدّسة الغرورية النجفية بمشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخي الرسول، وزوج البتول، والوالد أولاد الرسول صلوات الله عليهم وكتبه وذهبه الحسين بن محمد الحسين سنة اثنتين وثمانين وستمائة) وعلى هذه النسخة ضبط الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم الأصل من شرح نهج البلاغة في طبعته التي أشرف على تحقيقها والتعليق عليها.

و - نسخة بخط الحسن بن محمد بن عبد الله بن علي الجعفري سبط أبي الرضا الراوندي تاريخها سنة (٦٢١) بمكتبة مدرسة السيد اليزدي قدس سره في النجف الأشرف.

ولاحاجة بنا إلى ذكر النسخ الخطيّة بعد تاريخ (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد لأنّه ضبط أصل (النهج) وقد اطلعت على كثير منها، وتعرضت لذكر بعضها في «مصادر نهج البلاغة وأسانيده».

فن أين تسربت هذه الزيادات ولماذا لم يعثر أحد على نسخة واحدة خالية من هذه الاضافات المزعومة؟! ولماذا لم يقل بهذا أحد من القدامى حتّى الذين يذهبون إلى أنّ

في (النهج) شيئاً منحولاً؟

وكيف تواطأ ناسخو النهج وشراحه ورواته مع اختلاف أوطانهم وأزمانهم، بل واختلاف مذاهبهم ومشاربهم على الإضافة والتغيير.

ومن العجب ما قاله الأستاذ العقاد في (عبقريّة الامام) ص ١٧٧: «إنّ التنبؤات التي جاءت في (نهج البلاغة) عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتر وما إليها من مدخول الكلام عليه ممّا أضافه النساخ الى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل» ولو سلمنا جديلاً أنّ الاخبار عن الحجاج وفتنة الزنج أضيفت الى الكتاب بعد صدوره بزمن قصير أو طويل - لأنّه لا يريد أن يتهم الرضي بالوضع - فلا يمكن أن نسلم بإضافة الأخبار عن فتنة التتار وكلّ حوادث التتار من حملة جنكيزخان الى احتلال هلاكو بغداد كان ما بين سنة (٦١٦) وسنة (٦٥٦) وهذه نسخ «النهج» المخطوطة والتي استعرضنا بعضها ومنها نسخة مكتبة الآثار ببغداد التي ذكرنا أنّ تاريخها كان سنة (٥٥٦) أي قبل وقوع تلك الحوادث بمائة عام وفيها الكلام الذي يشير فيه أمير المؤمنين عليه السّلام الى تلك الفتن والحن وهي لا تختلف عن النسخ المطبوعة فضلاً عن المخطوطة.

وهذا ابن أبي الحديد وقعت اليه عدّة نسخ من الكتاب وفيها ما كتب في حياة الشريف الرضي رحمه الله كما أشار الى ذلك في مواضع من (شرح نهج البلاغة) يستشعر هذه الإضافات المزعومة بل نراه يقول في شرح الخطبة التي أشار فيها أمير المؤمنين عليه السلام الى التتار: «إنّ هذا الغيب الذي أخبر عليه السّلام عنه قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الثّاس ينتظرونه من أوّل الاسلام حتّى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا وهم التتر الذين خرجوا من أقاصي المشرق»^٥.

نعم يوجد بعض نسخ من (نهج البلاغة) ومنها نسخة (مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف) التي وصفها صاحب الرياض - كما تقدّم - تنتهي بالحكمة رقم (٤٦٨) وهي قوله عليه السّلام: (ربّ مفتون بحسن القول فيه) وقد دخلت من الكلمات القصار بعدها وهي ثمان عشرة كلمة.

والجواب عن هذا أن ابن أبي الحديد بعد أن فرغ من شرح قوله عليه السّلام: (ربّ مفتون بحسن القول فيه) قال:

«واعلم أنّ الرضي رحمه الله قطع كتاب (نهج البلاغة) على هذا الفصل وهكذا وجدت النسخة بخطه، وقال - أي الرضي -: وهذا حين انتهاء الغاية بما إلى قطع المنتزع

من كلام أمير المؤمنين حامدين الله سبحانه على مامن به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه، وتقريب ما بعد من أقطاره، ومقررين العزم كما شرطنا أولاً على تفصيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب لتكون لاقتناص الشارد، واستلحاق الوارد، وما عساه أن يظهر بعد الغموض، ويقع بعد الشذوذ وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل» انتهى كلام الرضي.

قال ابن أبي الحديد: (ثم وجدنا نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام - يعني الثماني عشرة كلمة التي أشرنا إليها - قيل: إنها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي رحمه الله وقرأت عليه فأمضاها وأذن بإلحاقها بالكتاب).

وستعرف - إن شاء الله - إذا اطلعت على مصادرها في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) أن هذه الكلمات مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام وأن الرضي رحمه الله هو الذي أضافها خصوصاً إذا قرأت تعليق الرضي عليها وبالأخص تعليقه على الكلمة (٤٦٦) وهي قوله عليه السلام: (العين وكاء السه) حيث قال: «وهذا من الاستعارات العجيبة كأنه يشبه السه بالوعاء والعين بالوكاء فاذا أطلق الوكاء لم ينضب الوعاء» قال: «وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد رواه قوم عن أمير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد في كتاب (المقتضب) في باب اللفظ بالحروف، وقد تكلمنا عن هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم (بمجازات الآثار النبوية)».

وكتاب (بمجازات الآثار النبوية) أو (المجازات النبوية) كما يسمّى أحياناً من كتب الرضي التي لا يختلف فيها اثنان، يضاف إلى ذلك أن الرضي ذكر هذه الكلمة في المجازات ص ٢٠٨ وعلق عليها بقوله: «ومن الناس من ينسب هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في كتاب (المقتضب) في (باب اللفظ بالحروف) وفي الأظهر الأشهر أنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم».

فتراه احتاط في نقل الكلام في (المجازات) كما احتاط في نقله في (النهج) وقارن بين التعليقتين ليظهر لكن أن الذي ألحق هذه الكلمات الرضي نفسه، وزد على ذلك أنها مروية في كتب غير نهج البلاغة كما ذكرنا ذلك في (المصادر).

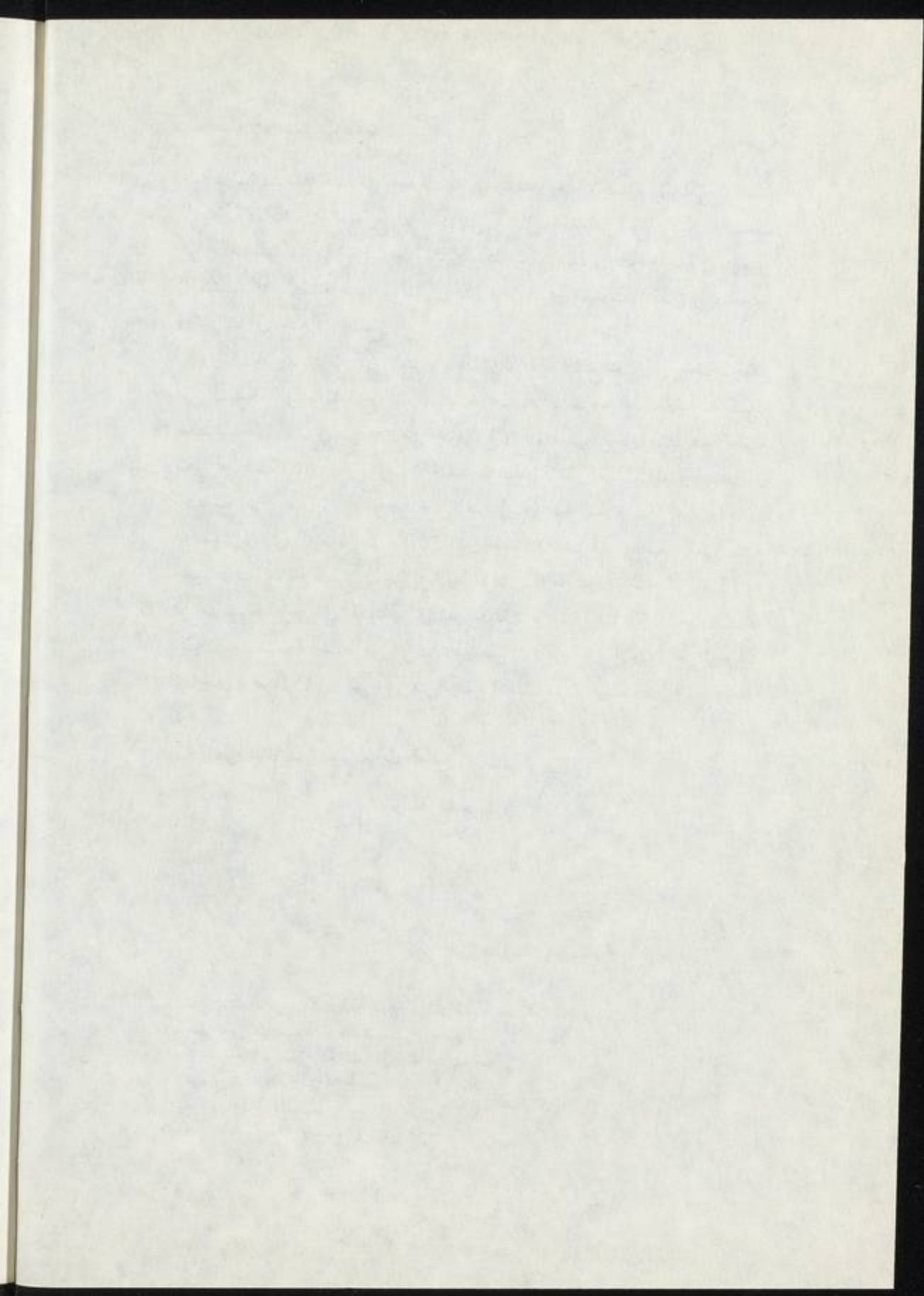
بقي شيء آخر لابد من التنبيه عليه، وهو اختلاف ترتيب نسخ النهج بتقديم بعض الخطب والكلمات في نسخة وتأخيرها في نسخة أخرى والسبب في ذلك أن بعض النسخ كتب الخطبة اللاحقة قبل السابقة سهواً ثم تنبه فكتب السابقة بعد اللاحقة

من دون تنبيهه فجاء من بعده فنقلها كما وجدها وهذا لا يضر، ولا يقلل من أهمية الكتاب ولا يقدح في نسبه بعد الاتفاق على أنّ كلّ واحدة من نسخ (النهج) اشتملت على ما اشتملت عليه الأخرى، وقلّ أن يخلو كتاب من ذلك، ونظرة واحدة في هوامش الكتب التي تطبع طباعة فنية في هذا الزمن لنرى تعليقات المحققين والمصحّحين وأشاراتهم الى اختلاف النسخ.

وأما نبهنا على ذلك كي لا يتورط أحد فيما تورّط به الشيخ محي الدين الخياط فعلق على النسخة التي عليها شرح العلامة الشيخ محمد عبده المطبوعة على نفقة محمد كمال بكداش حيث قال في ص ٣٨٨ من الجزء الأول: «لم يذكر ابن أبي الحديد هذه الخطبة يعني الخطبة (١٨٥) التي أولها (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد) وما بعدها الى الخطبة التي أولها (روي أنّ صاحباً لأمر المؤمنين عليه السلام يقال له همام) قال: «ولذلك لا ترى كلاماً» بعد الآن لابن أبي الحديد أن تمرّ هذه الخطبة» انتهى كلام الخياط مع أنّ الخطبة التي أشار إليها وما بعدها كلّها مذكورة في شرح ابن أبي الحديد غير أنّ نسخة ابن أبي الحديد من (النهج) تختلف عن غيرها في الترتيب وبحسب أن تقارن بين نسخة الخياط من ص ٣٨٨ الى ص ٤٣٢ من الجزء الأول وبين شرح ابن أبي الحديد ص ١٩٤ الى ص ٢٤٥ من المجلّد الثالث لترى كيف وقع الخياط في هذا الوهم^٧.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- ١- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد مجلد ٣، ص ٩٢ طبعة بيروت، دار احياء التراث العربي.
- ٢- حكى بعض العلماء أن ميثم حينما وجد فهو بكسر الميم إلى ميثم البحراني فأنه يفتحها.
- ٤- مقدّمة نهج البلاغة تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ص ٢١ طبعة مصر.
- ٥- شرح نهج البلاغة مجلد ٢ ص ٣٤٢ طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٦- شرح نهج البلاغة م ٤/ -
- ٧- وانظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١٩٩/١.

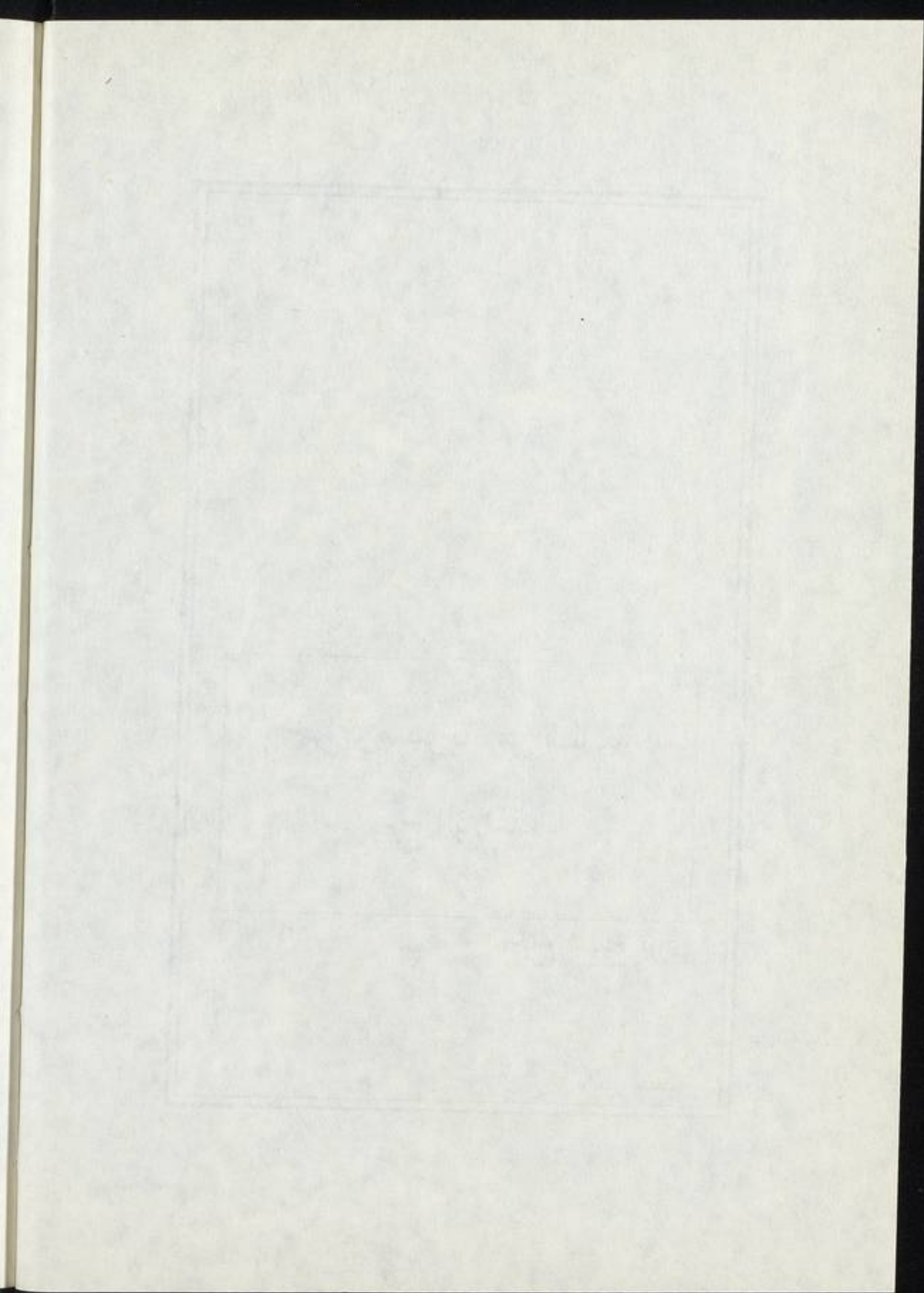


خواطر مستوحاة من مطالعة

نهج البلاغة

الحاج الشيخ توري

داكار، سنغال



بسم الله الرحمن الرحيم

«نهج البلاغة نهج المسلمين الى الوحدة والسيادة والمجد»

« وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسماه به إلى الملكوت الأعلى، ومما به إلى مشهد النور الأجل، وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس. وأتأت كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الأمة يعرفهم مواقع الصواب، ويصرهم مواضع الارتباب، ويرشدهم إلى دقات السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير. ذلك الكتاب الجليل هو جزمة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه».

وردت هذه في الكلمة التي قدم بها الأستاذ الامام محمد عبده شرحه لنهج البلاغة (طبع المؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت - لبنان).

شهادة ليست كالشهادات التقريضية المعروفة، انها في اغلبها تصدر عن رغبة في المجاملة وقلما تكون عن تقدير صادق، انها شهادة مندهش منبر أمام كتاب لا يعرف له مثيلاً. انها شهادة العالم المصلح المصري الشهير الأستاذ الامام محمد عبده، شيخ الازهر

ومفتي الديار المصرية سابقا. يشهد عن خبرة وتجربة بعد اطالة النظر والفكر. وخطيب الحكمة السنادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الامة لتعريفهم مواقع الصواب وتبصيرهم مواضع الارتباب، وارشادهم الى دقات السياسة، واهدائهم طرق الكياسة، والارتفاع بهم الى منصات الرئاسة، وتصعيدهم شرف التدبير، والاشراف بهم على حسن المصير» هو الذي كرم الله وجهه، فلم يسجد قط لصنم، ولم يعبد حتى في صباه غير الله. وهو الوحيد الذي رباه الرسول الاكرم في بيته بنفسه، وعلمه من علمه اللدني، فارتوى منه حتى لقبه قائلا: «أنا مدينة العلم وعلي باب» وهو ابن عمه الذي زوجه بأحب بناته. وهو الذي تطوع وأخذ مكانه على فراشه ليلة المؤامرة لاقتدائه بنفسه، ولم ينزل يلازمه في جل تقلباته في حله وسفره. وتكون بذلك على مثاله الفريد تكويننا نبويا خاصا أعده ليكون له عن استحقاق بمنزلة هارون لموسى. وهو مدمر رؤوس الكفار ورافع رأية الاسلام كرم الله وجهه.

ان الرتبة الفريدة، - الثالثة - التي يعتليها كتاب نهج البلاغة بعد كتاب الله وسنة رسوله، باعتراف جميع العلماء على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، كمنزلة صاحبه علي بن ابي طالب عليه السلام من الرسول دون بقية الصحابة. لا يعرف أحد لاي كتاب آخر مثلها لنهج البلاغة من دقة النظر وصدقه وعمقه وشموليته، ودوام صلاحية تصويراته وتحليلاته وحلوله المقترحة للناس والاشياء والحقائق والمشاكل في كل زمان ومكان.

فكل جملة من جمل أغلب مواضع الكتاب تذكّر إما آية قرآنية أو حديثا نبويا كما لوضعت تلخيصا أو تفسيرا للآية أو الحديث. ان نهج البلاغة فضلا عن كونه يهدي الى فهم القرآن والسنة الفهم الصحيح السليم، فانه يصلح أن يكون ميزانا توزن به السنة لتمييز الصحيح منها من المزيف. ولاغرو في ذلك، لان صاحبه، كرم الله وجهه، كما يقول محمد عبده في موضع آخر، كاتب وحي الرسول وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته واحفظهم لقوله... ولازمه فتيا وياقعا في غدوة ورواحه، وسلمه وحر به حتى تخلق بأخلاقه، واتسم بصفاته وفقه عنه الدين، وثقف منازل به الروح الامين. فكان من أفتقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأوعاهم وأدقهم في الفتيا، وأقربهم الى الصواب. وحتى قال عمر: «لابقيت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن» أو «لولا علي لهلك عمر». والميزان الذي قدمه لمن سأله عن أحايث البدع وعمها في أيدي الناس من اختلاف الخبر لا زال ولن يزال أحسن الميزان لمن يتعامل مع السنة:

« إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. ولقد كذب علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيباً: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وإنما أتاك بالحدِيث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان، متصنع بالاسلام لايتأثم ولايتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوه منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك. ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا الى ائمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا الامن عصم الله فهو من أحد الاربعة.

- ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول أنا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو علم المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه، ولو علم هو انه كذلك لرفضه.
- ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به، وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون اذ سمعوا منه انه منسوخ لرفضوه.
- وآخر رابع، لم يكذب على الله ولا على رسوله مبعوض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتهم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه.
- وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان، فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عني الله به، ولا ما عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من اجله. وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا يحبون أن يحيى الاعرابي والطارقي فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت عنه وحفظته. فهذه وجود ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم».

وقد لخص الامام كل هذا بجملته واحدة بقوله عليه السلام في رسالته الشهيرة الى الاشر النخعي: «والرد الى الرسول، الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة»
ليس هاهنا جل الاسباب الرئيسية للخلافات والتفرق بين المذاهب الاسلامية سيما بين السنة والشيعة؟ وهاهنا ايضاً أعني في تفهم درس الامام هذا، واستخلاص النتائج المنطقية. منه وسائل تسوية هذه الخلافات.

ان الموضوع المفضل عند الامام وهو الذي لا يخلو منه خطبة ولا خطاب ولا رسالة ولا اي من تعليماته عليه السلام، ويشغل ثلثي نهج البلاغة على أقل تقدير، هو التوحيد وتصوير ذات الله تعالى وصفاته التي ضل فيها كثير من المتكلمين والفلاسفة المسلمين. وقد أفحم امير المؤمنين في هذا الباب الماديين والدهريين القدماء منهم والمعاصرين ولم يترك لمفلسف ولا متكلم لامعتزلي ولا أشعري الا لغو الكلام.

ولقد وقع بعض الباحثين في خطأ فاحش حينما استدلووا باستمرارية صلاحية لغة نهج البلاغة واسلوبه الى التشكيك في صحة نسبه الى الامام. فان هذه الظاهرة المتجلية حقا على صورة كلام الامام والتي نجدها على المعنى والمضمون اجلي وأصدق، ترجع الى حقيقة تاريخية أكيدة. الا وهي المنبع الالهي المحمدي الذي كان الامام علي يأخذ عنه مباشرة. والجهل بهذا الواقع او تجاهله هو الذي أضل كثيراً ومنع كثيراً من المسلمين سنة وشيعة من الاستفادة بالكتاب والاهتداء به كما ينبغي لتحقيق وحدتهم الضرورية لاعادة مجدهم المنشود.

يتناول الامام مثلاً، حالة العلماء والقضاة ومشكلة استقلال العلم والسلطة القضائية عن الحكم والحكام في زمنه، فلا تشك انه يصور الحالة البئيسة الراهنة التي نعيشها اليوم في كل بلدان العالم الاسلامي:

«ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقصاهم فيصوب آراهم جميعاً» (ص ٥١-٥٥ من الجزء الاول).

وفي ميدان العلوم السياسية والاجتماعية، لم يشق بعد غبار «نهج البلاغة». ففي رسالة عبدالله علي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام الى واليه في مصر مالك بن الحارث الاشر النخعي، نرى عجب العجاب، نرى كيف أن أفضل المتبحرين في هذا الميدان في كل انحاء الدنيا، مازالوا بعيدين جدا عن شأوه كرم الله وجهه،:

- تصنيعاً وترتيباً في غيبة من الدقة والصدق والشمول لكل الفئات العاملين

والمحكومين للدولة من:

«جنود الله وكتاب العامة والخاصة، وقضاة العدل وعمال الانصاف والرفق، واهل الجزية والخراج، والتجار واهل الصناعات، والطبقة السفلى من ذوالحاجات والمسكنة»

- مع وصف دقيق لخصائص و اخلاق و مميزات و ميول كل واحدة منها، و تحديد ادوارها و مآلها و ماعليها من الحقوق و الواجبات تجاه الدولة و المجتمع، مع التوجيه الى اصدق المواصفات التي يجب مراعاتها في اختيار من يستخدم منهم، كل ذلك دفعا للظلم و الجور، و منعا للفساد، و تحقيقاً للعدالة و الامن و العمار للبلاد و العباد.

و ليسمح لي بذكر فقرات من تلك التوجيهات السياسية العلوية التي نحن اليوم في اشد الحاجة اليها و التي تبرز تفوق السياسة الاسلامية على كل ما يتبجح بها الغرب و المتغربون.

للحاكم يقول الامام: «أمره بتقوى الله و ايثار طاعته». نعم فان تقوى الله و ليس الدهاء و الكياسة كما يظن الماديون، هو أهم ميزة الحاكم الافضل.

«و امره أن يكسر نفسه من الشهوات... أشعر قلبك الرحمة للرعية و المحبة لهم و اللطف بهم... فانهم صنفان إما أخ لك في الدين و إما نظير لك في الخلق... و قد استكفأك (الله) أمرهم و ابتلاك بهم... فلا تبجحن بعقوبة، و لا تسرعن الى بادرة... و من ظلم عبدا لله كان الله خصمه... و ليس شيء أدمى الى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من اقامة على ظلم... و الصق بأهل الورع و الصدق ثم رضهم على ان لا يظروك و لا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهور و تدني من العزة... اياك و الاعجاب بنفسك و الثقة بما يعجبك منها و حب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان... اياك و المن على رعيتك باحسانك و التزيد بما كان من قبلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بالخلف فان المن يبطل الاحسان و التزيد يذهب بنور الحق و الخلف يوجب المقت عند الله و الناس... اياك و العجلة بالامور قبل أوانها أو التسقط فيها عند امكانها... و اياك و الاستئثار بما للناس فيها أسوة... الحذر الحذر من العدو بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل...»

يحذره من البطانة و الخاصة، أي الاعيان و يوصيه بالعامة، أي الجماهير ليكن أبعد رعيتك منك و أشنأهم عندك أطلبهم بمعاييب الناس فان في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، و ليكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق و اعلمها في العدل و اجمعها

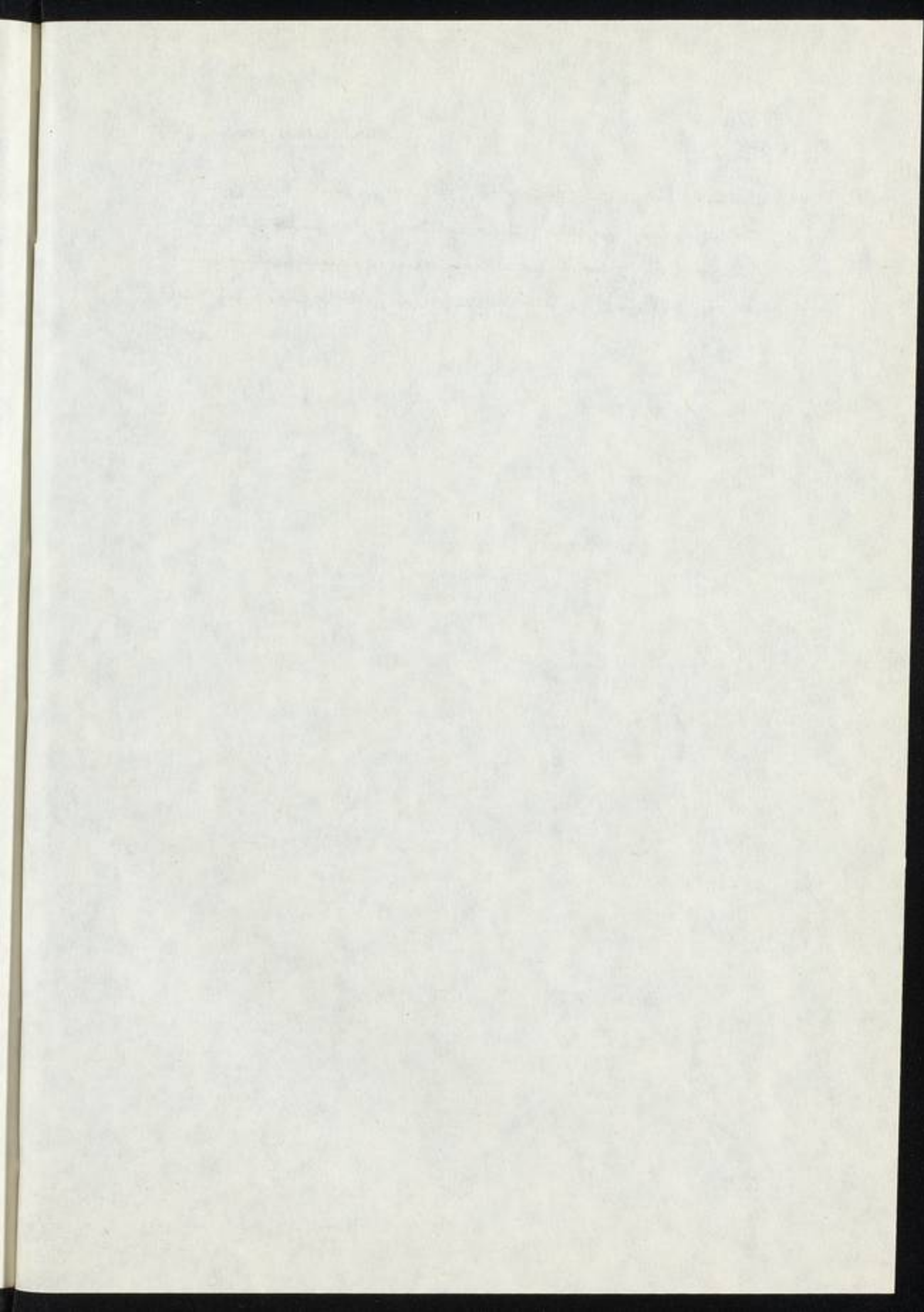
لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة... وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة في البلاء وأكره للانصاف وأسأل بالاحفاف وأقل شكرا عند الاعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبيرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة. فليكن صغوك لهم وميلك معهم... ان أفضل قرة عين الولاة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية... ولا يدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا، ولا تضعه امرئ الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما... ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استثثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطن لاحدى حاشيتك وحامتك قطيعة.

ويقول الامام بخصوص التجار، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله منع منه. وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع...
ومنع الاحتجاب عن الناس... وأما بعد فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك فان احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور ففيم احتجاجك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه.

وبأمر باعارة اهتمام خاص بعمارة البلاد وتحقيق الرفاهية والرفقة بالرعية... وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد وأهلك العباد... فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو احالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخريعود به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك... إنما يؤتي خراب الارض من إغوار أهلها وانما يعوز أهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء الظن بالبقاء.

احوج الجميع الى الانصاف الطبقة السفلى... ثم اتق الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمني... فلا تشخص همك عنهم... وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال. فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم. وتعهد اهل اليتيم وذوى الرقة

في السن ممن لاحيلة لهم... اجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك
وتجلس لهم مجلسا عاما... وتقعده عنهم جنودك وأعوانك من حرسك وشرطك حتى
يكلمك متكلمهم غير متعنت فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لن تقدس
أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوي غير متعنت» ثم احتمل الخرق منهم والعي ونجَّ عنك
الضيقة والانف.



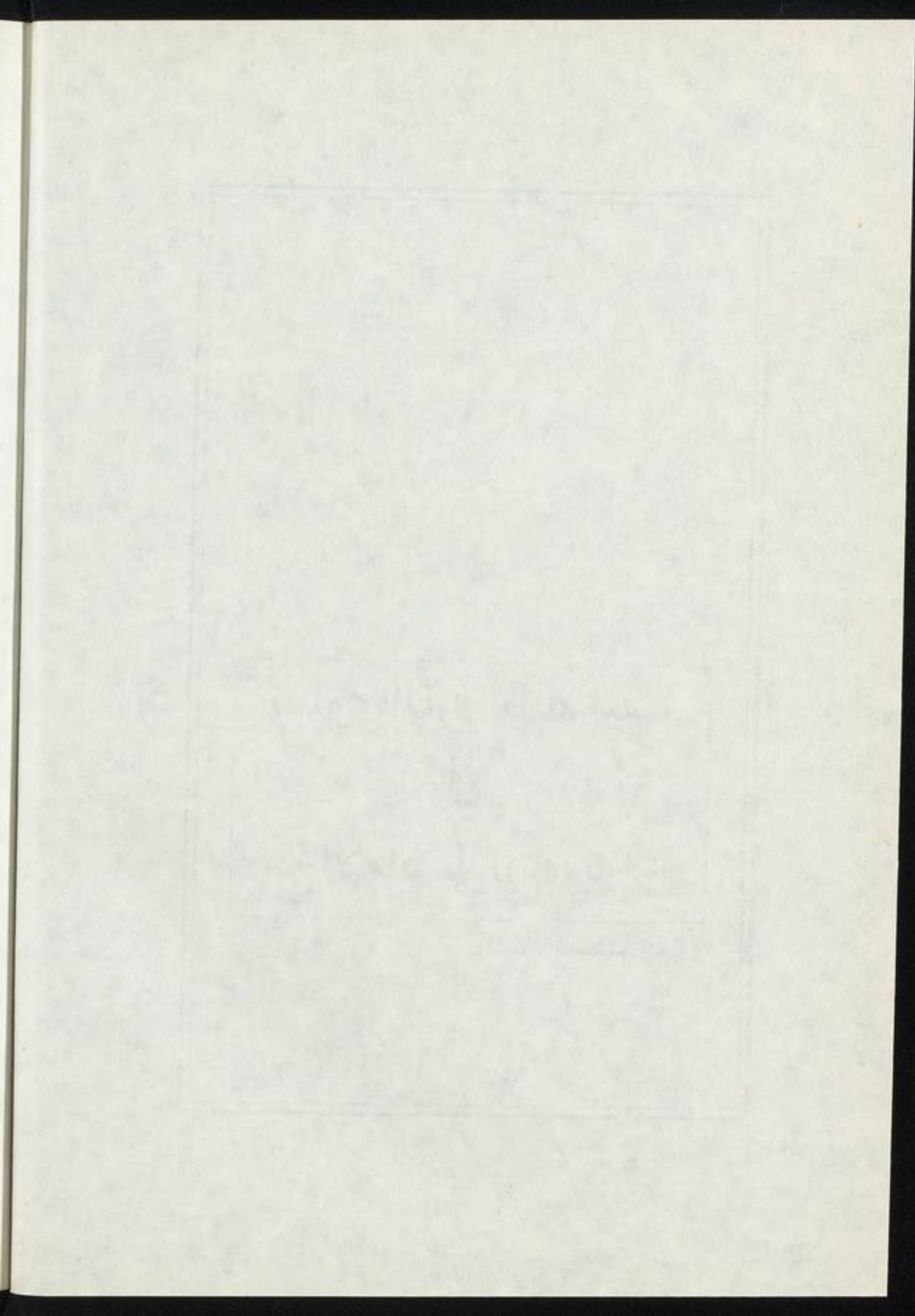
تساوي القوي والضعيف

في

نهج الإمام علي «ع» بالحق

الشيخ سليمان يحفوفي

لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، واحتار آدم (ع) خيرة منهم وجعله أول جيلته، وأسكنه أرضه وجعله خليفته ليعمرها بنسله وليقيم الحجة به على عباده.

فساوى بينهم في الخلق عدلاً منه وإنصافاً، وأمرهم باتباع الحق حفظاً لهم من التفرق والضلال. وأرسل رسله ليعبدوا من أخذه الكبر على أمثاله من أبناء أمه وأبيه إلى صوابه ويذكروه منسيّ نعمه ربه ويستأدوه ميثاق فطرته، فقد ساوى سبحانه بينهم في الخلق كما تساوا في الميثاق.

تساوى القوي والضعيف في نهج الامام علي (ع) بالحق

نهج الإمام (ع) في التساوي بين الاقوياء والضعفاء في الحقوق من مبدأ التساوى في الخلق. والتفاضل في التقوى. فالمنشأ واحد يتساوى فيه الجميع، والمصير كذلك والدنيا دار ابتلاء وامتحان يميّز الله الخبيث من الطيب وتجزي كل نفس بما كسبت.

وعلى هذا المنوال نسج الامام عدالته وساوى بين الحقوق والواجبات.

وقد ركز اهتمامه على أربع نقاط ليتمكن من تثبيت دعائم الحق ونشر لوائه وحفظه لأصحابه وهي كما يلي:

اولاً - عالج الاسباب الداعية للاعتداء

ثانياً - استثار النفوس لتحريك مواطن الخير فيها لتحافظ على الحقوق تلقائياً

ثالثاً - رسم خطة أسلوباً عمل لاعادة الحقوق لأصحابها حال الاعتداء عليها.
رابعاً - باشر شخصياً تطبيق الاسلوب تنفيذ الخطة فدفع حياته الشريفة ثمن
العدالة. وابقاها نصراً أبدياً تتحدث به الأجيال وتقتديه الحكماء.

النقطة الأولى:

الاسباب الداعية للاعتداء على الحقوق.
خلق الانسان ضعيفاً. والضعف مركب نقص فيه يحاول أن يسده، يسعى
للكمال فيعجزه القصد، - فنال الكمال بعيد ودربه شاق- فيمتلئ حقدأ.
يأكل الحقد نفسه، فينتصب عدواً لكل معاني السموي الحياة.
تثور نفسه - يغذيها قيحها المخزون - كلما سمع باسم الكمال أو نسب إلى أحد غيره،
و يروح ينتقص الكامل ويضع للكمال أسماء جديدة تتلاءم وحقده الدفين.
فاذا رأى صفة كمال تشع من نفس مستضعفة، ثارت عصبيته، وهاجت حميته،
وتفجر كبرياؤه، فلبس الحمية، وتسربل العصبية، وادرع الكبرياء.
كبرياء، وعصبية، وحمية! تلك بذور اعتداء القوي على حقوق الضعيف. وضع
الامام يده عليها فأراد اقتلاعها من الجذور قبل أن تمتد في الأعماق أو تستعصي في
النفوس.

قال عليه السلام:

«فاعتبروا بما كان من فعل إبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجيد».
- وكان عبدالله سنة الاف سنة، لا يدري أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة- عن كبر ساعة
واحدة. فن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟
فاحذروا عبادالله عدو الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفركم بدائه».

فوضع (ع) يده على الداء، وأحكم له الدواء.
حرك خلايا النفس لتُفرز فضلاتها، وناجي خباياها لتشد أوتارها، واستثار
خفاياها لتصدح بأعذب الحانها، وتغني نشيد الحريه والاخاء على مسرح العدالة
والمساواة، و يصبح دستوراً مقدساً في الحياة، تردده الأجيال أبداً لا يباد.

النقطة الثانية:

استثارة النفوس للمحافظة تلقائياً على حقوق الآخرين

يرسم الامام(ع) النقطة الثانية جنب رفيقتها داخل الإطار فيُبدع التصوير. فريشته عطاء نفس. وألوانه مداؤ قلب. وتصويره بلاغة لسان.

«فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، فانما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونحواته، ونزغاته، ونفثاته.

واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم، والقاء التعزرت تحت أقدامكم، وخلع التكبر من أعناقكم»

فإطفاء نيران العصبية وأحقاد الجاهلية تقتل نوازع الشيطان وتحمي المرء من الوقوع في حباله، بينما يرتفع بالإنسان تواضعه مراتب الكمال والعزة. لان المتكبر تهوي به خصاله في واد سحيق من الذلة والمهانة كما يصوره(ع):

«ولا تكونوا كالتكبر على ابن أمه من غير ما فضلي جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة

بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في

أنفه من ربح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة. وألزمه آثام القاتلين يوم القيامة»

فالتكبر يثير روح الحقد والحسد والبغضاء. ويبعث حمية الانتقام من الفضائل

بافناء شخص حاملها.

بينما التواضع يرفع صاحبه إلى مقام التكبر الجبار ليستمد منه القوة، ويحمي به ضعفه، فيزاد كمالاً وعبوديةً ليجبر ضعفه ويسد نقصه، ويفترق التكبر عن التواضع في وحدة الهدف، واختلاف المسير.

فذا يستر ضعفه ويسد نقصه بالتماس القوة والمعونة من مال كها، فيذل له نفسه ويتواضع طلباً للقوة والكمال.

وذا يتكبر ويتجبر وينازع مال كها سلطانه ليسد نقصه وضعفه، فيهوي في حنادس الليل البهيم، وظلام الجهل المقيت.

«ألا وقد أمعنتم في البغي، وأفسدتم في الارض، مصارحة الله بالمناسبة، ومبارزة للمؤمنين بالمخاربة.

فالله، الله! في كبر الحمية وفخر الجاهلية، فإنها ملافح الشنان، ومنافخ الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية»

فالاتجاب عن هذه المزالق يوصل إلى بُغى النفس ويرفعها إلى أسمى مرتقى من الشعور الإنساني، ملتحقة بالرعييل الأول الذين بلغوا السماء رفعةً ومجداً بتواضعهم ومفارقتها تهوي بها (خلاف رغبته وتشركها تتخبط) في ملافح الشنان ومنافخ الشيطان.

«ألا فالخذر الجذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا على حسبهم، وترفعوا فوق نسيهم، وألقوا المهجنة على رهبهم، وجاهدوا الله على ما صنع بهم. مكابرة لقضائه و مغالبة لآلائه، فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته».

فالمستكبرون نازعوا الله سلطانه وألقوا المهجنة عليه وزاموا مدخلهم وسترنقصهم بالمجاهدة والمكابرة فأذاقهم لباس الذلة والخوف ورمى بهم في عذاب شديد.

وأما المتواضعون فكانوا خيرة الله يسموهم ضعفهم إلى قربه ويحلهم المحل الاعلى يجنبه ايستمدون منه قوتهم، ويجبرون به ضعفهم، ويرفون بخضوعهم استضعافهم، والاستضعاف يلجئ النفس لركن حريز وملاذ أمين، وهكذا كان أنبياء الله.

«فلورخص في الكبر لأحد من عباده، لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كرهة إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم وغفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين»

فبلىقوا باستضعافهم غاية القوة، واسمى الرفعة فهم يستمدون قوتهم من نبع فياض لا يدرك غوزه، ولا يعرف عمقه، ولا تبلغ غايته، كلما اغترف منه تفجرت عيون، وكلما أخذ منه زاد تدفقاً.

وتزداد قوة الأنبياء والأولياء كلما ازدادوا استضعافاً وخشوعاً وتذلاً

«ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون (ع) على فرعون، وعليها مدارع الصوف. وبأيديها العصي، فشرطا له. إن اسلم. بقاء ملكه ودوام عزه. فقال: ألا تعجبون من هذين بشرطان لى دوام العز وبقاء المملوئهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليها أساورة من ذهب»

فجعل الذهب المعيار، والإنسان المحصول، وفاته أن الإنسان محصول روحي معياره القيم، ومتى قيس بغيرها أصبح عرضاً (يقاس بالأوزان والمكاييل) شأن محاصيل الأرض والزروع والضروع.

«ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقبان، ومغارس الجنان لفعل. ولوفعل لسقط البلاء وبطل الجزاء. ولكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوة في عزائمهم، وضعفة فيماترى الأعين من حالاتهم. مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى»

فلو كانت المقاييس كلها بالمكاييل لاضمحل القيم وتبدلت المفاهيم وانقلب الانسان منكوساً، وفقدت الاسماء معانيها والمسميات مدلولاتها.

ولغدا الارتباط مادياً محضاً محضاً مصدره الرهبة وغايته الرغبة. وأما القيم الروحية التي تغذى النفس بلذة التأمل وخشوع الاستسلام وراحة الاستكانة لله فلا رابط لها بل لا وجود لانعدام معاييرها المادية.

ولكن الروابط الروحية أمتن من الروابط المادية. وعلاقة الروح بمبدئها لا تنفصم وخطوط إمدادها وتغذيتها لا تنقطع ولوتقطعت جميع العلائق المادية والارتباطات الأرضية فروابط الانبياء والأولياء هي العزائم والأرواح لا النفائس والشباح.

فـ«لو كان الانبياء أهل قوة لا ترام، وعزة لا تضام، وملك تمدد له الاعناق، وتشد إليه عقد الرحال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعدهم في الاستكبار، ولأمنوا عن رهبة قاهرة لهم. أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة، والحسنات مقسمة»

وهذه الروابط المادية تتقطع بانقطاع مصدرها وتزول بزوال مادتها. وأما العلاقات التي لا تنفصم هي العلاقات الوثيقة المبنية على الضعف المطلق من جانب والقوة المطلقة في الجانب الآخر، والحاجة المستمرة من جهة، والعطاء المتواصل في الجهة الثانية.

«ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره والاستسلام لطاعته، أمور له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة، وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم. كانت المثوبة والجزاء أجزل»
مناجاة نفس تجعلها تذوب شوقاً

النقطة الثالثة

خطة العمل لإعادة الحقوق لأصحابها

تبتني خطة عمل الإمام (ع) على أربعة أمور وهي: مقدمتان ونتيجة، وأسلوب

المقدمة الأولى: تساوي الناس في الخلق

المقدمة الثانية: تساويهم في الحق

النتيجة: وجوب المحافظة على جميع الحقوق

الاسلوب: يؤخذ الحق بالقهر آخر المطاف.

المقدمة الأولى:

«أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً جمع من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبجها ثربة

سنّها بالماء - فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول... ثم نفخ فيها من روحه فنثت
إنساناً ذا أذهان يجليها، وفكر يتصرف بها - ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل - وأهبطه
إلى دار البلية وتناسل الذرية»^١

فبدأ الخلق كان بالمخلوق الأول صاحب الذهن والفكر والمعرفة التي يفرق بها بين
الحق والباطل فيصدر أوامره للجوارح فتمثل أمره ذاهبة إلى ما يريد وعلى هذا المتوال
تكاثرت البشرية وتعاقبت لتستكمل تحقيق خلافتها على الأرض.

وبدأ الانحراف في النفوس المريضة فتصدت له مسيرة الأنبياء لتعيدهم إلى

صوابهم.

«وإصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة
أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه... فبعث فيهم رسله، ليستأدوهم
ميثاق فطرته»

فالمبعوثون متساوون مع المبعوث إليهم في الحقوق والواجبات ولكنهم أشد عزيمة
وأقوى مضاء في المحافظة على الحق والميثاق.

المقدمة الثانية

تساوي الناس في الحق

الحقوق متبادلة بين الله والناس وبينهم بعضهم بعضاً

يقول (ع) في الحقوق بين الله والناس:

«أوصيبكم بتقوى الله، فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم، وأن نستعينوا

عليها بالله، وتستعينوا بها على الله.»^٢

أما الحقوق المتبادلة بين الناس بعضهم بعضاً فهي من أعظم الحرمات التي تجب
رعايتها لأنها حياة المجتمع وبقاؤه ودوامه، فاذا هتكت حرمتها انتكس المجتمع وأصبح
في النزاع الأخير.

يقول (ع):

«ثم جعل - سبحانه - من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها

١- خطبة - ١.

٢- خطبة - ١٩١.

تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا بعض»^١

فالحقوق بين الناس متساوية متبادلة، لا يحفظ حق إلا بإداء واجب، ولا يؤدي واجب إلا بإعطاء حق، «ومن قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده»^٢ لخروجه على نظام تكافؤ الحقوق وتساويها.

«فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له.»

فالحق في التناصف لا التواصف ولا يكون إلا بالتبادل حتى تستقيم الأمور وينتظم الوجود، وأعظم الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي.

«فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم... واعتدلت معالم العدل... فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، وبُست مطامع الاعداء»

فتبادل الحقوق المتساوية. حياة المجتمع ودوام الأمة، وازدهار الدولة بيننا الاجحاف بهاموت المجتمع وإحلال الفوضى والفساد وتحكيم الأشرار.

«وإذا غلبت الرعية واليهما أو أجهف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل! فهناك تذلل الأبرار وتغز الأشرار»

النتيجة :

وجوب المحافظة على جميع الحقوق.

لما كانت الحقوق متساوية فلا يجري لأحد حق إلا جرى عليه حق (عليه) ومتبادلة كذلك فلا يجري عليه حق إلا جرى له حق. فالاحتفاظ بعدالة الحياة وحياة العدل هي التقابل بين الحق والحق والتبادل بينهما فلا يؤخذ حق إلا بإعطاء حق ولا يعطى حق إلا بأخذ حق، ويكون التساوي بين الحقوق والواجبات نبض الحياة الدائم وإيقافه إيقاف الدورة الدموية عن الجريان بعروق الأفراد، وبذلك يموت المجتمع وتظهر معالم الجور ويكثر

١- خطبة - ٢١٦.

٢- حكم - ١٦٤.

الفساد من عزة الأشرار وذلة الأبرار.
فوجوب المحافظة على جميع الحقوق شريان الحياة (الذي يضخ القلب به الدماء
الطازجة المتبادلة) بين الحقوق والواجبات.

«فعلیکم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس أحدٌ ببالغ حقيقة ما الله
سبحانه أهله من الطاعة له»
«ولکن من واجب حقوق الله على عباده، النصيحة ببلغ جهدهم، والتعاون على إقامة
الحق بينهم، وليس امرؤ يفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقه»
فتجب المحافظة على الحقوق ليقى شريان الحياة ينقل الدماء لجسم الأمة وقد
أخذها الله ميثاقاً بين أفرادها كما يقول (ع):

«وما أخذ الله على العلماء ألا يقرّوا على كَيْفَة ظالم ولا سبّ مظلوم»^١
فواجب العلماء المحافظة على تبادل الحقوق والواجبات حتى يستمر رفق الحياة
يسرى في أوصال الافراد. فإن إقرار العلماء ومحاباتهم الظالم قطع لمادة الحياة عن المظلوم
وإفناؤه، وخيانة لحقوق الله وميثاقه.

الأسلوب

اسلوب استنقاذ الحقوق لأصحابها من مغتصبها يتدرج من مرحلة معالجة أسباب
الاعتداء، إلى علاج الانفس واثارة منابع الخير فيها لتغلب إرادتها دواعي الشر، ومع
عدم جدوى ذلك فلا بد من حسم الأمر بنفس الاسلوب الذي سبب الاعتداء على
حق الاخرين.

فالظالم إنما ظلم بفضل قوته على المظلوم، جاعلاً منها معياراً يفرق فيه بين الحق
والباطل، فاستطاعه حق، وما عجز عنه باطل، ولن يتنازل عن ظلمه ظالماً يجد
لاستمساکها سبيلاً.

فاستنقاذ الحق منه في مثل حاله من أصعب الأمور مشقّةً وأشدّها خطورةً إذ لن
يتراجع عن اعتدائه إلا بقوة اعظم ترغمه على ذلك وهنا يقع التصادم وتسال دماء.
قال (ع):

« إن أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شعب شاغب

استعجب. فإن أبي قوتل»^١

فالقوة كما تُعتمد للاعتداء تُسخر لدفعه لأن الشاغب يستعجب والسيف يلمع فوق رأسه، فإن أبي فضربةً تعيد الحق لنصابه، وترد الظالم لصابه.

«وأيّم الله لأئصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأفودنّ الظالم بِيخزامتة حتى أوردّه منهل الحق وإن كان كارهاً»^٢

فالقوة إلا للحق ولاذلة إلا للباطل.

ف«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوى عندي ضعيف، حتى آخذ الحق منه»^٣

لقد عاد المعيار هو كما كان، والقوة تُخدمه، وهوت المعايير الباطلة المستندة على القوة هويّ الباطل في قعر سحق إثر طعنة نجلاء أخرجت الحق من خاصرة الباطل.

«وأيّم الله، لأبقرنّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته»^٤

ثم أتبعه حتى أعيده كما كان

«والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإمام لرددته. فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيّق»^٥

خطة صارمة عادلة لا يمكن لسواها أن تعدل الموازين، فعندما يستضعف الحق يستلعه الباطل بقوته ويخترنه في جوفه، فيغدو رهين قوة مختزنة، ولا يفك إسارة إلا طعنة تسبق بطن الباطل لتُخرج الحق من رهانه الخزين، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق. إذ أن ظلمه قوياً ستشرع باب الظلم أمام غيره ليغدو مظلوماً ضعيفاً، فليست القوة الظالمة وفقاً عليه، وانتقالها لغيره سيحيله مستضعفاً يرسف بضيق الجور الذي سنه نظاماً للحياة.

ففي العدل سعة العالمين، والباطل يضيق عن غير ذوى البطش والجبروت.

«فلئن أمر الباطلُ لقديمًا فعل، ولئن قل الحق فلربما ولعل»^٦

فالحق لن يستعاد بالأمامي والدعوات طالما صمّت آذان الظالمين، وإنما السيف هو

- ١- خطبة - ١٧٣.
- ٢- كلام - ١٣٦.
- ٣- كلام - ٣٧.
- ٤- خطبة - ١٠٤.
- ٥- كلام - ١٥.
- ٦- كلام - ١٦.

الحكم العدل في إمارة المفسدين.

«فان أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافياً من الباطل، وناصراً للحق»^١
 وان نبا السيف، فالحق لا يخضع، وإن أئضع فهو لا يُستدل، وإن استدل صرع
 وإن صرع أهلك فأهوى بالمصروع إلى النار.

«من صارع الحق صرعه»^٢ و«من أبدى صفحته للحق هلك»^٣ «ومن أكله الباطل
 فإلى النار»^٤

وإن تكالبت الأكلة على الحق، فلن تجد شافياً إلا مسح السوق والأعتاق.
 «أضرب بالقبيل إلى الحق، المدبر عنه، وبالسامع المطيع، العاصي المرهب أبدأ حتى
 يأتي عليّ يومي»^٥

غير هيب من ضلالمهم وتكالبههم على الباطل ولو ملأوا الأرض عدداً والجبال جنداً
 فالحق انس وحشتي ومصدر قوتي ونصير وحدتي.

«ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة»

«إني والله لولقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت، ولا استوحشت، وإني من
 ضلالمهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه لعل بصيرة من نفسي ويقين من ربي»^٦
 فعلام التخاذل والحق أنيس ونصير وشفيع؟ ولقد حدث عن رسول الله (ص)
 فقال:

«يوثق يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلق في نار جهنم، فيدور فيها
 كماندور الرحي ثم يرتبط في قعرها»^٧.

النقطة الرابعة

ممارسة الأسلوب

«والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجز في الاغلال مصفداً، أحب

١- خطبة - ٢٢.

٢- حكم - ٤٠٨.

٣- حكم - ١٨٨.

٤- رسائل - ١٧.

٥- خطبة - ٦.

٦- رسائل - ٦٢.

٧- كلام - ١٦٤.

إلَيَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من
الحطام»^١

تنبع ممارسة الأسلوب من إيمان عميق في النفس، وشعورٍ حاضر باستمرار،
ويترجم الإيمان عملاً، والشعور التزاماً، والمجموع نظام حياة.

وينتصب عماد الحق معتمداً على أركانه الثلاث. إيمان وعمل والتزام.
«والله، ما احنكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولأنهاكم عن معصية إلا وأنهاي
قبلكم عنها»^٢

و يغدو نظام الحياة يحبك بنفس المنوال، فتخفف نعل عتيقة غير ذي قيمة
بمخز الحياة الخالدة التي ترفعها فوق قيمة الحياة الامرة المتسلطة.

«والله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً»^٣

ويصبح القائد العامل والقُدوة، فيتساقط العاملون دون عمله، و يقصر المقتدون
عن اللحاق به ودائماً يرتفع العظماء حتى تضيق العظمة عن استيعابهم فتشرف
بالانتساب إليهم و ينتصبون مقياسها.

«ألا وإن لكل مأموم إماماً، يقتدي به ويستضيئ بنور علمه، ألا وإن إمامكم فداكني
من دنياه بطمره، ومن طعمه بقرصه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني
بوزع واجتهاد، وعفة وسداد»^٤

وترتسم الخطى أسلوباً يضيئ معالم الطريق. وكان عهدنا أن الأسلوب طريقاً
يهدي معالم الحق.

لقد أصبحت الخطى مناراً يضيئ طريق الحق إذا درست معالمه، وأصبح كل
واحد منها يدل على صاحبه:

«فعلي مع الحق ، والحق مع علي، يدور معه حيث دار»

فتى افتقدنا واحداً اهتدينا إليه بالآخر فهما جسد وروح وفي عالم الأحياء
لا يفترقان.

«هيات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تحير الأطمعة

- ولعل بالحجاز أو الإمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالسَّيغ»

١- كلام - ٢٢٤

٢- خطبة - ١٧٥

٣- خطبة - ٣٣

٤- رسائل - ٤٥

«وأبم الله - ميمناً استثنى فيها بمشيئة الله - لأروضن نفسي رياضة تهبس معها إلى القرص
إذا قَدَرْتُ عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً»
ومضى الحق يشق طريقه الكؤود وسط عجاج الباطل الثائر، يعنى آثار الحق
ويمحو معالمه حتى استمكن منه وحيداً يعوزه الناصر ويخذله المعين.
جهاد الحق

«لا يتحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق»^١
استفرد الحق في ساح الجهاد، فاستلأم السعادة بعيداً عن الجبناء، فلقد خذل
النصير وفارق الحميم وخان الرحم، وأشار المستضعفون برأي الاستضعاف.
وانتفض الحق مزجراً كالليث المصور، ليطمحور حول نفسه، ويحمي عرينه الذي
لا يضام. ويسفه رأى الاستضعاف الذي يؤثر السلامة والراحة على حساب الحقوق
المشروعة.

«أثامروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه!
والله لا أطوره به ما ستر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً»^٢
فسوح الجهاد أبواب الجنان وهي أروى للغيل، من الخضوع للاستكبار. فمن
اجتنبها طلباً للراحة سيم خسفاً وذلاً وصغاراً. وقضى أيامه تعباً ومشقة وشناراً،
فلاراحة أصاب، ولاخطأ أدرك، وألبس ثوب الذل والقماء شأن كل النفوس
الضعيفة.
وتعالى النفوس الكبار تسمو بالحق لمداره فدار يتمحور حولها إذغدت وحدها
المحور.

«إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل
فاقتدوه»^٣

«إن الحق ثقيل مرثى وإن الباطل خفيف ونيء»^٤
وانطلق صوت الحق يدوي بعيداً في الافاق (إذشاهد مظلوماً يضطهد وحيداً، من
أحب البلاد إليه إلى أبغضها لنفسه) معلناً أن الاضطهاد والني والى الإبعاد ليست
مقاييس السعادة والوحشة فالسعادة سرور نفس، والوحشة ظلمتها، ولا تُظلم نفس

١- خطبة - ١٧٣-

٢- كلام - ١٢٦-

٣- رسائل - ٧٩-

٤- حكم - ٣٧٦-

تستمع بالحق، ولا تسعد نفس تتخبط في ظلمات الباطل.

«فانترك في أيديهم ماخافوك عليه. واهرب منهم بماخفتهم عليه... لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل»^١

فيزان الانس هو الحق ولو في الغربة والوحدة، والباطل وحشة في الأوطان.

«أما الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله»^٢

فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبهال قصير وجوعها طويل

وقدقاتهم ما يخبي لهم الدهر من ثأر وانتقام إذ:

«يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم»^٣

«فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق، وإنهم لعلى مزلة الباطل»^٤

فلم يجد بدأ من الاحتفاظ بمحور الحق في مدلهامات الظلم كيلا ينفصل قطب البشرية عن رحاها.

«أقت لكم على سنن الحق في جواد المصنّ، حيث نلتقون ولا دليل، وتختفرون ولا تميون»^٥

ولم يترك الباطل للحق مجالاً، فقد ضيق عليه الخناق متحفظاً لالتهامه، ودار الحق حول نفسه يرتأي بين الصول بيد جداء والصبر على طغية عمياء مسترسلاً في تفكير عميق فلم يسهه إلا أن يصول:

«ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أزل فيه إلا القتال أو الكفر»^٦

لقد بلغ السيل الزنى. وأخذت على الحق مسالكه فلم يبق سوى حد السيف شافياً.

استشهاد الحق والعدالة

«ألا وإن الشيطان قد ذمّر حزته واستجلب تجلبه ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه»^٧

١- كلام - ١٣٠.

٢- كلام - ٢٠١.

٣- حكم - ٣٤١.

٤- كلام - ١٩٧.

٥- خطبة - ٤.

٦- كلام - ٤٣.

٧- خطبة - ٢٢.

لقد حدد الحق موقفه من الأحداث فقال:

«والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحتم أفلاكها على أن أعصي الله في غلة أسلبها

مُجَلَّبَ شعيرة ما فعلت»^١

وحدد الباطل موقفه فقال:

إن لله جنوداً من عسل

وتهاقت الذباب على العسل مسموماً تهافته على الجيفة النتنة

«وقد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوء،

فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وشحقاً»^٢

«إنهم - والله - لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل»^٣

واستصرخ الحق جنده فتخاذلوا واستثار الباطل أعوانه فبادروا من كل صوب

وحدب.

«مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسكاً بلا صلاح وأبقاظاً نوماً،

وناظرة عمياء، وناطقة بكماء!

راية ضلال قد قامت على قطبها تكيلكم بصاعها، وتخبئكم بباعها، فأندها خارج عن

الملة، قائم على الضلالة، فلا يبقى منكم يومئذ إلا نفاله كئفاله القدر، تعرّككم عرك

الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد»^٤

لقد صمت الأذان وعميت الأبصار وإن على قلوبهم ما كانوا يكسبون

«فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه... وعظمت الطاغية وصالت الدهر صيالات السبع

العقور، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب،

وتباغضوا على الصدق.

وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً. وسلطته سباعاً وأوساطه أمثالاً، وفقرؤه أمواتاً. وغار

الصدق وفاض الكذب... وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً»^٥

وبقي الحق يصوئ ويجول، ويتشعب الباطل في نصب الجبائل والكبائن له.

«قد أعدوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً ولكل باب مفتاحاً،

ولكل ليل مصباحاً»^٦

١- كلام - ٢٢٤-

٢- رسائل - ٧٠-

٣- خطبة - ١٠٨-

٤- خطبة - ١٠٨-

٥- خطبة - ١٠٨-

٦- خطبة - ١٩٤-

«فيا عجباً! عجباً - والله - بميت القلب ويحبب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم»^١
 واستنكر الحق «فإن أكثر الحق فيما تُنكرون»^٢ واستعاض عنه بالباطل وقديماً فعل وأصبح الحق غريباً في أوطانه

«والذي نفسي بيده ليطهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لأسراعهم إلى باطل أصحابهم، وإبطانكم عن حق»^٣
 وازداد أنصار الحق تحاذلاً وإبطاء وتفرقاً حتى شنت عليهم الغارات وملكتم عليهم الأوطان وحاول الحق النهوض بلا جناح فسقط كصاحب الجناح المهيض.
 عاد يواصي جراحه بكبريائه المعهود:

«ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي»^٤

فنفسه تتميزق حسرات، كتمزيق الحق نفسه، فهما صنوان لا يفترقان.
 وللإصلاح مجال ولكنه مشوب بمحاوذة الحق وهيبات أن يرقع الحق بجرثومة فساده
 «كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها»^٥

«الذليل والله من نصرتموه... وإني لعالم بما يصلحكم ويقم أوزكم، ولكني لأرى إصلاحكم بإفساد نفسي»^٦

أبى له كبرياؤه أن يتنزل لحظة عن رفيع منزلته ويحكم الابد.

«فالحياة في موتكم فاهرين، والموت في حياتكم مقهورين»

واستحب ضعاف النفوس الموت في الحياة على الحياة في الموت فرضوا عيشة الذل والهوان وتفرقوا عن الحق أيدي سبا.

«وأحسكم على جهاد أهل البغي فما آتني على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أبادي سبا»^٧

ولم يسبق سواه غريباً في أرضه ومضطهداً في أوطانه فاختر الحياة في الموت القاهر، والخلود في الوطن الثائر.

١- خطبة ٢٧.

٢- خطبة ٨٧.

٣- خطبة ٩٧.

٤- خطبة ٩٧.

٥- خطبة ١٢١.

٦- كلام ٦٩.

٧- خطبة ٩٧.

الرحيل

«يا اشباه الرجال ولارجال!..»

لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكَمُ وَلَمْ أُعْرِقْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَرَتْ نَدْمًا...
فَاتْلُوكُمُ اللَّهُ! لَقَدْ مَلَأْتُ قَلْبِي قَبِيحًا وَشَحْنَمُ صَدْرِي غِيظًا وَجَرَعْتُ مَوْنِي نَعْبَ التَّهْمَامِ
أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُ عَلَى رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْحَذْلَانِ»^١

بعد هذه الحرقرة المميته، والغربة المقيته، لامقام لمتباعدين ولاجوار المتنافرين
وانتحي كل ينشد وطنه، واستحث الحق خطاه مستعجلا ساعة الوصول، وتاركاً
الباطل يتخبط في دبحوره.

«اللهم إني قد قتلتم وملوني، وسمتهم وسموني - فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي
شراً مني، اللهم ميث قلوبهم كما ميث الملح في الماء.
أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم.

هنالك لودعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم»

وارتحل الحق وحيداً في رحلته، سعيداً بأداء مهمته. مخلقاً بذوره المعطاء في عقول
الرجال لما لم تسعها الأرض، منتظراً أيناها بعد تفرخ،
وما أسرع ما تفاعلت الأفكار ولبت نداء الحق، فتحولت نطقاً تتغذى نداه وتتمو
على لبانه، وانطلقت كالمارد الجبار يهدر ويزأرو ويزجر
لييك داعي الله، لييك
لقد أجب دعائك فأبدلت خيراً ممن سئمت
وأعطيت فوق ما طلبت

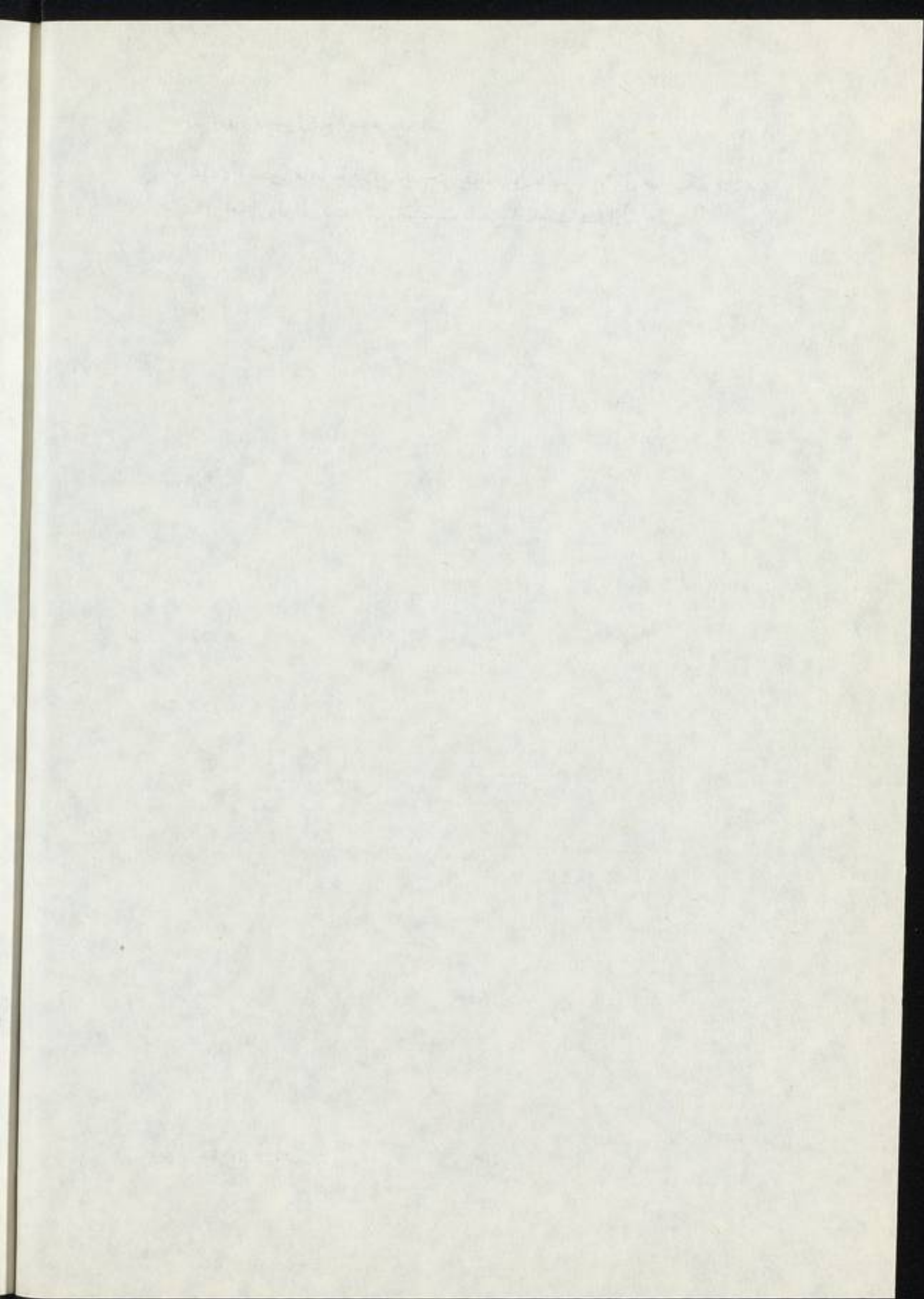
وددت ألف فارس من بني فراس بن غنم
فلبأك عشرون مليوناً كلهم غنم مثل أرمية الحميم يهدرون بصورت واحد
كالصواعق: الله أكبر، الله أكبر

قادهم ابنك الذي عاش محنتك فالتزم خطك «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق
يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على

١- خطبة ٢٧.

٢- خطبة ٢٥.

عواتقهم، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا. ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلهم شهداء. أما إنني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^١



المرأة في الإسلام ومن
خلال نهج البلاغة*

الأستاذ لبيب بيضون

سوريا

* هناك تعليقات للعلامة السيد جعفر مرتضى على هذه المقالة، أشير إليها بالأرقام، ذكرناها في آخر المقال.



الاهداء

الى من دك عروش الطاغوت والكفر، على أنغام الفتح والنصر.
الى من طارد فُلُوقَ الباطل والضلال، ليبنى صروح الايمان والكمال.
الى باعث الأجداد، بالهمم الشداد، على طريق الحق والسداد.
الى أمين الأمة، وإمام الكلمة.

روح الحق وريحانه، ورحمته ورضوانه

(روح الله الخميني)

الى رجال الحرب والجهاد، ودعاة العزة والحرية والرشاد، من أتباع علي والسبطين
والسَّجَاد، وأبي ذرٍّ وعمار والمقداد، الى اللبوات الصامدات، والشريفات الفاضلات.
حفيدات فاطمة الزهراء، وزينب الكبرى، عقيلة الهاشميات، اللواتي شيذن
حميد الخلال والخصال، في نفوس الشبان والاطفال، حتى قدّموا للحياة الرجال
والأبطال، ودفعوا بالليوث الى الوغى والأشبال، فلقنوا دروس الكرامة للأجيال،
وأحيوا في القلوب جذوة الامال، الى من كُنَّ أحد أسرار انتصار الثورة الاسلامية في
ايران، لأن الشعب من تربية الامهات يكتسب العقيدة والايمان، كما ينطبع بمبادئ
الشجاعة والبطولة أو الاذعان.

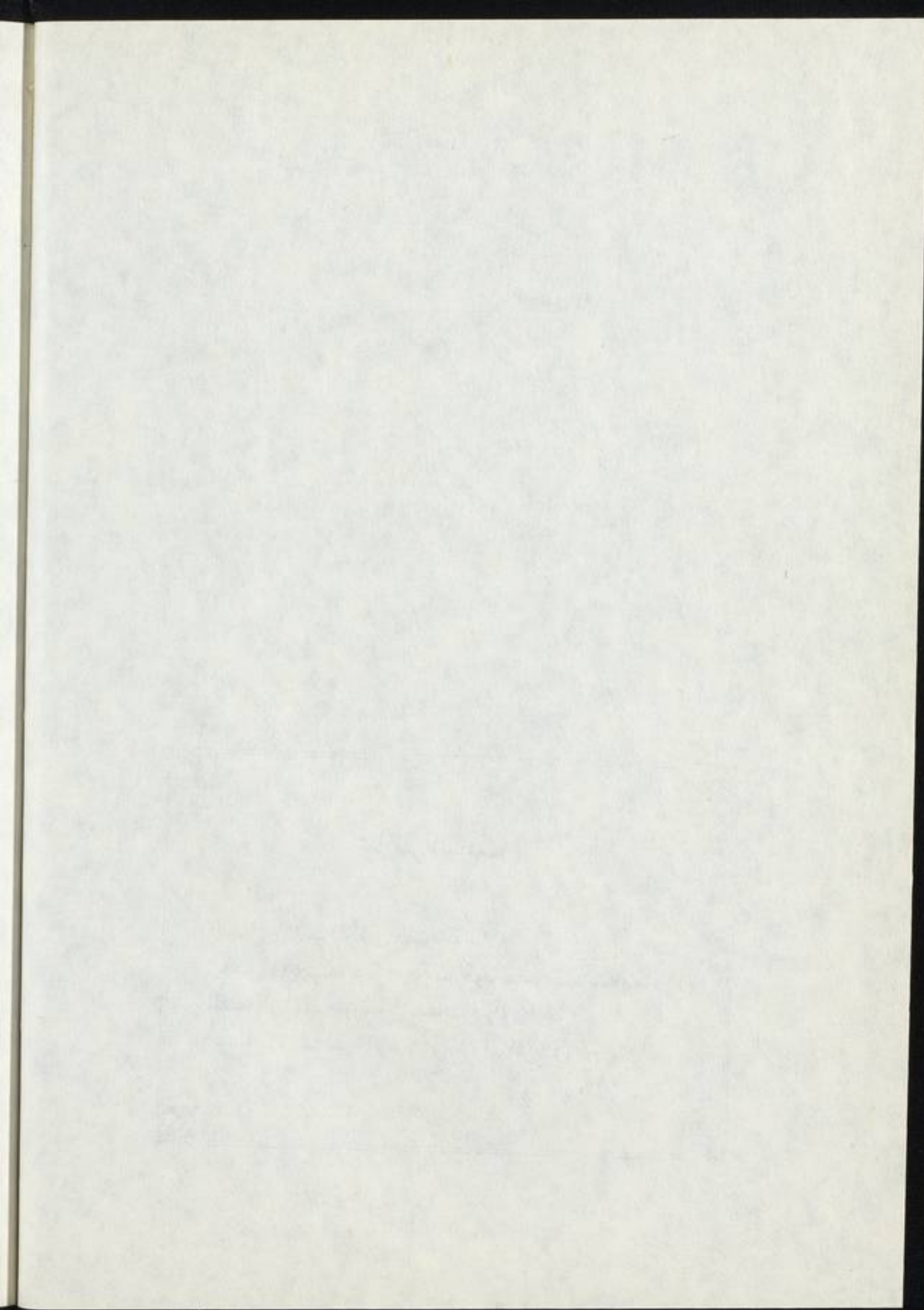
الى المرأة المسلمة التي تقدمت أمام الرجال في الميدان تحطم سدَّ الامبراطورية
الطاغية صاحبة السلطان، فأرست بنهضتها مبادئ العز لكل بني الانسان، حتى سارت
بصيتها وأعمالها الخالدة الرُّكبان قدمت ومازالت تقدم للمجد مواكب الشجعان، لم يرَ
الكونُ مثلهن فداءً ولا رأى الثقلان.

الى شهداء الصديق الذين لم يسبقهم الى الحق إنس ولا جان، آثروا الموت ليبقى الدين والاسلام راسخ البنيان، واستجابوا لنداء الله خالق البرايا والاكوان، الرحمن علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان، الذي خلق الارض، ورفع السماء ووضع الميزان فالجرم المعتدي قرين الشيطان، تأكله النيران، وللشهيد مقعد صدق عند ربه في الجنان.

ليب

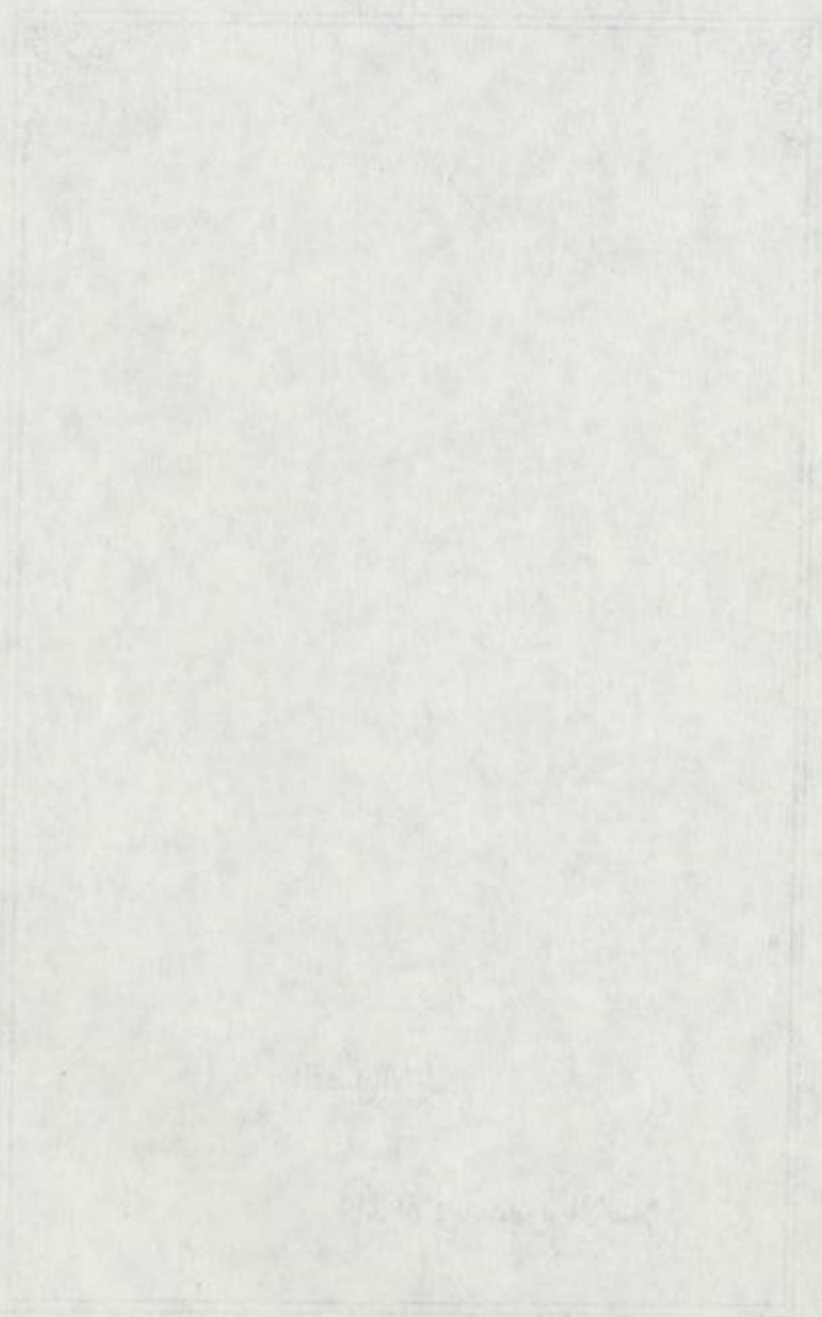
عناصر البحث

- الفصل (١) - المرأة في مفهوم الاسلام
الفصل (٢) - مناقشة جريئة - حول بعض كلمات الإمام (ع)
الفصل (٣) - مقارنة بين صفات المرأة والرجل
الفصل (٤) - نظرة الإمام علي (ع) الى المرأة في نهج البلاغة



الفصل الاول:

المرأة في مفهوم الاسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

(١) خلق آدم وحواء :

تمت كلمة الله ان يخلق له خليفة يعمر الارض، وأن يهبه من الخصال والقدرات ما يجعله أهلاً للسجود له، فأخذ حفنة مباركة من التراب، ونفخ فيها من روحه فتمثلت بشراً سوياً، ثم أمر الملائكة بالسجود لادم فسجدوا أجمعين. ولما أراد سبحانه لهذا المخلوق الكريم أن يتكاثر، خلق له من نفسه زوجاً يسكن إليها. يقول جل من قائل:

«الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منها رجالاً كثيراً ونساء...» (سورة النساء - ١)

فالنفس الواحدة هي آدم والزوج هي حواء.

(٢) البناء النفسي للانسان:

ويتضح من هذا أن الانسان مؤلف بحسب تكوينه من عنصرين اثنين: عُنصر الجسم وعنصر الروح. فهو عدا عن كونه جسماً مادياً صرفاً، ينطوي على عالم آخر مجرد، عالم يضم جملة من الطبائع والنوازع النفسية، التي يشترك بها كل أبناء البشرية، مؤكدة وحدة النفس الأصلية التي خلُقوا منها.

وهذه النفس رغم قوتها وفعاليتها في الانسان إلا أنها طلسم عجيب غريب، عجزت العقول عن إدراك كنهها واستكشاف حقيقتها، ومن أغرب ما فيها أنها تحوي المتناقضات من النوازع والغرائز، فما فيها من رغبة طيبة إلا وتقابلها نزعة سيئة. وكانت قيمة هذا المخلوق الجديد مقرونة بما آتاه الله من إرادة في اختيار الافعال، إذ أن قيمة المخلوق بما يفعله من ذاته لا بما يكون مقسوراً على فعله. ولتحقيق هذه القيمة كان لا بد من أن يكون الانسان محل اختبار وامتحان، ومن مستلزمات ذلك أن تكون دوافع الخير فيه على قَدَم المساواة مع دوافع الشر.

(٣) قيمة الانسان:

وجاء القرآن الكريم يحدد قيمة الانسان وفق هذا التصور الاصيل لمركب الانسان، فقيمه تنطلق من مدى استجابته لدوافع الخير، ومجاهته لدوافع الشر، وهو ما عبّر عنه بالتقوى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (سورة الحجرات - ١٣)

(٤) توزيع القدرات :

ومنذ قرر الله سبحانه مبدأ الزوجية في خلق الانسان، قَسَمَ أعباء الحياة بين الزوجين تقسيماً متعادلاً وفق مبدأ العدل، ونتيجة لذلك وَزَعَ القدرات والميول بينهما بشكل يتلائم مع الوظيفة المطلوبة منها. فكان كل من الرجل والمرأة بما آتاه الله من مواهب ونوازع أقدَرَ على القيام بوظيفته من الآخر. ويظهر العدل الالهي مرة أخرى في أنه سبحانه لا يطلب من الانسان إلا ما هو مُؤَهَّل لفعله، مصداقاً لقوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (سورة البقرة - ٢٨٦).

وانطلاقاً من هذا المبدأ إذا قام الرجل بوظيفته وقامت المرأة بوظيفتها، حصلنا على المردود الأعظم لطاقة الزوجين، وعاش الناس في سعادة واستقرار. من هذا المنطلق نجد أن التعريف الأعم لقيمة الفرد في مجتمعه، هو أن قيمته تكون بمقدار قيامه بوظيفته، وفق ما وهبه الله من امكانيات لتحقيقها. وهو مؤدَى قول الامام علي (ع):

«قيمة كل امرئ ما يحسنه» أي ما يحسن فعله.

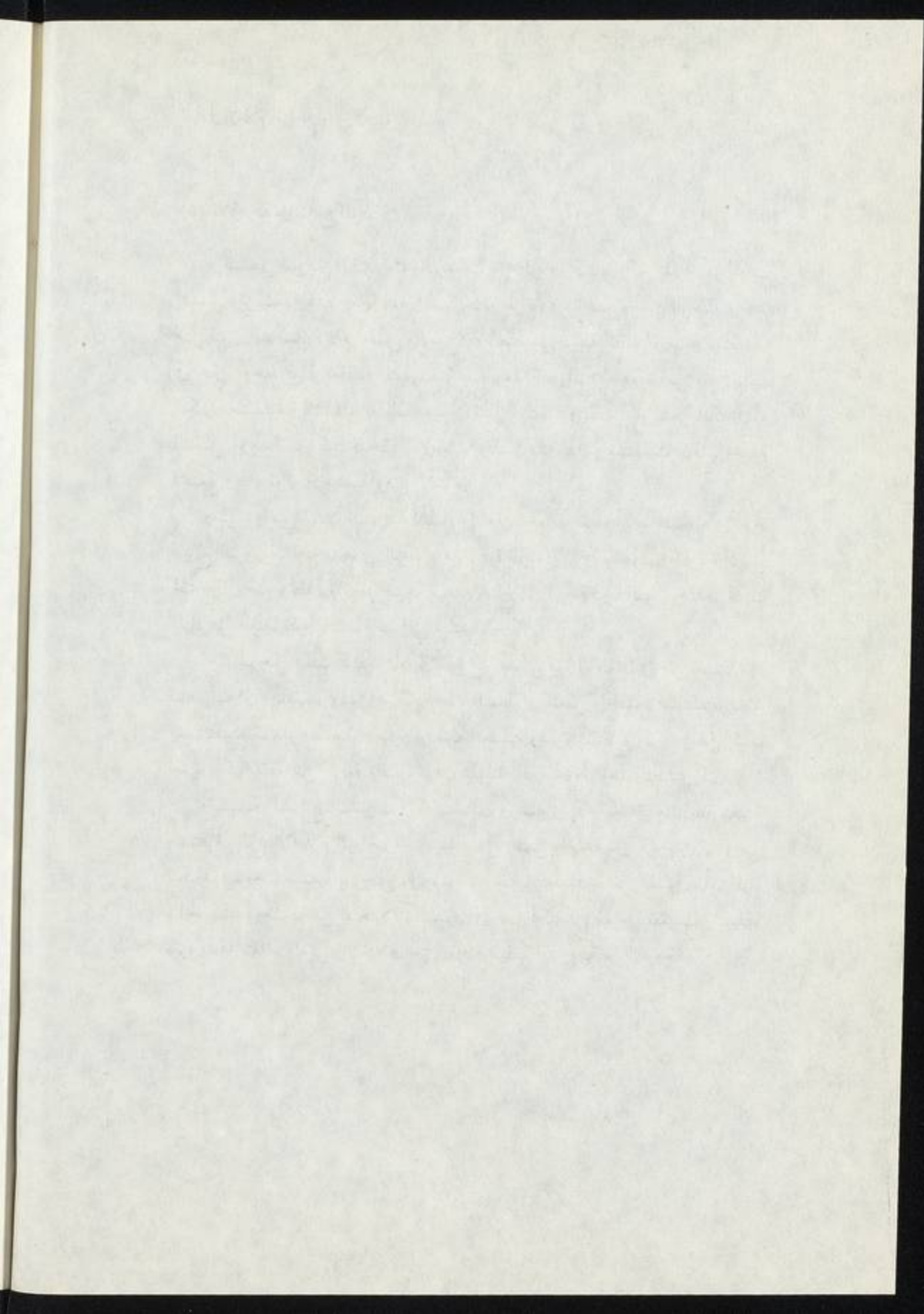
(٥) تلاؤم القدرات مع الوظيفة:

و يستجلى توزيع القدرات والرغبات بين الزوجين، أن أوكل بالمرأة أمر إنجاب النسل وتربيته، وهذه الغاية منح الله سبحانه المرأة وعاء الحمل، أعني الرحم، وآتاها من قوى التحمل لالام الحمل والوضع، ثم الصبر على تربية الطفل وتغذيته وتنظيفه. في حين أوجد فيها العاطفة الثرة للحنو عليه ومداراته والتلاؤم معه، فهي حين تربيته تكون مندفعة بتلك العاطفة دون أن تبالي بالتعب والنَّصَب أو تشعر بالكلال أو المَلَل. وبذلك تكون قد حققت وظيفتها وقامت بدورها، واستنفدت طاقتها لخدمة المجتمع وبناء نواته الأساسية وهي الأسرة.

ومن دواعي تلك التربية للطفل ولتأمين الحفاظ عليه، أوجد سبحانه في المرأة طبائع ضرورية، لم يوجد لها في الرجل، منها: قوة الجَلَد والرحمة والخوف، فترية الطفل تحتاج الى صبر وتجلد، والطفل نتيجة ضعفه يحتاج الى الرحمة دون القوة، وعندما تخاف المرأة على طفلها تقوم بالتصرفات التي تجتنبه الاخطار.

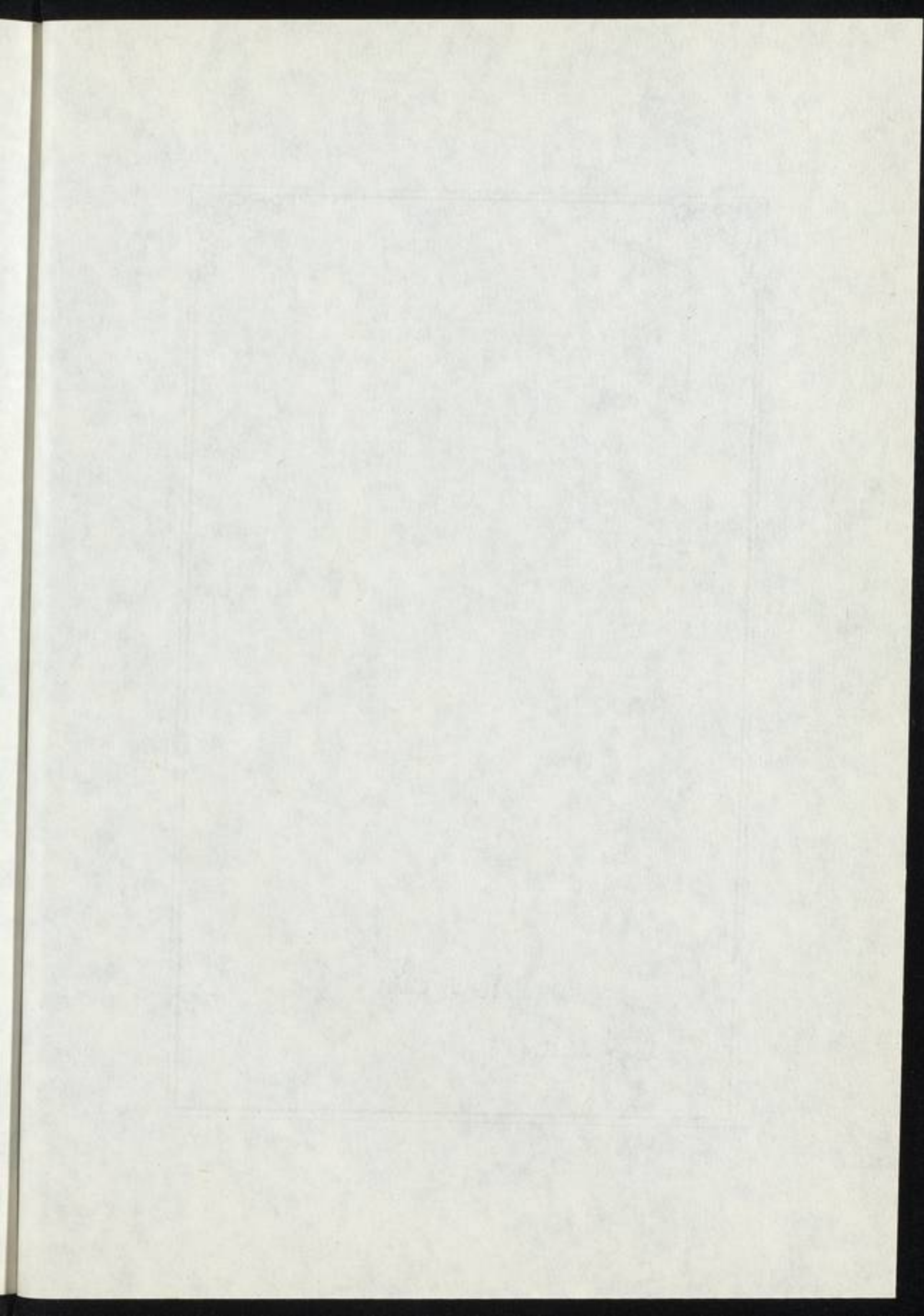
أما الرجل فقد كلفه حماية الأسرة التي يعيش فيها الاطفال في ظل أمهم، التي تنصرف الى رعايتهم، ولهذا الغرض أعطاه البسطة في العقل والجسم، فبتفكيره البعيد يستطيع تقدير مصلحة الأسرة، وبقوته العضلية وغيرته يستطيع أن يذود عن كيان أسرته، كما يدافع عن كرامته ووطنه وشرف عقيدته اذا ما حاول أحد التصدي لها.

وتلبية لنوازع الشرف في الانسان، ورغبة في إقامة حياة اجتماعية سعيدة مستقرة، شرع الاسلام الزواج، الذي يبني على أسس واضحة بين الزوجين... وحتى تكون الزوجة متعة للرجل دون سواه، وسعياً لتحديد عوامل الفسوق، أمر المرأة بالحجاب ومنعها من الاختلاط المشوه. في حين أكد على ضرورة تعليمها وثقيفها وتزويدها بتعاليم الدين والاخلاق حتى تقوم بوظيفتها التربوية على أتم وجه.



الفصل الثاني:

مناقشة جريمة



لستُ أخفي ان الذي دعاني الى كتابة هذا الموضوع، مناقشةٌ حادة حصلت بيني و بين احدى الفتيات الايرانيات، إثر اختتام المهرجان الألفي لنهج البلاغة، الذي انعقد في طهران في الفترة من ١٢-١٦ رجب ١٤٠١هـ، الموافق ١٧-٢١ أيار ١٩٨١م. الذي أقامته مؤسسة (بنياد نهج البلاغة).

فقد قابلتني احدى الصحفيات، وكانت مثقفة و صريحة و جريئة الى أبعد الحدود، كما هي صفة المرأة الايرانية.

وكان أول سؤال وجهته لي باعتباري من الباحثين في نهج البلاغة أن قالت: لماذا تحامل الامام علي(ع) على المرأة في نهج البلاغة، ولم يمدحها بكلمة واحدة؟ بل قال: «المرأة شر كلها، وشرافها أنه لا بد منها»

فصدمتُ مبدئياً من كلامها، وشرعت أحداثها بالحسنى، حتى استبصرتُ واهتدت الى الصواب، وقلت لها:

أولاً: أحسني ظنكُ بإمامك يا آنسة. فالامام علي(ع) ليس عدواً لاحد، إنما هو صديق للحق وعدو للباطل.

ثانياً: أنت تعلمين أن كل رجل يعطي رأيه بالمرأة من خلال تجربته في حياته مع المرأة، أقصد مع زوجته. فإذا كانت زوجته سيئة ظنَّ أن كل النساء سيئات، وإذا كانت زوجته سالحة اعتقد أن كل نساء العالم صالحات. والامام علي(ع) كانت زوجته (فاطمة الزهراء) سيدة نساء العالمين، وهي باعتقادنا معصومة عن الخطأ. فكيف يكون نظره الى المرأة؟ لا بد أنه جيد جداً.

ثالثاً: ان النساء لسنَّ من درجة واحدة، فبين المؤمنة والكافرة، والتقية والفاسقة، شأنهن في ذلك شأن الرجال. وقد أوضح ذلك القرآن الكريم بشكل لا يقبل الشك، حتى أنه ضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها من أكبر

الكافرين، بينما كانت هي من أعظم المؤمنين، واستحقت بذلك أن تكون في أعلى درجات الجنة. يقول تعالى:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ، كَانَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا، فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَتَجَنِّي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَقْمِي، وَتَجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (آخر سورة التحريم).

فاذا كان الامام على (ع) يعلم هذا كله، ثم بعد ذلك يقول في نهجه «المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها»، أو يقول «النساء حباثل إبليس». فهو لا يقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومشيلاها من المؤمنات أمثال: «خديجة ومريم وآسية، وانما يقصد بها المرأة الفاسقة الكافرة، التي هي كالشيطان، بل أسوأ من الشيطان، لأنها تنطلق في اعمالها بدافع من هواها ونزواتها وشهواتها، دون أن يكون لها أي ضابط أو زاجر.

• • •

ثم انتقلت معها الى مناقشة قول الامام على (ع): «ان النساء نواقص العقول، نواقص الحظوظ، نواقص الايمان...» وبيئت لها أن من يزود على هذه الكلمات لا يرد على الامام على (ع) وانما يرد على الله تعالى، لأن الامام لم يأت بها من عنده، وانما قررها من القرآن، فمن المبادئ التي أنزلها الله في القرآن ولا مجال للشك فيها، أن شهادة الرجل كشهادة امرأتين في القضاء، وأن حظ الذكر كحظ الاثنتين في الارث، وأن المرأة أثناء الحيض والنفاس تقعد عن الصلاة والصيام.

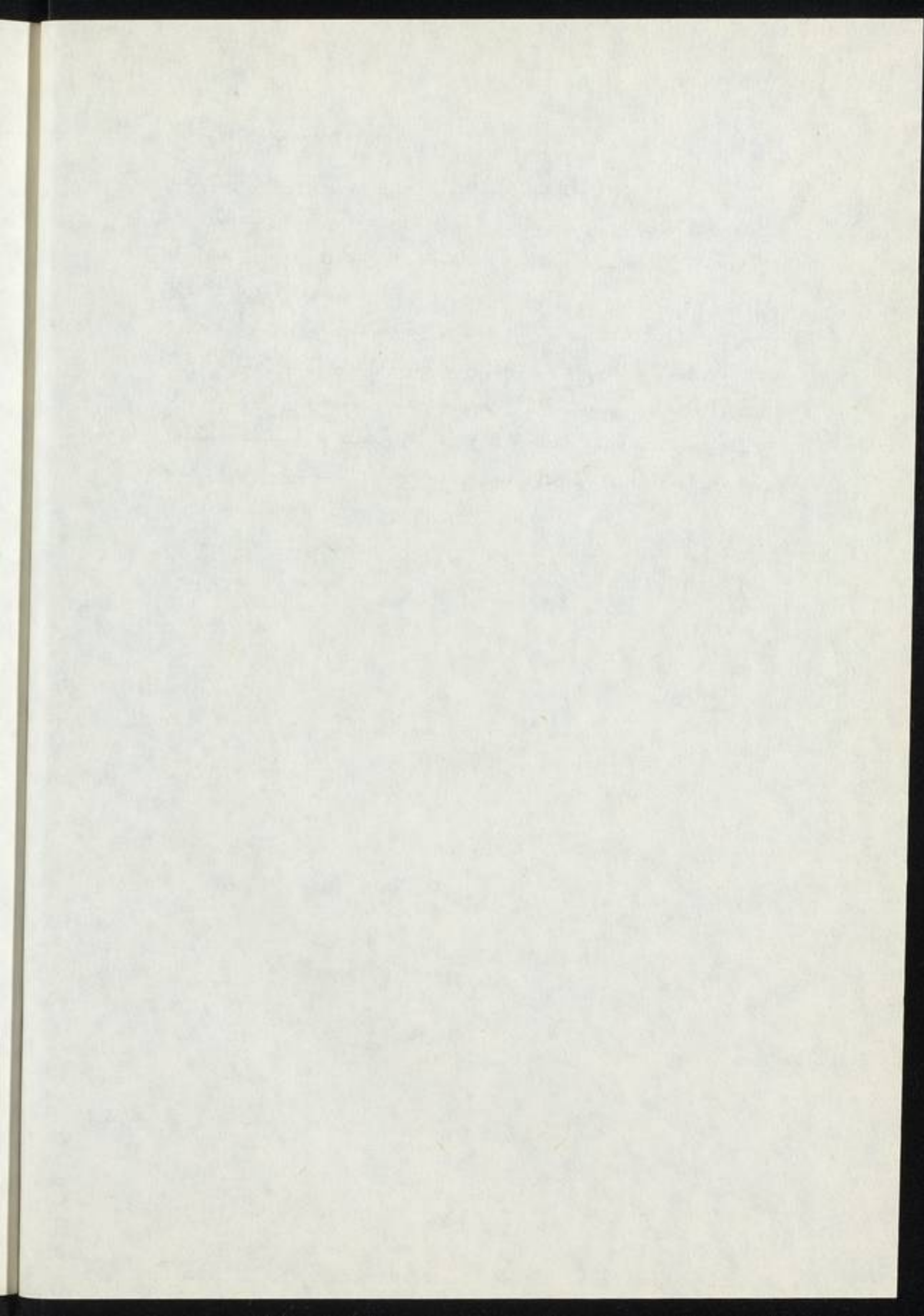
وان ذكر الامام هذه الصفات هو من باب بيان الواقع، وليس من باب التوهين بقيمة المرأة. فالوظيفة التي انيطت بالنساء جعلتهن يتصفن ببعض الصفات. مثل: تغليب العاطفة على العقل (ناقصات العقول) ومثل: أخذ نصف الميراث (ناقصات الحظوظ) ومثل: القعود عن الصلاة والصوم حال الحيض (ناقصات الايمان). وهذا حق، لأن المرأة التي يُطلب منها تربية الولد تحتاج الى العاطفة اكثر من العقل، ولأن المرأة التي لم يُطلب منها الله تعالى إعالة أحدٍ حتى نفسها، يكفيها نصف الارث ويزيد؛ ولأن المرأة التي أوكل اليها إنجاب أفراد البشرية لا بد لها من الحيض الذي يتنقض طهارتها ويجرمها بعض الأيام من الصلاة والصيام.

وهذا النقص في بعض الأشياء لا يحط من قيمة المرأة اذا ما نظرنا اليها من خلال وظيفتها. فالرجل في مقابلها ناقص في أشياء أخرى. وفي مقابل كل ملكة للرجل

ملكة للمرأة، مصداقاً لقول النبي (ص): «النساء شقائق الرجال». والفضل لا يكون بالملكات والقدرات، بقدر ما يكون في كيفية استخدام تلك الملكات، في الخير أم في الشر، وفي الاحسان أم في العدوان، مصداقاً لقول الامام (ع): «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

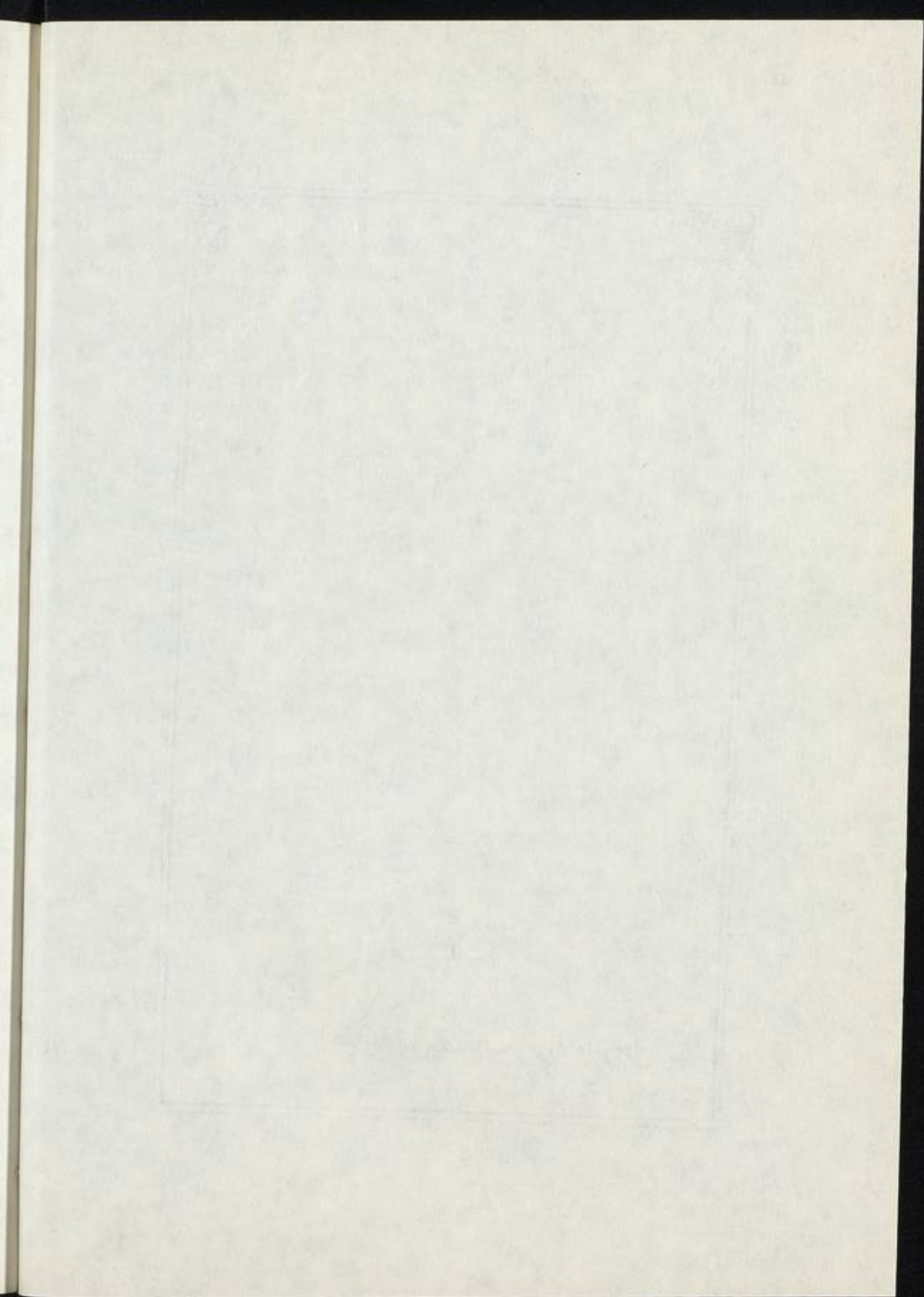
فاذا أحسنت المرأة استخدام قدراتها العالية التي خصها الله بها، كانت أفضل من الرجل. ^٢ فمثلاً اذا هي بعاطفتها الوثابة انصرفت الى الاصلاح وتربية الاجيال، وليس الى الكيد والغيرة والفساد. واذا هي بحظها من المال قامت بفعل الخيرات والمبرات، ولم تهذره بالمظاهر والتبذير. واذا هي في أثناء حملها صبرت وتحملت حتى أنجبت طفلاً، تربيته ليكون عنصراً بقاء في المجتمع... عند ذلك تكون صانعة الأبطال ومربية الأجيال ومضاهية الرجال.

وسوف نتكلم بالتفصيل عن عوامل النقص الثلاثة السابقة عند المرأة، في فصل لاحق من هذا الكتاب.



الفصل الثالث:

مقارنة بين صفات المرأة والرجل



(١) - المقارنة بين عنصر المرأة وعنصر الرجل:

على الرغم من ان النساء يختلفن من حيث المواهب والمشاعر، كما هو شأن الرجال، الا انه يمكن ان نميز فيهن جملة من الصفات التي تميّزهن عن الرجال. ولا يمنع ذلك أن توجد امرأة تتمتع بصفات الرجال او تفوقهم فيها، الا أن ذلك من النادر الذي لا يتخذ قياسا. وهذا ما يدعونا الى اعتبار «عنصر الرجل» الذي يتصف بمعدل خصائص الرجال، والى اعتبار «عنصر المرأة» الذي يتصف بمعدل خصائص النساء. والمقارنة عادة تتم بين هذين العنصرين الاعتباريين.

من هذا المنطلق نجد أن عنصر المرأة يتمتع بخصائص تختلف كلياً عن عنصر الرجل، وذلك وفق الوظيفة التي أسندت الى كل واحد منها. وهذا الاختلاف ليس في النوع وانما في الكم. فكل صفة في الرجل موجودة في المرأة، ولكن الاختلاف هو في الشدة.

(٢) - تباين القوى النفسية :

كما أن المرأة تختلف عن الرجل في الصفات العضوية والجسدية، فهي تختلف عنه في الصفات النفسية والروحية. تلك الصفات التي تنتج عن البناء النفسي للإنسان. فهو مركب من الناحية النفسية من عدة قوى منها: التمييز والعلم والارادة، وقوة الشهوة والشجاعة والغضب.

ولهذه القوى مراكز، منها: العقل والقلب، والنفس بأشكالها المطمئنة واللوامة والأتمارة بالسوء.

(٣) - قوى الروح:

وقد ذهب بعض الفلاسفة الى القول بأن القوى النفسية خارجة عن الجسم، بينما قال آخرون بأنها داخل الجسم. كما أن بعضهم ذهب الى أن العقل والقلب والنفس والروح هي شي واحد، بينما ذهب آخرون الى التمييز فيما بينها، والى بيان العلاقة المنتظمة فيما بينها. فقال هؤلاء بأن الروح تتجلى في الانسان في عدة قوى مرتبطة ببعضها هي:

١- النفس: وهي مركز الرغبات والغرائز الخيرة والشريرة.

٢- القلب: وهو مركز الارادة والتقرير.

٣- العقل: وهو مركز التمييز بين الخير والشر والحسن والقيح.

٤- الحواس: وهي مركز الاتصال بين الجسم والخارج.

وتتدرج هذه القوى حسب الترتيب السابق في علاقتها ببعضها. فالنفس التي هي مركز الرغبات، توحى للقلب بفعل الشيء، والقلب الذي هو مركز الارادة، يسترشد بالعقل ليعرف خير ذلك الشيء من شره، فاما أن يقرر فعل ذلك الشيء أو يمتنع عنه، فاذا هو قرفعله أمر الحواس عن طريق مديرها العقل، فتنفذه. ولهذا قيل: العقل خادم القلب، والعقل أستاذ الحواس.

وسوف نتكلم في بعض هذه القوى فيما يلي:

(٤) - العقل:

أول ما ميز الله به الكائن الجديد الذي خلقه من روحه وشرقه على الكائنات الاخرى، هو العقل. يقول النبي (ص):

«إِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: الْعَقْلُ. فَقَالَ لَهُ: أَقْبَلْ فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبُرْ فَأَدْبَرَ. فَقَالَ: وَعَزَّيْ وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، بَكَ آخِذٌ وَبَكَ أَعْطِي، وَبَكَ أَتَيْبٌ وَبَكَ أَعَاقِبُ.»

وعرّف العلماء العقل بأنه: المعرفة المستعملة في تحري النفع وتجنب الضرر، فيجعل صاحبه يتصرف وفق الحكمة والمصلحة التي لا تخرجه عن طاعة الله.

وقد اشتق معنى العقل من عقل الناقة أي شدّها وربطها، فهو بشد المرء عن

متابعة هواه ويمنعه من الاتيان بالأعمال السيئة.

وقد عرّف بعضهم العقل بأنه القوة المتهيئة للعلم.

لكنه حسب التعريف الأول لا يقتصر على العلم؛ بل هو الدافع الى العمل بمقتضى العلم، فاذا عَلِمَ الخير دفع صاحبه اليه، واذا عَرَفَ الشر نهاه عنه. وهذا هو المعنى الذي قصده الشارع وتضمنه الحديث النبوي السابق، وهو ما قصده الامام (ع) بقوله: «العقل ما كُنِيَ بِهِ الجنة»

فكل عقلٍ مهها ملك من قدرات في العلم والفهم والتمييز والذكاء، ثم لم يوصل صاحبه الى فعل الخير واكتساب الفضائل التي تورده الجنة، فليس بعقل.

وقد ورد العقل بمعنييه السابقين في القرآن والحديث.

فالى المعنى الاول أشار النبي (ص) في الحديث النبوي السابق.

والى المعنى الثاني أشار (ص) بقوله: « ما اكتسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الى

هدى أو يردعه عن ردى».

وقال أمير المؤمنين (ع): «كفاك من عقلك ما أوضح لك سُئِلَ عَيْتِكَ من رشك».

أما في القرآن، ففي كل موضع رُفِعَ فيه التكليف عن العبد لعدم العقل، فإشارة الى المعنى الاول.

وفي كل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة الى المعنى الثاني..
كقوله تعالى:

«وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» (سورة العنكبوت - ٤٣)

وكقوله سبحانه: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» (سورة الانفال -

٢٢)

وكثيراً ما كان القرآن يؤتّب الكافرين بأنهم يملكون عقولاً ولكنهم لا يستعملونها.

يقول جل من قائل:

«أَمْ عَسِىَ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ. إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْإِنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» (سورة الفرقان - ٤٤).

و يقول سبحانه:

«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ، وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ، وَأُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (سورة الاعراف - ١٧٨)
والمقصود بهذه الآية أن لهم قلوباً وأعيناً وآذاناً، ولكنهم لا يستخدمونها في الخير

والنفع، فهي معطلة عن غايتها التي أوجدت من أجلها.

وقال بعض الحكماء: ان العقل جوهر بسيط. وقال آخرون: هو جسم شفاف وعمله الدماغ. وقال بعض العلماء: إن محله القلب. ويستدل هؤلاء بأن العقل لم يذكر في القرآن بل ذكر محله القلب، كما في قوله تعالى: «أفلم يسروا في الأرض فنكون لهم قلوب يعقلون بها، أو أذاك يسمعون بها، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» (سورة الحج - ٤٦)

و يؤيد هذا المعنى قول الامام (ع): «العقل في القلب، والرحمة في الكبد».

ويمكن التوفيق بين المعنيين السابقين للعقل بأن نعتبر للعقل معنيين ومركزين:

الاول: العقل بمعنى المعرفة والعلم ومركزه الدماغ.

الثاني: العقل بمعنى الارادة والامر ومركزه القلب.

و يعتبر العقل الاول مركز العلم، بينما يعتبر العقل الثاني مركز الحكمة. والحكمة بالتعريف وضع الشيء في موضعه الصحيح. فكم من عالم عاقل، ولكنه لا يتصرف التصرف السليم، ولا يقدر عواقب الامور، ولا يعمل لفائدته ومصالحته. فالقلب السليم هو الذي يوصل صاحبه الى السعادة في الدين والدنيا، وفي الآخرة والاولى. ولذلك قال سبحانه «إلا من أتى الله بقلب سليم» (سورة الشعراء - ٨٩)

وبما أن القلب هو مركز الارادة، فهو أفضل بضعة في الانسان، اذا سار في الاتجاه القويم، الذي هو طريق الحكمة، ولم يقع تحت سيطرة الشهوات والنزعات التي تصرفه عن سبيل الحكمة، وتحرفه عن جادة الاعتدال.

التباين بين عقل المرأة وعقل الرجل:

واذا كنا في صدد البحث في التباين بين عقل المرأة وعقل الرجل، فاننا نجد هذا التباين في مستويات:

- ١- في مستوى التمييز بين الخير والشر والنافع والضار. فالتمييز في الامور الاساسية متساو بين الناس مصداقاً لقوله تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» (الشمس - ٨). اما في الامور الفرعية والدقيقة فمستوى التمييز يختلف من إنسان لاخر. وقد ورد في اخبار أن الله وزع العقل على الرجال، فبعضهم على مرتبة و بعضهم على مرتبتين و بعضهم على ثلاث و بعضهم على اربع. والانبياء من هذه الناحية هم في أرفع

الدرجات. وكذلك وزّعه على النساء على مراتب، وذلك مصداقاً لقوله تعالى «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» (سورة الزخرف - ٣٢).

وفي هذا المستوى نجد أن عنصر الرجل يتفوق قليلاً على عنصر المرأة، ولكن ذلك لا يمنع من امتياز بعض النساء على بعض الرجال، كقول المتنبي في رثاء أم سيف الدولة الحمداني:

ولو أن النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

٢- في مستوى الاستفادة من هذا التمييز، في فعل الخير وتجنب الشر، وعدم الانصياع لرغبات النفس الامارة بالسوء، وهو مانع عنه بالارادة التي مركزها القلب. فبما أن المرأة عاطفية بفطرتها، فهي تنساق وراء رغباتها وأهوائها بسرعة دون أن تُحكّم عقلها في كل أمر تقوم به فتعرضه على محك الشرع وتزّنه بميزان الحكمة. فيكون قلبها أقرب الى الانجراف بتيار الشهوات من الانصياع لنداء العقل.

ونتيجة هذا التباين في العقل بين المرأة والرجل، نجد أن الرجل يتميز بالحزم والتصلب في المبدأ الذي يتبناه، بينما نجد المرأة تتميز بسرعة التقلب في التفكير وعدم الدقة في التعبير، وبشدة الحساسية وضعف التحمل. فهي تتأثر بسرعة لأقل طارئ، وتنهار عزيمتها لأقل محنة، وعوضاً عن تحكيم عقلها للخروج من المأزق الذي تقع فيه، فإنها تبدأ بالبكاء والوعويل.

ولكون المرأة عاطفية على هذا النحو، جعل الشارع الحكيم شهادة المراتين كشهادة الرجل الواحد.

٣- العقل المحافظ والعقل المبدع:

أما اذا نظرنا الى العقل من ناحية الذكاء، نجد أن ثمة فرقاً أساسياً من هذه الجهة بين الرجل والمرأة، وذلك حسباً حقيقه علم النفس الحديث.

ففي حين يتساوى الجنسان من حيث مستوى الذكاء العام، فقد وجد أنها يختلفان من حيث طبيعة الذكاء. فهناك نظرية تقول ان العقل قسمان: قسم محافظ وقسم مبدع، والقسم المبدع يأخذ من المحافظ ليبدع. وقد وجد أن طبيعة العقل عند المرأة أميل الى القوى المحافظة، بينما طبيعة العقل عند الرجل أقرب الى قوى الابداع. فمن ناحية الذكاء نجد أن عند المرأة قدرة أكبر على حفظ المعلومات، بينما يتفوق الرجل

بالقدرة الفكرية على الابداع والاختراع.

وأما من الناحية النفسية والاجتماعية، فتتجلى الطبيعة المحافظة للمرأة في تمسكها بالعادات والتقاليد الموروثة وعدم تجاوزها أو تغييرها، وفي أنها تحاول أن تظهر دائماً بمظهر الفضيلة وحسن السيرة متمسكة برداء من التويه والغش. بينما تتجلى طبيعة الرجل المبدعة في تحلله من العقائد والاخلاق، واتخاذ فلسفات جديدة في الحياة، وانطلاقه لاكتشاف العلوم النظرية والتطبيقية، دون أن يكتثر بسمعته وبمنظرة الناس اليه. لذا قيل: ان المدنية هي من صنع الرجال وليس النساء.

ومن هذا المنطلق نجد في الدول التي أتاحت جميع الفرص للجنسين بالتساوي، أن عدد النساء اللواتي يتفوقن في الرياضيات والفيزياء قليل جداً بالنسبة للرجال. وكذلك الامر في الفلسفة والسياسة والموسيقى ونظم الشعر، والرسم والطب والهندسة وتصميم الازياء.

٤- تطور العقل ونضجه:

وقد لاحظ العلماء فرقاً ملحوظاً بين نشاط عقل الرجل ونشاط عقل المرأة خلال مراحل الحياة. فان تأخر عقل الرجل في اكتماله عن عقل البنت بسنتين خلال فترة المراهقة، يجعله يستمر في نشاطه الى مدى أكبر. ويتوافق هذا النشاط العقلي مع النشاط الجنسي، الذي يصبح محدوداً بعد الخمسين.

٥- النفس:

وهي مركز العواطف. وتأتي العاطفة كخاصة مقابلة للعقل. فالانسان من حيث بنائه الروحي يتألف من عقل وعاطفة. وهما موجودان في المرأة والرجل ولكنها يختلفان في الشدة. فحين وزع الله سبحانه العقل والعاطفة على الرجل والمرأة، زاد في عقل الرجل على حساب عاطفته، وزاد في عاطفة المرأة على حساب عقلها، وذلك ليتلاءم كل منها مع الدور الذي أوكل اليه في الحياة. وليكون التباين بينها سبباً للألفة والرغبة. وليس هذا يعني تفضيلاً للرجل على المرأة أو العكس. فالتفضيل لا يكون في وجود الشيء في الانسان وانما في مدى استخدامه في وجود الخير. ففي حين يمكن أن يستخدم الرجل عقله للحيل والمكر، فيرتكب الجرائم والموبقات،

يمكنه أن يستخدمه في طرق الخير لحماية كيانه ومساعدة الآخرين. وكذلك الامر بالنسبة للعاطفة، فيمكن أن تستخدمها المرأة في الكيد والحقد فتعيث في الارض فساداً، كما يمكن أن تستخدمها في العطف على زوجها وأولادها وخدمتهم، فتملاً الارض سعادة ومحبة.

وكما ذكرنا سابقاً فان الله سبحانه حين باين بين الرجل والمرأة فيما وزع عليهما من عقل و عاطفة وغيرهما من القدرات، فانما أجرى ذلك ليستطيع كل واحد منها القيام بدوره في الحياة ووظيفته في الوجود على أكمل وجه. ووجه التفضيل يبقى في مدى قيام الفرد بتلك الوظيفة واستخدام طاقاته الفطرية لتحقيقها.

أهمية تربية المرأة:

ومن ثمرات كون المرأة عاطفية، أنها تستطيع أن تربي أولادها وتوجههم وتغرس فيهم، ماتشياء من الخير، فاذا أحسنا توجيه المرأة منذ الصغر، حصلنا على ينبوع غزير من الطاقات الخيرة، التي نستطيع بها أن نبني المجتمع الفاضل.

لذلك شدد النبي (ص) على أهمية تعليم البنت وتربيتها، حتى قال: «من كانت عنده بنتان، فأحسن تربيتها وهذبها كفلت له الجنة». وفي هذا المعنى قال الامام الخميني حفظه الله: «المرأة نصف المجتمع، ومربية النصف الاخر»، وذلك لبيان قيمتها في المجتمع، وأهمية تربيتها والعناية بها.

ومن هذه الوجهة نفسر مدى إكرام الأم والتوصية بها. فقد أوصى النبي (ص) كثيراً بالأم فقال «الجنة تحت أقدام الامهات» وما ذلك إلا لفضلها الكبير على الانسانية والبشرية، فهي الحاملة والوالدة والمربية والمتحملة لصنوف العذاب والالام.

التباين بين نفسية المرأة والرجل:

ويذكر علم النفس فرقاً بيناً بين نفسية الرجل ونفسية المرأة، فقد بينت الدراسات أن نفسية الرجل «فاعلية» بينما نفسية المرأة «انفعالية». وهذا يفسر رغبة الرجل في الاعتداء على غيره، بينما يفسر رغبة المرأة في العيش في ظل رجل يؤمن حمايتها وسعادتها. ولذلك وجد أن أغلب جرائم الرجال هي القتل والسرقة والاعتداء والبطش، بينما أغلب جرائم النساء هي الزنا.

الجنس والأمومة:

ومن الفروق الاساسية بين طبيعة الرجل والمرأة، هو في الناحية الجنسية. فقد جعل الله سبحانه تسلسلاً بديعاً مترابطاً في العلاقة بين عناصر الخليقة. فالرجل تستهويه المرأة فتشده اليها، والمرأة يستهويها الاطفال فتسعى وراءهم، وبذلك يكتمل بناء الأسرة القوي، الذي يدفع الحياة الى الاستمرار على الارض... فمن الملاحظ أن من أهم ضرورات الرجل اشباع غريزته الجنسية، ويكون الدافع له الى الزواج هو تأمين حاجته الجنسية وحفظ نفسه من الفسوق، دون أن يفكر في موضوع الانجاب والاولاد. أما المرأة فيضعف دافعها الجنسي أمام عاطفة الامومة التي تسيطر على كيانها. فهي تتخذ الجنس وسيلة للحصول على الأولاد. واذا كان اهتمامها وتعلقها ينصب في البداية على الزوج، فان ذلك يتقلص مع انجاب الاولاد، الذين تربطها بهم رابطة أقوى من الجنس، هي رابطة الأمومة، فهي تشعر بأنهم قطعة من كبدها، لابل أعلى من حياتها.

٦ - بعض مظاهر نفسية المرأة:

وسوف نستجلي فيما يلي بعض مظاهر نفسية المرأة:

١- الرقة والرحمة:

تتميز المرأة عن الرجل بعطفها وحنانها، ورقة عواطفها ورهف أحاسيسها، وشدة تأثرها وسرعة انفعالها، كما أنها تتميز بصبرها وجلدها وقوة تحملها. وهذه الخصال الرفيعة تتناسب مع وظيفتها في الحياة. فتربية الطفل تحتاج الى الرقة والحنان والعطف والرحمة، كما تحتاج الى الصبر والتجمل والتحمل.

أما الرجل فيتميز بقسوته وعنفوانه وجبروته وبطشه، ولذلك قال تعالى في صفة الرجال (واذا بطشتم بطشتم جبارين).

كما يتميز بحزمه وعزمه وشجاعته ورباطة جأشه. وهي خصال تفرضها عليه طبيعة المهمة التي أوكلت به، وهي تأمين حاجات الأسرة وحمايتها من الخارج.

وقد اعطى الله المرأة أيضاً خصلاً تناسب حاجات الاسرة والتربية، منها النظافة والاناقة وحب الترتيب، فنجد هذه الصفات مطبوعة في فطرة أغلب النساء. والرجل بخشونته وقسوة طبعه وقلة رحمته، يحب المرأة التي تعوضه بعض ذلك برقتها ووداعتها ورحمتها. فيجد فيها فيض الحنان والحب، الذي يُمتنّ بينها أوامر الزوجية، ويجعلها ينجبان أولاداً طيبين.

٢- الاهتمام بالمظهر والسمعة:

ونلاحظ ان المرأة تهتم بالمظهر أكثر من الرجل، الذي يهتم بالجواهر. فاذا راقبتنا اهتمامات المرأة، نجد أنها مهما بلغت من العلم والفهم، فهي مسيرة الى الاهتمام بالاشكال والمظاهر، مما نسميه زينة الحياة الدنيا. وقد غرس الله سبحانه هذه الخاصة في المرأة، لتكون المرأة متعة للرجل، يتمتع بزینتها وجمالها، ويشم رائحتها وعبقها، فتسره اذا نظر اليها، وتُجَبِّه النظر الى غيرها. وهذا مصداق قول الامام علي (ع): «المرأة ربحانة وليست بقهرمان» والقهرمان هو الذي يحكم في الامور ويتصرف فيها برأيه. فالامام (ع) لا يرغب أن تُتصرف المرأة الى الانشغال بتصريف الامور العامة، مما يمنعها عن مزاوله وظيفتها الأساسية، وهي أن تظل في بيتها ربحانةً لزوجها وراعيةً لاولادها. وبما أن المرأة عاطفية، فانها قد تنساق وراء هذه المظاهر، ولا تتحرج لاشباع تلك الرغبة من التساهل في أوامر الشرع، فتستخدم تلك الغريزة في غير محلها الصحيح. فعوضاً عن أن تتزين لزوجها، فانها تقوم بعرض مفاتها أمام الغرباء في الازقة والطرقات، ولا تخفى مفاسد هذا التصرف في إشاعة الفحشاء والمنكر في المجتمع. أما من ناحية السمعة، فقد وجد أن المرأة تحاول المحافظة على سمعتها بين الناس، فهي اذا فعلت المنكر تفعله في الخفاء بعيداً عن أعين الناس، حتى لا يفتضح أمرها وتهدر كرامتها. أما الرجل فهو حين يفسق لا يتورع عن ذكر ذلك أمام الناس، وربما تفاخر بفعله ذلك، دون أن يبالي بسمعته وشهرته.

٣- الحب والكره:

ان المرأة بدافع عاطفتها الشديدة، اذا أحبت انساناً أحبت فوق التصور، واذا أبغضته فانها لا تنسى بغضها له. وفي ذلك يقول الامام (ع): «المرأة تكتم الحب أربعين

سنة، ولا تكتم البغض ساعة واحدة» (الحكمة ٢٢٨ الملحقه بأخر تفسير ابن أبي الحديد).

ومن أمثلة الصنف الاول حب خديجة (ع) للنبي (ص) وحب فاطمة الزهراء (ع) للامام علي (ع). ومن أمثلة الصنف الثاني بغض عائشة للامام (ع) لأسباب لا مجال لذكرها هنا، حتى أن إيمانها لم يمنعها بدافع ذلك الكره من أن تحارب الامام علياً (ع)، فيذهب بجريرتها خمسة عشر الفاً من الضحايا المسلمين* وذلك في موقعة الجمل التي جرت قرب البصرة. مخالفة بذلك أمر خالق الاكوان في محكم القرآن، حين أمرها بملازمة بيتها وعدم التدخل في أمور السياسة، وذلك في قوله تعالى مخاطباً نساء النبي (ص) خاصة حيث يقول «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (سورة الاحزاب - ٣٤) أي أن خروج زوجة النبي (ص) من بيتها هو مخالفة لأمر الله وعدم طاعة للرسول (ص). وقد نظم هذا المعنى الشيخ كاظم الأزرعي في قصيدته المشهورة فقال:

حفظت أربعين ألف حديث ومن الذكر آية تنساها

٤ - الكيد والمكر:

الكيد هو إرادة مَضَرَّة الغير بشكل خفي، عن طريق المكر والحيلة والخديعة.

والمرأة السيئة تكيد للرجل لتغويه، كما يكيد الشيطان لبني الانسان. ومن أبرز الامثلة القرآنية على ذلك كيد امرأة العزيز ليوسف (ع) الذي ظل صامداً بتأييد ربه، وفضل السجن على ارتكاب الفاحشة. وذلك مصداق قوله تعالى على لسان العزيز: «فلما رأى قبيصه قد من ذُرِّ قال إنه من كيدكُنَّ، إن كيدكُنَّ عظيم» (سورة يوسف - ٢٨). وقوله على لسان يوسف (ع):

«قال: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهنَّ أضب إليهنَّ وأكن من الجاهلين» فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهنَّ إنه هو السميع العليم» (سورة يوسف ٣٣ و٣٤). وغير خاف أيضاً كيد المرأة للمرأة اذا تعارضت مصالح إحداها مع الأخرى، وغالباً ما يحدث ذلك بدافع الغيرة.

* - ذكر الطبري أن عدد القتلى في معركة الجمل عشرة آلاف من جيش عائشة وخمسة آلاف من جيش الامام علي (ع).

٥ - الغيرة :

تتجلى الغيرة في أبسط أشكالها عند المرأة في حب تقليدها لغيرها من النساء، وفي محاولة امتلاك كل شيء تملكه رفيقاتها. وهو مرض سار، مرده إلى حب الذات والعُجب بها.

ويستدخل مفهوم الغيرة بهذا المعنى مع مفهوم الحسد، وهو شائع بين الرجال وبين النساء. ومن أمثلته غيرة هابيل من أخيه قابيل، حين حسده وادعى أنه أفضل منه. فلما احتكما إلى الله فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، زادت غيرة قابيل، حتى سولت له قتل أخيه، فقتله.

ومن أخطر أشكال الغيرة أن تحب امرأتان رجلاً واحداً، فتتخاصمان للحصول عليه. وهو من الأمور الخطرة، التي تسيئ إلى الحياة الزوجية وتجعلها جحيماً لا يطاق. ويحدث الأمر نفسه عندما يتزوج الرجل اثنتين، فتغار إحداهما من الأخرى وتكيد لها، وهو مُحَرَّم شرعاً. وهو ما عبّر عنه الإمام بقوله: «غيرة المرأة كُفْرٌ، وغيرة الرجل إيمان».

ويقصد بغيرة الرجل، غيبرته على عرضه وحرمة وحفظهم من الشرور والاعتداء. وقد أوجب الله سبحانه على الرجل العدل بين نسائه، حتى لا يكون للمرأة عذر في غيبتها.

٦ - الغدر :

تتميز المرأة العاطفية بسرعة التقلب وعدم الثبات على رأي، فهي تحب اليوم وتكره غداً، وتحب شخصاً ثم تنقلب إلى غيره.

ولذلك قيل في المثل: «نساؤهم كهوائهم».

وقد وصمها النبي بالغدر وعدم الوفاء بالعهد حيث قال:

إذا غدرت حساناً وقتت بعهدها فن عهدها أن لا يدوم لها عهد

وهذه الصفات أبعد ما تكون عن المرأة المؤمنة الملتزمة. أما المرأة الطائشة التي تتبع هواها وتنساق وراء رغباتها، فهي تتخبط في غيها وبغها، ولا ترى أي ضير في نكث العهد، وعدم الوفاء بالوعد،

والغدربصاحبها عن قصد وعمد.

أما الرجل فهو أكثر اندفاعاً الى العمل بما يعتقد، والنبات على عقيدة معينة، والدفاع عنها بوعي وتصميم، والوفاء بعهده مهما كلفه ذلك. فاذا وعد اعتبر وعده ديناً في عنقه، مصداقاً للقول المأثور: «وَعَدُ الْحَرِّ دِينَ». ومن أشهر الأمثلة على ذلك وفاء السموع لمن أودع عنده عدداً من الدروع، ففضلَ ذبح ابنه دون أن يسلمها لغير أصحابها.

٧- افشاء السر:

وفي حين شدد الشارع الاقدس على حفظ السر وعدم الكلام إلا عند الضرورة، خوفاً الضرر وخوف الوقوع في الخطأ، وأكد على ترك الغيبة لأنها تنطوي على فضيحة المؤمن أو بهتانها، نجد أن أغلب النساء لا يحفظن لسانهن بل يواصلن الكلام ويتفاخرن بكثرتة، ولا يتورعن عن الكلام على الغير بما فيه وبما ليس فيه. وهذا من أكبر المعائب الاخلاقية... ويكفينا للتأكد من ذلك مراقبة النساء في مجالسهن، فبعض حديثهن عن أمور الدنيا وزينتها، وأغلبه غيبة وافتراء على الناس.

وبما أن المرأة عاطفية فهي لا تقدر عواقب الامور، فاذا أفضى اليها أحد بسر، فانها تفضي به الى رفيقتها وتوصيها بكتمانه، وهذه تفضيه بدورها لغيرها بشرط الكتمان، حتى يشيع الأمر في كل مكان.

وبما أن المرأة لا تحفظ سرا، فقد حظرت الحكومات زواج العسكريين من النساء الاجنبيات.

وفي هذا الصدد قال الامام علي (ع) من خطبة له يعظ فيها أصحابه:

«واجعلوا اللسان واحداً. وليخزن الرجل لسانه، فان هذا اللسان جموح بصاحبه. والله ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفقه حتى يخزن لسانه. وان لسان المؤمن من وراء قلبه، وان قلب المنافق من وراء لسانه. لأن المؤمن اذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فان كان خيراً أبداه، وان كان شراً واره. وان المنافق يتكلم بما أتى على لسانه، لا يدري ما ذاله وما ذاعليه.»

ولقد قال رسول الله (ص): «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه. ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه... فن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقي الراحه من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل.» (نهج البلاغة الخطبة ١٧٦)

قصة المتكلمة بالقرآن

وقد حفل تاريخنا الاسلامي العتيد بالعديد من النساء المؤمنات اللواتي التزمنا بالورع والتقوى، حتى فُقرنَ في ذلك الرجال الاتقياء. وكمثال عليهن تلك المرأة التي آثرت أن لا تتفوه بكلمة واحدة إلا من القرآن، حتى لا تقع في خطأ أوريب، فسُميت لذلك (المتكلمة بالقرآن) وظلت على تلك الحالة أربعين سنة.

قال عبدالله بن المبارك :

«خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه (ص)، فبينما أنا في الطريق اذ أنا بسواد. فتميزت ذلك فاذا عجوز عليها درع (أي قبص) من صوف وخمار. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت (سلامٌ قولاً من ربِّ رحيم). فقلت لها: رحمتك الله ماتصنعين في هذا المكان؟ قالت (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ). فعلمتُ أنها ضالة عن الطريق. فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى). فعلمتُ أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس. فقلت لها: انت منذ كم في هذا الموضع؟، قالت: (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا). ما أرى معك طعاماً تأكلين. قالت (هُوَ يُطْمِئِنِّي وَيَسْقِينِ). فقلت: فبأي شيء يتوضئين؟ قالت (فَأَنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمِيمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا). فقلت لها: إن معي طعاماً فهل لك في الأكل؟ قالت (ثُمَّ أَيْمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ). فقلت: قد أبيع لنا الافطار في السفر. قالت (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

فقلت: لم لا تكلميني مثلما أكلمك؟ قالت (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). فقلت: فن أي الناس أنت؟ قالت (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا). فقلت: قد أخطأتُ فاجعليني في حلٍّ. قالت: (لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم). فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟ قالت (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله).

قال ابن المبارك : فأتختُ الناقة. فقالت «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» فغضضتُ بصري عنها، وقلت لها: اركبي ... فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، ففرقتُ ثيابها، فقالت «وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبتُ أيديكم». فقلت لها اركبي. قالت «سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مُقرنين [أي مطيقين] وإنا إلى ربنا لَمُنْقَلِبُونَ». فأخذتُ بزمام الناقة، وجعلتُ أسعى وأصيح، فقالت «واقصد في مشيك واغضض من صوتك». فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر، فقالت «فاقرؤوا ما تيسر منه». فقلت: لقد أوتيت

خيراً كثيراً. فقالت «وما يدكر إلا أولوا الالباب».

فلما مشيتُ بها قليلاً قلتُ لها: ألك زوج؟ قالت «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم». فسكتُ ولم أكلمها، حتى أدركتُ بها القافلة. فقلتُ لها: هذه القافلة، فمن لك فيها؟ فقالت «المال والبنون زينَةُ الحياة الدنيا». فعلمتُ أن لها أولاداً. فقلتُ: وما شأنهم في الحج؟ قالت: «وعلاماتُ بالنجم هم يهتدون». فعملتُ أنهم أدلاء الركب.

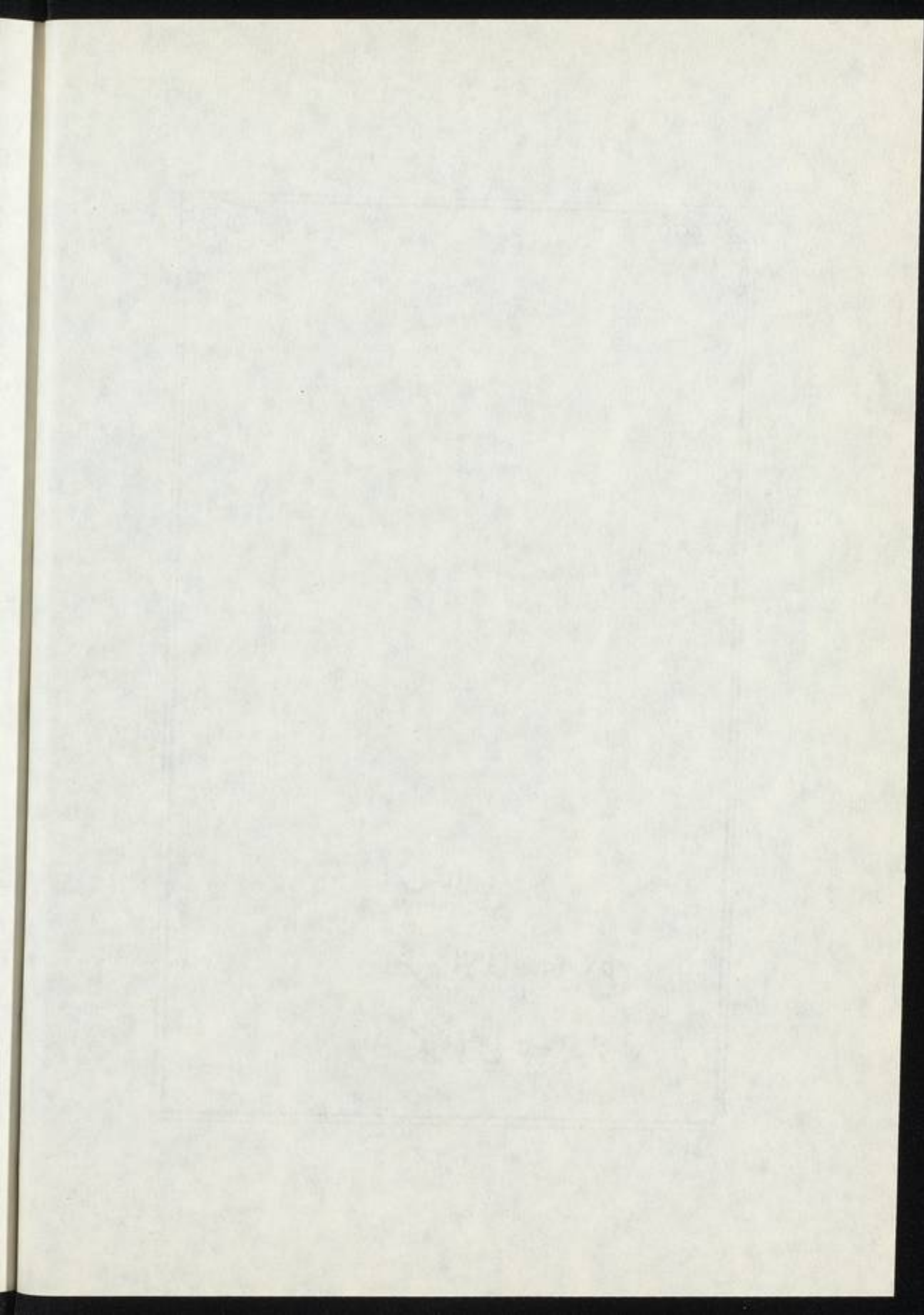
فقصدتُ القباب والعمارات، فقلت: هذه القباب، فمن لك فيها؟ قالت: «وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً» «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً» «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ». فناديتُ: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى. فاذا بشبان كأنهم الأقار قد أقبلوا. فلما استقر بهم الجلوس، قالت «ابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة، فلينظر أياها أذكى طعاماً، فليأتكم برزق منه». فضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي، فقالت «كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية».

فقلت: الان طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أمتنا، لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، مخافة أن تنزل فيسخط عليها الرحمن. فقلت: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

الفصل الرابع:

نظرة الامام علي (ع)

الى المرأة في نهج البلاغة



سوف نتناول في هذا الفصل البحث في أقوال الامام علي (ع) عن المرأة، والتي وردت في نهج البلاغة، سواء في الخطب أو الكتب أو الحكم. ونشبت قبل الخوض في هذا البحث النصوص المعتمدة مع أرقامها، حسبما وردت في كتاب (تصنيف نهج البلاغة) للمؤلف:

قال الامام علي عليه السلام:

- ١٥١ وأن النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها.
- ح ٢٣٨ المرأة شر مكلفها، وشر ما فيها أنه لا بد منها.
- ح ١٢٤ غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان.
- ح ٦١ المرأة عقرت حلوة اللبسة.
- ح ٢٣٤ خبار خصال النساء، شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل. فاذا كانت المرأة مزهومة (أي فخوره) لم تمكن من نفسها، واذا كانت بخيلة حفظت مالها وما لبعها، واذا كانت جبانة قيرت (أي فزعت) من كل شيء يعرض لها.
- ٢٧٠ وقال (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) بعد انصرافه من صفين: وإياك ومشاورة النساء، فإن رأيتهن إلى أفني (أي نقص)، وعزمتهن إلى وهني. واكفف

عليهن من أبصارهنّ بحجابك إياهن، فإنّ شدة الحجابِ أبقى عليهنّ، وليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك من لا يوثقُ به عليهنّ. وأنّ استطعتَ ألاّ تعرفنّ غيرك فافعل. ولا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإنّ المرأة ربحانةٌ وليست بقهرمانةٍ. ولا تغدُبكرامتها نفسها، ولا تُطعميها في أن تشفعَ لغيرها. وإياك والتغايير في غير موضعٍ غيرة، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الرّيب.

ح ١٣٦ جهاد المرأة حُسنُ التبعل.

٧٨

ومن خطبة له (ع) بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء وبيان نقصهن:
معاشر الناس، إنّ النساء نواقصُ إيمان، نواقصُ الحظوظ، نواقصُ العقول. فأما نقصانُ إيمانهنّ فمعهنّ عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن. وأما نقصان عقولهنّ فشهادة امراتين كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الانصاف من موارث الرجال. فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حدّ. ولا تطيعوهنّ في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر.

ومن وصية للإمام علي (ع) لعسكره قبل لقاء العدو وبصفتين:
ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شئتم أعراضكم وسببنا أمراءكم، فانهنّ ضعفات القوى والآنفس والعقول. وإن كنّا لنؤثر بالكفّ عنهنّ وانهنّ لمشركات. وإن كان الرجل ليلتناول المرأة في الجاهلية بالفهر (حجر يذق به الجوز) أو الهراوة (العصا) فيعبر بها و عقبة من بعده.

بيان بعض حكم الامام علي (ع) وأقواله:

من المصنفات السابقة، لانستغرب جملةً من الاقوال التي أفادها الامام علي (ع) عن المرأة المنحرفة التي تعمل بهواها دونما تقيّد بمبدأ، كما هو حال كثير من النساء. يقول (ع):

- وإنّ النساء همهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها (الخطبة رقم ١٥١)

- المرأة شركلها، وشرها فيها أنه لا بدّ منها (الحكمة رقم ٢٣٨)

- غيرة المرأة كفر، وغيره الرجل إيمان (الحكمة رقم ١٢٤). - المرأة عقرب مخلوثة اللبسة (الحكمة رقم

(١) - هَمَّ المرأة:

فاذا تركت المرأة عقلها جانبا، وألقت أوامر الشرع وراء ظهرها، لم يَعُدْ لها من هَمَّ في الحياة غير زينتها وزخارفها، والانسحاق وراء شهواتها. فقال الامام(ع): «وإن النساء هَمُّهُنَّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها».

(٢) - المرأة الفاسدة شر كلها:

وعندها تصبح المرأة شراً كلها، على الرغم من حاجة الرجل والوجود البشري اليها. فقال(ع): «المرأة شرٌ كلها، وشرُّ ما فيها أنه لا بد منها».

(٣) - غَيْرَةُ المرأة وَغَيْرَةُ الرجل:

والمرأة بدافع غيرتها على زوجها قد تنساق وراء عاطفتها، فتتصور أن زوجها يمكن أن يتزوج عليها، فخير سبيل لتتفرد به هو أن تفقره أو تمنعه من مغادرة الدار، أو تصمه بالريبة في كل نظرة ينظرها، مما يسبب لها فساد حياتها الزوجية و يعود عليها بالضرر والسوء. ولذلك نهاها الامام(ع) عن هذه الغيرة المحرمة، واعتبرها كفراً بالنعمة التي أنعمها الله عليها،^٤ فقال(ع): «غَيْرَةُ المرأة كفر». وهذه الغيرة مختلفة جداً عن غيرة الرجل التي تعني الحفاظ على زوجته وأهله ضد أي اعتداء خارجي أو انتهاك لكرامتهم، فهذا واجب على كل رجل، وهو جزء من الايمان، فقال(ع): «وغيْرَةُ الرجل إيمان».

(٤) - غدر المرأة:

وفي الحكمة الرابعة يبيّن الامام(ع) جانباً من نفسية المرأة الشريرة، التي دأبها أن تغدر بزوجها، في حين تظهر له حُسنَ معاشرتها وتصرفاتها، فهي كالعقرب التي تلدغ الانسان بعد أن تعطيه الثقة والأمان، فقال(ع): «المرأة عَقْرَبٌ حُلُوُّ اللَّبْسَةِ»^٥

(٥)- خيار خصال النساء:

ونتيجة التباين في خصال المرأة وفي وظيفتها عن الرجل، تعتبر بعض الخصال السيئة في الرجل، خصالاً جيدة في المرأة. وَيَعُدُّ الامام(ع) ثلاثاً من هذه الخصال وهي: الزهو والجبن والبخل. فيقول(ع): (خيار خصال النساء، شرار خصال الرجال: «الزَّهُوُّ والجُبْنُ والبُخْلُ. فاذا كانت المرأة مَزْهُوَّةً (أي فخوراً بنفسها) لم تُمَكِّنْ من نفسها. واذا كانت بخيلةً حفظت مالها ومالَ بعلها. واذا كانت جبانةً فَرِقَتْ (أي فزعت) من كل شيء يعرض لها) (الحكمة رقم ٢٣٤)

فالمرأة التي لا تستهين بنفسها يدفعها اعجابها بنفسها الى أن لا تُمَكِّنْ أحداً من نفسها، وهي صفة جيدة في المرأة. على عكس المرأة الدنيئة التي تُسَلِّمُ نفسها لكل طالب بلا مقابل.

وبما أن السعي وراء زينة الدنيا يحتاج الى المزيد من المال الذي يرهق كاهل الرجل، كانت المرأة البخيلة أفضل من المسرفة، لأنها بذلك تحافظ على مالها ومال زوجها وأسرته.

أما الجبن والخوف عند المرأة فهو من أفضل الصفات، لأن المرأة التي تدعي الجرأة تضع نفسها في مواضع الخطر دون أن تحترس، وبما أنها ضعيفة، فهي بذلك تُعَرِّضُ نفسها للمهالك، ولو كانت تخاف لتجنبت أماكن الخطر، وحسبت لكل أمر ألق حساب.

أما الرجل، فمن أسمى خصاله أن يكون متواضعاً كريماً شجاعاً، على أن لا يخرج ذلك عن حدود الشرع، فينقلب تواضعه الى ذل، وكرمه الى إسراف، وشجاعته الى تهور.

(٦)- معاملة النساء والحفاظ عليهن:

ولم يبخل الامام(ع) عن اسداء بعض الارشادات الضرورية للرجال، في كيفية معاملة نسايتهم والحفاظ عليهن. فالمرأة التي تنساق عادة وراء عاطفتها، يجب أن تكون في ظل رجل يصونها من الشذوذ والانزلاق، وَيَمَحُضُها النصيحة والرأي الصائب،

الذي يجعلها تفوز بسعادة الدنيا والاخرة.

يقول الامام(ع) في آخر الوصية التي كتبها لابنه الحسن(ع) عند انصرافه من صفين:

«واباك ومشاورة النساء؛ فإن رأتهنَّ إلى أفني (أي نقص) وعزتهنَّ إلى وهني (أي ضعف). واكففت عليهنَّ من أبصارهنَّ بحجابك إياهنَّ، فإنَّ شدة الحجابِ أبقى عليهنَّ. وليس خروجهنَّ بأشدَّ من ادخالك من لا يوثق به عليهنَّ. وإن استطعت ألا تعرفنَّ غيرك فافعل. ولا تملِّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإنَّ المرأة ربحانةٌ وليست بقهرمانة. ولا تغدُ بكرامتها نفسها، ولا تُطعمها في أن تشفع لغيرها. واباك والتعابُر في غير موضع غيره، فإنَّ ذلك بدعو الصحيحة إلى السقم، والبرئته إلى الريب» (الخطبة رقم ٢٧٠).

و يتضمن هذا النص الامور التالية:

١- مشورة المرأة:

ففي البداية بين الامام(ع) أن تفكير المرأة مرتبط بعاطفتها ارتباطاً وثيقاً، ورأيها في الاشياء مرتبط باهتماماتها. فلا ينبغي للرجل أن يشاور المرأة، فإن رأيها قد يُضعف رأيه ويُبْطِط همته. ولا يستشير النساء إلا العاجز من الرجال. يقول(ع): «واباك ومشاورة النساء فإنَّ رأتهنَّ إلى أفني، وعزتهنَّ إلى وهني».

وأما اذا كانت المرأة ذات رأي قويم وعزم قوي، فلماذا لا يشاورها الرجل، ولا يكلفها بحسب الاعمال والمهمات؟ كما فعل الامام الحسين(ع) حين كلف أخته مولاتنا زينب العقيلة(ع) بأن تتابع نهضته من بعده، وأن تبين للملأ أهدافها ومراميها، فقامت بذلك بكل ثبات ورباطة جأش، وحمت ابن أخيها الامام زين العابدين(ع) وجميع السبايا، فكانت بذلك «بطلة كربلاء».

٢ - تحجب المرأة وعدم الاختلاط:

ثم يؤكد الامام(ع) على أمر المشرع بحفظ المرأة، فان عدم اختلاطها بالرجال أحفظ لها ولهم. فقال(ع): «واكففت عليهنَّ من أبصارهنَّ بحجابك إياهنَّ أي إخجبهنَّ عن الغرباء حتى لا تقع أبصارهنَّ على ما يكون سبباً لفسادهنَّ. ثم يقول(ع): «فإنَّ شدة الحجابِ أبقى عليهنَّ» وليس المقصود بالحجاب هنا ما يوضع على الرأس والرقبة والجنب، وإنما المقصود

به الاعتزال وعدم الاختلاط. وان كان حجاب الرأس هو واجب أيضاً بنص القرآن الحكيم. يقول تعالى عن الحجاب الاول مخاطباً نساء النبي اللواتي هنَّ قدوة المسلمات: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْاُولَى، وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» و يقول سبحانه عن حجاب الرأس «بأما النبي فَلَازِوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَإِيْذِيْنَ (سورة الاحزاب ٥٩).

ثم يؤكد على لزوم ستر العنق وما يليه من الصدر وهو الجيب فيقول «وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جَبْهَتِهِنَّ» (النور- ٣٢)

والمقصود بالزينة الظاهرة ماتظهره المرأة من جسمها حال الصلاة، وهو الوجه والوضوء واليدين الى الزندين والقدمين الى الكعبين.^٦ ثم قال الامام (ع): «وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يُوثقُ به عليهن» فهو (ع) يقول: «ان خروج النساء من البيت أهون من دخول شخص غير موثوق عليهن، لأن من تكون هذه صفته يتمكن من الخلوة معهن في البيت بدون رقيب، بينما لا يتمكن من ذلك إذا رآهن في الطريق.

ورغم ان المشرع الحكيم سمح للمرأة بالخروج من بيتها في حالات الضرورة والحاجة، فان الامام (ع) شدد كثيراً على هذه الناحية، لتقديره المفاصد الكبيرة التي تنشأ عن اختلاط النساء بالرجال، كما هو في عصرنا الحاضر. ولذلك قال (ع): «وان استطعت ألا يعرفن غيرك فافعلن». ورغم أن الخطاب في هذه الوصية هو للامام الحسن (ع) فهو غير موجه اليه بقدر ما هو موجه لعامة المسلمين، لأن عقيلات أهل البيت كنَّ أشد الناس تمسكاً وتطبيقاً لتعاليم الشريعة.^٧

روى ابن شهر آشوب في المناقب أن النبي (ص) قال لفاطمة (ع): «أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل. فضمتها اليه وقال: ذرية بعضها من بعض».

وقد أثير عن زينب العقيلة (ع) أنها كانت لا تعرف من باب دارها غير وجهه الداخلي. وكانت عندما تضطر الى مغادرة بيتها، تخرج ليلاً محجبة ومعها الحسن (ع) عن يمينها والحسين (ع) عن شمالها، وأبوها أمير المؤمنين أمامها.

وقد كانت مولانا سكينه بنت الامام الحسين (ع) شبيهة بمجدتها فاطمة الزهراء (ع)، فكانت منقطعة الى العبادة ودائمة الاتصال مع الله، لا تغادر بيتها ولا تلتفت عن مسجدها. حتى أنه لما خاطبها ابن عمها الحسن المثنى بن الامام الحسن (ع) قال له أبوها الحسين (ع): «أعطيتك فاطمة بنتي فهي كأمي الزهراء في العبادة، أما

سكينة فلا تصلح لرجل، لأنها غالبٌ عليها الاستغراق مع الله.
ومن غريب الأمر، أن يذكر أحد المؤرخين وهو الزبير بن بكار في كتابه نسب قريش أن سكينة نفسها كانت تقيم مجالس الانس والشعر والغزل، وأن بيتها كان منتدباً للرجال والنساء. وفي هذا تزوير متعمد، للحط من قيمة أهل البيت في نظر الناس وتشكيكهم بهم. والحقيقة أن التي كانت تقوم بهذا الأمر هي سكينة بنت خالد بن الزبير، فقد كانت تجالس الشعراء ويتغزلون بها وبجملها. فرفع ابن بكار هذه الوصمة عن آل الزبير وجعلها في آل البيت (ع)، لأن الوضع السياسي يناسب ذلك. وقد كشف هذا الافتراء ابوالفرج الاصبهاني في كتابه الاغانى حيث قال: ان التي كانت تجالس الشعراء هي سكينة بنت خالد بن الزبير وليست سكينة بنت الحسين (ع).

٣ - المرأة وريانة:

ثم يؤكد الامام (ع) أن وظيفة المرأة هي في ممارسة الاعمال المناسبة لها، ومن أجلها إنجاب اولادها ورعاية أسرتها، فهي لم تخلق لتحمّل المسؤوليات الشائكة والاعمال التي تضر بأنوثتها بل خلقت لتظل ورده جميلة وريانة عطرة. فقال (ع): «ولا تُملِكُ المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريانة وليست بقهرمانة» و في هذا إرفاق كبير بالمرأة يتناسب مع رقتها وأنوثتها ولا يزيد لها أعباء فوق أعبائها. وقد شرحنا هذا القول سابقاً حين تكلمنا عن اهتمام المرأة بالمظهر.

ثم يقول (ع): «ولا تغد بكرامتها نفسها، ولا تطيعها في أن تشفع لغيرها» أي لا تجاوز باكرامها نفسها، فتكريم غيرها بشفاعتها. وكل ذلك مبني على طبيعة المرأة في الانسياب وراء عاطفتها وتجاوز حدود حقها إذا أسلس لها العنان. وإن تشفع المرأة للولد بشكل متكرر منساقاً وراء عاطفة الامومة يسئ الى تربيته.

٤ - المرأة لا تحكم:

ومن هذا المنطلق نهى النبي (ص) عن إمارة النساء، لأنها اذا حكمت تحكم بهواها، فتشيع في الارض الفساد، وهذا من علامات آخر الزمان وقيام الساعة. قال النبي (ص): «اذا كان أمراؤكم أخياركم، وأغنياؤكم سمحاًكم، وأمرؤكم شررى

بينكم، فظهرُ الارض خيرٌ لكم من بطنها. واذا كان أمراؤكم أشراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم الى نساتكم، فبطن الارض خير لكم من ظهرها».

وقال الامام علي(ع): «ومن أمارات الساعة: إمارة النساء والصبيان وكثرة السراري وارتفاع البنيان. ولا تقوم الساعة حتى تشتغل الرجال بالرجال، والنساء بالنساء».

ويقول الامام(ع) في مستدرک نهج البلاغة ص ١٧٦: «يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة - وهو شر الأزمنة - نسوة كاشفات عاربات، متبرجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات الى الشهوات، مشرعات الى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدات».

٥ - خطر تمادي الرجل في الغيرة:

ثم ينهى الامام(ع) في موعظته حول معاملة المرأة، ينهى الرجل عن التمادي في الغيرة على النساء والزوجة، فيسئ الظن بهن بدون سبب، فان ذلك يولد فيهن رد فعل سيئاً، فخير الأمور الوسط، وكل شئ في محله جميل. يقول(ع): «واباك والتغايير في غير موضع غيرة، فان ذلك يدعو للصحة الى السقم، والبرية الى الرب» فاذا كانت المرأة سوية بريئة فان شدة الضغط عليها قد يولد الانفجار، فتميل الى الشذوذ والى سلوك سبل الريب.

٦ - جهاد المرأة:

ننتقل الان الى بيان جانب هام من وظيفة المرأة الفطرية، وذلك حين تكون زوجة صالحة.

ان سر نجاح الزواج كامن في علاقة المحبة والالفة بين الزوجين، وفي التوافق النفسي والروحي بينهما. وتلعب هنا العلاقة الزوجية دوراً كبيراً.

لذلك أكد الشارع الحكيم على تقوية العلاقة ليصون الأسرة ويجعل بناءها قوياً متيناً. ووضع المسؤولية الكبرى في تمتين تلك الرابطة على الزوجة بالذات، لانها أوتيت الوسائل اللازمة لذلك، واعتبر عملها هذا في تقوية تلك الرابطة مسؤولية كبيرة لا يجوز لها أن تستهين بها، وسماها «جهاد المرأة» في مقابل «جهاد الرجل» الذي يقصد به مجاهدة الاعداء والسعي في تأمين ضرورات الحياة. وقد ترجم الامام علي(ع) هذا المعنى بقوله: «جهاد المرأة حُسن التبعّل» ويقصد

بالتبعل إطاعة المرأة لزوجها وتأمين كل حاجاته المادية والعاطفية، حتى يظل مشدوداً إليها ومشغولاً بها عن سواها، فتكون له ذرءاً يُجَنَّبُه الحرام، وحافظاً يصونه من طوارق الأيام. وفي ذلك يقول النبي(ص): «ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تُسَرُّه اذا نظر إليها، وتطيعه اذا أمرها، وتعفظه اذا غاب عنها، في نفسها وماله».

٧ - خبر أسماء بنت يزيد الأنصارية:

ولبيان الفرق بين جهاد المرأة وجهاد الرجل، وأن جهادها متكاملان، نورد قصة أسماء بنت يزيد الانصارية، وافدة النساء على رسول الله(ص).
 ومجمل القصة أن أسماء أتت الى النبي(ص) وهو في أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء اليك . ان الله عزوجل بعثك الى الرجال والنساء كافة، فأمننا بك وبإهلك . وأنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم وحاملات أولادكم . وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزوجل . وان أحدكم اذا خرج حاجاً أو معتمراً او مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا أولادكم، أفما نشارككم في هذا الاجر والخير؟ فالتفت النبي(ص) الى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط، أحسن من مسألتها هذه في أمر دينها؟ فقالوا: يا رسول الله أي امرأة تهتدي الى مثل هذا؟! فالتفت اليها النبي(ص) وقال: «إفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء، أن تحسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها أمره، يعدل ذلك كله. (المجالس السننية ج ٢ ص ١٣٣)

٨ - مظاهر نقص المرأة:

نعود الان للحديث عما ختمنا به المناقشة الجريئة التي تمت مع الصحفية الايرانية في طهران.

فبعض النساء يتهمن الامام علياً(ع) بالتعامل على المرأة لأنه وسمها بالنقص. ولكنني أقول ان كلام الامام(ع) هو من قبيل بيان الحال، وليس مقصوده الخط من قيسة المرأة تجاه الرجل. فكل شيء لا يملكه الانسان هو نقص فيه. واذا كانت المرأة

ناقصة في بعض الامور، فان الرجل ناقص في أمور أخرى. إلا أن الافضلية النهائية هي للرجل، لقوله تعالى: «الرجال قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» (سورة النساء - ٣٤) ولذلك جعل الله قيادة الاسرة بيد الرجل.

وقد حدد الامام علي (ع) نقص المرأة في ثلاثة مجالات هي:

«نقص العقول ونقص الحظوظ ونقص الطهارة»

يقول الامام علي (ع) من خطبة له بعد فراغه من قتال عائشة في حرب الجمل، في

بيان نقص النساء:

«معاشر الناس. إنَّ النساء نواقصُ الايمان، نواقصُ الحظوظ، نواقصُ العقول. فأما نقصانُ إيمانهنَّ ففقدوهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهنَّ، وأما نقصانُ عقولهنَّ فشهادةُ امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصانُ حظوظهنَّ فواربتهنَّ على الانصاف من مواربِ الرجال. فاتقوا شرَّ النساء؛ وكونوا من خيارهن على حذر. ولا تطيعوهنَّ في المعروف حتى لا يظلمنَّ في المنكر»
وسوف نشرح فيما يلي مظاهر النقص السابقة وعواملها:

١- نقص الطهارة:

وقد عبّر عنه الامام (ع) بنقص الايمان في قوله «إنَّ النساء نواقصُ الايمان» ذلك أن العبادة التي هي لبّ الايمان لا تستقيم بدون طهارة. وفي حين يستطيع الرجل ممارسة العبادات في كل وقت، نجد أن المرأة تقعد عن الصلاة والصيام في أيام الحيض، وهي تشكل نحواً من ربع حياتها. وسبب ذلك أن المرأة أثناء الحيض تعاني من تبدلات عضوية ونفسية تجعلها غير مهية لممارسة العبادات. يقول تعالى: «سألونك عن المحيض قل هو أذى». ويصح ذلك بالنسبة للجُنُب من الزوجين، فالجنابة والحيض والنفاس يرافقها ظلمة تُغشي النفس لا تزول إلا بزوالها.

هذا وإن حالة الحيض لما تفرضه وظيفة المرأة المقدسة في الحمل والانجاب والارضاع. فهو ليس منقصة للمرأة بل كرامة تعزبها. لأن المرأة بهذا النحو تكون مُنْجِبة للأجيال وصانعة للباطال.

٢- نقص الحظوظ:

ويقصد به حظ المرأة في الارث، فنصيب النساء على الانصاف من نصيب

الرجال، وذلك في قوله تعالى «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» وهذا في نظري تكريم كبير للمرأة. ففي حين لم يطالب الإسلام المرأة بأية نفقة لاحد، نراه يعطيها نصف ما يعطي الرجل. بينما طالب الرجل بالانفاق على أسرته ووالديه وحتى على إخوته إن كانوا محتاجين. فالتفريق في سهم الارث إنما هو من مستلزمات التباين في الوظيفة والتكليف بين الرجل والمرأة. ولو أعطى الله المرأة كالرجل في تلك الحال لكان ذلك ظلماً وجوراً.

وهذا النقص أيضاً ليس مدعاة للحط من قيمة المرأة، وإنما هو لتحقيق العدل والانصاف، والتعادل بين الحق والواجب.

٣- نقص العقول:

وقد شرحنا جانباً من هذا النقص حين بينا التفاوت بين المرأة والرجل من حيث توزيع العقل والعاطفة، ليقوم كل منها بدوره على أحسن وجه.

وقد ورد هذا النقص على لسان الامام (ع) في موضع آخر من النهج، وذلك في وصيته لعسكره قبل لقاء العدو بصفين، حين وصاهم بعدم التعرض للنساء بأذى، وأن تَقَوَّهْنَ بِالْفَاظِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ. يقول (ع):

«ولا تهبجوا النساء بأذى، وإن شئتم أعراضكم وتبين أمراءكم، فانهن ضعيفات القوى والأنفيس والعقول».

فن صفة النساء اذا أثيرت حفيظتهن، أنهن يسترسلن في التفوه بأنواع الكلام، دون أن يستطعن كبح جماح أنفسهن وعاطفتهن. ولهذا السبب كانت المرأة في الماضي اذا تكلمت أمام السلطان أو الأمير، فلا يحاسبها كما يحاسب الرجل، بل يقول: انها امرأة والمرأة تتكلم بعاطفتها.

ولهذا السبب اعتبر الشارع المقدس شهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد، لأن المرأة بدافع عاطفتها الغالبة عليها يمكن أن تُحوّر مضمون الشهادة فتخرجها عن حقيقتها، اضافة الى أنها كثيرة النسيان وقليلة الدقة العقلية.

ولا ينبغي ذلك تمتع بعض النساء بعقول ناضجة قد تفوق عقول الرجال. ومن أقرب الامثلة على ذلك تلك المرأة المخزومية التي ناقشت عمر بن الخطاب في مهر النساء فأفحمته حتى قال: ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلت إمامكم فَفَضَّلَتْهُ!؟

خبر أم البنين مع الحجاج:

ومن ذلك خبر أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك حين جادلت الحجاج الثقفي فأفحمته. فقد روى ابن قتيبة في (عيون الاخبار) انه لما دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك ، وعليه درع وعمامة سوداء وقوس، بعثت اليه زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان تسأله: من هذا الاعرابي المُستلثم في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فأرسل اليها قائلاً: هذا الحجاج. فأعادت الرسول اليه فقال: انها تقول لك : والله لأن يخلوبك مَلَك الموت في اليوم أحياناً أحب الي من أن يخلوبك الحجاج. فأخبر الوليد الحجاج بذلك وهو يمازحه. فقال: يا أمير المؤمنين، دَع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فانما المرأة ربحانة، وليست بقهرماناة، فلا تُطلعهن على سيرك ولا تُدخلهن في مشورتك .

فلما دخل الوليد على زوجته أخبرها وهو يمازحها بمقالة الحجاج. فقالت: يا أمير المؤمنين، حاجتي أن تأمره غداً أن يأتيني مُسَلِّماً. ففعل ذلك ، فلما أتاها الحجاج حجبتة، فلم يزل قائماً حتى أذنت له. فقالت: يا حجاج، أنت المُمْتَنّ على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير وعبدالرحمن بن الأشعث! أما والله لولا أن الله عَلِمَ أنك شُرْخُلَقَه ما ابتلاك برمسي الكعبة الحرام، ولا يقتل ابن ذات النطاقين (أي عبد الله بن الزبير الذي أمه أسماء بنت أبي بكر)، أول مولود في دار هجرة الاسلام! وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره، فان كُنَّ ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ منك ! وان كُنَّ ينفرجن عن مثله فهو غير قابل ذلك .. ثم أمرت جوارها فأخرجته.

(شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد طبعة مصرج ١٦ ص ١٢٦)

ومن أراد المزيد من هذه الاخبار الطريفة فليراجع الكتاب الجامع: آثار ذوات السوار لجامعه محمد علي حامد حشيشو- طبع صيدا.

٤ - التحفظ في إطاعة النساء.

ثم يُعَقَّب الامام (ع) بقوله: «فأتقوا شرار النساء؛ وكونوا من خيارهن على حذر»

ولا تطيعوهنَّ في المعروفِ حتى لا يطمعنَ في المنكر». وفي هذا بيان واضح الى أن النساء لسنَّ بصفة واحدة، فهنَّ الصالحات وهنَّ المؤمنات، ومنهنَّ الشريرات وهنَّ الفاسقات والكافرات.

وعلى المؤمن أن يجتنب النساء الشريرات، ولا يستسلم للنساء الصالحات، بل يكون حذراً من انزلاقهن الى الحرام. وإذا كُنَّ صالحات فلا يطيعهن في كل شيء، لأن اطاعتهن في كل مطلب يُشجعهن على التمادي في الطلب، حتى يطلبن المنكر.

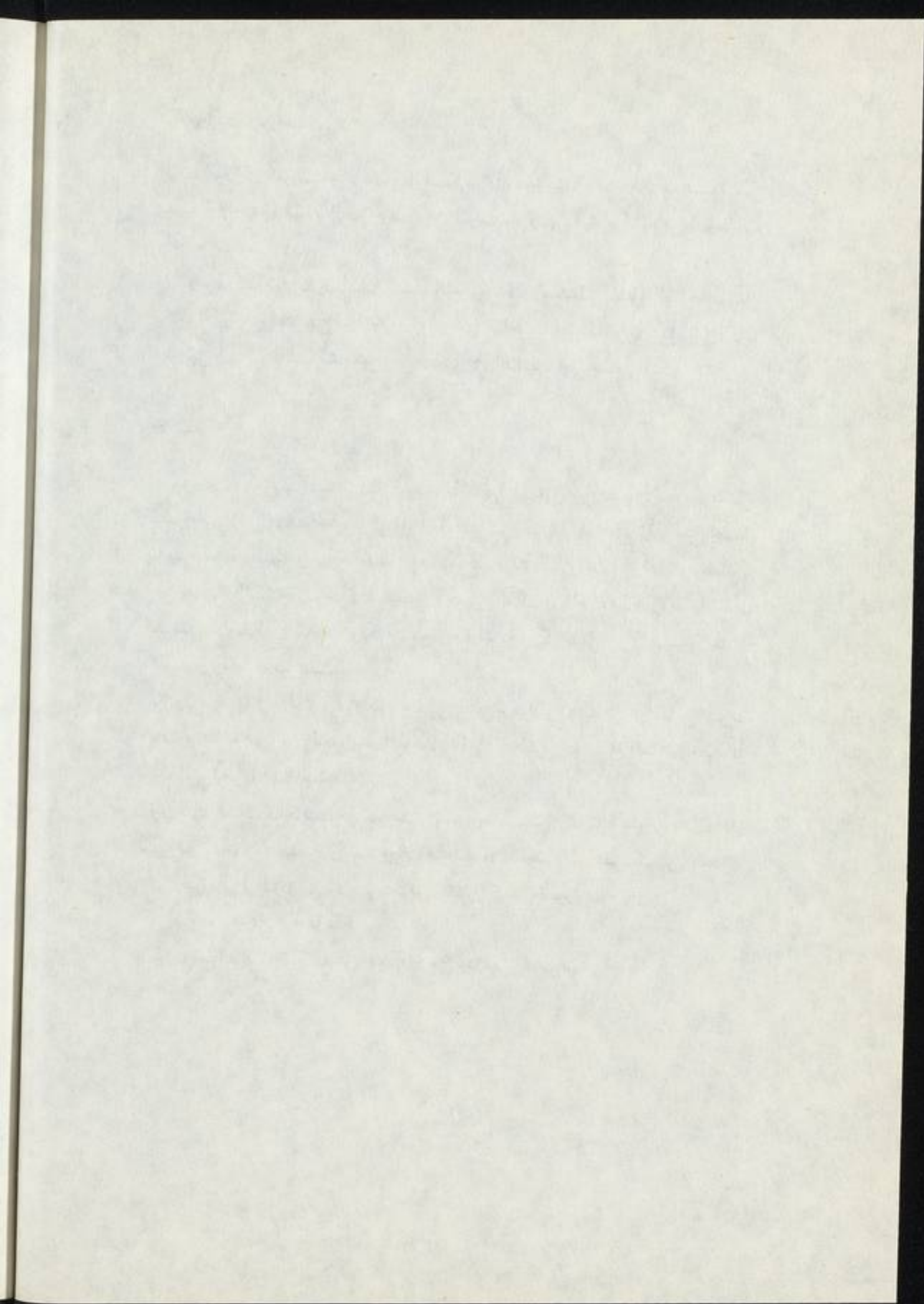
خاتمة

وأختم حديثي بالقول: ان نظرة الامام علي (ع) هي عينُ نظرة الاسلام، ونفسُ نظرة النبي (ص)، فهو الذي تربي في أحضان النبي (ص) وزقه العلم زقاً، حتى أصبح باب مدينة العلم. وازافة لعلمه الرحيب، فقد تبدى ذلك العلم في أعماله وأفعاله، حتى أصبح القدوة الرائدة للمسلمين، فسمي لذلك الإمام، دون غيره من الأنام. فتمثل الاسلام في شخصه وفكره نموذجاً حياً صادقاً، كما تمثل هو في ضمير الاسلام والمسلمين إماماً هادياً علياً.

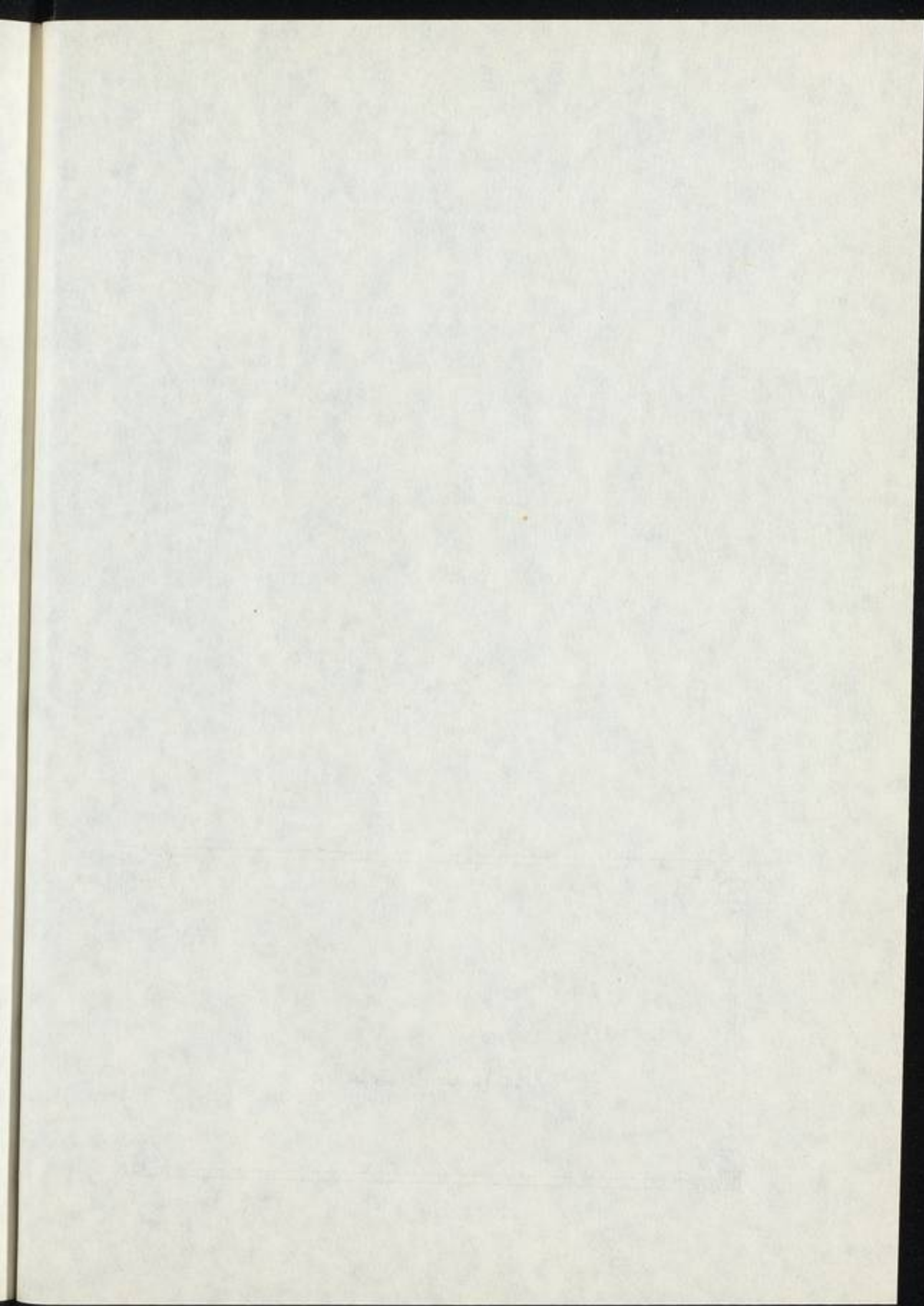
ولاعجب في ذلك، فالامام عليه السلام هو القرآن الناطق في مقابل القرآن الصامت، وهو أحد الثقلين مع القرآن، اللذين لن يفترقا حتى تقوم الساعة، مصداقاً لقول النبي (ص) في حديث الثقلين:

«واني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتي أهل بيتي، فلا تقدموهما فهلكوا، ولا تقصروا عنها فترهقوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم. وإن اللطيف الخبير أخبرني أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيها» ثم أخذ بيد علي ورفعها فقال:

«هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض».



تعليقات على هذه المقالة



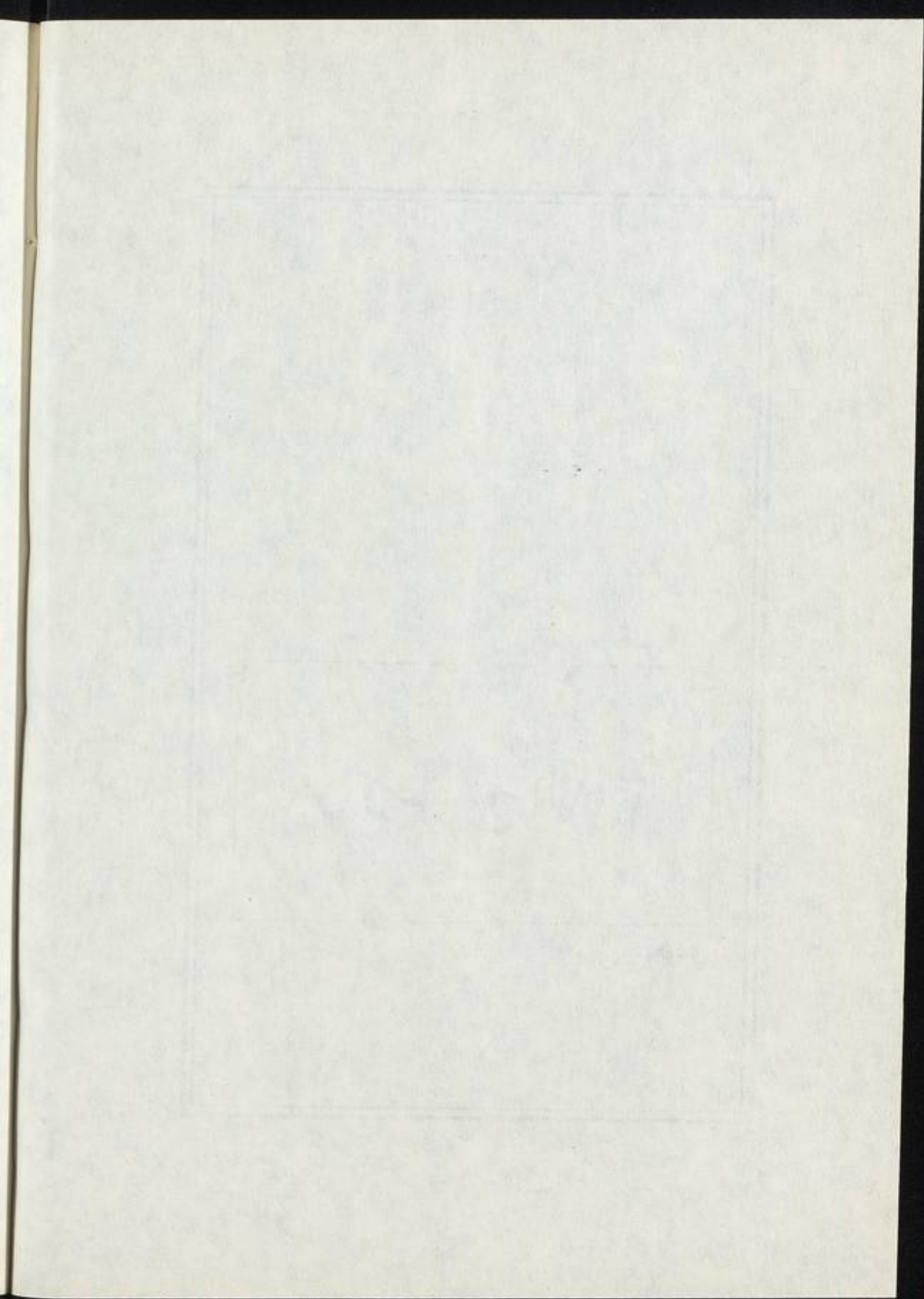
تعليقات على «المرأة في نهج البلاغة»:

- ١ - هذا ليس هو السبب الرئيسي هنا؛ وما ذكره المؤلف بقوله: «وسعيًا» لتحديد عوامل الفسوق هو الأهم بالإضافة إلى أنَّ الإسلام يسمي لتركيز عامل الثقة فيما بين الزوجين... إلى غير ذلك ممَّا لا مجال له هنا.
- ٢ - أي ذلك الرجل الذي لا يستخدم قدراته في خدمة الحقِّ والانسانية.
- ٣ - هناك بعض الاختلاف النوعي أيضاً، بملاحظة الدور الذي أهلت المرأة للقيام به... و يلاحظ ذلك في كلمات نفس المؤلف التالية أيضاً...
- ٤ - وإذا كانت الغيرة تصل الى حد تنسى معه الله سبحانه بل وتتحدى معها أوامره تعالى ونواهيه بشكل علني وسافر وعن سابق توجه واطلاع؛ فإنها تعني أنها في حالة غيرتها وثورتها لا تعترف بسلطان الله سبحانه ولا تخضع لأوامره وزواجره... ولعلَّ هذا أقرب الى ما يرمي إليه الإمام علي(ع) من كلمته المأثورة: «غيرة المرأة كفر».
- ٥ - ولعلَّ الأقرب الى ما يرمي اليه أمير المؤمنين(ع) من كلمته هذه، هو أنَّ المرأة كثيراً ما تؤذي الرجل عن عمد أو من غير عمد، ولكسبها وبملاحظة وضعها العاطفي والأنتوي المثير له تجعل الرجل ليس فقط لا يجد أم لسيتها وإنما هويلتدُّ بها أيضاً.
- ٦ - البحث المتقدم فقهي، فيه الكثير من الأخذ والردِّ بين الفقهاء. وما ذكره المؤلف هنا هو مآرأة مناسبة بحسب سياق بحثه هذا.
- ٧ - لا ريب في أن من الخير للمرأة هو أن لا ترى الرجل ولا الرجل يراها كما قرّرت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في مقام جوابها لسؤال أبيها الرسول الأكرم(ص) لها عن ذلك... ولكن ذلك ليس هو كل ما ينبغي أن يقال في هذا المجال... والأو... فإنَّ المقامات والأحوال تختلف... فقد يفرض الواقع الموضوعي على المرأة أن تقف مع الرجل جنباً الى جنب لتسجّل موقفاً فضالياً ورسالياً يدفع اليه التكليف الشرعي وضرورة الحفاظ على حياة الاسلام وعلى حيويته، وعلى حدوده وثغوره... ولأجل ذلك نجد «فاطمة الزهراء» ومن بعدها ابنتها العقلية «زينب» وسواهما من عقائل الرسالة يشاركن في تسجيل مواقف رسالية وسياسية علنية وفي ملأ من الناس... مع عدم التخلّي عن الإلتزام بالحجاب وعدم الإخلال به... وإذن فإنَّ

من المناسب إلفات نظر القارىء الى أنَّ الظروف تختلف وتتفاوت وتبعاً لها يحصل الاختلاف والتفاوت في الوظيفة الشرعية الإلهية التي لابد من إلتزام بها وأدائها على النحو الأفضل والأكمل...
 ٨ - هذه الآية ليست في مقام تقرير الأفضلية النهائية المطلقة للرجل على المرأة وأنها هي مقام اعطاء الرجل حقّ القيمومة على المرأة وتقرير: أنَّ القرار النهائي يرجع إليه لأنه هو الذي يتصدى للإنفاق على المرأة ولأنه هو الذي يملك قدرة أكبر على اتخاذ القرار الأنسب مادام أنَّ عواطفه ليست بدرجة من القوة بحيث تهجن على عقله ولأسباب أخرى شرح جانباً منها المؤلف نفسه فيما تقدم وفيما يأتي.

من وحي نهج البلاغة

حسين مسعودي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله: أما بعد:
كما أنه لا يقدر ان يصف نور السموات والارض إلا نور السموات والارض ولا يقدر
أن يصف كتاب الله إلا كتاب الله فكذلك لا يستطيع ان يصف نهج البلاغة إلا
نهج البلاغة. اللهم إلا كما يقال عن البحر انه لُجِّي أو الشمس انها مضيئة أو الكون
انه فسيح أما ان يحاط بنهج البلاغة او تدرك غايته او يسر غوره او يبلغ كنهه فهذا
مالا يتسنى لمتبع ولا يتهاى لمستقص لأستثني من ذلك عالماً ولا مجتهداً مهياً علا شأنه
ورسخت قدمه لأن في هذا الكتاب من العلوم الالهية والكونية والغيبية والرياضية
والتربوية والتعبوية.

مالاعين رأيت ولا أذن سمعت ناهيك عما اشتمل عليه من الاغراض النوعية
الاخرى كالبدينية والمعاشية والتعايشية والتعاملية والاقتصادية والاحتجاجية وما الى ذلك
من ترغيب يجلو لك الجنة بحورها وولدانها ومن ترهيب يستثير عليك النار بمجيمها
وسعيرها فلو أن امرء أوتي فصاحة شحبان وقس بن ساعدة مزدوجتين لما قدر ان يعطى
ناحية واحدة حقها ويلم بجوانبها ويفصح عن مكنوناتها مما كان عليه أمير المؤمنين
علي ابن ابي طالب عليه السلام وانما تجلى بريق من هذه النواحي الخارقة في خطب
نهج البلاغة هذا الكتاب القدسي الذي ألفه وجمع أشتاته ومتفرقاته الشريف الرضي
السيد ابوالحسن محمد بن أبي احمد الحسين الموسوي طيب الله ثراه وهل لمن وهب

لطافة الحسن وصفاء الذهن وصحة التمييز إلا ان يكون عيبي اللسان ناضب اليراع
كليل النظر عن ان يتكلم أو يحفظ أو يصور عظمة و سمو واشعاع نهج البلاغة الذي
قيل عنه وهذا اصح تعبير (انه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين) فكيف بواضع
نهج البلاغة أمير المؤمنين علي (ع) الذي هو باب مدينة العلم يفتي أهل التوراة بتوراتهم
وأهل الانجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفرقان بفرقانهم. إنه أمير المؤمنين
في بلاغته وعلمه وفصله في قضائه وسبقه في اسلامه وشجاعته في موافقه انه أمير المؤمنين
في قربه من رسول الله (ص) كهرون من موسى وشهادة النبي بأنه الايمان كله يوم برز
لعمرو إنه أمير المؤمنين في رده الشمس واخباره بالمغيبات الى جانب تقاه وزهده
وخالص توحيده الذي لأدل عليه من قوله - ما وحّد الله من كَيْفِهِ ولا حقيقته أصاب
من مثله ولا إياه عنى من شَبَّهه ولا صمده من أشار اليه وتوَهَّمه كل معروف بنفسه
مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني
لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده
والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الأمور عرف ان
لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له ضاداً النور بالظلمة والوضوح
بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالبرد مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها
مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد
الادوات انفسها وتشير الالة الى نظائرها منعتها منذ القدمية وحتتها قد الأزلية
وجنبتها لولا التكملة بها تجلي صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه
السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه
ما هو أحدثه اذاً التفاوت ذاته ولتجزأ كنهه ولا تمتنع من الأزل معناه وكان له وراء اذ
وجد له امام (الى آخرها) - الله اكبر - ما اعلى وارفع وأرقى وأسمى هذا النموذج
التوحيدي وكم له في نهج البلاغة من أمثال وأشباه عز نظيرها وامتنع مشبهها
مما أوجب على الشريف الرضي ان يقول - كان أمير المؤمنين (ع) مشرع الفصاحة
وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى امثله
حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ وان كلامه هو الكلام الذي
عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي وليس كلامه إلا البحر
الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل - كما حدا بابن ابي الحديد شارح النهج أجزل الله
ثوابه ان يقول - وماذا اقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة وتنتهي اليه كل فرقة

وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبوعذرها وسابق مضمارها ومجلى حليتها كل من بزغ فيها بعده فعنه أخذ وله اقتنى وعلى مثاله احتذى: وزاد على هذا بقوله في شعره:

(تقلبت افعال الربوبية التي عذرت بها من شك انك مربوب)

وهو مادعا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في مقدمة شرحه للنهج ان يقول - كلما انتقلت من موضع الى موضع في نهج البلاغة احس بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة اجدني في عالم يغمره من المعاني ارواح عالية في حلق من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنسرد بها عن مداحض الزلل الى جواد الفضل والكمال: الى ان يقول: وأحياناً كنت اشهد ان عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً فصل عن الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني فخلصه من غاشيات الطبيعة وسما به الى الملكوت الاعلى ونما به الى مشهد النور الاجلى... وآتات كأني اسمع خطيب الحكمة ينادي بأعليات الكلمه وأولياء أمر الأمة يعرفهم مواقع الصواب و يبصرهم مواضع الارتباب ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم الى دفاق السياسة ويهديهم طرق الكياسة ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة و يصعدهم شرف التدبير ويشرف بهم على حسن المصير.

اقول: وهل تعني هذه الاقوال من هؤلاء الرجال الاعلام ذوي الشأن والمقام في عالم الرقي الفكري والتحصيل العلمي والتوجيه الاجتماعي والتنقيب عن الحقيقة في مكنها والكشف عن جوهريتها والحض على صيانتها إلا عن اهلها المقدرين قدرها الآوين الى ظل نعمتها والموطنين النفس على اعتناق ايجابياتها ونبذ سلبياتها. انها ولاشك تعطينا الشاهد العدل والقول الفصل على ان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو لاغيره بعد النسبة المثل الاعلى للكمال الانساني والصفاء الروحي والعلم اللدني والوارث الاول والاخير لحكمة الرسول الاعظم (ص) وفصل خطابه...

وهل التقى مخلوق بخالقه. مثل ما التقى به أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة علماً وتوحيداً وتنزيهاً وزهداً وحكمة وصبراً وتسليماً وأمرأً بمعروف ونهياً عن منكر اذ كل غريبة من غرائبه وكل موعظة من مواعظه وكل حكمة من حكمه تضرب اليها آباط الابل وتقصر في ادراكها المسافات وتستفرغ لاجلها الجيوب. ولامشاحة ولاجدال بان من يحاول أن يعرف علياً(ع) من زاوية غير زاوية الخاصة المتمثلة في منطق

نهج البلاغة ومسترشداً بأفعاله المؤيدة بمواخاة النبوة لها ووقوف تعاليم الاسلام ونظمه بازائها فانما يرجع من محاولته وعلى عينيه غشاء الخيبة وفي حقيقته حصيلة الافلاس - ولا بد من القول بأن نهج البلاغة هو الجامعة الرحمانية في الارض تتولى التدريس فيها ملائكة السماء فتخرج من بين جدرانها ومن على مقاعدها أفواج العارفين المهتدين المسترشدين برؤية الحقائق المجردة واللطائف المؤكدة فيحيون ويحيون و يقتنون فيفتنون تاركين وراء ظهورهم ما يذهب جفاء للمغترين الواهمين ومقدمين ما ينفع الناس ويمكث في الارض صدقة بين ايديهم للمتدبرين المستبصرين. فسلام عليك أيها النهج السوي والحبل المتين والعروة الوثقى والجامعة السماوية في الارض والسلام من السلام على من أسس بنيان هذه الجامعة ورفع قواعدها وضمن بقاءها وعظمتها وخلودها هدايا الله صراط اسلامه وبصرنا بأنوار معارفه وجعلنا بهديه من المهتدين.

ومما يتفق مع ما نحن بصدده ماسبق لي أنا العاجز أن قلته في غديريتي المستوحاة من أخذ البيعة لأمر المؤمنين يوم الغدير ثامن عشر ذي الحجة الحرام
(منها)...

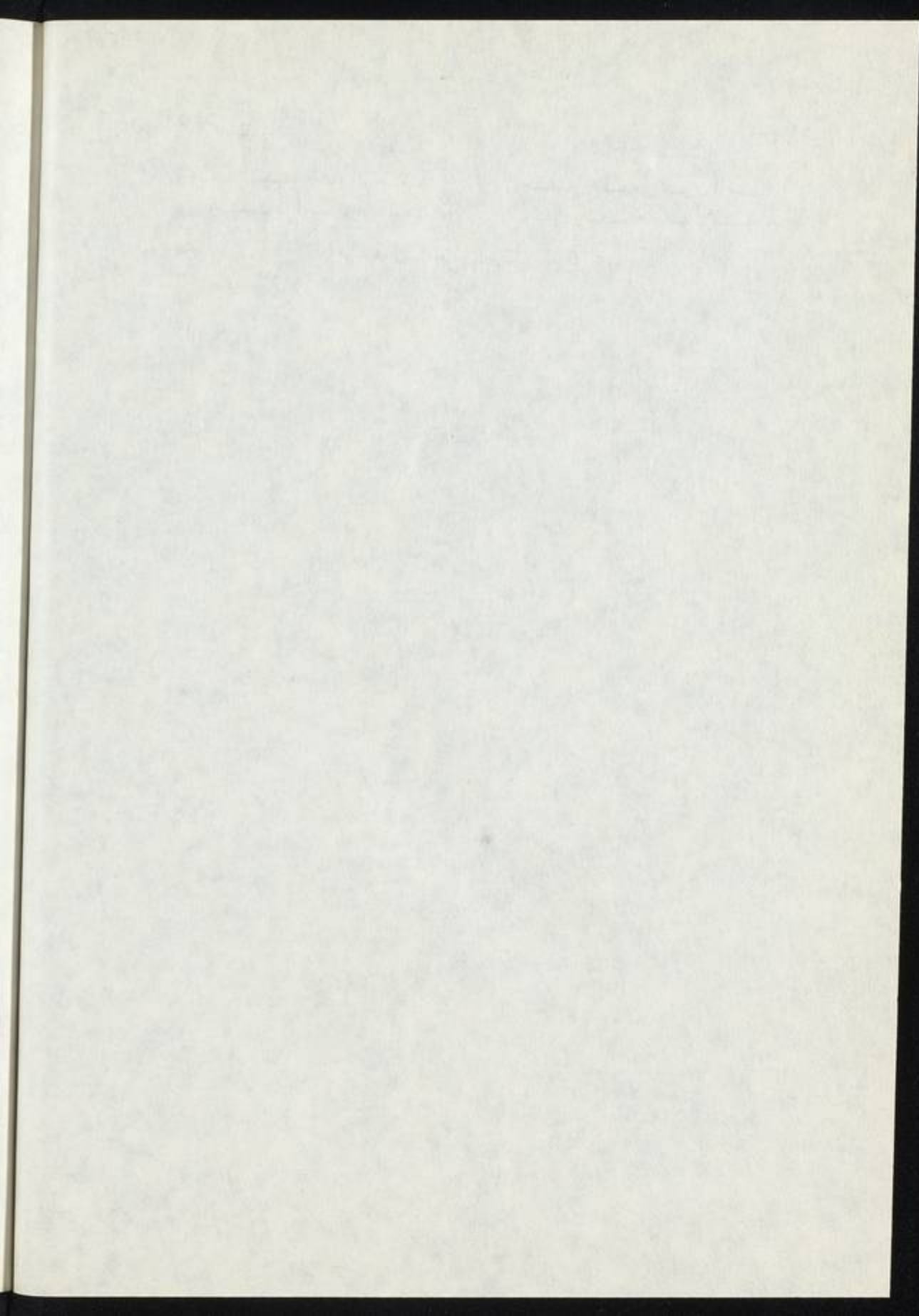
ساقى الغدير على الصراط مداما
للمرتضى حقاً عليه لزاما
جازت هناك العبد والأرقاما
في لجها الأبواب والأفهاما
بهر العيون واذهل الاحلاما
الله اكبر مبتغى ومرامنا
ومحا بها الاسراج والجاما
يده هياكلها ثرى وحطامنا
وبصد عنه مهاجرين طغامنا
يلقيه للوحش الدنيء طعامنا
هل كان إلا للعدو حمامنا
وضّاءة عنها الضلال تعامنا
وأخا ووارث حكمة وإمامنا
إلا كما نشر الخضم غمامنا
ولن يواليه سوى وغرامنا
أجر الملائك سجّداً وقيامنا

تأتيه ما فاز امرؤ بسقه
كلاً ولم يرق العلى من لم يجد
ماذا أعدد من مناقبه التي
نهج البلاغة اغرقت أمواجه
ومغيبات العلم جلاها بما
والشمس من بعد المغيب اعادها
وبذي الفقار طغاة مكة فلها
واللات والعزى هنالك غادرت
من ذا سواه بقي فراش المصطفى
من ذا لعمرو غير فارس هاشم
في كل معترك لنصرة دينه
هو ذا أمير المؤمنين بصورة
هو ذا أمير المؤمنين خليفة
ليس الزمان بناشر من فضله
يارب زدنا في الولاء لحيدر
واكتب لنا في يوم عيد غديره

حجج الإله على السرى أرحاما
أزكى وعطرهديه الأنساما

واجعل لنا أرحام آل محمد
صلى وسلم ذو الجلال على الذي

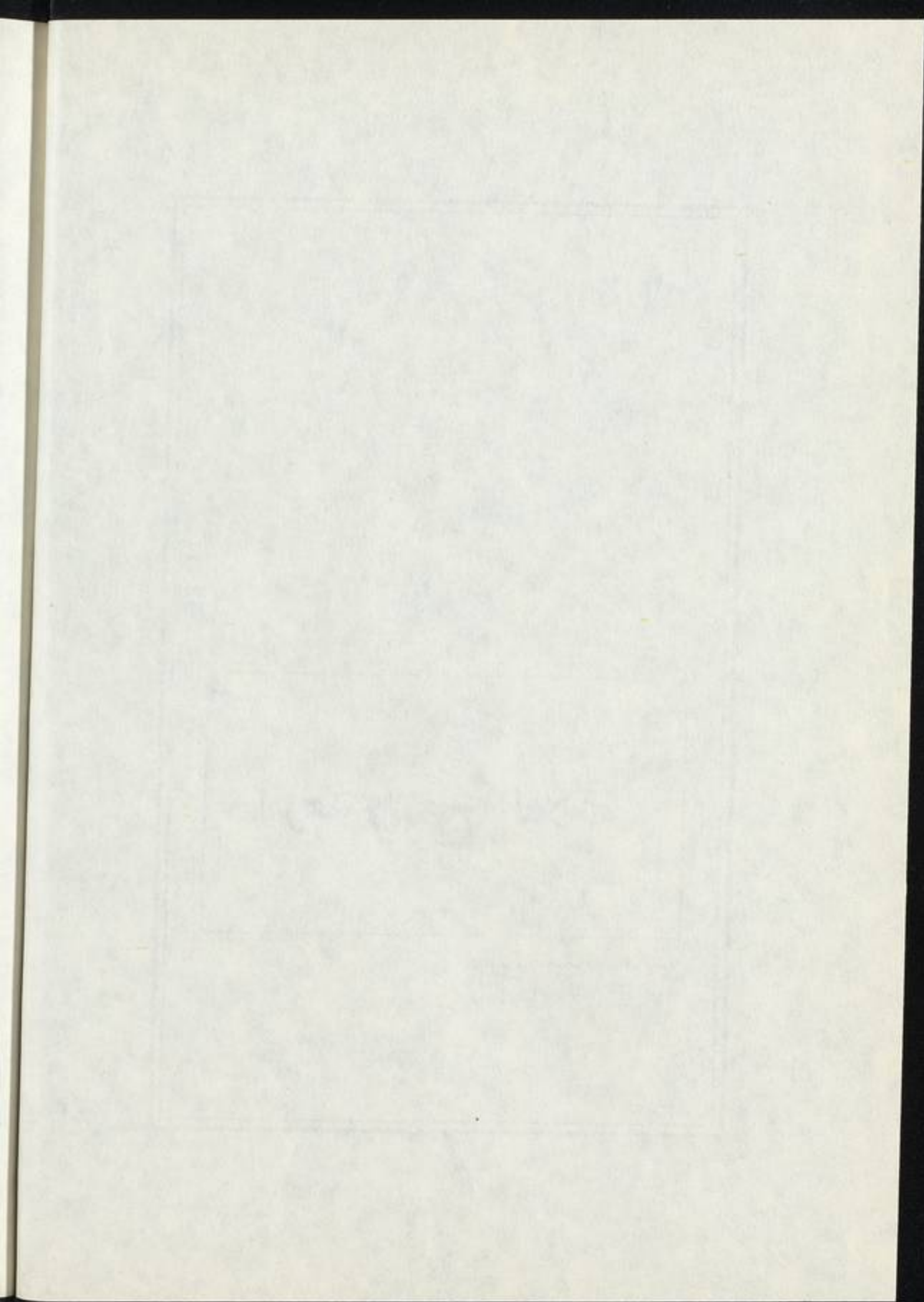
والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله



الزهد في نهج البلاغة

عيسى سليمان حبيب

سوره



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يليق بجلاله، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله.
من مسك الختام في كتاب الله، وعزير آية: قوله تعالى:
«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»
من كمال الدين أصولاً وفروعاً وبقيام حافظه، ومن تمام النعمة بالهداية
والولاية، ومن رضاء الله تعالى لنا تسليم أمرنا للولي، من كل أولئك نودُّ أن نستخلص
حقيقتين:

- الأولى: أن الإسلام الذي ارتضاه لنا سبحانه مدرسة إنسانية شاملة لكل جوانب
حياة الإنسان الروحية والمادية، ولكل قضايا دينه وديناه. ولا مرء في أن رسالة
الإسلام أكمل نداءً تلقته الأرض من السماء، وأجل حلقاً دين التوحيد. وافصح
رسالاته إبانةً لصلبة الإنسان بخالقه، والدنيا بالآخرة وأدقها وصفاً لكل من الطريق
إلى حسن الثواب، والطريق إلى سوء المآب.

وإذا كان محمد صلى الله عليه وآله المعلم الأول في هذه المدرسة العظيمة، وكتابة
(القرآن الكريم) أول كتاب فيها، يليه حديثه الشريف «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي
يوحى»، صار واضحاً وسهلاً أن نستخلص الحقيقة:

- الثانية: وهي أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام المعلمُ الثاني فيها، وخطبة الشريفة التي يضمُّ معظمها كتابُ (نهج البلاغة) هي الكتاب الثاني فيها.

على عليه السلام ربيب بيت النبوة، عرف التوحيد قبل المؤمنين بسنين وعبدالله مع محمد (ص) قبل الدعوة، وأوتي من علم الكون تسعة أعشار وكلُّ الناس عشرا، لم يكن تلميذ النبي وابن عمه فحسب بل كان منه كما قال صلاة الله عليه وآله:

«عليٌّ مني بمنزلة رأسي من جسدي»^١

ولم يكن حافظاً للقرآن الكريم فحسب أو عالماً لأسراره يُؤفَّر سبعين جملاً من سورة الفاتحة فقط، بل كان

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»^٢

ولانبالغ إذا قلنا إن الحديث الشريف لا يجعله تابعاً للقرآن بل صنواً له إذ كلاهما تابع متبوع. وأمام هذا الحديث الذي (وما ينطق عن الهوى) يصغر قول الخليل بن أحمد:

(احتياج الكلِّ إليه، واستغاوة عن الكل، دليلٌ على أنه إمام الكلِّ في الكل)^٣

فلا عجب أن يكون الامام على عليه السلام مدهشاً للدارسين على اختلاف عقائدهم ومشارهم فايكاد الواحد منهم يقترب من بحره حتى يقدم لدراسته او كتابه بالتعبير عن شعورٍ باهية وكأنه أمام محيطٍ زاخر لا يعرف أني يخوض ولا كيف يخرج. بمثل هذا الشعور سنحاول قراءة (الزهد) كجانب من شخصيته عليه السلام من خلال خطبة واقواله التي يضمها كتاب نهج البلاغة الذي كان للشريف الرضي -طيب الله ثراه- فضل جمعه، وهو مازال فينا كتاباً لم نقرأه حقَّ القراءة، ونبراساً لم نستضء به حق الاستضاءة. محاولين التزام الكتاب دون التاريخ والاختبار، نظراً لوفرتها ولأننا لن نستطيع الإتيان بشيء منها إلا مكروراً.

ما مفهوم الزهد عنده؟ أهو خُلُقٌ معجز لا نستطيع بلوغه؟ أم مدرسة نتعلم منها قدر ما نستطيع؟ أهو خِصْمٌ فلسفة؟ أم جادة صواب؟ أم ثورة روحية؟ ما وسائله؟ ما مآماته؟ ما غايته؟ أين الرهبانية والصوفية منه؟.

١- إمامة علي (ع) الصفحة ١٩٩ نقلًا عن ذخائر العقبى

٢- إمامة علي (ع) الصفحة ٢١٠ نقلًا عن كتاب معرفة الصحابة

٣- تصنيف نهج البلاغة الصفحة ٧٠٧ بلا إسناد

١- معنى الزهد وحدوده:

الزهد بالشهيء - لغة - ضد الرغبة فيه، وعرفاً: الإعراض عن مباحج الدنيا وملاذها أو متاعها. فما الزهد في عرف الامام (ع)؟

«الزهادة: قَصْرُ الأمل، والشكر عند النعم، والتَوَرُّع عند المحارم»^٤

وجاء في شرح ابن أبي الحديد: (فسر عليه السلام الزهادة - وهي الزهد بثلاثة أمور... فقال لا يسمى الزاهد زاهداً حتى يبلغ هذه الامور الثلاثة)
ثلاثة مبادئ أو أركان يقوم الزهد بها مجتمعة:

- أما قصر الامل فهو عدمُ الركون، إلى متاع الدنيا لسرعة زواله وضآلة شأنه إذا ما قيس بمتاع الآخرة، ولانه يشغل عنها بما يستزيده من رغبة الانسان في الدنيا. ولذا قال المعلم الاول محمد صلى الله عليه وآله:

«لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»^٥

- وأما الشكر عند النعم فنجاة من البطر، وحفاظ على صلة لابس النعمة بواهبها وهذا بالتالي منجاة منه الركون الى الدنيا ونسيان المنعم الكرم.
- وأما الورع عند المحارم ففيه صون للنفس وحماية لها من المعاصي: ومن الحيدة عن الحق.

«فإن عَزَبَ عنكم فلا يغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم» تابع؛

فإن عَزَبَ (أى بعدد) أو شق عليكم بلوغها مجتمعة، فلتغالبا ما يستهوي أنفسكم من حرام الدنيا وهذا يحتاج الى صبر. وأدعيوا الشكر عند النعم كيلا تغلبكم الدنيا فهل نكون زهاداً بهذين الشرطين؟ قال ابن أبي الحديد: «أمران من الثلاثة لا بد منها وهما الورع وشكر النعم جعلهما أكد وأهم من قصر الامل»

وخلافاً لرأى الشارح الجليل، لانرى أن الزهد يبلغ بها ولا أن قصر الأمل أقلُّ منها أهمية، وقد أكدت خطب الامام (ع) وأقواله أهمية الاستهانة بالدنيا لبلوغ الزهد ومن ذلك قوله:

«أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى، وطول الامل: فأما اتباع الهوى فيصد عن

٤- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨٢

٥- رياض الصالحين ص ٢٢٧

الحق، وأما طول الأمل ينسى الآخرة»^٦

ومادام طول الأمل ينسى الآخرة ولا زهد مع نسيان الآخرة، فلا زهد بلا قصر الأمل، ويزداد الأمر وضوحاً ورسوخاً بقوله عليه السلام:

«الزهد كُتِبَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ: قَالَ سُبْحَانَهُ: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ»، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا

آتَاكُمْ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرْفِيهِ»^٧

أفلا يعني هذا أن قصر الأمل في الدنيا يشكل القاعدة الهامة التي يقوم عليها الزهد؟ إنه ليذكرنا بتقسيمه للناس أمام الجنة والنار إلى ثلاثة: ساع سريع نجا، وبطي رجا، ومقصر هوى.

أما الزاهد العابد الذي أخذ الزهد بطرفيه فقد سعى إلى الآخرة سريعاً فنجا، وأما البطي الذي عاقت الدنيا سعيه فراخ يغالبها صابراً شاكراً فقد رجا رحمة الله ومن لم يفر بشئ مما سبق فقد هوى.

مبادئ بسيطة يقوم عليها الزهد في مدرسة الإمام المنتبقة من مدرسة الإسلام إذا اجتمعت بلغ بها الزاهد مرتبة الكمال البشري وإن لم تجتمع بلغ مادون ذلك. فليس الأمر معجزاً، ولا هو وليد تأويلات فلسفية كما سنرى في الصوفية، بل هو مدرسة نتعلم فيها الاهتداء إلى جادة العبور من الدنيا إلى الآخرة.

وبالبساطة نفسها يجلو لإمام (ع) الصلة بين الدنيا والآخرة:

«الدنيا دارٌ ممرٌ، لا دارٌ مقرٌّ»^٨ أو «إنما الدنيا دارٌ مجاز، والآخرة دارٌ قرار، فخذوا من

ممركم لمقركم...»^٩

الرحلة شاقّة لما حفت به من بهارج، والدرب كثيرة المزالق والمداحض. فن اجنازها جاداً إلى قصده. لم يثنه جمال الشهيد عن طلب المرام ولم يشغله جمال الرياض واللوان الجبال إلا بقدر ما يخفف من وعناء السفر ولم يحزنه فوتها مادام يقترب من القصد. أما من اجنازها بطيئاً فسوف يشغله ما حقت بها عن السعي الجاد.

«فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يُصَبَّ صاحبها منها شيئاً إلا اقتحت له حرصاً عليها»^{١٠}

٦- شرح محمد عبده الصفحة ١٠٠

٧- تصنيف نهج البلاغة ص ٤١٦

٨- شرح محمد عبده ص ٥٩١

٩- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢

١٠- شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٤

يمكن أن نعرف (الزهد) هنا بأنه ذلك النضج العقلي أو السمو الإنساني الذي بلغ بصاحبه ذروة من الكمال يُطلُّ منها على الدنيا فتبدو لعين عقله أقلَّ شأنًا من أن يشغله عن حقيقته الازلية وهي صلته بالخالق وشوقه إلى وجهه، أو بعبارة أبسط: يبدو كل ما فيها وسيلةً والآخره هي الغاية، عملاً بالاية الكريمة:

«وَاتَّبِعْ فِي آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ. وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا»

٢- من الزاهد؟

بعد أن نبينا جادة الصواب في الزهد، يجدر بنا أن نبحث عن صورة حياة الزاهد في الدنيا، فربما قدم لنا الوصف مزيداً من وضوح النهج أمامنا، وقد ورد في كتاب النهج وصف الزهاد في أكثر من موضع ولكن أوجزه وأشمله ما جاء في:

«كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها بما يجذرون، تَقَلَّبَ أبدانهم بين ظهري أهل الآخرة، ويرون

أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم، وهم أشدُّ إعظاماً لموت قلوب أحيانهم»^{١١}

الزاهد: من أهل الدنيا، يعيش جسدياً على الخبز والماء والهواء.

وليس من أهلها فيما عدا ذلك؛ فهو مشغول بالآخرة إنشغالهم بالدنيا. يفترق بعقله (بصيرته) افتداهم بأهوائهم، يطلب الموت بمقدار ما يفرون منه لأنه مطمئن إلى ما بعده وهم خائفون، عصم بدنه عن ملاذها ونذره للآخرة بقدر ما عرفوا أبدانهم بالمتع، فهان عنده موت الجسد بقدر ما عظم عندهم، واستعظم رسوخ قلوبهم في الدنيا بقدر ما غرقوا في الغفلة. وكأنَّ الغربة في الدنيا صارت شعبةً من شعب الزهد. وهذا مصداق الحديث الشريف:

«الدنيا يبحرُ المؤمنُ وَجَنَّةُ الكافرِ»

ونقرأ في هذا القاعدة الأساسية لحياة الزاهد لاجلته أخلاقه ومبادئه وفضائله التي سنعود إليها في بحث سمات زهد الامام (ع)

٣- نشأة الزهد:

كلُّ حلقات الدين السماوي، وجلَّ العقائد الوثنية. حثَّت الانسان على الخير

حسب مفهومها وأغلبها وعد الانسان بالثواب وأوعده بالعقاب، واكثرها عرف لونا من الزهد أوجزراً من جذوره، وأقرها إلى الإسلام زهد السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وعرفت أطراف الجزيرة العربية قبيل بعثة محمد (ص) صوامع، وأديرة، انقطع فيها رهبان ونسك للعبادة والقراءة وكان هؤلاء يبشرون بظهور نبيّ يتحدث عنه كتبهم (الراهب بجري)

ويحاول بعض المستشرقين أن يصلوا بين زهد اولئك وزهد مدرسة الإسلام وقد كثرت الاراء والاقوال في ذلك حتى أننا لانستطيع تفنيدها في هذه العجالة إلا أن أمر رفض الاسلام للرهبانية التي ابتدعوها واضح في الآية الكريمة:

«ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فإرعوها حق رعايتها»

وعلى الرغم من تقدير الرسول الكريم (ص) لعلم المؤمنين منهم فإن حديثه (لارهبانية في الاسلام) مشهور. وما ذلك إلا لأن أهلها لم يرعوها حق رعايتها فحولوها إلى هرب من الدنيا وتخلّ عن الواجبات والفرائض وهذا ما سنعود إلى تفصيله.

أما فصل الزهد في مدرسة الإمام فهو من صميم مدرسة الإسلام العظمى تابع بالفطرة من عمق إيمان الامام (ع) وتلامذته، وتطبيع تعاليم القرآن بصدق في حياتهم. وحملهم راية الاسلام عبادة وثورة. فكيف نشأ زهدهم؟

- كان الامام (ع) أعمق المؤمنين صلةً بالقرآن الكريم، فقد عبد الله مع النبي (ص) قبل أن يعبده أحد وسمع القرآن قبل أن يسمعه أحد:

«كنت اسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعا»^{١٢}

وهو بعد غض الاهاب، مرهف القلب، متوقد الفكر، مرهف المشاعر فنزل القرآن على قلبه نزول المداد على الرقعة البيضاء

- نزلت السور القرآنية بيان ساحر ووصف مؤثر فحقرت من شأن الدنيا أبلغ تحقير وعظمت شأن الآخرة بحالها جحيماً ونعيماً.

فاذا صور جهنم مرعبة ينخلع لها القلب، وترتعد الفرائض وتصفر الوجوه.

وإذا صور الجنة أحاذه رائعة بين سعادة روحية ونعيم بدني، ينشرح لها الصدر، ونحن النفس وينحفر الضمير إلى الثواب، حتى لتغدو النفس البشرية وكأنها زجاجة صافية مافيا إلا إشراقه العقل ووجيب القلب.

- ومن ثمَّ جاءت موعظة الإسلام تضيي جادة اليمين وتحذّر من جادة الشمال فتصف المؤمنين في الدنيا بالورع والتقوى والإيثار والتواضع والرحمة والزهد في الدنيا وتصفهم في الآخرة متكئين على الأرائك تشع وجوههم نضرة ونفوسهم غبطة ينظرون الى وجه الله وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه. وتصف الكافرين على النقيض من ذلك في الدنيا والآخرة

فاذا بأصحاب النبي (ص) الاوائل يشتعلون حماسة للقاء وجه ربهم ويأخذون أنفسهم بكل ما يقرهم من الله من صفات أسبغها القرآن الكريم على المؤمنين المقربين فاذا هم زهاد في الدنيا على اروع ما يكون الزهد حالاً وإمامهم في ذلك بعد النبي علي عليه السلام يقرأون القرآن وكأنه نداءٌ رُوحى يفجر في نفوسهم العجائب.

- وبعد غياب الرسول، وتَحَسُّن حال المسلمين وتهافت أكثرهم على الدنيا صار الزهد ضرورة لا بدَّ منها فراح الصابرون منهم يتخذون منه شعاراً بل مبدأً ثورياً في ملحمة الاسلام يرفعونه في وجه زعامة المسلمين التي تهاونت أو تواطت مع ذلك الانحدار الخطير في مسار رسالة محمد وراحت خطب الامام (ع) تحفزهم وتنطق باسمهم، ولعت أسماء سلمان الحمدي، وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان... وبدأ الزهد يتخذ طابع تيار ثوري ضمن مدرسة الاسلام وأخذت أسسه تتبلور من خلال خطب الإمام (ع) وسيرته وأصحابه.

٤ - وسائل الزهد:

لم يألُ للإمام علي (ع) جهداً في دعوة الناس إلى الزهد. وفي خطبة الشريفة أساليب متعددة لهذه الدعوة بين نصائح مباشرة أو دعوة إلى الاعتبار والتبصر أو ذم للدنيا وتوهم لشأنها في مقابل تعظيم الآخرة. ولكنَّ أروعها اتخاذها من نفسه وسيرته نبراساً يضي لهم طريقهم. فمن مواعظه المباشرة:

«أيها الناس! انظروا إلى الدنيا نظراً زاهدين فيها، الصادقين عنها»^{١٣}

«عباد الله! أوصيكم برفض الدنيا التاركة لكم، وإن لم تحبوا تركها»^{١٤}

ولعلَّ القول الثاني يوضح المقصد من القول الاول، إنها ستركنا غير عابثة بنا ولن

١٣- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٩٦

١٤- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٨٦

يهون علينا فراقها إلا الزهد فيها ومبادرة الفراق قبل حلوله، فلنستقبلها بما تودعنا به من إعراض وقلة احتفال. وكيف يكون الرفض؟ هل هو رفض لكل ما فيها وهروب من مسؤولياتنا فيها من عمل وجهاد وطلب للعلم ونشر لدين الله؟

- إن الدنيا في خطب الامام (ع) مثلها في القرآن الكريم والحديث الشريف، ليست نقيض الآخرة بل سبيل إليها، هي دار ممر وابتلاء وتزود ولذا كان يقول:

« إنما الدنيا دار مجازة والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمركم، ولا تهكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتكم»^{١٥}

إنه رفض الحذر المتحرر من سلطانها، رفض من يريد لها تسلس قيادها له ولا يسلس قيادها لها، لان إسلاس القيادة للدنيا مهلكة لأنها حافلة بألوان الغرور «حلوة حضرة، حُفَّت بالشهوات، وَتَحَبَّبَت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتعلت بالامال وتزنت بالغرور»^{١٦}

إن في خضرتها لفتنة، وأن في شهواتها لقوة، تُطَلُّ على الانسان من كل باب وتعرض سبيله متبرجة، وتسبح له مع كل سائحة، حتى نوقظ الغرائز وتولب الاهواء، وتخدع البصيرة، فلا ينجون من غرورها إلا من أوتي صبراً عظيماً «كمثل الحية لين مشها، والسّم النافع في جوفها، هوى إليها الغر الجاهل ويخدعها ذواللب العاقل»^{١٧}

- لا يندفع بها ذواللب لأنه يدرك غدرها، وغدرها نتيجة محتومة لسرعة تقلبها، فما يكاد الإنسان يأمن بها ويستطيب طيبها حتى تفجعه بما استهواه وملك عليه لُبّه، لذلك أفاضت خطبة عليه السلام بعرض هذه الصفة من صفات الدنيا محذرة ومكررة فهي تارة:

«لانودوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرارة ضرارة، حائلة زائلة نافذة بائدة» تابع^{١٥}

ومن صفاتها تارة أخرى:

«فإنها غدارة غرارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رخاؤها، ولا ينقض

١٥- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢

١٦- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٨

١٧- شرح محمد عبده ص ٥٨٧

عناؤها ولا يركد بلاؤها»^{١٨}

يكثُر مثل هذا الوصف في خطب الإمام (ع) للدنيا، وفي مواضع كثيرة من نهج البلاغة فيأتي بأدق الوصف وأعمق التحليل لأحوالها بأساليب بلاغية رائعة، وقد وردَ ذمُّ الدنيا فيما ينوف على خمسين خطبةً أو حديثاً له عليه السلام، ونستطيع أن نجمل الصفات الواردة للدنيا بما يلي: الإغراء والغرور، إشرافها علي الزوال، الخير فيها مشوبٌ بالشر، تربيص دهرها بأهلها، سوء عاقبة الركون إليها ووعورة مركبها صغر شأنها عند الله... الخ.

- ولكن الدنيا لا تقصر في مكاشفة الإنسان العبرة والعظة: فـ

«ما أكثر العبر وأقل الاعتبار»^{١٩}

وذمُّ الإمام لها ليس هدفاً بل إمعاناً في التنبيه والتحذير وطلباً للعظة والاعتبار فهو يصفها لمن يذمها قائلاً: «اتغترُّ بالدنيا ثم تدمها؟» ثم يقول:

«إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوَّد منها،

ودار موعظ لمن أتعظ بها»^{٢٠}

كلُّ أولئك واجدٌ فيها مبتغاه. روى ابن أبي الحديد عن بعض الكتب الإلهية القديمة أن الله سبحانه قال لها: «يادنيا من خدمي فأخدميه ومن خدمك فاستخدميه» فهي لا تناصب خليفة الخالق العدا، ولا تنصب له شباك الهلاك. ولكنه يراها ولا يبصرها يقوده هواه فيتعق في حبالها.

«حقاً أقول: ما الدنيا غرَّتْ ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظا، وأذنتك على

سواء، وهي - بما تعدك من نزول البلاء بمجسك، والنقص في قوتك - أصدق وأوفى من

أن تكذبك أو تغرَّك»^{٢١}

إنها تقدَّم له العظة تلو العظة بما يتلى به غيره أو بما يتلى به هو، وما عليه إلا أن يقرأها كما يقرأ في الكتاب فيتعظ ويعتبر، فما غاية العظة؟

- يكفي أن يتعظ بمصير السابقين وفيهم من بلغ من الغنى أو السلطان حداً عالياً

ليذكر أنه لاحقٌ بهم لا محالة، وعندها يزهد في غرضها وبالزهد يزداد بصيرة.

١٨- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٢

١٩- شرح محمد عبده ص ٦٢٦

٢٠- شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٠٤

٢١- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٧٨

«ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تفعل فلست بمغفول عنك»^{٢٢}

وهكذا فانه «من اعتبر أبصر، ومن ابصر فهم، ومن فهم عليم»^{٢٣}

- تسلسل رائع يحمل الانسان على أخذ نفسه بالرياضة، بالتدريب على الزهد.

العبرة نقود إلى الزهد والزهد إلى البصيرة الواعية، والبصيرة إلى الفهم، فهم

ما فطرت عليه الدنيا وفهم ثوابها وعقابها، ثم إلى العلم...!

- فإن لم يكف الانسان كل هذا ليعتبر فيبصر فإن أمامه من القدوة ما يفتح القلب

العمي، أتظن أيها الانسان أن في الزهد مذلة؟ لو كان كذلك مريضه الله لأنبيائه وإن

كان الزمن قد باعد بيننا وبينهم ففي الكتاب خبرهم وإن لم يردنا خبر الكتاب في

سيرة النبي (ص) أحسن قدوة

«وقد كان - صلى الله عليه وآله - يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف

بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه...»^{٢٤}

وما سيرة الامام عليه السلام إلا استمرار لسيرة النبي (ص). لذا جعل منها درساً

عظيماً شاملاً في المدرسة الشاملة وهذا الدرس يفرضه كونه في محل قطب الرحى من

قيادة المؤمنين، ومولاهم جميعاً «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه» وهو مرجعهم بعد غياب

النبي (ص)، وحجة الله على خلقه.

وهو في ذلك كله المثل الاعلى لهم والقدوة التي لا تُدرَك، وقد حفلت كتبُ

التاريخ والسيرة بأخبار زهده المعجز، وحفلت خطبه بدروس الاقتداء حتى أنه يصرح

بواجب اقتدائهم بسيرته فها هو ذا يكتب إلى عثمان الانصارى عامله على البصرة:

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضي بنور علمه، ألا وإن إمامكم قداكني

من دنياه بطفره ومن ظلمه بفرصه. ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك. ولكن أعينوني

بورع واجتهاد وعفة وسداد»^{٢٥}

هاهي ذي سيرته فدوة لعماله ورجاله ولكن صبره معجز لا يستطيعونه، ولا يريد

أن يحملهم على المشقة، فليأخذوا أنفسهم بما يجب أن يتصف بها كل حاكم الورع عن

الحرام لانه يصد عن الحق، والاجتهاد في طلب العلم والثواب لكيلا بطول الامل،

٢٢- شرح محمد عبده ص ٦٤٦

٢٣- تصنيف نهج البلاغة ص ٣٨٩

٢٤- تصنيف نهج البلاغة ص ٢٨٤

٢٥- شرح محمد عبده ص ٥٠٥

والتعفف عند الطمع لئلا تشغلهم الدنيا، وسداد البصيرة حتى لا يغلبهم غرورها.

ومن رائع سيريه في الزهد حديث (المدرعة) التي قال فيها:

«والله لقد رفعت مدرعتي حتى استحيت من راقعها، ولقد قال قائل: ألا تنبذها

عنك؟ فقلت: أغرت عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى»^{٢٦}

فاذا كان عليه السلام يرى الدنيا ممراً فإن السرى هو الرحلة عبرها، والصباح يوم الحساب وإنه يرى: «الناس في الدنيا ركب يسارهم وهم نيام» وحين يستيقظون سوف يعلمون ما كان يعلمه قبلهم فيحمدون مراض نفسه عليه قبل فوات الأوان، وهذا مادعا الرسول الكريم لأن يقول له:

«إن الله - عزوجل - قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، وهي: زينة

الأبرار عند الله، الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً،

وَحَبَّتْ إِلَيْكَ الْمَساكِينِ، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً»^{٢٧}

فلا هو يصيب منها ولا هي تصيب منه مثله مثل من يعبر نهراً فلا تبتل نعاله.

ولذلك يقول (ع):

«من أحببنا - أهل البيت - فليستعد للفقير جلباباً»^{٢٨}

٥ - سمات تيار الزهد الثوري الاسلامي:

صار لزهد الامام والصحابة السابقين بقيادة الرسول (ص) ملامح مذهب ثوري، وتوضحت هذه الملامح بعد التحاق الرسول بالرفيق الأعلى بقيادة الامام علي عليه السلام فليس الزهد بأن نجوع ونعري ولكن بأن نروض النفس ونربأ بها عن أن تطلب ما ليس ضرورياً لامساك الرمق. وليست الحياة مطلباً بل هي فرصة للاجتهاد (ونفهم في الاجتهاد: العمل. والعلم). وليست الدنيا نقيض الاخرة بل سبيل إليها. وقد رأينا أنهم لم يتأثروا في ثورتهم بغير القرآن الكريم.

وهكذا ثار الزهاد بقيادة الامام (ع) على من يحاولون تمييع ثورية الإسلام وروحيته وتحويلها إلى سياسة وطبقات. كما اثاروا بقيادة النبي (ص) على وثنية

٢٦- الامام علي عليه السلام ص ١٨٩ بلاإسناد

٢٧- الامام علي عليه السلام ص ٩١٨٨ بلاإسناد

٢٨- شرح محمد عبده ص ٥٨٦

الجاهلية وطبقاتها. وكأنهم بذلك يسنون للعصر الحديث سنة (الثورة على الثورة). وقد جعلوا من الزهد قاعدة لثورتهم في حب الله ورسوله وآله، وأقاموا زهدهم على جانبيين هامين من الاجتهاد: (العمل في حب الله - وطلب معرفته). وأمثالهم كان الامام (ع) يصف

«طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، اولئك قومٌ اغتدوا الارض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً. ثم فرضوا الدنيا (أى تركوها خلفهم) على مناجح المسيح.»^{٢٩}

ولعلنا نستطيع أن نلمح في هذا القول الشريف - الذي جمع بين الزهادة والانقطاع الى العبادة - بذرة من بذور التصوف الاسلامي الذي ستشهده القرون التالية.

- الزهد والصوفية:

فتح مثل هذا الباب الواسع في مقالنا يخرجنا من ميدانه، لكن الموقف يقتضي أن نشير إلى أهم ما يميز زهد الامام (ع) وأصحابه عمماً سُمي من بعد بالتصوف الإسلامي فنحن نرى أن زهد الامام تصاعد مع التاريخ مواجهاً لامعان القيادة السياسية في طغيانها فاذا جمعنا إلى هذا إخفاق تورات أهل النبي استطعنا أن نميز تراجع الجانب أو الوجه العملي الثوري من الزهد وتصاعد الوجه الروحي من مجاهدة النفس إلى تنظيم للرياضة الروحية وإمعان فيها طلباً لمعرفة الله. وهكذا تطور مبدأ رفض ما يفتن الحواس إلى رفض حياة الحواس، لأن كل حسي امتداح للطبيعة وحياة الحواس ارتباط بالطبيعة وهو بالتالي نفي للأخلاق، فالأخلاق تناضل ضد الطبيعة بقيادة العقل ومثل هذا الكلام يشير إلى أن تعابير الفلسفة وأقيستها قد دخلت التصوف من باب الامامي أما زهد الامام (ع) فقد كان مبنياً على البساطة في المبدأ والصدق في الموقف.

- الزهد والرهبانية:

على الرغم من قول الحسن البصري: (رحم الله علياً، كان رهباني هذه الامة) فان بعد ما بين الزهد والرهبانية يبغي وجود صلة تأثر بينها إلا أن يكون رهبانها من حيث إحاطته بالعلم الذي لم يحط به غيره أو أن يكون التعبير لا يقصد به الدقة العلمية.

ونقاط التباين واضحة يمكن اختصارها بمايلي:

- الرهبانية تكبت الفطرة البشرية للنفس والإسلام يرفض ذلك و يرفض الرهبانية، وزهد الامام من صميم الاسلام.
- الرهبانية تقوم على الانقطاع إلى التعبد والتأمل وبذا تنفي الجانب العملي من العبادة. والزهد عبادة وعمل: عمل في رزق يسك الرمق. وعمل في حب الله.
- الرهبانية هرب من شروور الدنيا، والزهد مواجهة لها، وكفاح لاحقاق الحق. فهو زهد هيادي تربي للامام والمأموم والقائد والمقود.
- ونتيجة لما سبق تبدوا الرهبانية كما ابتدعوها غير ملائمة لروح العصر. لسليتها سلوكاً وعلماً. أما زهد الامام فهو صالح أساساً لكل ثورات الامم الحديثة المكافحة لتحقيق الحق والسلام. بل هو خير أساس.

٦ - غاية الزهد:

إذا كان هدف كل من الصوفية والرهبانية انقاذ النفس البشرية (الذات) من مداحض الدنيا تقرباً إلى الخالق، فان غاية الزهد ليست فردية ذاتية فقط، بل إننا نستطيع أن نلمس فيه الهدف الذاتي والغاية الغيرية العامة. وأهم ما يرمي إليه:

- عصمة النفس: «إنما هي نفسي أروضاها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر» وليس هذا إذلالاً لإنسانيتها بل ارتقاء بها عما يحوكون دون خلودها. ومن نافلة القول أن نذكر أن العصمة عن طريق الزهد غير النجاة السلبية الهاربة بالرهبانية أو التصوف

- العدل: العدل أسمى ماتريد الشعوب أن تستظل به في حياتها السياسية والاجتماعية وترويض النفس بالزهد خير وسيلة لتسليح الإنسان بالقدرة على اقامة العدل واحقاق الحق - وهذا هو الهدف العام للزهد. وقد كان الامام عليه السلام خير قدوة في ذلك فإن زهده لم يضعف قوته في القتال، وما عرف عنه أنه سكت على باطل. أو تواني في قيادة المؤمنين في سبيل الله. وما الإمارة في نظره إلا وسيلة لاقامة الحق ودفع الباطل فهو يقول في نعل يخلصها: «هي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً وأدفع باطلاً»^{٣٠}

وهو عليه السلام يرى إقامة الحق أمانةً في عنقه بعد الرسول (ص) وهو منه بمنزلة هارون من موسى . أو بمنزلة الرأس من الجسد.

٧- خاتمة:

هذا غيضٌ من فيض ماجاء في خطب الامام علي عليه السلام في الزهد: سواء ما كان تفسيراً له وبياناً لسبيله وإظهاراً لفضل أهله. أم ذمّاً لمتاع الدنيا وتمجيداً لثواب الآخرة.

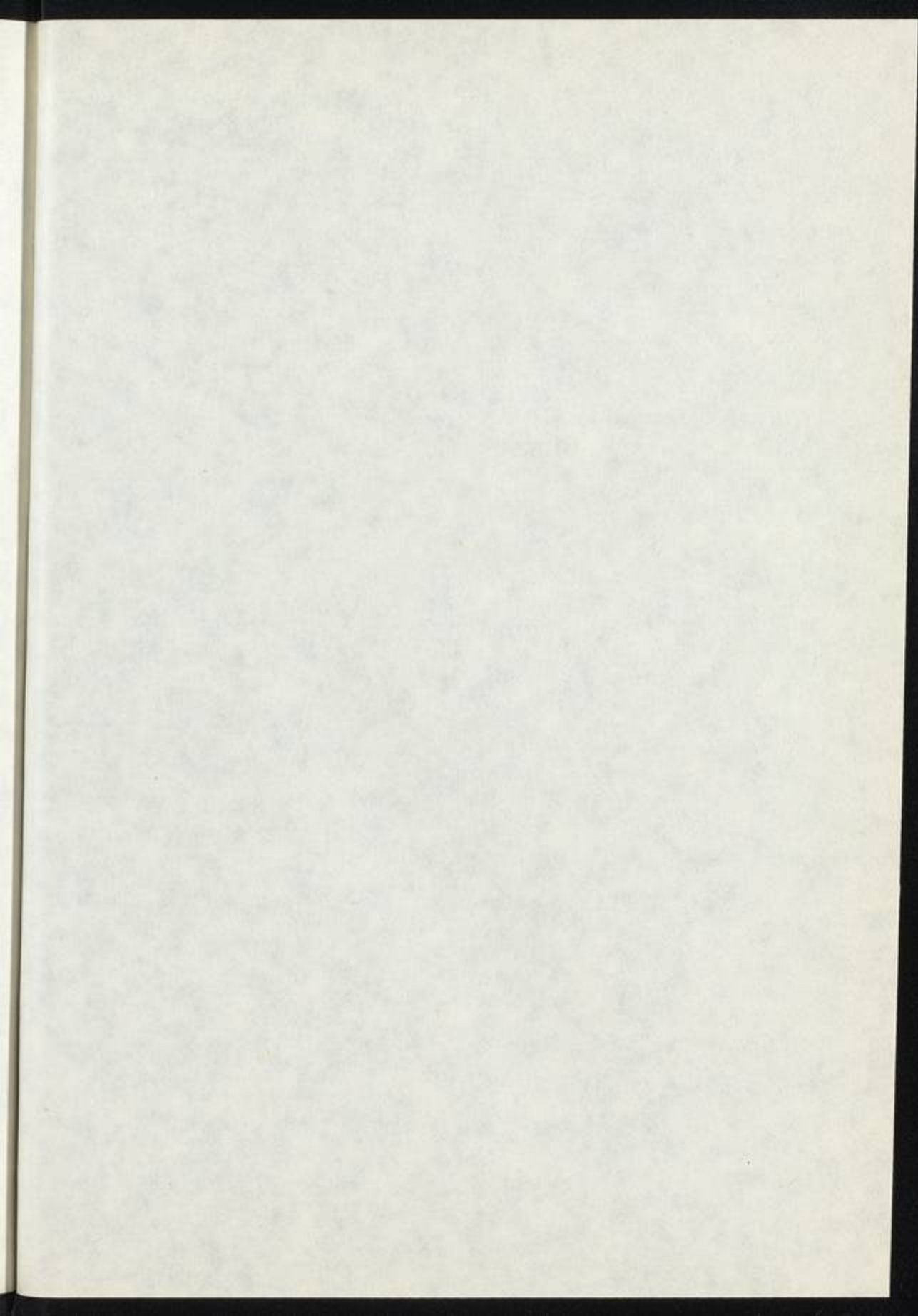
ولم يكن غرضنا إحصائياً بل كان تلمُّس ميزان هذا السلوك الإنساني السامي الذي صار تياراً أو مذهباً ثورياً في تاريخ المسلمين كان له الفضل الكبير في الحفاظ على قدسية رسالة محمد صلى الله عليه وآله، ولن يشقَّ على دارس كتاب نهج البلاغة أن يختار مزيداً من الأقوال ذات المعنى الجليل أو التوجيه العميق إلى الزهد قد تجاوزناها لكفاية ما انتقينا منها.

بهذا الزهد قامت رسالة محمد (ص) وبفضله ثمَّ الفتح، وظلَّ المنارة المضيئة في ليل أهوائهم وأنوائهم. نذر أصحابه أنفسهم لحماية الدين ونشر أحكامه، وإحقاق الحق. ونصرة الله. وإن الله والحق لا يفترقان.

فما أحوجنا - اليوم - وقد مزقت رياح الالهواء شرع الرسالة، وطفأ المسلمون على أمواج التاريخ كغُثاء السيل، ووقف بنا العالم على شفا حفرة من نار- ما أحوجنا إلى زهدٍ مثل زهد مدرسة الامام، يعصم نفوسنا من الميل إلى الباطل و يروضنا على إحقاق الحق، و يقينا شرط طول الأمل واتباع الهوى علَّنا نعيد لرسالة الحق سيرتها الظاهرة، والله وليُّ التوفيق.

المراجع

- ١- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد
- ٢- نهج البلاغة شرح محمد عبده
- ٣- تصنيف نهج البلاغة للسيد ليبب بيضون
- ٤- الإمام علي عليه السلام للسيد عباس علي الموسوي
- ٥- إمامة علي عليه السلام للسيد محمد جواد مغنیه
- ٦- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي



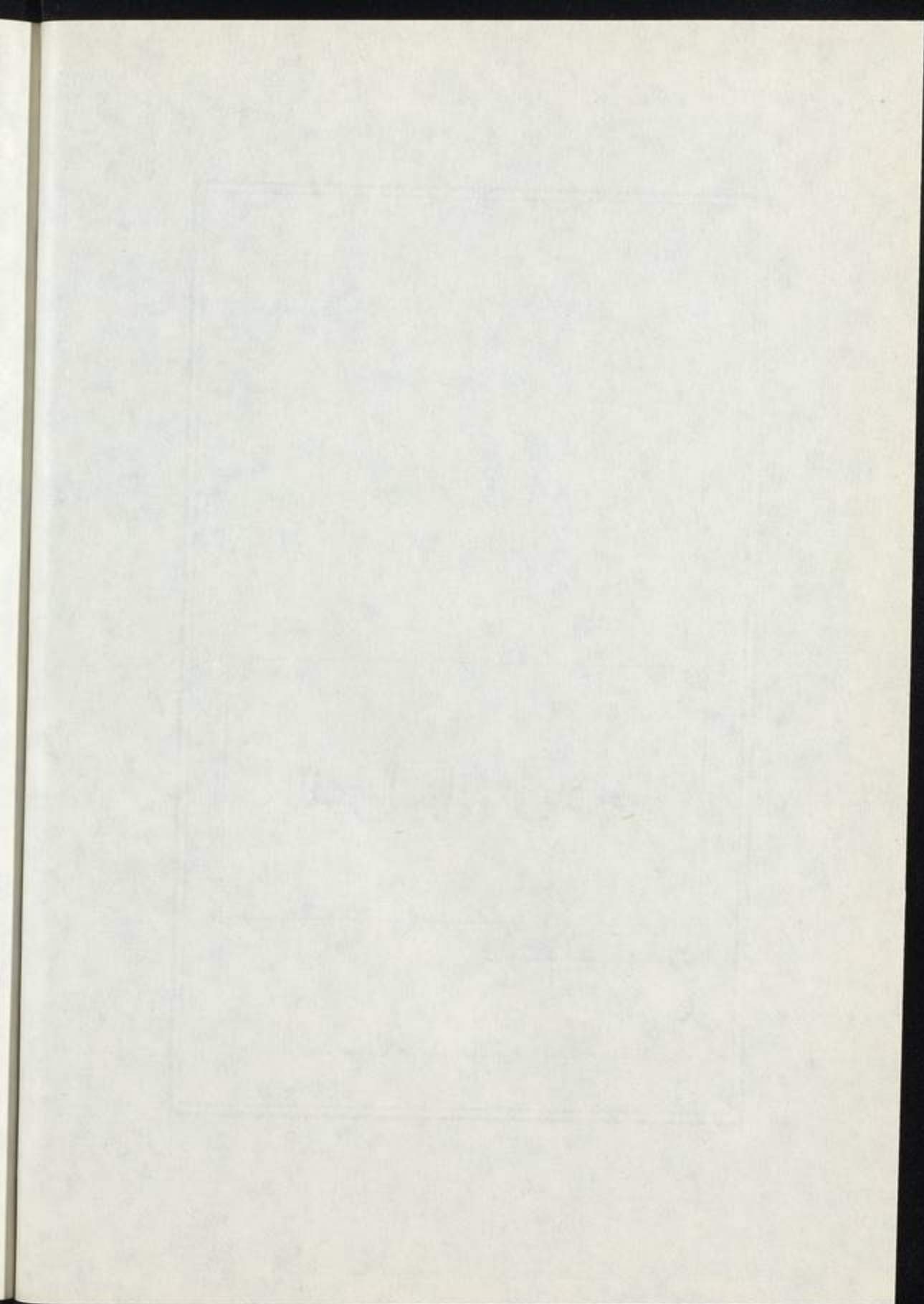
الفقر أسبابه وعلاجه*

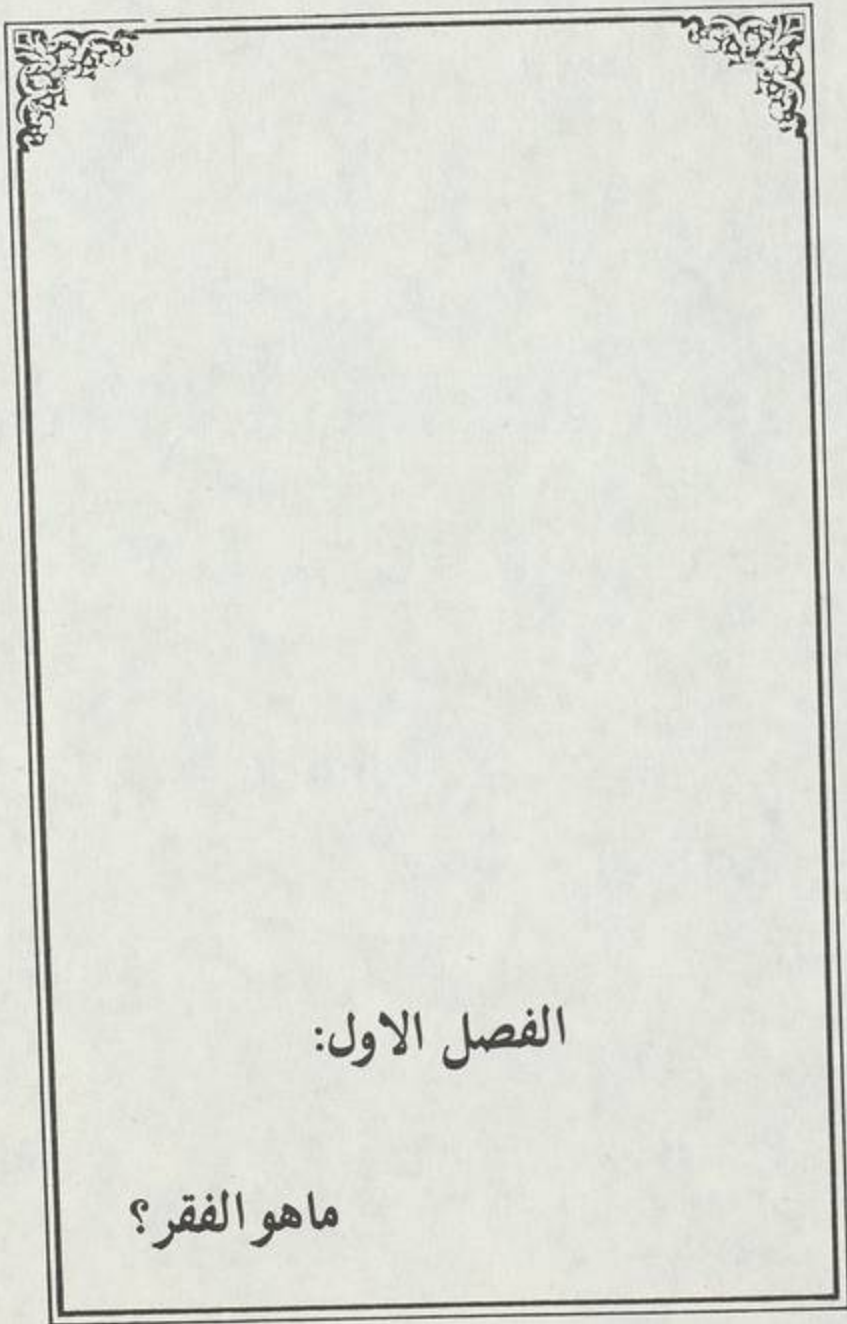
الأستاذ لبيب بيضون

دمشق - سوريا

* وهناك أيضاً تعليقات على هذه المقالة من قبل السيد جعفر مرتضى،

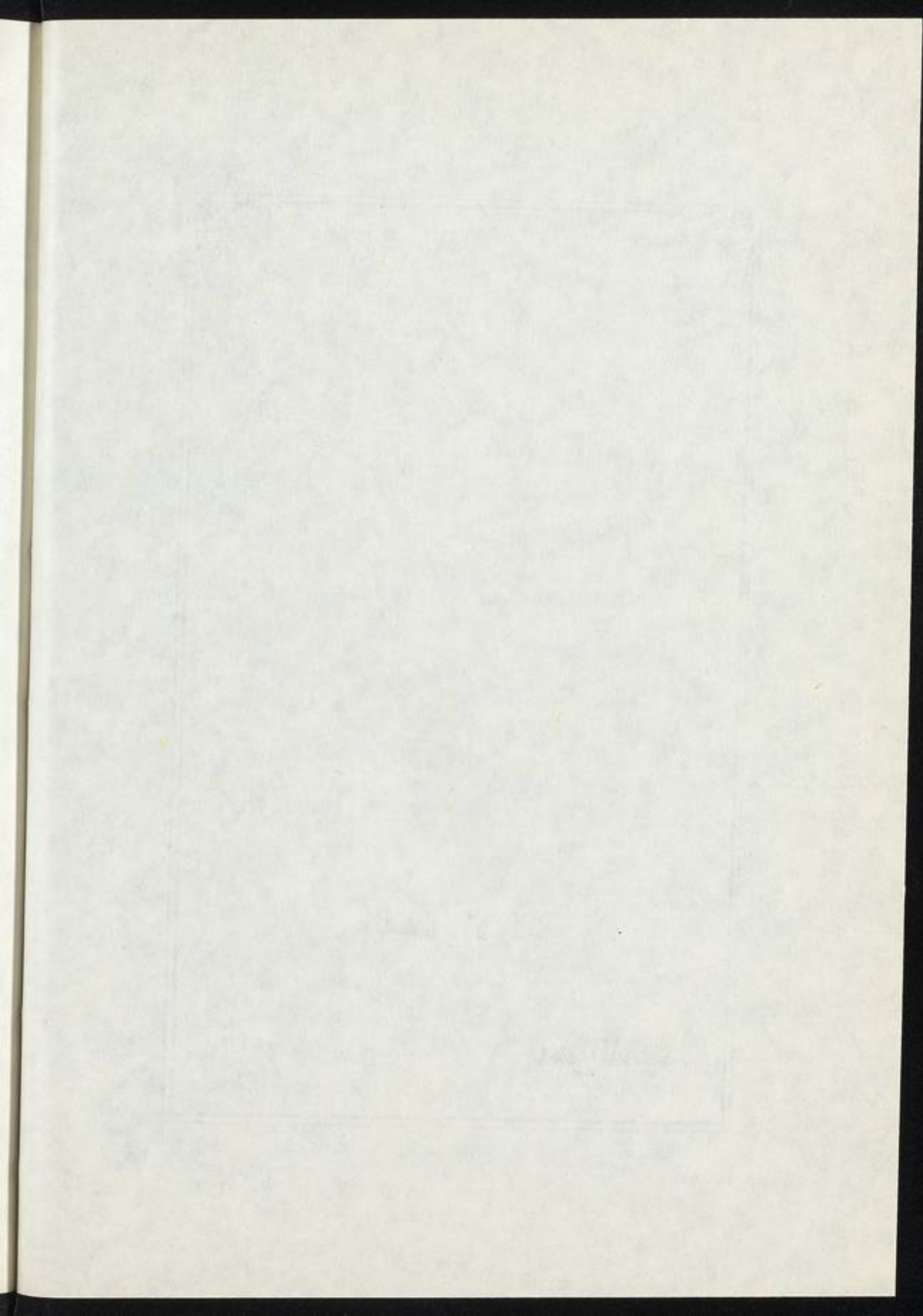
المشار إليها بالأرقام.





الفصل الاول:

ما هو الفقر؟



تعريف الفقر والفقير:

الفقر في اللغة هو ما يفسر فقار الظهر، والفقير هو المكسور فقار الظهر. والفقير الشرعي هو الذي لا يملك قوت سنته له ولعِياله، لاقوة ولافعلا. نقصد بالاقوة اذا كان له مرتب شهري أو مورد يأتيه على دفعات خلال العام. وتسمى الحالة بين الفقر والغنى: الكفاف، وهي أن يكون الانسان مكتفياً بدون زيادة.

والفقر لا يكون من المال فحسب، فهو يطلق أيضا على فقر العلم وفقر النفس وفقر الدين وفقر القوة، وكلها تعني فقد الشيء والحاجة اليه.

درجات الفقير:

وردت في القرآن آيات كثيرة تذكر الفقير والمسكين، منها آية الزكاة التي تبين مصارف الزكاة حيث تقول:

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) (التوبة ٦٠)

مما يدل على أن الفقير غير المسكين.

وقد اختلف في الفرق بينهما وأيهما أكثر خصاصة وعوزا.

وفي مجمع البحرين ج ٣ (مادة فقر) يقول الشيخ الطوسي في النهاية: ان المسكين أسوأ حالا من الفقير، لقوله تعالى (أَوْسِكِينَا ذَا مَنْرَبَةٍ) وذو المنربة هو المطروح على التراب من شدة احتياجه.

وليس أوضح في الدلالة على الفرق بين الفقير والمسكين مما روي في الصحيح عن عبدالله بن مسكان عن أبي بصير، قال: قلت للإمام جعفر الصادق (ع) في قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين...) فقال (ع): «الفقير الذي لا يسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم»^{*}
فالفقير هو الذي لا يملك ولا يسأل، مصداقا لقوله تعالى:

(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ، يَحْتَسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ، تَعْرِفَهُمْ بِسِمَاهُمْ، لَا يُسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا خَائِفًا، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقره ٢٧٣)

والاول، أي الفقير العفيف الذي لا يسأل، هو أولى بالعطاء من غيره، لذلك ذكر في آية الزكاة قبل المسكين الذي يسأل.
وفي زماننا الحاضر لا نجد الفقير العفيف إلا في النادر، لابل إن أكثر من يسألون ويتظاهرون بالفقر هم مكتفون أو أغنياء.

النسبية في الفقر:

تختلف حاجات الانسان في الحياة مع تقدم الحضارة والرفاهية. فاليوم أصبح المنزل المستقل من حاجيات الفرد، كما اتسعت الحاجات المنزلية حتى اصبحت تضم الغسالة والبراد وما الى ذلك.
وفي حين كان الاولاد لا يتكلمون أباهم نفقة تذكر، أصبحوا اليوم عبء كبيراً عليه. والامام علي (ع) يقول: «قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْبَسَارِينِ».
وبما أن الفقير هو الذي يكون مورده أقل من مصروفه، فلا يبعد اليوم أن نعتبر الموظف وكل من يتقاضى أجراً مقطوعاً: فقيراً، اذا كان يعيل عدة أولاد!

معاني الفقر:

ورد الفقر في القرآن والاحاديث بمعان مختلفة. ويمكن حصر معاني الفقر على أربعة وجوه هي^٥:

- (١)- وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للانسان وللموجودات كلها. يقول تعالى (أنتم الفقراء الى الله، والله هو الغني الحميد). (سورة فاطر - ١٥).
- (٢)- عدم المقتنيات، وهو المذكور في قوله تعالى (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله...)(البقرة - ٢٧٣).

وهم الذين منعهم عملهم في سبيل الله عن الكسب.

- (٣)- فقر النفس: وهو المعنى بقول النبي (ص): «كاد الفقر أن يكون كفراً»^٦.
- (٤)- الفقر الى الله تعالى، كما في قول موسى (ع): (ربّ إني ليا أنزلت إليّ من خير فقير) (القصص - ٢٤)

وهو المشار اليه بقول النبي (ص): «اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفْقِرْنِي بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ».

الفقر المذموم:

من الوجوه السابقة يتبين أن من الفقر ما يكون مذموماً، ومنه ما يكون محموداً ممدوحاً.

والفقر بلحاظ ذاته كفر، لكنه اذا اقترن بالصبر أصبح عبادة وزيناً للمؤمن. والسبب في أن الفقر بذاته كفر، أن الانسان إذا لم يكن ورعاً واثقاً بربه ثقة تامة، فان فقره قد يدفعه لاستخدام كل وسيلة للحصول على المال، دون أن يتقيد بالشرع، فيغتصب ويسرق ويحتال، وقد يفعل غير ذلك من المحرمات، فيضل ويكفر. ولذلك قال النبي (ص): «كاد الفقر أن يكون كفراً». وقال (ص) في الامام علي (ع): «لَوْ تَمَثَّلَ الْفَقْرُ لَعَلِيَّ رَجُلًا لَقَتَلْتُهُ». وهو الذي عبرنا عنه «بفقر النفس»^٣ لأن غنى النفس يدفع

الانسان الى التعفف عما في ايدي الناس. يقول الامام (ع): «الغنى الاكبر، اليأس عما في ايدي الناس» (الحكمة ٣٤٢ نهج).

قال بعض أصحابنا: جاء في دعاء النبي (ص): «نعوذ بك من الفقر والقلة». قيل: الفقر المستعاذ منه إنما هو فقر النفس الذي يُفضي بصاحبه الى كفران نعم الله و نسيان ذكره، و يدعو الى سدِّ الخِلة (أي سدِّ حاجته) بما يتدنس به عرضه و يُثلم به دينه. والقلة تُحمل على قلة الصبر أو قلة العدد.

وقال الامام علي (ع) لابنه محمد بن الحنفية: «يا بني، إني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فان الفقر منقصة للدين، مذهبته للعقل، داعية للمقت» (الحكمة ٣١٩ نهج).

وفي الخبر أنه (ص) تعوذ من الفقر، وقال: «الفقر سواد الوجه في الدارين»، ثم قال في موضع آخر: «الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الانبياء»، وقال (ص): «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشني في زمرة المساكين». فكيف نوفق بين القولين؟ يمكن ذلك بلحاظ أن الفقر الذي تعوذ منه هو الفقر الى الناس، والذي دون الكفاف، والذي افتخر به (ص) الفقر الى الله تعالى.

وسؤال الفقير لم يرد في الادعية، بل ورد في اكثرها الاستعاذة من الفقر الذي يشق به الانسان، وعن الغني الذي يصير سبباً لطغيانه.

فقر الدين:

ومن أدنى معاني الفقر «فقر الدين» وهو الفقر الحقيقي، لأنه يورد صاحبه الى النار و الى غضب الجبار. وفيه قال الامام علي (ع): «الفقر الموت الاكبر».

عن الامام جعفر الصادق (ع) قال: «الفقر الموت الاكبر». فقلت له: الفقر من الدينار والدرهم؟ قال: «لا، ولكن من الدين».

وفي ذلك قال الامام علي (ع): الفقر والغنى بعد العرض على الله» (الحكمة ٤٥٢ نهج). وهو نظير ما أشار اليه النبي (ص) بقوله: «أندرون ما المفلس؟» فقيل: المفلس فينا من لادرمهم له ولا متاع له. فقال (ص): «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة، و يأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فان قُبِيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

الفقر المدوح:

في الخبر المأثور: «من أحبنا أهل البيت فليُعمد للفقر جلاباً»^٥ وعن الامام الصادق (ع) قال في مناجاة موسى (ع): «ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، واذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عُجِّلَتْ عقوبته»^{*}

وعن الامام الصادق (ع) قال النبي (ص): «طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السموات والارض»^{*}.

فالفقر المدوح هو الذي يقترن بالتعفف والصبر. والفقر المدوح هو من لا يجد إلا القوت من التعفف، ولا يوجد من هذه صفته في ألف الف واحد.

وفي ذلك يقول الامام علي (ع): «الفقر أزين للمؤمن من العذار على خد الفرس. وان فقراء المؤمنين ليتقلبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً»^{**}

وقيل للفقر ثلاثة أحوال هي:

أولها: الرضا بالفقر والفرح به، وهو شأن الاصفياء.

ثانيها: الرضا به دون الفرح، وهذا له ثواب ولكن أقل من الاول.

ثالثها: عدم الرضا به والكراهة في القسمة، وهذا لا ثواب له أصلاً.

هذا و اذا كان الغنى مدعاة للفجور، كان الاكتفاء مع العفة أفضل بلامقارنة.

يقول الامام علي (ع): «والجرفه مع العفة، خير من الغنى مع الفجور» (الخطبة رقم ٢٧٠ نهج)

الغنى المدوح:

غالباً ما يكون الغنى بالنسبة للانسان استدراجاً له وامتحاناً لايمانه وتقواه. يقول

الشاعر تحت عنوان (الدرهم مَحَكُ الاقبياء):

لايغُرَّتْ نك من المرء رداءً رَفَعَه

وقبصُ فوق ساق الكعب منه رفعه

• - الكافي للكليبي ج ٢ ص ٢٦٣

•• - مستدرک نهج البلاغة للشيخ الهادي كاشف الغطاء ص ١٨٤

وحين لاح فيه أثر قد قلعه أرو الدرهم تعرف غيبه أو وّرعه فان هو شكر ربه، بأن أخرج الحقوق من ماله، فواسى بها الفقراء، ولم يدفعه غناه الى التكبر عليهم، ولم ينشغل بغناه عن واجباته الدينية، ولم يسقّه غناه الى الفجور، خرج من امتحانه ناجحاً، والا كان ماله وبالا عليه وخسر خسراناً مبيهاً.

يقول الامام علي (ع): «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى» (الحكمة ٦٨ نهج).
و يقول (ع): «ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله! وأحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله» (الحكمة ٤٠٦ نهج).

وعن الامام الصادق (ع): «لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال، يكف به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه».

وغالباً ما يصد المال الغني عن طاعة الله، فيغريه الشيطان بارتكاب المحرمات، ولو ظل فقيراً لكان خيراً له. وفي ذلك يقول تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ...» (سورة آل عمران - ١٤)

و يقول الامام علي (ع): «المال مادة الشهوات» (الحكمة ٥٨ نهج).
لذلك وردت في الادعية الاستعاذة من الغنى الذي يصير سبباً لطغيان الانسان، مصداقاً لقوله تعالى:

«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى» (العلق - ٦).

الفقر ذل:

وليس أذل للانسان من أن يصبح محتاجاً الى الناس، فالفقر في نظر صاحبه ضعة وذلة، وفي نظر الناس استهانة واستخفاف.

فالفقير الذي لا يجيد قوت يومه، يشعر بالهوان وعدم القيمة في هذه الحياة، لانه لا يستطيع أن يعمل شيئاً بدون مال... فاذا هو صبر على ما ابتلاه الله كان له مثل أجر الصائم القائم، وان هو لم يصبر، وشرع باستعطاء الناس كانت مسأله ذلاً أكبر، لاسيما اذا كان الذي سأله قادراً على سد حاجته، ولكنه رده خائباً، فهو في هذه الحالة يتمنى الموت على ذلك.

عن الامام الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ص): «باعلي، ان الله جعل الفقر أمانة عند خلقه، فمن ستره أعطاه الله مثل أجر الصائم القائم، ومن أفشاه الى من يقدر على قضاء حاجته

فلم يفعل، فقد قتله. أما انه ماقتله بسيف ولا رمح، ولكنه قتله بما نكأ من قلبه»^٥. ونكأ القلب جرحه أو قتله.

ومن أشع صور ذل الفقير، أن يتذلل الى انسان مثله مجرد كونه غنيا، مستهيناً بعزة الايمان.

يقول الامام علي(ع): «ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه، ذهب ثلثا دينه» (الحكمة ٢٢٨ نهج).

ويقول(ع): «ما أقيح الخسوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى» (الخطبة ٢٧٠ نهج) وتبلغ نظرة الناس الى الفقير مبلغاً من الاحتقار تجعله يخرس عن إبداء حجته التي لا يصغي اليها الناس، فان تكلم بحق أسكتته الناس وكذبوه، واذا أخطأ استكبروا خطيئته. ولم يُعنه أحد على ضعفه ومسكنته، فيشعر أنه غريب وان كان يعيش في وطنه، ولا يرمق من بعيد إلا صورة من يأتي ليطالبه بدينه أو بأجرة بيته.

لذلك قال الامام علي(ع) في أبلغ عباراته: «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة» (الحكمة ٥٦ هج).

وقال(ع): «الفقر يُخرس الفطن عن حجته، والمُثقل غريب في بلده» (الحكمة رقم ٣ نهج).

وقال(ع): «اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» (الحكمة رقم ٨ نهج).

أما الغني فكل الناس تُعظمه وتُسَلِّم عليه و تطلب القرب منه، واذا جلس في مجلس بجلوه، واذا تكلم بكلام سخيّف عظموه، واذا أخطأ اغفلوا خطاه... حتى إذا ما ذهب ماله وقلّ خيريه إنفضوا من حوله، كالشجرة المثمرة اذا انتهى موسم ثمرها وسقطت أوراقها لم يأتها أحد. وما احسن ما قيل في ذلك :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| والناس من حولها مادامت الثمره | المرء في زمن الاقبال كالشجره |
| وخلفوها تقاسي الحرّ والغبّره | حقى اذا راح عنها حملها رحلوا |
| حتى ولا واحدٌ يصفون من العشره | تَبّاً لابناء هذا الدهر كلهم |
| | وقال احدهم: |

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| بُصِّدَقَ فيما قال وهو كذوبٌ | بُغَطِي عيوب المرء كثرة ماله |
|------------------------------|------------------------------|

وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةَ مَالِهِ
وَقَالَ آخَرُ:
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دَرَاهِمِينَ تَعَلَّمَتْ
وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ
لَوْلَا دِرَاهِمُهُ الَّتِي فِي كَيْبِهِ
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا
أَمَّا الْفَقِيرُ فَإِنْ تَكَلَّمَ صَادِقاً
إِنَّ الدِّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً
وَهَذِهِ النُّظُرَةُ هِيَ عَكْسُ النُّظُرَةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي تَقِيمُ وَزْنَ الْإِنْسَانِ عَلَى
مَقْدَارِ تَقْوَاهُ وَفَعَلَهُ وَوَجَالَهُ.

المسألة ذل أكبر:

ومن سوء الثقة بالله أن يسأل الفقير الناس ولا يسأل خالق الناس ومعطيهم. ولذلك نهى الشارع عن السؤال والمسألة لغير الله، واعتبرها هواناً وذلك لا يتناسب مع منزلة المؤمن وعزته وكرامته. وفي ذلك يقول الامام علي (ع):
«من أصبح على الدنيا حزناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكوره» (الحكمة ٢٢٨ نهج)
و يقول النبي (ص): «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مزعة لحم».
و يقول الامام علي (ع): «ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس» (الخطبة ٢٧٠ نهج)
و يقول (ع): «ماء وجهك جامد يقظته السؤال، فانظر عند من تقطره» (الحكمة ٣٤٦ نهج).
وإذا كان الغني الذي استعطاه الفقير لثيماً، شعر الفقير بمرارة العبودية، وأنه أصبح كالأسير في يد الغني يتحكم به كيف يشاء. وما أجمل ما قال الامام (ع) في هذا المعنى:

أُمْتُ عَلَى مَنْ شَتَّ تَكُنْ أَمِيرَهُ
وَاحْتِجَّ إِلَى مَنْ شَتَّ تَكُنْ أُسِيرَهُ
وَاسْتَفْنِ عَمَّنْ شَتَّ تَكُنْ نَظِيرَهُ

القناعة هي الغنى:

وأشد ما نهى عنه الشارع الحكيم أن يسأل الانسان وهو غير محتاج، فهذا عدا عن إهانة نفسه، فهو يحرم الفقراء الحقيقيين من أخذ حقوقهم.

يقول الامام الصادق(ع): «من سأل من غير فقر، فانما يأكل الجمر».

وفي الوقت نفسه حَضَّ الشارع على الزهد بالدنيا، والقناعة بما قسم الله، وعدم الحرص على المزيد من الدنيا. فالانسان يشبعه القُرض ويستره الظمر، وفي المثل: «من عدم القناعة لم يُفدَّه المال غنى». وقد توعد سبحانه من يسأل ولا يقنع، بالفقر الذي لا يزول.

يقول النبي(ص): «من استغنى أغناه الله، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسُدُّ أدناها شيء».

ويقول(ص): «ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس».

ويقول الامام(ع) في وصيته لابنه الحسين(ع): «أي بني، عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير». (تحف العقول ص ٦٠) و يقول(ع): «الغنى الاكبر، اليأس عما في ايدي الناس» (الحكمة ٣٤٢ نهج).

ويقول(ع): «ولا تكن أغنى من القناعة، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت. ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوأ خَفَضَ الدَّعة» (الحكمة ٣٧١ نهج).

ويقول النووي:

وجدت القناعة أصل الفتى فصرت بأذيالها ممتك
فلا ذا يراني على بابي ولا ذا يراني به منهمك
وعشت غنياً بلا درهم أمّر على الناس شبه المملك
ويقول الامام الصادق(ع): «أرسل عثمان الى أبي ذر مولى له ومعهما مائتا دينار. فقال لهما: انطلقا الى أبي ذر فقولا له: ان عثمان يُقرئك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابتك. فقال أبوذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثلاً أعطاني؟ قال: لا. قال: إنما أنا رجل من المسلمين، يعني ما يبع المسلمين. قال له: انه يقول هذا من صُلب مالي، وبالله الذي لا إله الا هو ما خالطها حرام، ولا بعث بها إليك إلا من حلال».

فقال أبوذر: لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقال له: عافاك

الله وأصلحك، مانرى في بيتك قليلا ولا كثيراً مما يُستمتع به. فقال: بلى تحت هذا الاكاف الذي ترون رغيفاً شعيراً، قد أتى عليهما أيام. فما أصنع بهذه الدنانير؟^٥

الحرص فقر:

وكم يخطئ من يجمع المال ويحرص على تكثيره وعدم نقصه، بدعوى أنه سيغنيه ويؤمن مستقبله، فإذا هو في لحظة واحدة قد ادركه الموت، فُحْمِلَ الى قبره، لا مالاً أخذ ولا مالا صرف، فعاش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب على ماله حساب الاغنياء.

يقول الامام علي (ع): «عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب. فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء» (الحكمة ١٢٦ نهج)

ومنه أخذ المتنبى المعنى حيث قال:

ومن يُنْفِق الساعاتِ في جمع ماله مخافة فقراً، فالذي فعل الفقرُ
ويقول الامام علي (ع): «إنَّ أخسر الناس صفقاً وأخيبهم سعياً، رجلٌ أخلق بدنه في طلب ماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرتة، وقَدِمَ على الآخرة بتبعته» (الحكمة ٤٣٠ نهج).

كما يقول (ع): «بابن آدم، ما كسبت فوق قوتك، فأنت فيه خازن لغيرك» (الحكمة ١٩٢ نهج).

ويقول يحيى بن الفضل الاندلسي:

جمعت مالاً ففكرت هل جمعت له باجاقع المال- أياماً تُفَرِّقُهُ
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا حين تنفقه
ويقول أبو الحسن علي المنجم في ذم الحرص:

وذي حرص نراه يَلْمَ وفرأ لوارثه ويدفع عن حماة
ككلب الصيد يُمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكلها سواه
ويقول أحدهم:

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع

وما تجمع من مال فلاتدري لمن تجمع
فان الرزق مقسوم وسؤ الظن لا ينفع
فقيبر كل ذي حرص غني كل من يقنع

الغنى الحقيقي هو العبودية لله وحده:

المؤمن يستمد غناه من الله، ويتوثق ذلك كلما ازداد يقينه بالله.
وتبدو النوازع التي تسيطر على نفس الانسان وفق اتجاهين:
نوازع تدفعه نحو الله، ونوازع تدفعه نحو المادة والشهوات. وبقدر تحرر الانسان
من ربة الشهوات وارتباطه بالله يصبح غنيا، لأنه يستغني عن كل شيء في الوجود
ما خلا موجد الوجود. وتصيح كل الاشياء في نظره حقيرة أمام الله تعالى، وتلك هي
العبادة الحقة.

يقول الامام علي (ع): «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ
مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْفُرَ عِنْدَهُ كُلُّ مَاسِوَاهُ» (الخطبة ٢١٤ نهج).

وليس من فرق بين من يعبد الأوثان الحجرية، ومن يعبد أصنام المادة والمال،
يُكْرَس حياته لخدمتها، ويرى أنها هي التي تنفع وتضر، حتى يصبح أسيراً لها،
تتحكم به دون أن يتحكم بها. فكلاهما يحمل حقيقة الشرك والتبعية لغير الله، كما
قال الشاعر الكبير اقبال:

سيان في الشرك هذا عابدٌ ذهباً يسعى الي جمعه، أو عابد وثنا
ومثل هذا الانسان وان كان ظاهره الغنى الا أنه من أفقر الفقراء.

وفي مقابل ذلك من يكسب الاموال فينفقها في سبيل الله، ويدفعها الى
الفقراء والمستضعفين، ولا يمسك منها غير قوت الكفاف، فهذا وان كان في
ظاهره فقيراً، الا أنه أعظم الاغنياء.

ولا ينفي هذا أن يكون المؤمن غنياً، فالشارع حصّ على الغنى، ولكن المحرم
أن لا يكون الغني عبداً لماله، بل أن يكون المال عبداً له. ويحدث ذلك عندما
يعرف المؤمن ربه حق معرفته، ويبلغ في نظره من العظمة حداً تصغر دونه كل
الاشياء.

يقول الامام علي (ع):

«إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْفُرَ عِنْدَهُ كُلُّ

ماسواه. وإنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ بِهِ. فَانَّهُ لَمْ تَعَطَّمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظْمًا» (الخطبة ٢١٤ نهج).

وفي هذا المعنى تروى القصة التالية:

إنَّ شَخْصًا سَمِعَ بِزَاهِدٍ فَأَرَادَ أَنْ يَزُورَهُ، وَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ يَعْيشُ فِي قَصْرِ فَخْمٍ، وَمِنْ حَوْلِهِ الرِّيشُ وَالخِدم. فَقَالَ لَهُ: عَجِبْتُ مِنْ أَمْرِكَ، وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّكَ زَاهِدٌ، وَمَا أَرَى آثَارَ ذَلِكَ عَلَيْكَ. فَقَالَ الزَّاهِدُ: لَيْسَ الزَّهْدُ أَنْ لَا تَمْلِكَ الْمَالَ، وَإِنَّمَا الزَّهْدُ أَنْ لَا يَمْلِكَكَ الْمَالَ. وَلَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَرَى، وَأَنَا أَعْمَلُ عَلَى إِنْتِفَاقِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَسْخَرُهَا لِقَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَرَى أَنْ وَجُودَهَا وَعَدَمُ وَجُودِهَا عِنْدِي سِيَانٌ.

فقر الصالحين:

يسمى الفقر الذي لا يكون الإنسان فيه مفتقرًا إلا إلى الله (فقر الصالحين) وهو أرقى درجة يبلغها المؤمن في معارج الفضيلة والصلاح والسمو والفلاح، حيث يترفع عن مؤثرات الدنيا الفانية، زاهدًا بمظاهرها ومُتَمَعِّها. ويحصل هذا الفقر في آخر درجات تربية النفس، تربيةً تسيِّرُها إلى العبادة الحقة والفضيلة الإنسانية، حيث يدرك الإنسان المؤمن أن المال وسيلة لا غاية. وسيلة للاكتفاء والترفع عن حاجة الناس، ثم وسيلة لمواساة الآخرين ورفع البؤس عنهم.

وليس يعني هذا القعود عن العمل والتواكل على الغير، بل إنه ينطوي على العمل والجهاد، لتسخير الوجود كله لخدمة الإنسان، ونشر العدالة والسعادة بين كل بني الإنسان.

إنه اقتفاء طريق العارفين، وارتواء القلب من عين اليقين... إنه عزة للنفس وإباء، يوصلان إلى الجزاء، وتوحيد صادق لله خالص من كل رياء.

وفي ذلك يقول الفيلسوف الإسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| يا عبية الماء والطين اسمعوا | ما هو الفقر الغني الرفع |
| هو عرفان طريق العارفين | وارتواء القلب من عين اليقين |
| ذلك الفقر عزيز في غناه | هامة الجزاء من أدنى خطاة |

يرعرش الدهر اذا دوى صداة
فقرنا ليس برقص أو غناء
فقرنا معناه تيسير الجهود
فقرنا العادي سراج لوظهز
إنه إيمان بدر وحنين
فم وأبلغ نوره للعالمين
وعلى هذا الصراط سار سائر الانبياء وخاتم الرسل محمد(ص)، كما سار ربيب
النبوة الامام علي(ع) وتلامذته المخلصون كأبي ذر الغفاري(رض)، فكانوا أزهد أهل
زمانهم.

الزهد صفة العارفين:

فأما نبينا محمد(ص) فقد وُلد يتيماً فقيراً، في حين كان أعداؤه يرتعون في نعيم
العيش ولذات الدنيا، وقد أمره تعالى أن يلزم الفقراء من أصحابه لأنهم يذكرونه
بالله، حيث قال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد
عينك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا) (الكهف - ٢٨). ولقد عُرضت عليه الدنيا فأبى أن
يقبلها. خرج من الدنيا خيماً، وورد الآخرة سليماً. لم يضع حجراً على حجر، حتى
مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه.

وأما موسى (ع) كلّم الله، فقد خاطب ربه قائلاً (ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير
فقيرٍ ولم يسألني إلاّ خبزاً يأكله، لأنّه كان يأكل من بقول الارض. ولقد كانت خُضرة
البقل تُرى من شفيف صفاق بطنه لهزّاله وتشدّب لحمه.

وأما داود(ع) صاحب المزامير، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول
جلسائه: أياكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

و أما عيسى(ع) روح الله، فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الحشن ويأكل
الجشيب. وكان إدامه الجوع، وسراجة في الليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الارض
ومغارها، وفاكهته وريحانه ماتبتت الارض للبهائم.

مثال الامام علي(ع):

أما الامام علي(ع) فقد ضرب أروع مثل على التحرر الوجداني والطهارة النفسية، لاسيما وأنه أحد الخمسة أصحاب الكساء الذين قال الله فيهم «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (الاحزاب - ٣٣).

وإذا تصفحنا سيرة الامام(ع) وجدناها تنبض بالحرية وتفيض بالتحرر الوجداني الرفيع. لابل انه لم يكتف بتحرير نفسه وتطهيرها من كل علائق المادة والدنيا، بل قام يعمل جاهدا طوال حياته ليدخر من عرق جبينه الدراهم، ليشتري بها العبيد فيعتقهم لوجه الله تعالى، حتى توفي ولم يخلف درهما قط. وكان لا يفتأ يلبس الخشن ويأكل القديد وهو الخبز اليابس.

ومن أبلغ أقواله التي تدل على زهده وتحرره ومشاركته لكل فرد في دولته بالمكاره والحرمان، كتابه الذي وجهه الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي الى وليمة قوم من أهل البصرة فمضى اليها، وفيها يقول:

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه. ألا وإن إمامكم قد اكنى من دنياه بطمره (أي ثوبه الباليين) ومن طعمه بقرصه (أي رغيفي الشعير). ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بوع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنت من دنياكم تبرا (أي ذهابا) ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا...» الى أن يقول(ع):

«وانما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هوى أو يقودني جشعي الى تخير الاطعمة، ولعل بالحجاز واليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حزى! أكون كما قال الشاعر:

وحسبك داء أن تبيت ببطنه وحولك أكباد تحجن الى القيد
أفنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في
جشوبة العيش؟ فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همتها علفها، أو المرسله شغلها
تقممها».

فالامام عليه السلام لم يكن ليرضى أن يكون همه في الحياة وشغله الشاغل، التمتع باللذائذ المادية والطيبات من الطعام والشراب، كما هو حال الحيوانات والبهائم، لابل ان الانسان أرفع من ذلك، فلقد خلق ليحمل مبدءاً وينشر رسالة، وتلك هي رسالة

الحق والعدل والمساواة.

لقد اكتفى الامام (ع) من دنياه كلها بثوبيه الباليين وبرغيفيه الشعير يقيم بهما أودّه، وماذا يريد بعد ذلك من حُطام الدنيا ولذائذها. لقد رَوّض نفسه على القناعة والزهد والتقوى، مما لا يستطيع غيره أن يفعله أو يصبر على تطبيقه، وحرى به أن يكون بهذه المنزلة من التحرر الوجداني والسمو النفساني، لانه هو القدوة لجميع المسلمين، وهو الامام لجميع الانام.

لقد كانت تحت تصرفه (ع) كل أصناف النعم وكل ألوان الطيبات، من العسل المصنفي والخبز الطازج والحريير الناعم، ولكنه مع ذلك آثر أن يكون حظه من هذه الماديات كحظ أقل فرد من رعيته، لأن من أبرز مبادئ رسالته التي قام ينشرها ويطبقها، المساواة بين الناس ونشر العدالة بينهم، وتأمين القسط الانساني الضروري لحياتهم، والرفع من سويتهم المعيشية، ليصبح الجميع مكتفين وأغنياء، لا يحتاج أحد منهم الى أحد.

مثال أبي ذر الغفاري:

وعلى هذا المنوال الرائد سار الصحابة الاوائل رضوان الله عليهم، الذين لم يُبَدّلوا ولم يغيروا، ولم يُلههم سلطان ولا مال، عن تطبيق ماعاهدوا الله عليه، ونشر ماوظنوا أنفسهم عليه، ومن أعظم أمثلتهم الصحابي الجليل أبوذر الغفاري. لقد آمن أبوذر بالرسالة الجديدة إيماناً عميقاً، حتى اضطرمت الحقيقة في قلبه، وتلجلج صدره بأنوار التحرر واليقين، فأصبح يرى كل شيء في هذه الدنيا رخيصاً أمام مبدئه ودينه، فوهب لعقيدته كل مايملك، وكل ماأوتي من قوة وعزيمة. هاهو أبوذر يطوف في ربوع مكة المكرمة، مجاهراً بمبدئه الحق، معلناً حربه على العبودية والاستغلال والجهل والضلال.

لقد قام يحدّر الناس من مغتبة كثر الأموال^٧، ويدعوهم الى البذل والعطاء والسماحة والمشاركة، دون أن يضع في حسبانته خوفاً من سلطة أو رهبة من قوة. لقد بدأ أول مابدأ بنفسه يطبق عليها مبادئ هذا البذل والعطاء والمساعدة والمشاركة والعدالة والمساواة. فأنفق كل ماله على الفقراء والمساكين، ثم سار في أرجاء البلاد يدعو الناس الى مادعا نفسه اليه، بكل صمود وتصميم وإيمان و يقين.

فلما جاء عهد الخليفة عثمان وانحرف الناس عن مبادئ الاسلام وحقائق الايمان، قام أبوذر يععلنها حرباً شعواء على كل منحرف ومعاند، قد استهوت الحياة ومادياتها،^٨ حتى صرفته عن دينه وانسانيته. فلم يترك مسجداً ولا حلقةً ولا مجلساً إلا استغله لتوجيه الناس والهلب عواطفهم الطيبة ونبذ عاداتهم السيئة. دون أن يساوره خوف أو هلع، أو يفت في عضده وهنّ أو ضعف. ومم يخاف؟ وهو الذي لا يملك مالا فتأخذ الدولة، ولا أرضاً فتستملكها، ولا داراً فتصادرها ولا وظيفة فتصرفه عنها. انه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً فيخاف عليه، فعاد لا يخاف إلا الله. لقد قطع عن نفسه كل علائق المادة فأصبحت نفسه حرة بكل معاني الصفاء والتحرر.

انظر اليه وقد قام خطيباً في الناس يصور ما آلت اليه الامور في عهد عثمان، ويستكر مظاهر الانحراف التي حصلت، فيقول: «لقد حدثت أعمالاً ما أعرفها. والله ماهي في كتاب الله ولا سنة نبيه. والله إني لأرى حقاً يُطفا، وباطلاً يجبا، وصادقاً مكذباً، وأثرةً بغير نقي. يا معاشر الاغنياء واسوا الفقراء. وبشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوم نار، تكوى بها جباهم وجنوبهم وظهرهم». «اتخذتم ستورا الحرير ونضائد الديباج، وتألتم الاضطجاع على الصوف الازربي، وكان رسول الله (ص) بنام على الحصير. واختلّف عليكم بألوان الطعام، وكان رسول الله (ص) لا يبيع من خبز الشعير».

وعاش أبوذر طوال حياته، ينفق ماله على اليتامى والمحرومين، ويوزع حصيلة أتعباه على الفقراء والمعسرين، وقد وقف نفسه لخدمة المساكين والمحتاجين، يدافع عن حقوقهم ويُعَرِّض نفسه للهلاك من أجلهم، حتى نُفي الى صحراء (الرَبْدَة)، وهي مكان بين المدينة والشام. فعاش هناك تحت خباء خيمته وحيداً فريداً مع زوجته. وصدق فيه قول النبي (ص): «يا أبأذر، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك». فكان فقره هذا أعظم الغنى، وكانت فاقتة تلك هي أعظم السعة. وكان وهو في سجنه في منفاه، أعظم إنسان حر عرفته البشرية. ولتلك حال من ينسلخ من علائق المادة والتراب، ليصبح نوراً متألّقاً فوق السحاب.

وحانت من أبي ذر التفاتة الى زوجته، وقد أدركه التُّرع الاخير، فطفق يبكي. فقالت له زوجته: أجزعاً من الموت تبكي يا أبأذر وأنت الصادق الصدوق؟! قال: لا يا أمة الله، ولكنني تذكرت وصية رسول الله لي، حين قال: «يا أبأذر إياك أن تموت وقد خَلَفْتَ قِبراطين»! فنظرت زوجته الى ما حولها لترى ماترك زوجها في خيمته، فلم تجد غير حصيرة بالية وابريق يشرب منه وآتية يغتسل بها.

المال مال الله

تنطلق نظرة الاسلام الى المال من حقيقة عميقة، وهي أن المال هو في الأصل مال الله، وكل مال في أيدينا قد أعطاه الله لنا على نحو التوكيل وليس التملك. فالمؤمن موظف على ماله ليستخدمه فيما أمر الله وأراد، فإذا هو لم يستخدمه وفق ذلك فقد أساء التصرف، وعلى الجماعة المسلمة ممثلة في الحاكم الشرعي أن تحجر عليه، وتمنعه من التصرف به، وتقيم على المال وكيلا عنه. وهذه الطريقة لا يفسح الاسلام للمال أن يستخدم في الظلم والاستغلال والباطل. فالشرع يحمي المالك طالما هو ينفذ الحظوة الالهية المرسومة له، فإذا هو شذ عن ذلك نزع حمايته عنه.

المال وسيلة وليس غاية:

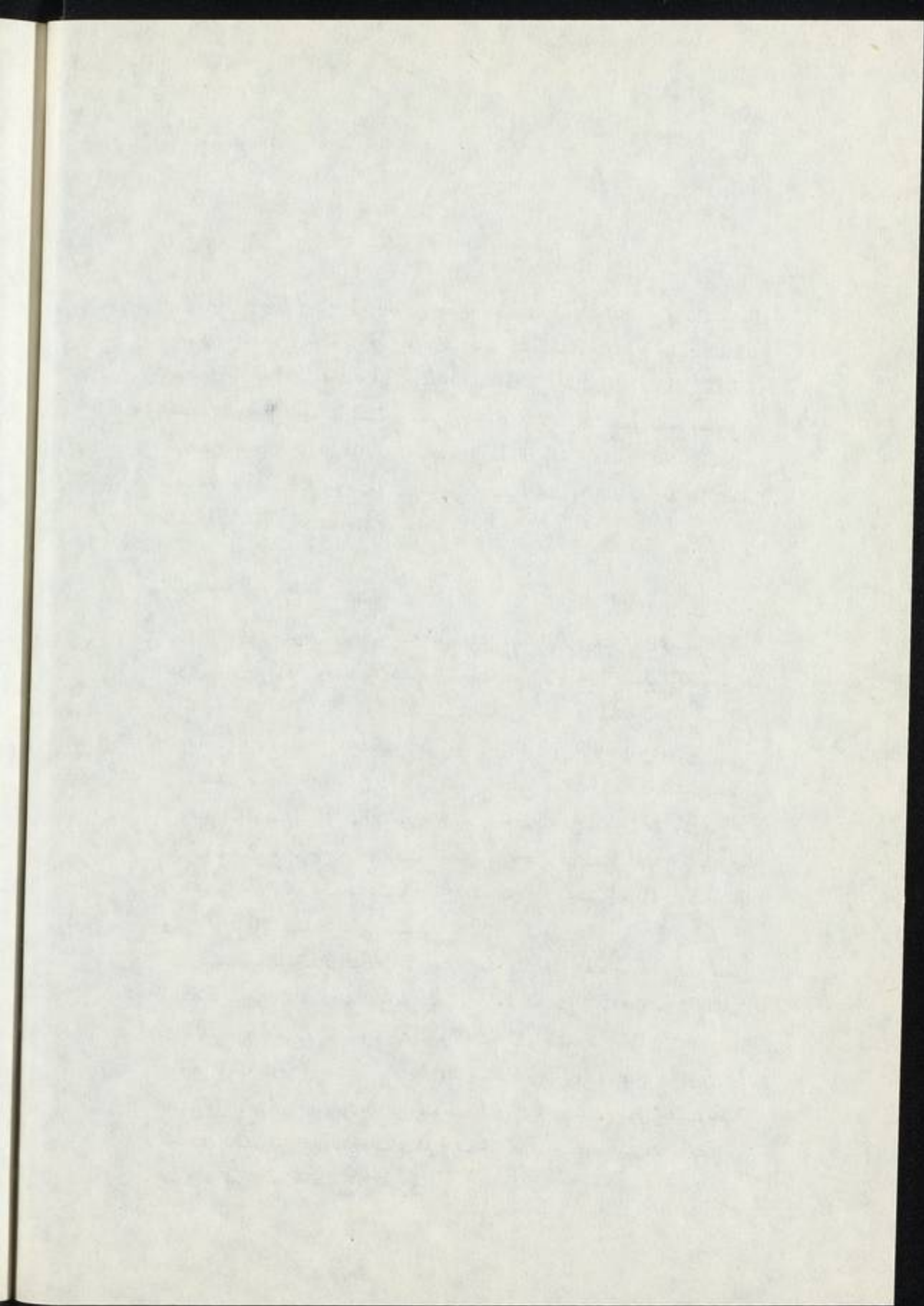
ومن هذه النظرية الرفيعة لوظيفة المال يتبين أن الاسلام يعتبر المال وسيلة لا غاية، فهو في الدرجة الاولى وسيلة للاكتفاء الشخصي حتى لا يحتاج الانسان الى سواه، وهو في الدرجة الثانية وسيلة لبناء المجتمع السليم وتأمين الحياة الانسانية لكل فرد فيه، في جويتيح لكل فرد الفرص العريضة ليعمل ويحصد ويحقق كل طاقاته ومواهبه.

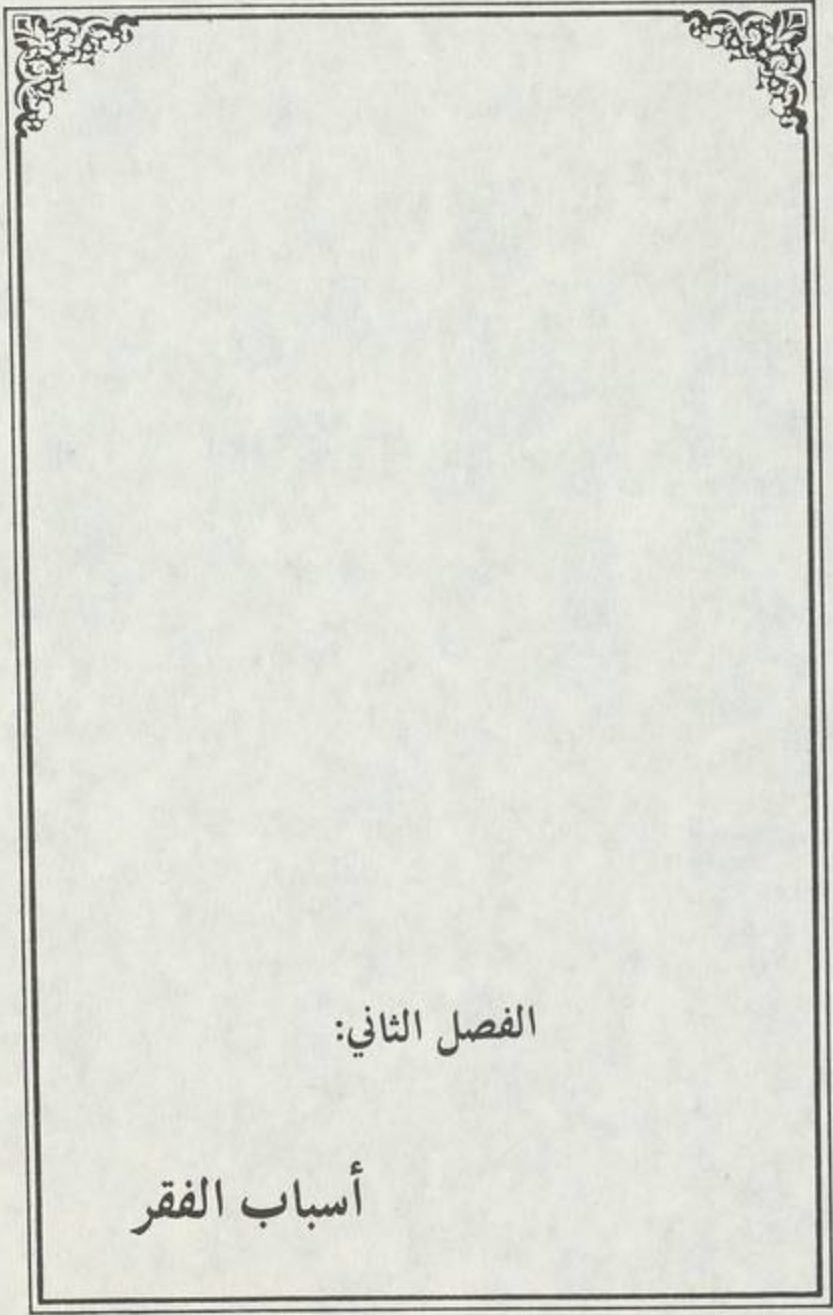
وعندما ينحسر دافع الدين من قلب المؤمن، ينسى علاقته الاساسية بالله، فينكب على جمع المال شغفاً بالمال، فلا يعود همه غير ملء حصالته من النقود، فلا يبالي من أين جمع المال ولا الغاية من جمعه، فيصبح عبداً للمادة دون أن يستفيد منها أو يفيد أحداً من المحتاجين اليها. وتنعدم قيمته في الجماعة كلما فقد المجتمع الفائدة منه، مصداقاً لقول الامام (ع): «قيمة كل امرئ ما يجسه»^١.

وبالنسبة للمخطط التكاملي للمجتمع يعتبر مثل هذا الفرد سرطاناً، لانه يمتص كل الطاقات من حوله، دون أن يعطي شيئاً، فاذا لم تتخلص الجماعة منه أتى عليها^١. لذلك حرم الاسلام الربا والاحتكار والاستغلال والجشع.

ومن ذلك ماورد في كتاب الامام (ع) لمالك الاشرحين وآله مصر. يقول (ع):

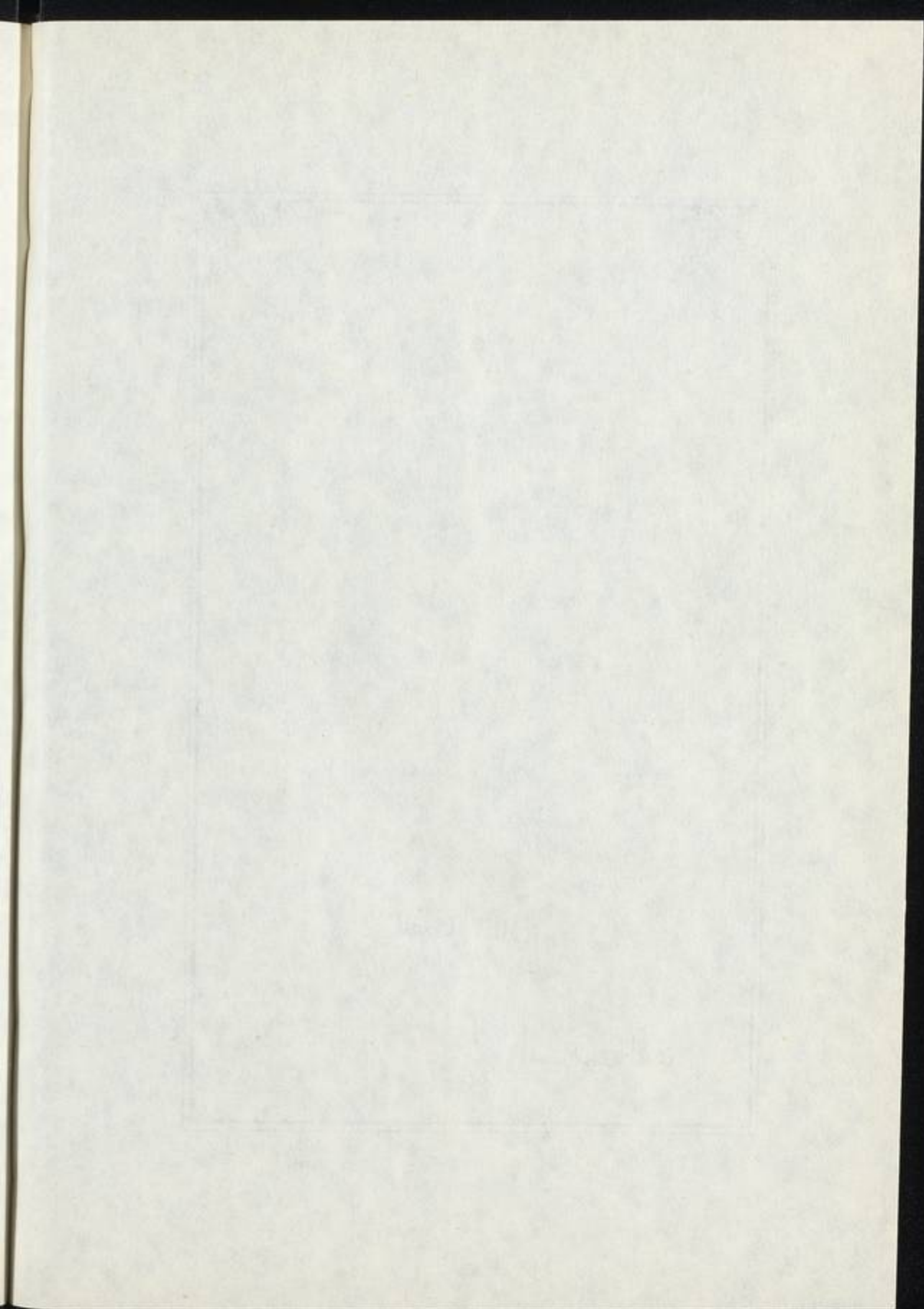
«فامنع من الاحتكار، فان رسول الله (ص) منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تُجحف بالفريقين، من البائع والمبتاع. فن قارف حكرة (أي احتكاراً) بعد نيك إياه فنكّل به، وعاقبه في غير اسراف» (الخطبة ٢٩٢ نهج).





الفصل الثاني:

أسباب الفقر



أسباب الفقر

اسباب الفقر متعددة، منها من الخالق سبحانه ومنها من المخلوق، ومنها من الفرد ومنها من الجماعة. وسوف نتناول هذه الاسباب في هذا الفصل، علماً بأن الاسلام كنظام لم يُقرّ الفقر في مجتمعه، بل وأده في مهده عن طريق نظامه التكاملي.

أولاً : الاسباب التكوينية:

وهي الاسباب الناتجة عن تكوين الله سبحانه للانسان. فالناس منذ أن خلقوا يتفاوتون في المواهب والقدرات، والاستعدادات والامكانيات. ويتناول هذا التفاوت الصفات النفسية والفكرية والجسدية. فهم يختلفون في الصبر والشجاعة، وفي قوة العزيمة والأمل، ويختلفون في حدة الذكاء وسرعة البديهة، وفي القدرة على الابداع والاختراع. ويختلفون في قوة العضلات وفي ثبات الاعصاب، الى غير ذلك من مقومات الشخصية الانسانية التي وزعت على الافراد بدرجات متفاوتة. و يبلغ هذا التباين حداً يستحيل معه، أن نجد شخصين متساويين في الذكاء والفهم والعاطفة والعقل والجد والاجتهاد والشعور والاهتمام.

وحكمة هذا التفاوت والاختلاف أن الحياة تحتاج بطبيعتها الى أفراد متفاوتين، يناسبون حاجات الحياة المختلفة، وإلا لاستحالت مسيرة الحياة وتكاملها. فمثلاً إن نسبة من لديهم القدرة على التخصص العلمي للاكتشاف والابتكار والتطوير

والاختراع في حدود ١٠٪، بينما بقية الناس ينصرفون الى تأمين مرافق الحياة المختلفة والانتاج، كل حسب ميله الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة. وتعود الحياة مرتدة في فوائدها على المجموع.

وينشأ عن هذا التفاوت في القدرات والانتاج تفاوت في الكسب والتحصيل.

الدنيا دار ابتلاء:

ومن الاسباب التكوينية المرتبطة بمفهوم الدين، أن الله سبحانه خلق الانسان مرتبطاً برسالة جاء الى الدنيا ليؤديها، فهو لم يخلق عبثاً، ولم يوجد باطلا. فالدنيا بالنسبة له دار امتحان واختبار، تتكامل في مقصودها مع الاخرة التي هي دار الحساب والجزاء. ومقتضى هذا الاختبار أن يكون الناس عمداً متفاوتين في الامكانيات وأن يكونوا متفاوتين في الرزق والعتاء.

وقد أكدت النصوص القرآنية والاحبار الشريفة على هذه الحقيقة الاساسية،

يقول سبحانه:

«الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (المملك ٢)

و يقول الامام علي (ع) من كتاب له: «فَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا تَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلِهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرُنَا، وَأَنَّا وَضَعْنَا فِيهَا لِنَبْتَلِي بِهَا» (الكتاب ٢٩٤ نهج).

و يقول الامام (ع): «فلم يستنصركم من ذلك، ولم يستفرضكم من قتل. استنصركم وله جنود السموات والارض وهو العزيز الحكيم. واستفرضكم وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد. وانما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً» (الخطبة ١٨١ نهج).

و يقول الامام الصادق (ع): «ما أعطي عبد من الدنيا إلا اعتباراً، وما زوي عنه إلا

اختباراً».

الرزق مقسوم:

وقد امتحن الله عباده بما قسم لهم من الرزق، فالرزق مُقَدَّر من الله تعالى. يقول

سبحانه:

«أهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض

درجات» (الزخرف - ٣٢).

ويقول الامام علي (ع): «أما بعد، فإن الامر ينزل من السماء الى الارض كقطرات المطر، الى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان» (الخطبة ٢٣ نهج).

وقال (ع): «وقدر الارزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة» (الخطبة ٨٩ نهج) وقال (ع): «الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأتُه أتاك» (الخطبة ٢٧٠ نهج)

ويقول الشاعر:

الرزق كالغيث بين الناس منقسم
هذا غريق وهذا يشتهي المطرا
وقال آخر:

لا الأمرُ أمرِي ولا التقديرُ تقديري
ولا الشؤون التي تجري بتقديري
لي خالق رازق ماشاء يفعل بي
أحاط بي علمه من قبل تصويري
وقد تكفل سبحانه وتعالى برزق العباد جميعا، حتى الحيوانات والدواب. يقول سبحانه:

«وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، كل في كتاب مبين» (هود - ٦).

ويقول الامام علي (ع): «عياله الخلائق، ضمّن أرزاقهم، وقدر أوقاتهم» (الخطبة ٨٩ نهج).

ومن شعر الأصم قوله:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي
ورازق هذا الخلق في العمر والسير
تكفل بالارزاق للخلق كلهم
وللضب في البيداء والحوت في البحر
ولتقدير الارزاق حكمة لا يعلمها إلا الله. فكم من عالم عاقل وهو فقير، وكم من جاهل خامل وهو مرزوق، أو كما قال القيراطي:

كم من أديب عالم قطين
مستكلي العقلي، مُقيلٌ عديم
وكم جهول مكتر ماله
ذلك تقدير العزيز العليم

الرزق مشروط بالعمل:

صحيح ان الرزق مقسوم من الله تعالى، ولكنه مشروط بالعمل وعدم التواكل.
يقول تعالى:

«هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» (الملك - ١٥)
و يقول سبحانه: «ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم، أفلا يشكرون» (سورة يس - ٣٥)
و يقول النبي (ص): «إعقل وتوكل» (أي إربط الدابة حتى لا تشرد ثم توكل على الله).

وقال الامام (ع): «قد تكفل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل» (الخطبة ١١٤ نهج).

والرزق شأن كل ما قدر الله تعالى، وكتبه في اللوح المحفوظ، يكون أحد نوعين:
١- الرزق المحتوم: وهو يأتي على أي حال. وهو ما عتبر عنه الامام (ع) بقوله: «ورزق

يطلبك، فان لم تأته أنك».

٢- الرزق المحروم: وهو مشروط بالعمل أو بغيره من الاسباب، فاذا قام الانسان بشرطه استحقه.

ولهذا كان على الانسان العمل، ثم تسليم أمره الى الله.

يقول الامام علي (ع): «وليس للعافل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرقمة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرم» (الحكمة ٣٩٠ نهج).

فتراه (ع) يعتبر الرزق من خصال المؤمن الحميدة، و يقرن بينه وبين العبادة لله. لكنه من الغيباء مما كان أن يتكالب الانسان على العمل والتئصب، ظناً منه أن رزقه متناسب مع ذلك، لا بل ان شدة الحرص وكثرة السعي يورثان الفقر. ومفاد ذلك ماورد في الاخبار، أن الذي يأتي الى السوق أول من يأتي، و ينصرف منه آخر من ينصرف، ينقص ذلك من رزقه. وما أجل الاعتدال في كل الأعمال.

يقول الامام علي (ع): «إن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت ظليته وقويت مكيدته، أكثر مما سمي له في الذكر الحكيم (أي اللوح المحفوظ). ولم يخل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم» (الحكمة ٢٧٣ نهج).

ومن كتاب للامام (ع) الى عبد الله بن العباس: «أما بعد، فانك لست بسابق أجلك، ولا مرزوق ماليس لك. واعلم بأن الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك. وأن الدنيا دار دُول، فاكان منها لك أنك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك» (الخطبة ٣١١ نهج).

الابتلاء بين الفقير والغني:

ولقد جعل سبحانه وجود الفقير والغني، كل منها ابتلاء للآخر. فوجود الفقراء هو

امتحان لسماحة الاغنياء وشكرهم وعدم تعلقهم بالدنيا ومادياتها. كما أن وجود الاغنياء هو امتحان لعفة الفقراء وعزتهم، فكم من فقير بالمال غني بالنفس، وكما قال سبحانه: «يَحْسِبُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ» (البقرة - ٢٧٣). وهو سبحانه في كلا الحالين عادل في حكمه.

يقول الامام علي (ع): «فإنَّ الله سبحانه يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَانِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ» (الخطبة ١٩٠ نهج).

وقال (ع): «وَقَدَّرَ الْارْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مِنْ أَرَادَ بِمِسْوَرِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غِنْيِهَا وَفَقِيرِهَا» (الخطبة ٨٩ نهج) وبما أن كلا من الغنى والفقر امتحان، فعلى الغنى أن يحد الغنى الذي صار فيه، ويفهم أنه استدراج وامتحان، تماماً كما على الفقير أن يتحسب من فقره، ويعلم أنه ابتلاء واختبار.

يقول الامام علي (ع): «وَرَبِّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٍ بِالتَّعْمَى، وَرَبِّ مُبْتَلَى مُصْنَعٍ لَهُ بِالْبَلْوَى» (أي أن بليته هي معروف أسداه الله اليه) (الحكمة ٢٧٣ نهج).

وقال (ع): «أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَتَرَكُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجَلْبِنَ، كَمَا بَرَأَكُمُ مِنَ النِّقْمَةِ فَرَقِينَ (أَيُّ فَرِغِينَ)! إِنَّهُ مِنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرِذْكَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخَوْفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرِذْكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيِّعَ مَأْمُولاً» (الحكمة ٣٥٨ نهج).

وتساور الشكوك المؤمن الضعيف الايمان، في سبب ابتلائه بالفقر دون الغنى، ولو علم أن تبعة الغنى أشد وطأة من الفقر لما طلب غير ما قَدَّرَ الله له.

وفي الحقيقة ان الله سبحانه يميزان عدله وبوافر علمه، يختار ما فيه الصلاح لعبده. فان كان العبد مؤمناً أقره لعلمه بأن غناه سيخرجه عن تقواه، أو أغناه لعلمه بأن فقره سيخرجه عن طاعته. وقد قال النبي: «لَوْ اطَّلَعْتُ عَلَى الْغَيْبِ لَأَخْرَجْتُ الرَّاقِعَ».

ومن يدري أن الله قد يبتي المؤمن بالعسر والبلاء ليكون صبره عليه كفارةً لذنوبه، حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة.

أما الكافر الذي أقام الله عليه الحجة مراراً وتكراراً، وهو يرتع في كفره وعناده، فانه يمتحنه بالغنى ليزيده كفراً، أو بالفقر ليزيده إثماً، مصداقاً لقوله تعالى:

«وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» (آل عمران - ١٧٨).

ولقوله جلّ من قائل: «وَيَمُدُّهُمْ فِي ظُلُمَانِهِمْ يَعْصَمُونُ» (البقرة - ١٥)

وينتج من ذلك أن الله حين خص عبده بالغنى لم يفضله على الآخر الذي اختصه بالفقر، وإنما هو الابتلاء بشكليه. ولولم يوجد في الدنيا فقير لم يستوجب الاغنياء الثواب.

يقول الامام الكاظم (ع): ان الله عزوجل يقول: «إني لم أغني الغني لكرامة به علي، ولم أفقير الفقير لهوان به علي، وهو مما ابتليت به الاغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة»^٥

عقوبة الاستخفاف بالفقير:

ان مقتضى الاخبار أن الفقر والغنى كلّ منهما نعمة من نعم الله تعالى، يعطي كلاًّ منها من شاء من عباده، بحسب ما يعلم من مصالحه الكاملة. لا بل ان بعض الفقر هو مما يختص الله به عباده المقربين الذين أحبهم، وفي ذلك يقول الامام الصادق (ع):

«المصاب يتّخ من الله، والفقر عند الله مثل الشهادة، ولا يعطيه من عباده إلا من أحب».

فقد قرن منزلة هذا الفقر بمنزلة الشهادة في سبيل الله، وهي مما يختص الله بها المقربين من الخاصة.

وقد روي أن رسول الله (ص) لما ورد المدينة نزل في دار أبي أيوب الانصاري، ولم يكن بالمدينة أفقر منه لما نزل عنده.

وعن النبي (ص) عن الله تعالى في ليلة المعراج قال: «يا أحمد عجبني محبة الفقراء. فأذن الفقراء وقرّب مجلسهم منك، الأذكى! وبقّد الاغنياء وبقّد مجلسهم منك، فإنّ الفقراء أحبائي»^٥.

وقد ذكرنا سابقاً عدداً من الاحاديث التي تبين مرتبة الفقير الصابر. ومن المسلم به أن الفقير الصابر أكثر ثواباً من الغني الشاكر. وأسلم الاحوال من يعيش عيش «الكفاف» فهو ليس بالفقير ولا بالغني. ولذا ورد في أكثر الادعية طلبه، وقد سأله النبي (ص) لآله وعترته.

وقد ورد النهي عن الاستخفاف بالفقير، لأن ذلك يعني استخفافاً بالله سبحانه.

قال النبي (ص): «ألا ومن استخفّ بفقير مسلم، فقد استخف بحق الله. والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب».

٥ - الكافي ج ٢ ص ٢٦٥

٥٥ - ارشاد القلوب ص ٢٧٩

وعن الامام الرضا(ع): «من لقي فقيراً مسلماً فسلم عليه خلاف سلامه على الغني، لقي الله عزوجل يوم القيامة وهو عليه غضبان»
 و يقول النبي(ص): «لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فان الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر».
 والله در من قال:

لله تحت قباب العرش طائفةٌ أخفاهم عن عيون الناس إجلالا
 لهم السلاطين في أطمار مكنيةٍ جَرَّوْا على الفلك الدُّوَارَ أذبالا
 و يقول الامام السجاد(ع) من جملة دعائه:
 «واعصمني من أن أظن بذي عذم خساسةً، أو أظن بصاحب ثروة فضلاً، فان الشريف من شرفته طاعتك، والعزيم من أعزته عبادتك»^٩.

ثانياً : الاسباب الشخصية:

في مقابل الاسباب التكوينية التي منشؤها من الله سبحانه، نجد عوامل ذاتية للفقر والغني منشؤها الانسان نفسه.
 فالرزق كما ذكرنا تابع للزيادة والنقصان، وتقديره مرتبط بعوامل محددة تماماً، كما هو الامر في الآجال.

بعض عوامل زيادة الرزق:

فمن جهة العوامل التي تزيد في الرزق، ذكر الامام(ع) في نهج البلاغة أهمها، وهي تنطلق من نية الانسان وسريته، ومن تقواه وطاعته لربه، الى أخلاقه وحسن معاملته للأخريين، الى الشكر وصللة الرحم، الى الدعاء والاستغفار، الى التصديق ودفع الحقوق... ويمكن اجمالها فيمايلي:

«طاعة الله - الشكر - الاستغفار - الدعاء - صلة الرحم - دفع الحقوق - الصدقة»

يقول الامام علي(ع): «واستموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته»^{١١}
 (الخطبة ١٨٦ نهج).

و يقول سبحانه: «لئن شكرتم لازيدنكم» (ابراهيم - ٧)
و يقول الامام (ع): «ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر، ويُغلق عنه باب الزيادة»
(الحكمة ٤٣٥ نهج)

و يقول (ع) من خطبة له في الاستسقاء:

«إن الله يبثلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، واغلاق خزائن الخيرات،
ليستوب تائب، ويُقَلع مُقَلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مُزْدَجِر. وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً
لدرور الرزق ورحمة الخلق، فقال سبحانه (استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يُرسل السماء عليكم
مدرارا، و يُمددكم بأموال وبنين، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ، ويجعل لكم أنهاراً). فرحم الله امرأً استقبل
توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيته» (الخطبة ١٤١ نهج).

و يقول (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع): «واعلم أنّ الذي بيده خزائن السموات
والارض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالاجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترجه ليرحمك»
(الخطبة ٢٧٠ نهج).

وعن الامام الصادق (ع): «دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب يُدْر الرزق ويدفع المكروه».

و يقول النبي (ص): «صلة الرحم تزيد في العمر وتني الفقر».

و يقول الامام الصادق (ع): «صلة الرحم منساة في الأجل، مَثْرَة في المال، مَحَبَّة في

الاهل».

و يقول الامام علي (ع): «إنّ لله في كل نعمة حقا، فمن أذاه زاده منها» (الحكمة

٢٤٤ نهج، مع اختلاف في اللفظ).

و يقول (ع): «إذا أملكتم فتاجروا الله بالصدقة» (الحكمة ٢٥٨ نهج).

و يقول النبي (ص): «استنزلوا الرزق بالصدقة، والبكور مبارك يزيد في جميع النعم خصوصا

الرزق، وحُسن الخط من مفاتيح الرزق، وطيب الكلام يزيد في الرزق».

ومن أقوى الاسباب الجالبة للرزق إقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع، وقراءة سورة

الواقعة بالليل ووقت العشاء، وقراءة سورة يس وتبارك وقت الصبح، وحضور المسجد

قبل الاذان، والمداومة على الطهارة، وأداء سُنة الفجر والوتر في البيت، وأن لا يتكلم

بكلام اللغو».

بعض عوامل نقص الرزق:

كما ذكر الامام علي (ع) بعض العوامل التي تنقص الرزق أو تقطعه، وهي تنصب على بعض الذنوب والكبائر، منها:

(الذنوب - الزنا - أكل المال الحرام - منع الحقوق)

يقول تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» (الاعراف - ٩٦).

و يقول سبحانه: «وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة بأنها رزقها زغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» (النحل - ١١٢)

و يقول الامام علي (ع): «وايم الله ما كان قوم فقط في غصن نعمة من عيش فزال عنهم، إلا بذنوب اجترحوها، لأن الله ليس بظلام للعبيد. ولو أن الناس حين تنزل بهم النعم، وتزول عنهم النعم، فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم، ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد» (الخطبة ١٧٦ نهج).

و يقول الامام علي (ع): «توقوا الذنوب، فما من بلية ولا نقص رزق إلا بذنب، حتى الخدش والكبوة والمصيبة».*

وعن الامام الحسن (ع): «ترك الزناء، وكنس الفناء، وغسل الاناء، مجلبة للفناء»*

وعن الامام الصادق (ع): «كثرة السحت يحق الرزق».

و يقول الامام علي (ع): «إن لله في كل نعمة حقاً فمن أداه حفظها، ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته» (الحكمة ٢٤٤ نهج).

و يقول (ع): «إن لله عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، فيقرها في أيديهم ما بذلوا، فإذا منعوا نزعها منهم، ثم حوّلوا الى غيرهم» (الحكمة ٤٢٥ نهج).

أسباب أخرى تزيد في الرزق:

في الروايات أن من حسنت نيته زاد الله في رزقه.

وأن غسل اليد قبل الطعام يزيد في الرزق
وأن التختم بالياقوت والعقيق والفيروزج وقراءة سورة التوحيد حين دخول البيت
ينفي الفقر.

ويقول الامام الصادق (ع): «حُسن الجواريزيد في الرزق».
وفي الروايات:

أن غسل الرأس بالخطمي يجلب الرزق وينفي الفقر
وأن من اطلّى فتدلك بالحناء من قرنه الى قدمه نفي عنه الفقر
وأن المشط يجلب الرزق

وتقليم الاظافر يوم الخميس يدّر الرزق درًا

والسراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق.

وعن أميرالمؤمنين (ع) في ذكر مايزيد في الرزق، وعدّها منها:

«الجمع بين الصلاتين والتعقيب بعد الغداة وبعد العصر، وصلة الرحم ومواساة الاخ، والبكور في
طلب الرزق، واستعمال الامانة وقول الحق، واجابة المؤذن، وترك الكلام في الخلاء، وترك الحرص،
وشكر النعم، واجتناب اليمين الكاذبة، وغسل اليد قبل الطعام، وأكل مايسقط من الخوان، ومن سبح
الله كل يوم ثلاثين مرة دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أيسرها الفقر»^٥

أسباب أخرى تورث الفقر:

روى عن الامام علي (ع) أن من الاسباب التي تورث الفقر:

ترك نسج العنكبوت في البيوت

والبول في الحمام (يقصد بالحمام البركة التي يستحم الناس عندها)

والاكل على الجنابة

والتمشط من قيام

وترك القمامة في البيت

واليمين الفاجرة

والزنا

واظهارالحرص

والنوم بين العشاءين وقبل طلوع الشمس

واعتياد الكذب

وكثرة الاستماع الى الغناء

وردة السائل

وترك التقدير في المعيشة

وقطيعة الرحم.

وروي عنه (ع) أيضاً:

القيام من الفراش للبول عرباناً

وترك غسل اليدين عند الاكل

واهانة الكسرة من الخبز

واحراق قشر الثوم والبصل

والقعود على أسكفة البيت (أى على عتبة الدار)

وكنس البيت بالليل

وغسل الاعضاء في موضع الاستنجاء

ومسح الاعضاء المغسولة بالذيل والكم (كما يفعل من يتوضأ ثم مسح وجهه ويديه بكمه أو يطرف رداءه)

ووضع القصاع والاواني غير مغسولة

ووضع أواني الماء غير مغطاة الرؤوس

والاستخفاف بالصلاة

وتعجيل الخروج من المسجد

والبكور الى السوق وتأخير الرجوع عنه الى العشي

وشراء الخبز من الفقراء

واللعن على الاولاد

وخيطة التوب على البدن (المقصود بها خياطة الانسان ثوبه وهو على بدنه)

واطفاء السراج بالنفس (أى بالنفخ عليه)

وعن النبي (ص) قال: «الفقر من خمسة وعشرين شيئاً، وذكر منها:

التقدم على المشايخ

ودعوة الوالدين باسمها

والنخلل بكل خشب (أي تحليل الاسنان بكل عود من الخشب)
 وتغسيل اليدين بالطين
 وترك القصارة
 وخطاطة الثوب على النفس
 ومسح الوجه بالذبل
 والاكل نائما
 ودعاء السوء على الوالدين
 وقص الاظفار بالاسنان.
 وذكر المحقق الطوسي في آداب المتعلمين فيما يورث الفقر:
 كثرة النوم
 والنوم عربانا
 والمشي أمام المشايخ
 والجلوس على العتبة
 والاتكاء على أحد زوجي الباب
 والكتابة بالقلم المعقود
 والامتشاط بالمشط المكسور
 وترك الدعاء للوالدين
 والتعمم قاعدا
 والنسرول قائما (أي لبس البنطال من قيام)
 والبخل والتقتير والاسراف
 والكسل والتواني
 والتهاون في الامور.

ثالثا : الاسباب الاجتماعية

ومن عوامل الفقر الظلم بأنواعه، ظلم الفرد للفرد، وظلم طبقة في المجتمع لطبقة، وظلم دولة في العالم لدولة. مما نجده شائعا في الدول والمجتمعات.
 فمن الظلم الفردي ظلم رب العمل لعامله واستغلاله وعدم اعطائه حقه من الاجر.

يقول النبي (ص): «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجت عرقه».

ويقول النبي (ص): «من ظلم أجباً أجره، أحبط الله عمله، وحرم عليه ربح الجنة»
ومن الظلم الجماعي استبداد طبقة التجار بالمستهلكين من الشعب، وبيع السلع
بالأرباح الفاحشة. ومن هذا الظلم استثثار الأغنياء بالمال وعيشهم عيشة البذخ
والرفاهية، دون أن يعطوا المحرومين حقهم من العيش الكريم.

يقول الامام علي (ع): «إن الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء، فاجاع فقيرٌ
إلا بما فتح به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك» (الحكمة ٣٢٨ نهج)

ومن الظلم الدولي تحكم الدول الرأسمالية والصناعية^{١٢} بثروات الدول الضعيفة
وفرض الحصار الاقتصادي عليها أو إلهائها بالحروب لتظل فقيرة محتاجة اليهم. وذلك
ليحافظوا على مستوى رفاهيتهم التي كسبوها على حساب غيرهم. وهذا من أقسى
أشكال الظلم والاستعباد، التي يجب مقاومتها.

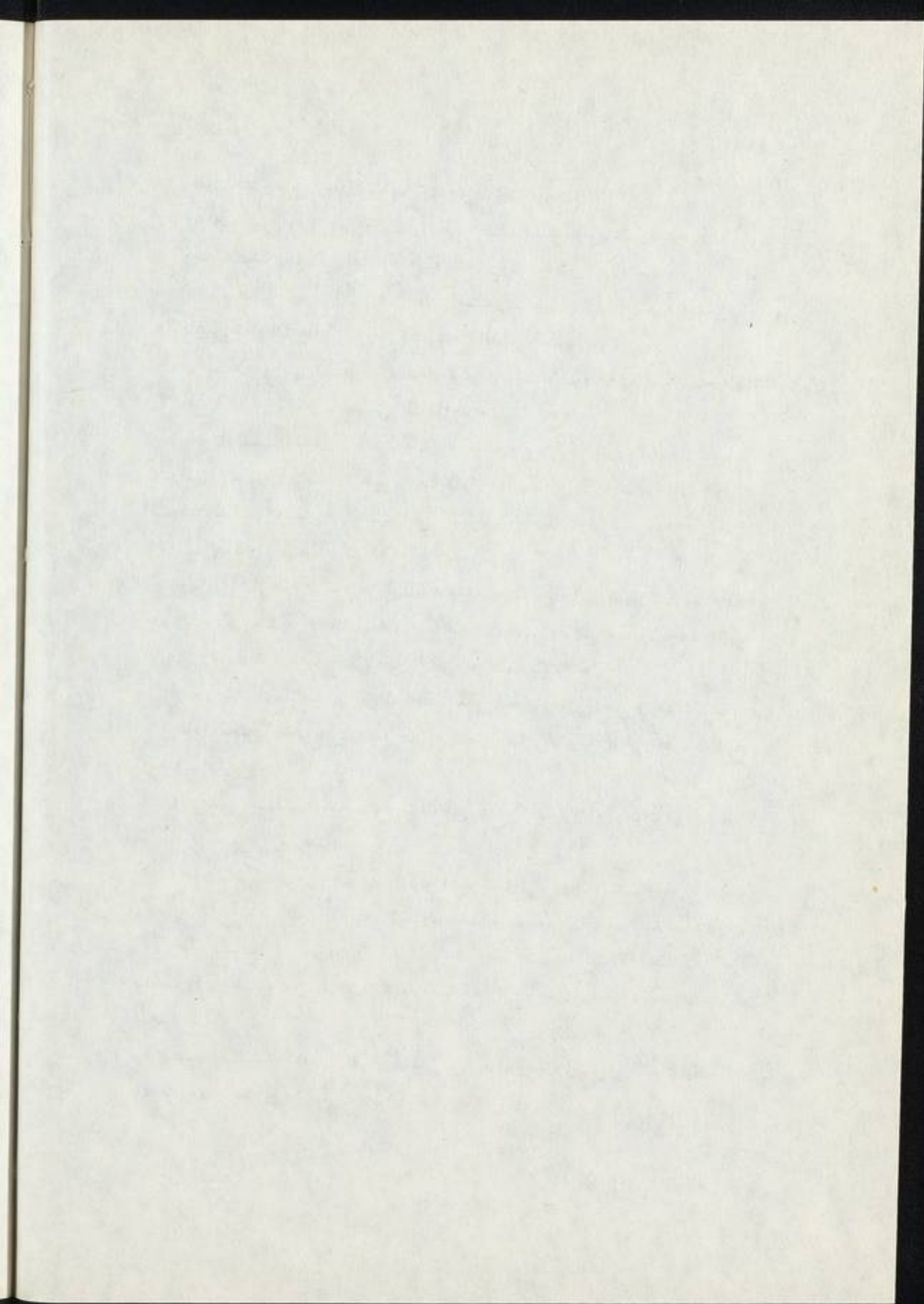
وتزول كل هذه الأنواع من الظلم عندما تقوم دولة القرآن في الارض، وتقام فيها
حدود الله، ويقف كل جانب عند حده العادل، الذي يضمن حقه ولا يُجحف بحق
غيره، في علاقات انسانية أخلاقية بين الافراد والمجتمعات والدول.

وقد ورد في الاسباب التي تورث الفقر، بعض العوامل التي تدخل في هذا الباب.
فاذا طغى الفجور على مجتمع حلّ به الفقر الجماعي، فيقلّ المطر وتجفّ الينابيع
وتُجذب الأرض من المحاصيل.

وإذا فشى الظلم والكذب وسوء الخلق وقطع الرحم وايداء الجيران في المجتمع،
سلط الله عليهم من يُفقرهم ويذلهم.

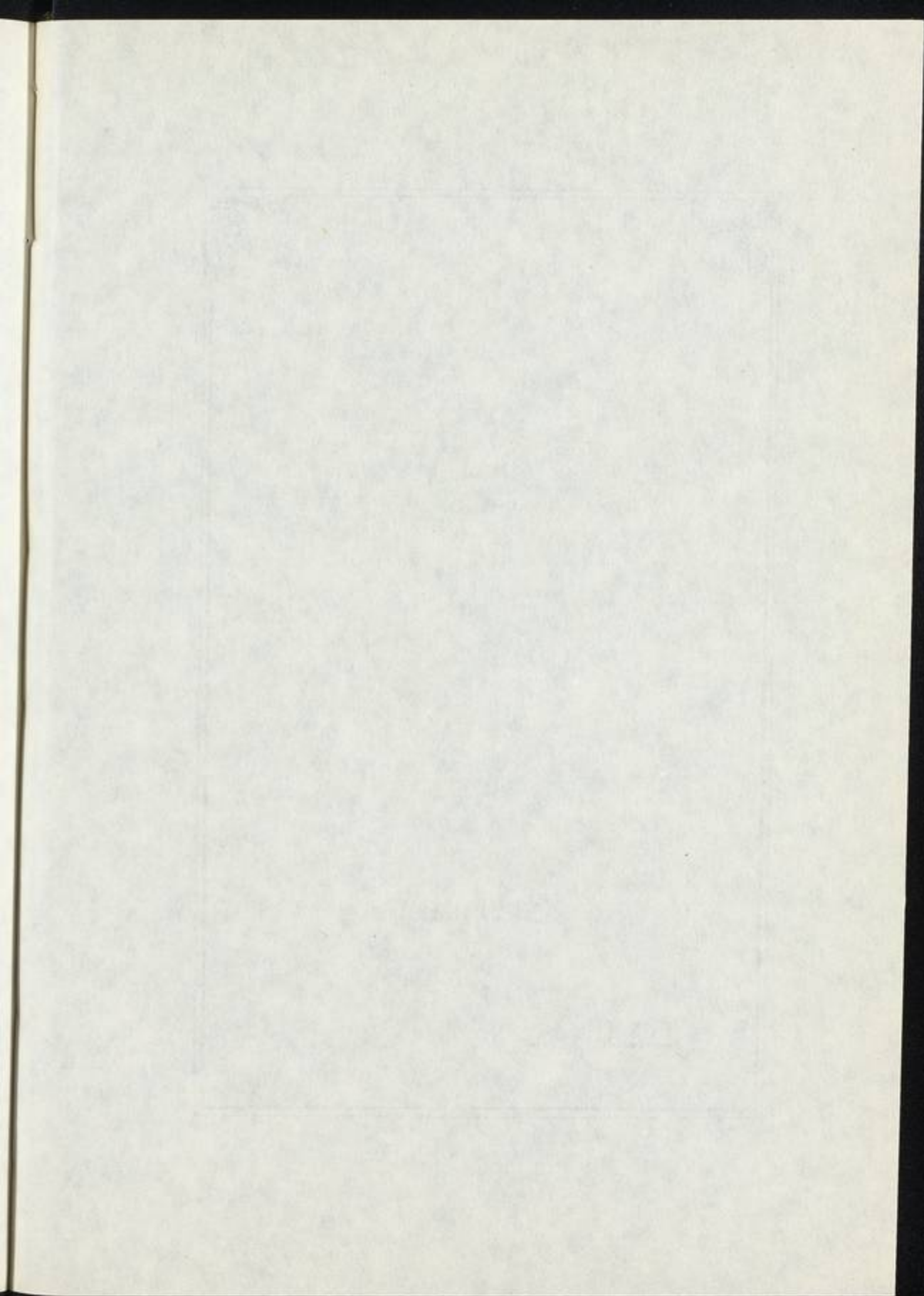
وإذا حبس الناس الحقوق وأكلوا السُّحت والربا ومال اليتيم، وردوا السائل
والمحروم، نزع الله من بينهم البركة فلا يهنأون بنعمة من النعم، ولا تستجاب لهم دعوة.
وإذا استهانوا بأوامر الله ولم يقيموا حدوده، فتركوا العبادة والصلاة والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، عاقبهم سبحانه بأنواع الخوف والجوع ونقص الثمرات
والعدد.

يقول جل من قائل: «وَتَلْبَسُونَكُمْ بَشِي مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَقْصِرُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ، وَتَبْشُرُ الصَّابِرِينَ» (البقرة - ١٥٥).



الفصل الثالث:

علاج الفقر



علاج الفقر

لا يمكن معالجة الفقر^{١٣} في الاسلام في معزل عن فلسفة الاسلام الفكرية ونظامه الاقتصادي.

وتنطلق الفلسفة الفكرية للاسلام من فلسفة شاملة متكاملة للكون تُوحّد كل ما فيه في نظام متناسق يستمد وحدته من وحدانية الله. لذلك سمي الاسلام دين التوحيد، لأن كل شيء في نظره يتوحد في ارتباطه بالواحد الأحد. من هذا المنطلق نجد أن الاسلام استطاع أن يوحد بين العبادة والمعاملة، والعقيدة والسلوك، والروحيات والماديات، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية، والدنيا والاخرة، والارض والسماء.

ومن هذه النظرة التكاملية للكون والحياة وضع الاسلام قواعده وأسس وحدوده وغاياته، وأصدرتشريعاته وفرائضه، في سياسة الحكم وسياسة المال، وفي توزيع المغام والمغارم، وفي الحقوق والواجبات. وضمن هذا الاصل الكبيرتنطوي سائر الاجزاء والتفصيلات.

وحين ندرك هذه الفكرة الكلية عن نظرة الاسلام الى الكون والحياة والانسان، ندرك الخطوط الاساسية للعدالة الاجتماعية في الاسلام.

فهذه العدالة قبل كل شيء هي عدالة إنسانية شاملة، وليست عدالة اقتصادية معدودة. وهي اذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور

والسلوك ، والضمان والوجدانات. وعليه فان القيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم المادية فقط، وانما هي القيم الروحية أيضا.

عقيدة التوحيد*

تنبعث هذه العقيدة من الايمان بالله تعالى وبوحدة مخلوقاته، فتعطي الانسان نظرية توحيدية، ينظر من خلالها الى جميع الموجودات كمجموعة واحدة ومنظومة مترابطة، ذات جهة واحدة، هي جهة الله تعالى. وهذه العقيدة اذا كانت صحيحة راسخة في قلب الانسان تسيطر على وجوده، وتوحد جميع أبعاده المختلفة، وتجعلها متلاحمة ومتلائمة، ثم ينسط نور هذه الوحدة والتلاحم على عامة صلات الانسان، بحياته وأعماله واتجاهاته.

الايمان التوحيدي - الاجتماعي:

ان الايمان التوحيدي يصور المجتمع في نظر المؤمن الموحد، كأسرة كبيرة واحدة، وكهيئة ايديولوجية موحدة. وهذا الاعتقاد اذا ساد المجتمع فانه يُبطل الأثرة والتمييز والطبقية، ويبني من الناس أمة وسطا، تقوم على السنن العادلة. يقول النبي(ص): «أبها الناس، إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى». و يقول (ص): «لافضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أحمري، إلا بالتقوى». والمجتمع التوحيدي لا يمكن أن يوجد في ظل حكومة الطاغوت، بل لابد له ليتولد وينمو ويستقر من حكومة التوحيد التي تحكم بتعاليم الله.

ولبيان الايمان التوحيدي نأتي بالمثال التالي من سيرة الائمة عليهم السلام:

عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام الرضا(ع) في سفره الى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك ، لوعزلت هؤلاء مائدة!. فقال: «مءة (أي اسكت)! إن الله تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة والأب واحد، والجزاء بالاعمال»**

٥ - الحياة للسادة رضا ومحمد وعلى الحكيم ج ٢ ص ٢٤٨

٥٥ - الكافي للكليبي ٢٣٠/٨

إنما المؤمنون إخوة:

ومن أجل مظاهر الايمان التوحيدي، المؤاخاة بين الافراد في الاسلام. يقول تعالى «إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم» (الحجرات - ١٠). وقد حصلت المؤاخاة بشكل فعلي أول مرة في الاسلام، حين وفد المهاجرون الى المدينة،^{١٤} فأخى النبي (ص) بينهم وبين الانصار، فاقتموا المال والنساء بينهم عن طيب نفس.

يقول الامام زين العابدين (ع) لاحد اصحابه: «بازهري، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك وتجعل تزهم بمنزلة أخيك؟! فأبي هؤلاء تحب أن تظلم، وأبي هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأبي هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟» *

فعلى المؤمن أن يقيم أخاه المؤمن مقام نفسه، ويبادلته المحبة ويشاركه في الحقوق، فيحسب له كل ما يحب لنفسه، ويكره له كل ما يكره لها. وهذا هو ميزان السلوك في الاسلام.

يقول النبي (ص): «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وليس أجمع لهذا المعنى من قول الامام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع): «بابني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لها. ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم. وأحسن كما تحب أن يُحسن اليك. واستقيح من نفسك ما تستقيحه من غيرك. وارضى من الناس بما رضاه لهم من نفسك».

تساوي الناس في الحقوق:

من مفهوم الايمان التوحيدي - الاجتماعي، استدل العلماء على تساوي الافراد في الحقوق نتيجة تساويهم في الخلق. فكما أن لهم إلهاً واحداً، فكذلك لهم حقوق واحدة.^{١٥} ولا ميزة لأحد على أحد ولا طبقة على طبقة. ونجد هذا المعنى واضحاً في كلمة الامام علي (ع) في عهده لمالك الاشر، حين أوصاه بالرعية فقال: «فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظيرك في الخلق» (الكتاب ٢٩٢ نهج).

وحدة الحقوق:

وهكذا تصدر الحقوق كلها متكاملة من مصدر واحد هو الله تعالى. فهناك حقوق لله اختص بها نفسه على عباده، وهناك حقوق فرضها على الانسان لنفسه، وهناك حقوق فرضها على عباده لعباده. وتتداخل هذه الحقوق فيما بينها. ولم نجد وثيقة كاملة تفصل هذه الحقوق أجمع من رسالة الحقوق للامام زين العابدين*.

يقول (ع): «إعلم! ان لله عزوجل عليك حقوقاً محيطَةً بك... بعضها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرع. ثم ما أوجبه عليك لنفسك... ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك، من ذوي الحقوق الواجبة عليك.».

و يقول الامام علي (ع): «ان الله تعالى أنزل كتاباً هادياً... وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشدة بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه وبده إلا باحق. ولا يجوز أذى المسلم إلا بما يجب» (الخطبة ١٦٥ نهج)

و يقول (ع): «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمةً لحقوقه، فن قام بحقوق عباده الله، كان ذلك مؤدياً الى القيام بحقوق الله»**.

وهكذا فان تأدية حقوق الناس هي جزء من تأدية حقوق الله، ولا تنال مرضاة الله إلا بتأدية تلك الحقوق.

ومن أهم الحقوق التي أثبتتها الشارح لكل الناس، ليصرف عنهم شبح الفقر، حق العمل وحق الحرية وحق الحياة الكريمة. فالاسلام أعطى كل فرد في مجتمعة حق العمل وحق الحرية، وأتاح له الظروف المساعدة ليعمل ويحقق كامل قدراته ومواهبه، وذلك سعياً للاعتماد على نفسه في إقامة الحياة اللائقة به. فان هوبعد ذلك قصر عن تحقيق ذلك كفله بالضمان الاجتماعي الذي يؤمن له الحد الاساسي من الحياة الكريمة^{١٦}.

* - وردت هذه الرسالة في تحف العقول ص ١٨٤

** - غررالحكم ص ١٦٥

حُرمة المسلم:

وتنطلق حرمة المسلم مجرداً عن كفاءاته ومادياته، من حرمة الله تعالى الذي خلقه وكرّمه. فالمسلم هو خليفة الله في الأرض،^{١٧} ومنه يستمدّ عزّته وكرامته.^{١٨} يقول سبحانه: «ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين» (المنافقون ٨).

ويقول النبي (ص): «المسلم أخو المسلم، لا يَخُونُه ولا يكذبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه. التقوى ههنا. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

الساعي في حاجة أخيه المسلم:

وقد ذكرنا في الفصل الأول كيف أن الله سبحانه امتحن الناس بعضهم ببعض، إذ بسط الرزق لبعضهم وقدره على بعضهم. ومن هنا كان سعي المؤمن في خدمة أخيه المؤمن من أعظم الفضائل لابل الواجبات. لأن المؤمن يتخذ قيمته من الله، فإكرامه هو إكرام الله، واعطاؤه هو إعطاء الله. يقول جل من قائل:

«من ذا الذي يُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة، واللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (البقرة ٢٤٧).

فإقراض الفقير هو بمنزلة إقراض الله تعالى.

وقد وردت الاحاديث الكثيرة في فضل قضاء حوائج المؤمن.

يقول النبي (ص): «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله

في حاجته»

و يقول (ص): «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مَسْرَةً لِرَجُلٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

ويقول الامام الصادق (ع) لابن جُنْدَب: «يا ابن جُنْدَب، الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمشحظ بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد، وما عذب الله أمة إلا عند استهانتهم بحق فقراء إخوانهم».

وقد اعتبر الاسلام اعطاء الفقير خير ذخر للانسان يجده يوم القيامة، فكان الفقير حين نعطيه شيئاً يحمل لنا ذلك العطاء الى يوم القيامة حيث نحتاج اليه.

وما أجل قول الامام علي (ع) في ذلك ، في وصيته لابنه الحسن (ع): «واذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة، فيوافقك به غداً حيث تحتاج اليه، فاغتنمه وحمّله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده. واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عُسرتك». (الكتاب ٢٧٠ نهج).

إتباع تعاليم الاسلام يضمن انعدام الفقر:

ذكرنا في الفصل الثاني أن من الاسباب التي تورث الفقر، ارتكاب المعاصي والفواحش وأكل المال الحرام ومنع الحقوق، وبكلمة عامة عدم اطاعة الله تعالى. فعلاج الفقر كامن في طاعة الله تعالى وتمثل أوامره وتطبيق تعاليمه، فإن ذلك يضمن انعدام الفقر في المجتمع.

يقول الامام علي (ع):

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه، وادخرتم الخير من موضعه، واخذتم الطريق من وضحه، وسلتم الحق من نهجه، لا تهجت بكم السبل، وبدت لكم الاعلام، وأضاء لكم الاسلام، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد»^٥

علاج الفقر من الناحية الاقتصادية:

يتخذ علاج الفقر في الاسلام سبيلين متميزين، هما:
العلاج الفردي - والعلاج الاجتماعي.

أولاً - العلاج الفردي للفقر:

ينتج من كل ماسبق أن علاج الفقر في الاسلام ينبثق من داخل النفس، لأن المجتمع الصالح لا يقوم إلا اذا كان كل فرد فيه قد أدرك مبادئ الاسلام، وترى على قيمه وآمن بغاياته.
وان معرفة المبدأ الالهي وتمثله في الذات والافعال، هو كمال العقل. لان ذلك يوصل الى مرضاة الله والجنة: العقل ما اكتسب به الجنة

٥ - مستدرک نهج البلاغة تأليف الشيخ الهادي كاشف الغطاء ص ٣١

ولذلك قال الامام موسى الكاظم (ع) لهشام بن الحكم قوله الرائع: «باهشام، من أراد الغنى بلامال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتنسج الى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بمايكفيه، ومن قنع بمايكفيه استغنى، ومن لم يقنع بمايكفيه لم يدرك الغنى أبدا».

فن العيبث أن يقوم مجتمع متوازن يشعر فيه كل فرد بوحدته مع غيره في الحقوق والواجبات، اذا كان كل واحد يسعى الى الجشع والحرص والتكالب على الدنيا، كالبيهمة المربوطة همها علفها. لذلك روض الاسلام الذات الانسانية على الزهد بمتع الحياة وماديات الدنيا، وعلى السعي الى المعارف الروحية والمرضاة الالهية. فبقدر ما يرتفع المرء عن الحاجات البيهمية يصبح إنساناً.

الحض على الزهد في المال والتحرر من سيطرته:

من هنا حض الشارع على الزهد. يقول النبي (ص): «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب».

لأن المادة والشهوات غالباً ماتصد عن المعاني الروحية الالهية. يقول تعالى «قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها» (الشمس ١٠).

و الزاهد الذي تحرر من علائق المادة والتراب هو أقرب ما يكون من الله، وبذلك تصبح قيمته عندالله أعظم من غيره، وان كانت ملابسه الخارجية رثة خَلِقة، فان الله ينظر الى القلب النظيف وليس الى الرداء النظيف.

يقول النبي (ص): «ياأباذر، ألا أخيرك بأهل الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: كل أشعت أغبر ذي طمرين لأبوتيه به، لو أقسم على الله لأبره».

ولو تفحصنا نهج البلاغة لوجدنا نسبة كبيرة منه (نحو ١٠٪) تتكلم في الزهد و ذم الدنيا. وقد كان الامام علي (ع) أول الزاهدين والمطلقين للدنيا. حتى أنه رضي من الدنيا باليسير، فكان طعمه قرصين من الشعير، ولبسه طمرين باليين. حتى أثر عنه أنه قال: «لقد رفعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها». واذا كانت قيمة الانسان بمقدار تحرره من الدنيا وقربه من الله، فلقد كان الامام (ع) من أقرب الناس الى الله وأحقهم بالقدسية والشأن.

وفي ذلك يقول الشاعر اقبال:

فقيرٌ على طمره نفعه حيدرٍ أعزُّنا من ألفِ كسرى وقيصر

ومن هذا المنطلق قال تعالى في سورة الواقعة:

«إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة»

فوصف القيامة بأنها تضع الموازين القسط لحقائق الناس، فترفع من كان في نظر الناس حقيراً لايؤبه به، وتخفض من كان في نظر الناس عظيماً كالملوك والجبابة.

قيمة الانسان بالعتاء وليس بالتملك :

وبما أن التحرر من المادة يدفع الانسان الى الجود والعتاء، فان قيمة الانسان في نظر الاسلام^{١٩} تأتي من مقدار عطاءه وبذله ومساعدته للآخرين، لا من مقدار ما يملك من مال أو علم أو قوة. فاذا هو لم يبذل للناس ما في وسعه فلا قيمة له، ولا قيمة لامكانياته. كالغني الذي يَظنّ بماله، والعالم الذي لا ينشر علمه، والقوي الذي لا يستعمل عضلاته.

فاذا شَبَّهنا الانسان بالشجرة، فان عطاءه لغيره هو ثمرة تلك الشجرة، فاذا كانت الشجرة لا تثمر فليس مالها غير القلع والكسر والحرق.

وفي هذا المعنى قال أمير الفصاحة والبيان (ع) كلمته المأثورة: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»^{٢٠}.

من هذا المنطلق حرّم الشارع كنز الأموال،^{٢١} لأن صاحبها لا يقدم أية خدمة لمجتمعه. كما حرّم الربا لأن صاحبه يأخذ ولا يعطي.

تسخير قدرات الفرد للجماعة (إثبات الذات ونفي الذات):

يؤكد الفيلسوف الكبير الدكتور محمد اقبال على فكرة «إثبات الذات (خودی)»، وذلك بفسح المجال أمام الفرد لتنمية كافة مواهبه وقدراته تنمية تجعله قوياً معطاء. وبعد هذه المرحلة تأتي فكرة «نفي الذات (بی خودی)» وهي تعني أن تذوب إرادة الفرد في خدمة المجتمع. فالمسلم لا يقول (أنا) بقدر ما يقول (نحن). وماتنمية ذاته الا لخدمة المجتمع. فنكون بذلك قد حفظنا حرية الفرد وحق المجتمع في آن واحد. وان التداخل بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع قائم بشكل مطرد، فكلما أنتج الفرد اغتنى المجتمع، وكلما اغتنى المجتمع غني الفرد.

التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع (وحدة المجتمع):

ومن أبرز سمات المجتمع هي وحدته التامة، فهو كالكون المتماسك اذا اختل منه جزء انتقض كامل نظامه، أو كالجسد الواحد اذا تعطل منه عضو ظهر تأثيره في بقية أجزائه.

يقول النبي (ص): «قتل المؤمن في نواذهم وتعاطفهم وتراجهم، كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». ومن هذا المنطلق التكاملي نجد أن القرآن يعتبر اساءة الانسان لغيره إساءة لنفسه، وقتل المرء لآخيه هو قتلاً لذاته.

يقول تعالى: «ولا تميزوا أنفسكم» (الحجرات ١١)

و يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم. ولا تقتلوا أنفسكم. إن الله كان بكم رحيمًا» (النساء ٢٩). أي لا يقتل بعضكم بعضاً. ولو كان المقصود بذلك أن لا يقتل المرء نفسه لجاءت الآية بصيغة المفرد وليس الجمع. ٢٢ ومن منطلق وحدة المجتمع اعتبر القرآن أن من يقتل شخصاً فكأنما قتل المجتمع كله. يقول تعالى:

«من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً» (المائدة ٣٢)

لذلك اعتبر ضرورة القصاص للجاني لأنه يقتل المجتمع بفعله، واعتبر زواله حياة للمجتمع. يقول جل من قائل:

«ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب، لعلكم تتقون» (سورة البقرة ١٧٩)

مبدأ حرية الفرد في الكسب والتملك

الاسلام يساير الفطرة ويحاول تشجيعها والاستفادة منها، وكل نظام يعاكس الفطرة فاشل لامحالة، مهما أقام على الافراد ستاراً حديدياً. والاسلام بعد أن عالج الفقر وأقر الحياة العزيزة الكريمة لكل إنسان في مجتمعه، لم يجد ضيراً من أن يعمل كل انسان بحرية تامة، باذلاً كل امكانياته للكسب والانتاج، لابل انه يرى أن ذلك من

أنجع الامور لأنه يعود بالفائدة على الفقير والمحروم و يدعم رفاه المجتمع. فكلهما عمل القادرون زادت نسبة تأمين الضعفاء والمحتاجين... ومادام الحد الضروري من الحياة مُؤمناً لكل فرد، فأية فائدة نجيبها اذا حرمتنا الافراد من طموحهم و كبتنا من حرياتهم، سوى حرمان المجتمع من طاقات أبنائه؟!.

ان الاسلام لا يمنع تقدم الافراد فوق المستوى الانساني الذي وقّره لهم، لا بل يريد من الجميع العمل والطموح والارتقاء، لأن من هدفه إغناء وتمليك كل فرد، بينما تسعى المبادئ الشيوعية الى إفقار كل فرد وسلبه حقوقه. وشتان بين نظام يرفع الجميع الى الغنى، ونظام يُدني الجميع من الفقر.

وبعد أن زود الاسلام جميع أفرادها بالمبادئ الاخلاقية وشحنهم بالمثل الاعتقادية التي تجعل الانسان أخا الانسان، يكفله و يواسيه ولا يخذله، وضع التشريعات الضرورية لمن ينحرف عن أهدافه ومعانيه، فحرم الاستغلال والاحتكار وتبيد المال وإساءة استخدامه.

تحديد سلطة المالك على الانتفاع بماله:

في الاسلام تحديدات متعددة لسيطرة المالك على التصرف في ماله، كمنعه من الاكتساب بالربا، ومنعه من الإضرار بالجماعة عن طريق استخدام ماله بشكل يضر بالآخرين، انطلاقاً من القاعدة الشرعية: «لا ضرر ولا ضرار» لأن الانسان في النظرة الاسلامية مُوَكَّل بالمال ليستخدمه لخدمة الجماعة واقامة المجتمع العادل. وان تصرف المالك في ماله بشكل يؤدي الى الاضرار بالآخرين يمكن أن يكون أحد نوعين:

الاول: إضرار مباشر، كأن يسرق أو يغتصب أو يتلف مال غيره.

الثاني: إضرار غير مباشر، وهو ما يحصل في المجتمعات الرأسمالية التي لا تضع حداً لجشع الانسان، بل تسمح له أن يستغل أمواله كيف يشاء مالم يسلب الاخرين حريتهم الشكلية.

فاذا قام أحدهم بمشروع رأسمالي كبير، فانه يستطيع بواسطته أن يُدمّر المشاريع الصغيرة. وذلك دون أن يسلب أصحاب المشاريع الصغيرة شيئاً من بضاعتهم التي يملكونها فعلاً، وانما بأن يضطرهم الى تصريفها بأرخص الأثمان، فينسحبون من الميدان و يعجزون عن مواصلة العمل.

وفي كل حالة يسيء المرء استخدام أمواله، يفرض الاسلام عليه الحجر،^{٢٣} أي ينزع منه حق التصرف بماله، ويعين له وكيلاً قادراً على استخدام المال بالطرق الشرعية، لينمي له المال لصالحه.

ثانياً - العلاج الاجتماعي للفقر:

وهو يتناول دور المجتمع والدولة في علاج الفقر، وذلك طبقاً للأسس التي رسمها الاسلام في العلاقات بين الافراد، ومنها التعامل بين العامل وصاحب المال. وقد ابنتت هذه الاسس على مبدأ جليل هو أن «لا كسب بلا عمل»^{٢٤}.

وسنجد أن الاسلام حاول استخدام كل الوسائل لرفع سوية المجتمع المادية (تنمية الانتاج)، ثم حاول النهوض بمستوى المحرومين والعاجزين مباشرة لهم من حقوق في العمل والحياة الكريمة (الضمان الاجتماعي). ثم حاول ازالة الفوارق الكبيرة بين طبقات الشعب (التوازن الاجتماعي). وكل هذه الوسائل من شأنها ازالة الفقر والنهوض بالمحرومين ليحققوا بسوية الناس.

(١) - طريقة المعاملة بين العامل وصاحب المال:*

سمح التشريع الاسلامي للعامل بأسلوبين لتحديد المكافأة التي يستحقها، وترك للعامل الحق في اختيار أيها شاء، وفق مصلحته وتقديره... وهما: أسلوب الأجرة، وأسلوب المشاركة في الارباح أو الناتج. فمن حق العامل ان يطلب مالاً محددًا كمكافأة له على عمله، كما يحق له ان يطالب باشراكه في الربح أو الناتج.

وسنشرح ذلك فيما يلي:

١- أسلوب الأجرة: يمتاز هذا الاسلوب بعنصر الضمان، فالعامل اذا قنع بأن يكافأ بقدر محدد من المال لقاء عمله، وهو مانسميه الاجرة، كان على صاحب العمل دفع هذا القدر المحدد له، بقطع النظر عن نتائج العمل وما قد يُسفر عنه الانتاج من مكاسب أو خسائر.

٢- أسلوب المشاركة: وهو أن يقترح العامل على صاحب العمل أن يشاركه في

الناتج والارباح بنسبة مئوية، بأمل الحصول على مكافأة أكبر، وبذلك يربط العامل مصيره بالعملية التي يمارسها، ويفقد عنصر الضمان، اذ من المحتمل أن لا يحصل على شيء اذ لم يوجد ربح.

ولكل من الاسلوبين ميزته الخاصة.

وقد نظم الاسلام الاسلوب الاول (الأجرة) بتشريع أحكام الإجارة. كما نظم الاسلوب الثاني (المشاركة في الربح أو الناتج) بتشريع أحكام مختلفة، منها:

١- عقد المزارعة: وفيه يتفق العامل مع صاحب الارض والبذر على استخدام الارض في زراعة ذلك البذر، ومقاسمة الناتج بينها.

٢- عقد المساقاة: وفيه يتعهد العامل بسقي الارض في مقابل منحه نسبة مئوية في الثمرة.

٣- عقد المضاربة: وفيه يتجر العامل لصاحب المال بماله على أن يقاسمه أرباح تلك التجارة.

٤- عقد الجعالة: وفيه يعلن تاجر الاخشاب مثلاً استعداد له لنح أي شخص يصنع له سريراً من تلك الاخشاب، نصف قيمة السرير.

وفي كلا الاسلوبين السابقين لتحديد مكافأة العامل لا يجوز لصاحب المال أن يضع على العامل شيئاً من الخسارة، بل يتحمل صاحب المال الخسارة كلها ان حصلت، وحسب العامل من الخسارة أن تضع جهوده سدى.

والقاعدة الاساسية لمكافأة العامل أن يكون قد بذل جهداً ما في عملية الانتاج، وإلا لا تجوز له أية مكافأة.

والقاعدة العامة في نظرية الاقتصاد الاسلامي أنه لا يسمح لأي فرد بأن يضمن لنفسه كسباً بدون عمل، لأن العمل هو المبرر الاساسي للكسب في النظرية.^{٢٥} ومن أمثلة المدلول السلبى لهذه القاعدة منع المستأجر للدار أو الارض أو أية أداة انتاج عن إيجارها بأجرة أكبر مما كلفه استئجارها ما لم ينفق عليها عملاً يستحق الزيادة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً منع الأجير عن استئجار غيره للقيام بالمهمة التي استؤجر عليها بأجرة أقل مما حصل عليه.^{٢٦} فحصوله على الفرق بين الأجرتين يكون حراماً لأنه لا يقابل عملاً.

وأحد تلك الامثلة هو: الربا.

الربا وسبب تحريمه *

الربا في القرض حرام في الاسلام، وهو أن تقرض غيرك مالاً الى موعد بفائدة يدفعها المدين عند تسليم المال في الموعد المتفق عليه. فلا يجوز القرض إلا مجرداً عن الفائدة، وليس للدائن الا استرجاع ماله الاصيلي دون زيادة، مهما كانت الزيادة ضئيلة.

وهذا الحكم يعتبر في درجة وضوحه اسلامياً، في مصافِّ الضروريات من التشريع الاسلامي.

والفائدة تعتبر في العرف الرأسمالي الذي يسمح بها، أجرة رأس المال النقدي الذي يُسلفه الرأسماليون للمشاريع التجارية وغيرها، لقاء أجر سنوي يحدد بنسبة مئوية من المال المُسلف، ويطلق على هذا الاجراسم الفائدة. وهم لا يرون أي فرق بين تلك الاجرة على المال وبين الاجرة التي تحصل نتيجة ايجار العقارات وأدوات الانتاج.

لكن الاسلام يجد فرقاً اساسياً بين الحالين وفق نظريته التي سبق شرحها. فوسيلة الانتاج (الالة مثلاً) التي يؤجرها صاحبها هي عمل مخزن، يشترك في الانتاج، وهي كالعامل الذي يبذل طاقته، ويكون ذلك بتآكلها وخضوعها للكسر والعطب، فتخرج بعد الانتاج غيرها قبل الانتاج، وهو مانسميه (الاستهلاك)، ولذلك وجب لها الأجر. أما المال الذي يدخل في الانتاج على أساس الفائدة، فهو يبقى نفسه بعد الانتاج وقبله، فعلام يستحق الفائدة؟ والقاعدة أن لا أجر بلا عمل!^{٢٧}

وبما أن أموال المرابين غير معرضة للنقص بحال من الاحوال، نجد أن أموالهم تتضخم باستمرار بدون أن يقوموا بأي عمل، وذلك على حساب جهد الاخرين. وهذا من أكبر عوامل الفقر، لأنه ينمي طبقة المتمولين العاطلين عن العمل، في حين يُفقّر طبقة العاملين الكادحين الذين أغلبهم من الفقراء. فهو من أكبر عوامل زيادة التباين في المجتمع.

وقد سمح الشارع بأسلوب المشاركة في الناتج على أساس الارض في عقد المزارعة

والمساقاة، وعلى أساس المال التجاري في عقد المضاربة، وعلى أساس المادة الاولية في عقد الجعالة، ولكنه لم يسمح بالمشاركة في الناتج في أدوات الانتاج.

فاذا قدم صاحب رأس المال الآلة ليعمل بها العامل، لم يجز لصاحب الآلة أن يشارك العامل في نسبة الربح والانتاج، بل يأخذ أجره على الآلة تناسب ما يستهلك منها.

وعليه فان بعض الاشياء أجاز الشارع لها الاجرة فقط، مثل البيت والارض والآلة. في حين جعل لبعضها الاخر حقاً في نسبة الانتاج، مثل المال التجاري، والارض مع البذر، والمادة الاولية كالصوف والخشب وخلافه. فما الفرق بين الحالين؟

إن البيت والارض وأدوات الانتاج هي عمل مخزون ولكنه لا يتضمن مشاركة فعلية من صاحبه في عملية الانتاج، فهو واسطة فقط للانتاج، ويستحق الاجرة فقط. أما المال التجاري والبذر مع الارض والمادة الاولية، فهي ممارسة مباشرة لملكها في عملية الانتاج.^{٢٨}

ففي المفهوم الاسلامي يكون الفرق في القيمة بين المادة الاولية قبل تصنيعها وبعد تصنيعها هو من حق مالك المادة الاولية ومن حق العامل، وليس من حق الآلة التي حولته.^{٢٩} ففي عقد الجعالة يكون الناتج من حق صاحب المادة والأجير الصانع.^{٣٠} أما الآلة فلها حق الأجرة^{٣١} فقط وليست لها نسبة من الربح.

وكذا الامر في عقد المزارعة، فالارض التي بذلها صاحبها مع البذر، يكون له حق في الناتج فتكون له نسبة من الثمر، لأن عملية الزراعة ماهي إلا إتمام للبذرة التي هي ملك لصاحب الارض.

وأما في عقد المضاربة، فان صاحب المال يبذل ماله للعامل، فيشتري العامل البضاعة من ذلك المال، فتكون ملكاً لصاحب المال،^{٣٢} وماعمل العامل إلا الاتجار بتلك البضاعة، فلصاحب المال حق في الربح.

وفي كل هذه الاحوال نجد أن الاسلام يعطي الافضلية للعامل على وسائل الانتاج، اذ يحق له أن يأخذ نسبة مفتوحة من الانتاج، بخلاف الآلة التي تأخذ فقط أجرة محدودة.

وبناء على القاعدة الأساسية في أن الأجر والربح هو مقابل الجهد والعمل،^{٣٣} حرّم الاسلام أنواعاً كثيرة من الموارد التي لا تخضع لهذا القانون، فحرّم الربا والقمار واليانصيب وغيرها.

(٢) - تنمية الانتاج

وننتقل الان الى الحديث عن: تنمية الانتاج، وهي من أهم عوامل مكافحة الفقر في المجتمع الاسلامي.

الحض على العمل والانتاج:

خلق الله سبحانه الانسان وكرمته على كثير من المخلوقات، اذ وهبه القدرة والارادة والتمييز، ليكون خليفته في الأرض،^{٣٤} وخلق كل ما في الكون من أجل خدمته وسعاده.

من هذا المنطلق العظيم يشعر المؤمن بقيمته وعظمته وسر وجوده وغايته، وأن كل ما هو موجود في الطبيعة خلق من أجله، فمن واجبه أن ينهض للقيام بمسؤوليته، فيغور في بحار العلم، ويخضع جميع الطاقات لمشيئته، ويكافح لتحقيق رسالته.

من هنا نجد أن الاسلام قد حرص على العمل وتنمية الانتاج، وفرض على المجتمع الاسلامي السير وفقاً له، وجعل تنمية الثروة والاستمتاع بالطبيعة الى أقصى حد، هدفاً للمجتمع.^{٣٥}

يقول النبي(ص): «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده».

وسائل الاسلام في تنمية الانتاج*

والاسلام حين تبني مبدأ تنمية الثروة والانتاج، جند كل امكانياته لتحقيق هذا الهدف، وايجاد الوسائل التي يتوقف عليها.

ووسائل تحقيق هذا الهدف على نوعين: وسائل يجب على المجتمع ايجادها وضمائها. ووسائل تطبيقية تجب على الدولة، برسم سياسة تخطيطية متكاملة، توجه نشاط المجتمع وتكمله.

وستتكلم عن هذه الوسائل من الناحية الفكرية والناحية التشريعية.

١- الوسائل الفكرية:

فن الناحية الفكرية حث الاسلام على العمل والانتاج، وقيمه بقيمة كبيرة، وربط به كرامة الانسان وشأنه عندالله. وبذلك خلق الأرضية الفكرية الصالحة لدفع الانتاج وتنمية الثروة. وقد أعطى مقاييس خلقية عن العمل والبطالة، أصبح العمل بمقتضاها عبادة يثاب عليها المرء، وأصبح العامل في سبيل قوته أفضل عندالله من المتعبد الذي لايعمل.

ففي الحديث أن الامام الصادق(ع) سأل عن رجل، فقيل له: «أصابته الحاجة، وهو في البيت يعبد ربه، واخوانه يقومون بمعيشته.» فقال(ع): «الذي يقوته أشد عبادة منه.»

وعن الرسول (ص) أنه رَفَعَ يوماً يَدَ عامل مكدود، فَقَبَّلَهَا وقال:

«طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة. ومن أكل من كَدَّ يده مرَّ على الصراط كالبرق الخاطف. ومن أكل من كَدَّ يده نظر الله اليه بالرحمة ثم لايعذبه أبدا. ومن أكل من كَدَّ يده حلالاً فتح له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء.»

وفي رواية اخرى أن شخصا مرَّ بالامام الباقر(ع) وهو يمارس العمل في أرض له، ويجهد في ذلك حتى يتصابَّ عَرَقاً، فقال له: أصلحك الله أرايت لوجاء أجلك وأنت على هذه الحالة! فأجابته الامام(ع) وهو يعبر عن مفهوم العمل في الاسلام: «لوجاءني الموت وانا على هذه الحال، جاعني وانا في طاعة الله عزوجل.»

وكان رسول الله(ص) كما جاء في سيرته الشريفة يسأل عن الرجل إذا أعجبه مظهره، فان قيل له ليست له حِرقة ولاعمل يمارسه، سقط من عينه، ويقول: «إنَّ المؤمن إذا لم تكن له حِرقة يعيش بدينه.»

وعن النبي (ص) قال: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً، فيأكل منه الانسان أو دابته إلا وكتب له به صدقة.»

وقد أهاب سبحانه بالانسان الى استثمار مختلف المجالات فقال: «هو الذي جعل لكم الارض ذلولا، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه، واليه التثون (الملك ١٥) وكما قاوم الاسلام فكرة البطالة وحث على العمل، كذلك قاوم فكرة تعطيل بعض الثروات الطبيعية وفكرة تجميد الاموال وكنزها.

٢- الوسائل التشريعية:

أما من الناحية التشريعية، فقد جاءت تشريعات الإسلام في كثير من الحقول، تتفق مع مبدأ تنمية الانتاج الذي يؤمن به الاقتصاد الاسلامي، وتساعد على تطبيقه.

وفيما يلي بعض تلك التشريعات والاحكام:

١ - منع الإسلام من كز النقود وتجميدها،^{٣٦} وذلك عن طريق فرض ضريبة على ما يُكز من القطع النقدية الذهبية والفضية، التي كانت الدولة الاسلامية تجري على أساسها، وهي ضريبة الزكاة التي تستنفد المال المدخر على مر الزمن، لأنها تتكرر كل عام، بنسبة ٢/٥٪ تقريباً. ولأجل هذا تعتبر الزكاة مصادرة تدريجية للمال الذي يكز ووقف عن العمل.^{٣٧}

يقول تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، قَبَسْهُمْ بَعْدَ أَلَمٍ»
(التوبة ٣٤) ^{٣٨}

وبالقضاء على الاكتمال تتدفق جميع الاموال الى حقول النشاط الاقتصادي، وتمارس دوراً إيجابياً في المسيرة الاقتصادية، وبذلك يزيد الانتاج وتزيد الارباح ويعيش الناس في مجبوحة من العيش.

عن الامام الصادق (ع): «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَعْطَاكُمْ هَذِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْأَمْوَالِ، لَتُوجِّهُهَا حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لَتُكْزَوْهَا».

٢- منع تركز الثروة في يد أفراد معدودين، وهو فحوى قوله تعالى:

«كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» (الحشر - ٧)

لأن الثروة حين تتركز في أيدي قليلة، يعم البؤس وتشتد الحاجة لدى الكثرة الكاثرة من الناس.

٣- وضع الإسلام تشريعات الضمان الاجتماعي للفرد، وهذا الضمان الجماعي عدا عن إعطائه الفرد الحق في حياة كريمة لائقة، فانه يعطي الفرد رصيماً نفسياً يدفعه الى مختلف ميادين الانتاج دون أن يخاف من الخسارة والانخفاق، وينمي فيه عنصر الابداع والابتكار.^{٣٩}

٤- لم يعط الاسلام الضمان السابق لمن لايعمل وهو قادر على العمل، ومنع الناس من الاستجداء. وهذا يؤدي بطبيعته الى تجنيد كل طاقاتهم للانتاج والاستثمار.

٥- حرّم الاسلام الاسراف لما يرافقه من تبذير في الحاجات الاستهلاكية وهدر للأموال التي يلزم توظيفها للحركة الانتاجية.

ويمكن أن نتكلم في هذا الصدد حول عمل المرأة في الوظائف، وهو مما استهوت به عقول النساء في هذا الزمان، انجرافاً وراء تقليد الاجانب. فقد خلق عمل المرأة اليوم في مجتمعاتنا معضلة كبيرة لم تكن قائمة من قبل. وذلك أن كثيراً من النساء يذهبن الى الوظيفة للتسلية والثروة وليس للعمل، ثم يأخذن المرتبات التي تصرف على آخر الازياء والموضات في اللباس والزينة، فنشأ عن ذلك أن العمل المنتج لم يزد، في حين انخفضت القيمة الشرائية لمرتبات الرجال. فأصبحت المرأة تقاسم الرجل نصف حقه، وتبذره في شتى الاساليب. فكان من نتيجة ذلك أن افتقرت اغلب العائلات ولاسيما ذات العدد الكبير من الاولاد. وأصبح الرجل يضطر الى ممارسة عمليتين حتى يغطي نفقات أسرته.

ومما يزيد هذه المعضلة وطأة أن تعمل في هذه الظروف المرأة المكتفية التي لا تحتاج الى دخل، وهذه غالباً ماتنفق كامل معاشها على المظاهر الفارغة.

ومما يؤكد هذا التبذير الذي ترتكبه نساؤنا في الاهتمام الزائد باللبسة والكماليات، أن الأوروبيين بعد أن أجروا إحصاء على استهلاك منتجاتهم في كافة بلاد العالم، كتبوا على خارطة الشرق الاوسط: «منطقة مبيعات الزينة والكماليات».

٦- أوجب الاسلام فرض كفاية تعلم جميع العلوم والفنون والصناعات التي يحتاجها المجتمع الاسلامي. وشجع على اكتساب تلك العلوم التي غالباً ما يُبدع فيها الفقراء الذين يعتمدون على انفسهم في بناء حياتهم.

٧- أعطى الاسلام الحق لمن يستصلح ارضاً للدولة أن تصبح ملكاً له. فمن عمل في أرض، وأنفق عليها جهداً حتى أحياها، فهو أحق بها من غيره. وذلك من مبدأ تشجيع العمل وزيادة الانتاج وتفضيل العامل الكادح على غيره. وتكون الاولوية في اعطاء تلك الاراضي للفقراء والمحتاجين، حتى لا يستأثر الاغنياء بمساحات كبيرة ويحرموا غيرهم من هذا الحق.

٨- سمح الاسلام للدولة باستثمار أموال بيت المال لصالح المحتاجين، كما أن هذا الاستثمار يتيح فرص العمل لكل فقير قادر على العمل.

٩- أعطى الاسلام الدولة الحق في الاشراف على الانتاج، وتخطيطه مركزياً، حتى يسير على نهج منتظم تكاملي، بعيداً عن الفوضى والتخبط.

كفاية الموارد الطبيعية لكل الناس:

ان الاسلام يرى أن الفقر والجوع ليس منشؤهما ندرة موارد الانتاج وبخل الطبيعة، انما منشؤهما الانسان نفسه. يقول تعالى:

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ السَّمْنَ وَالْقَمْرَ اثْنَيْنِ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَآسَأْتَمُوهُ، وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَهَا. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذَلُولٌ كَفَّارٌ» (ابراهيم - ٣٢).

انَّ هذه الايات الكريمة بعد أن استعرضت مصادر الثروة التي أنعم الله تعالى بها على الانسان، أكدت أنها كافية لاشباع الانسان وتحقيق كل حاجاته (وآتاكم من كل مآسأتموه). فالمشكلة الواقعية لم تنشأ من بخل الطبيعة، أو عجزها عن تلبية حاجات الانسان، وانما نشأت من الانسان نفسه عندما يكفر ويشذ عن النظام الالهي العادل (إنَّ الانسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ). فظلم الانسان في توزيع الثروة وكفرانه للنعمة بعدم استغلال جميع المصادر التي تَفَضَّلَ اللَّهُ بها عليه، هما السببان المزدوجان للمشكلة التي يعيشها البائس منذ أقدم عصور التاريخ.

وهذا يعني أنه لا يستطيع أن يحل مشكلة الفقر غير مبادئ الدين القائمة على الاخلاق والقيم والمبادئ الروحية.

(٣)- مسؤولية الدولة في الاقتصاد الاسلامي:

وتتجلى هذه المسؤولية في مبدئين أساسيين هما:
١- الضمان الاجتماعي. ٢- التوازن الاجتماعي.

(١) - الضمان الاجتماعي:

فرض الاسلام على الدولة ضمان معيشة أفراد المجتمع الاسلامي ضمانا كاملا. والدولة تقوم بهذه المهمة عادة وفق اتجاهين:

- تأمين وسائل العمل للفرد، وفرصة المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي المثمر، ليعيش على أساس عمله وجهده.

- مبدأ الضمان: فإذا كان الفرد عاجزاً عن العمل وكسب معيشته بنفسه كسباً كاملاً، فإن الدولة تضمن له المال اللازم لسد حاجته وتوفير حدّ كافٍ من المعيشة له.

ومبدأ الضمان الاجتماعي هذا يرتكز على مبدأين:

مبدأ التكافل العام، ومبدأ حق الجماعة في موارد الدولة العامة.

فأما مبدأ التكافل العام فيقتضي اشباع الحاجات الحياتية والملحة للفرد، بينما يزيد المبدأ الثاني من ذلك، ويفرض اشباعاً أوسع ومستوى أرفع في الحياة.

١- مبدأ حق الجماعة في موارد الثروة:

ينطلق هذا الحق لكل فرد في المجتمع من حق الجماعة في مصادر الثروة^١ وفي الاستفادة من ثروات الطبيعة. وعلى أساس هذا الحق تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين.

وتغطي الدولة نفقات هذا الضمان مما يردّها من الثروات والانتاج (بيت المال)، فمن ذلك الزكاة والخمس والانفال والفيء والخراج والجزية والكفارات، إضافة إلى تنمية موارد الدولة العامة وملكية الدولة.

يقول تعالى «وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فللّهِ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دولةً بين الاغنياء منكم» (الحشر - ٧).

والفيء هو ما يأخذه المسلمون من الكفار بدون قتال، فهو ليس من حق المقاتلين وإنما يوزع على اليتامى والمساكين.

وفي هذا النص القرآني نجد الأساس الذي تقوم عليه فكرة الضمان، وهو حق الجماعة كلها في الثروة، وذلك حتى يصبح المال متداولاً وموجوداً لدى جميع أفراد المجتمع، ولا يكون دولةً بين الاغنياء خاصة «كي لا يكون دولةً بين الاغنياء منكم»

جاء في عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشر:

«ثمّ اللّٰه اللّٰه في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى، فان في هذه الطبقة قانعا (الفقير الذي يقنع) ومُعترأ (الفقير الذي يسأل ولا يقنع). واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت

مالك ، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد. فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلُّ قد استرعى حقه، فلا يشعلتك عنهم بظُر، فانك لا تُعذر بتضييعك التافه، لأحكامك الكثير المهم، فلا تُشخص همك عنهم، ولا تصغر حدك لهم. وتفقد امور من لا يصل اليك منهم، ممن لا تفتحهم العيون (اي تستصغر العيون شأنه) وتحقره الرجال، ففرغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع اليك امورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار التي الله يوم تلقاه، فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم. و كلُّ فأعذر الى الله في تأدية حقه اليه. وتعهد أهل اليتم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه».

فهذا النص يقرر بكل وضوح مبدأ الضمان الاجتماعي، و يشرح المسؤولية المباشرة للدولة في إعانة الفرد وتوفير حد الكفاية له.

ولا يقتصر هذا الضمان على الافراد المسلمين، بل يمتد الى الرعايا المسيحيين واليهود من أهل الذمة الذين يعيشون في كنف الدولة الاسلامية، اذا كبر أحدهم وعجز عن الكسب، كانت نفقته على بيت المال.

فعن الامام علي (ع) أنه مرَّ بشيخ مكفوف كبير يسأل. فقال أمير المؤمنين: من هذا؟ فقيل له: إنه نصراني. فقال (ع): «استعملتموه، حتى اذا كبر وعجز منعموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال».

وأما حدود هذا الضمان الذي يجب على الدولة لكل فرد في المجتمع، فهي عريضة ولا تقتصر على الحاجات الملحة، بل تمتد الى تأمين كل حاجاته الاساسية، بحيث يتمتع بمستوى الكفاية من العيش. والكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة يسراً ورخاء. وتزداد حدود هذا الضمان حتى تشمل الطعام والكساء والمسكن، وكذلك الزواج والحج

وكثيراً ما كنا نسمع في التاريخ أن أشخاصاً كانوا يأتون الامام فيؤمن لهم عملاً او يشتري لهم داراً، او يسعى في تزويجهم، كل ذلك من بيت المال. ٢٢

ومن أعظم الامثلة على هذا الضمان ما حصل في كشمير. فقد ذكر لنا الدكتور أبو الخير العرقسوسي الاستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق اليوم، أنه حين زار باكستان وكان فيها ملحقاً ثقافياً لسورية، أعجب بتمسك الشيعة بنظام الخمس، فقد أقاموا له الجمعيات المنظمة التي تكفل جمعه وصرفه، وتبلغ حصيلته عندهم ملايين الملايين كل عام.

فلما حصلت مشكلة كشمير وهاجر أهلها وعددهم خمسة ملايين الى باكستان تحت وطأة الاضطهاد الهندي، وصلوا باكستان حفاة عراة بعد أن كان بعضهم يملك المصانع والمتاجر والمزارع وكانوا كلهم من الشيعة، فاستطاعت الجمعيات الاسلامية أن تحل قضيتهم في شهر من الزمن على الرغم من فقرهم المدقع وعددهم الوافر. فلقد أعطت منظمات الخمس كل لاجئي كشميرى مشترك عندها مقداراً من المال يكافئ تماماً ما كان يملكه في بلاده، حتى أن أحدهم كان يملك متجرًا للمجوهرات، فانشأوا له متجرًا مماثلاً. وهنا تظهر حقيقة التضامن في الاسلام.

٢- مبدأ التكافل العام:

وهو المبدأ الثاني للضمان الاجتماعي في الاسلام، الذي ينطلق من مبدأ كفالة المسلمين بعضهم لبعض، باعتبارهم أخوة في الدين. يقول سبحانه:

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (التوبة - ٧٢)

ويتوجب هذا النوع من التكافل عندما لا تكفي الزكاة حاجة الفقراء والعاجزين، كما حصل في أول الاسلام حين كان أكثر الذين دخلوا الاسلام من الفقراء والمحرومين. وكما يحصل في حالات المجاعات والحروب والكوارث. فيجوز للحاكم الشرعي أن يفرض على القادرين فريضة مالية لآخوانهم المحرومين.

يقول تعالى «تُخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُنْظِرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا» (التوبة - ١٠٣)

وفي الحديث الصحيح «إنَّ في المال حقاً سوى الزكاة» (صحيح الترمذي)

وجاء في الحديث: «أما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مُسَوِّدًا وُجْهَهُ، مَرْقُوقَةً عَيْنَاهُ، مَغْلُوقَةً يَدَاهُ الى عنقه. فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به الى النار».

كما يجب هذا النوع من الضمان عندما تُفقد الدولة الاسلامية و ينتفي معها ضمانها للفقير وفق المبدأ الاول.

ولاستيضاح حدود هذا الضمان نورد بعض النصوص التشريعية الدالة عليه:

عن الامام الرضا(ع) عن النبي(ص) قيل: يا نبي الله! في المال حق سوى الزكاة؟ قال: «نعم، يرّ الرحم اذا أدبرت، وصله الجار المسلم، فآمن بي من بات شعبان وجاره المسلم جانع».

ويقول النبي (ص): «يا أباذر، من كان له قيصان فليلبس أحدهما وليلبس الآخر أخاه». وسأل سماعة الامام الصادق (ع) عن قوم عندهم فضل، وباخوانهم حاجة شديدة، وليس يَسْعَهُمُ الزكاة. أيسعهم أن يَشْبَعُوا ويَجُوعُوا إخوانُهُمْ؟ فان الزمان شديد. فرد الامام عليه قائلًا: «ان المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يجرمه، فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه والتواصل والتعاون عليه، والمواساة لأهل الحاجة».

وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله (ص) يقول: «من كان معه فضلٌ ظهر فليعد به على من لاظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

ومدح النبي (ص) الاشعرين فيقول: «ان الاشعرين اذا أرملوا في الغزوأوقلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم باناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم».

وقائع حية على مبدأ التكافل:

ويزخر تاريخ الائمة (ع) بالامثلة الحية على تطبيق مبدأ التكافل العام في صدر الاسلام حيث كان الفقر طاغياً على الناس. فقد كان الامام علي (ع) يعمل في سقاية النخل ليؤمن قرصيه وطمره، ثم ينفق ما فضل عن كسبه في اطعام الفقراء وتحرير العبيد.

ومن أروع الوقائع على ذلك قصة تصدقه بالطعام هو وزوجته فاطمة وولديه الحسن والحسين (ع) حين أمسوا صياماً فاتاهم المسكين ثم اليتيم ثم الاسير، فباتوا جباعاً ثلاثة أيام لا يجدون عند إفطارهم غير شربة الماء. حتى نزلت فيهم الآية: «ويُطعمونَ القطعاً على حُبِّه مسكيناً ویتيماً وأسيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لِاترِيدُ منكم جزاءً ولا شكوراً» (الانسان - ٩).

وصدق فيهم قول الله تعالى:

«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (الحشر - ٩)

ومن الوقائع الشهيرة ما يروى عن تصدق الامام الحسين (ع) والامام زين العابدين (ع)، حيث كان الواحد منها يحمل الجراب على ظهره ليوصل الغذاء الى بيوت الفقراء والمحرومين، الذين منعتهم عفتهم عن الطلب والسؤال.

يروى أن الامام زين العابدين (ع) كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب

على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدرهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الخطب، حتى يأتي باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج اليه. وكان يغطي وجهه اذا ناول فقيراً لئلا يعرفه.

فلما توفي (ع) فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان الامام علي بن الحسين (ع). ولما وُضع على المغتسل نظروا الى ظهره وعليه مثل ركب الابل، مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين*

ولما ازدهرت الحياة الاجتماعية في عهد عمر بن عبدالعزيز، انعدم وجود الفقراء والمساكين، وضاق بيت المال بما يحويه، حتى أصبحت الزكاة تلقى على الطرقات ولا يوجد من يأخذها.

في هذا المجتمع الاسلامي الرافه، كان يُرى الخليفة عمر بن عبدالعزيز قابلاً لمفرده في كنف الليل في احدى زوايا الطريق. فسئل مرة عن سبب ذلك فقال:
اني أربط هنا متحريراً عن الذين يكتنفهم الجوع في الليل، ولو كنت أعلم أين مكانهم لذبحتهم ناقتي وحملت اليهم إرباً إرباً حتى منازلهم. أجاركم الله هل بينكم من يدلني على هؤلاء المرهقين؟

فالخليفة العادل كان يبحث ليس عن المحتاجين والمساكين الذين نراهم عادة على أرصفة الطريق، وانما كان يبحث عن الفقراء المتعفين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، ليوصل اليهم أمانة الله في عنقه، من حقهم في بيت المال. فكان لا يجد منهم أحداً، فيستحلف الناس أن يدلوه على مكانهم.

والحاجة المقصودة في الاحاديث السابقة هي الحاجة الشديدة وتتضمن الحاجات الحياتية الملحة كالطعام والكساء، وهي المفروضة في مبدأ التكافل العام.

ويأمل النظام الاسلامي أن يصل المؤمن الى درجة من الايثار، لا يعود يرى أن ما يملكه هو لنفسه خاصة، وانما هو مبذول لكل محتاج من إخوانه، فيسمح لاختوته في الايمان أن يأخذوا ما يشاؤون من صندوق ماله بدون اذنه وعلمه.

يقول الامام الباقر (ع): «أبجي أحدكم الى أخيه، فيدخل يده في كيسه، فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟» فقلت: ما أعرف ذلك فبيننا.

فقال أبو جعفر (ع): «فلا شيء إذا.» قلت: فالهلاك؟ فقال (ع): «إن القوم لم يُعطوا أحلامهم

بعد.»

وفي هذا المعنى نورد القصة التالية:

يحكى عن الشريف الرضي عليه الرحمة، أن أحد الاغنياء أحب ان يوجد عليه وعلى تلاميذه مال. فجاءه وهو يعطي درساً لاربعين من طلابه في بيته. فعرض عليه العطاء. فقال: أما أنا فلاحاجة لي مال، وأما طلابي فلأمانع من اعطائهم. فدار الغني عليهم فرداً فرداً يسألهم، وكلهم يجيب: حسبنا أننا نملك قوت يومنا، فأنصنع بالمال! وحين وصل الى الطالب الاربعين، تناول الطالب ديناراً من الغني وكسره قطعاً، ثم أخذ قطعة واحدة... ولما انصرف الغني، التفت الشريف الى ذلك الطالب وقال له: مادعاك الى فعلتك يا هذا؟ قال: جاءني من أسبوع ضيوف، وليس عندي زاد أطعمهم، فاستدنت شيئاً من المال حتى أطعمتهم، ومازال الدائون يطالبونني بحقهم، فذلك مادعاني الى أخذ قطعة من الدينار أسد بها حاجتي، وأدفع عن نفسي مغبة الناس...

فلما سمع الشريف قوله، استدعى الحداد وقال له: هذا مفتاح خزانتي، فاصنع لي مثله أربعين مفتاحاً. ووزع المفاتيح على طلابه، وقال لهم: من كانت له حاجة فليأخذها من خزانتي بدون علمي... وهذا منتهى البذل والايثار.

٢- التوازن الاجتماعي:

ونعني به تحقيق التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة، وإن اختلفوا في مستوى الدخل. والتوازن في مستوى المعيشة معناه أن يكون المال موجوداً لدى أفراد المجتمع ومتداولاً بينهم، الى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام.

وقد قام الاسلام لتحقيق هذا الهدف بعملين، أحدهما من الفوق والاخر من التحت. فضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الاسراف على الغني، وضغط المستوى من الاسفل برفع مستوى المتدنيين في المعيشة الى مستوى أرفع. وبذلك تتقارب المستويات حتى تتقارب في مستوى واحد، يضم درجات متفاوتة تفاوتاً جزئياً، وليست متناقضة تناقضاً كلياً في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي.

يقول معاوية:^{٤٣} إن بالفقر تتواضع النفس، ويرق الطبع، وبالثراء يستفحل شر الخيلاء والعتو، فلنختر وسط الأمرين، برفع مستوى الفقير الى ما يرقه عنه، وإنزال

شراهة الثري الى حدود الاعتدال، وبذلك تستقيم المساواة بين الناس.
ويهدف هذا المبدأ أن يلحق كل محروم بمستوى الناس، أي يهدف الى إغناء كل فرد في المجتمع الاسلامي.

جاء في الخبر عن الامام الصادق (ع) قوله: «تعطيه من الزكاة حتى تغنيه».

ولحماية هذا التوازن الاجتماعي شرع الاسلام جملة من التشريعات التي تحد من الفوارق بين الأغنياء والفقراء، منها محاربة كز الأموال^{٤٤} وتحريم الربا، وتشريع أحكام الأثر، ومطاردة الاحتكار والاستغلال وغلاء الأسعار، إلى ما هنالك من أحكام.

جاء في عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشرحين ولاء مصر قوله:
«واعلم أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات. وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاية. فامنع الاحتكار، فان رسول الله (ص) منع منه، وليكن البيع سمحاً بموازين عدل، وأسعاراً لا تُجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكّل به وعاقبه في غير إصراف» (العهد ٢٩٠ نهج).

واختم موضوعي بالكلام عن ضرورة وجود الدولة الاسلامية، لمعالجة الفقر وإزالته.

ضرورة قيام الدولة الاسلامية:

ان من أهم العوامل الضرورية لتطبيق مبادئ الاسلام ورعايتها، وجود الدولة الحاكمة التي تستطيع تطبيق هذه المبادئ. فالفقر الذي لا يقره الاسلام لا يمكن علاجه واستئصاله من المجتمع اذا لم توجد سلطة الدولة الاسلامية. إذ أن دولة الطاغوت هي دائماً حليفة الاستغلال، لانه في ظلها تزدهر طبقة المتحكّمين والمتسلطين والمتنفذين.

اذن لا تقام حدودُ الله الا بوجود الامام العادل، الذي هو قطب الرحي في الدولة الاسلامية. حيث يسعى المؤمنون من حوله كما تسعى الالكترونات الدائرة في الذرة حول النواة، يستمدون منه القوة والجاذبية، في وحدة متوازنة متكاملة.

وهذا الامام عدا عن كونه مركز الدوران والارتباط، فانه يقوم بوظيفة التقليد، فهو القدوة التي يقلدها كل فرد في المجتمع، ويسعى كل واحد أن يكون صورة مطابقة لها. ولا تخفى أهمية هذه القدوة في تربية المجتمع واصلاحه، فاذا صلحت القدوة صلح لها.

المجتمع كله واذا فسدت فسد معها.

ولقد سألتني أحدهم عن أسباب نجاح الثورة الإسلامية في إيران، فقلت: إن من أول أسبابها الامام القدوة آية الله العظمى السيد روح الله الخميني، فهو بما أوتي من مواهب وسمات كان أكبر عامل لقيام الثورة المظفرة ونجاحها. ويتجلى ذلك في النقاط التالية:

١- إيمانه الراسخ و يقينه العميق بدينه ومبدهه وبتأييده من السماء. فهو حين يتكلم تشعر أنه ملهم يرى بنور الله، وينكشف له سجل المستقبل فيرى النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين. وان كل ما وقع في إيران من مِحْنٍ وخطوب لم يَزِدْه إلا إيمانا وتصميما.

٢- زهده بهذه الدنيا: وهي من سماته المشهورة، فهو كإمامه المرتضى (ع) لا يعادل هذه الدنيا الفانية بعقطة عنز. فترى على حياته آثار الزهد والتقشف، حتى أنه يعيش كأفقر شخص في إيران.

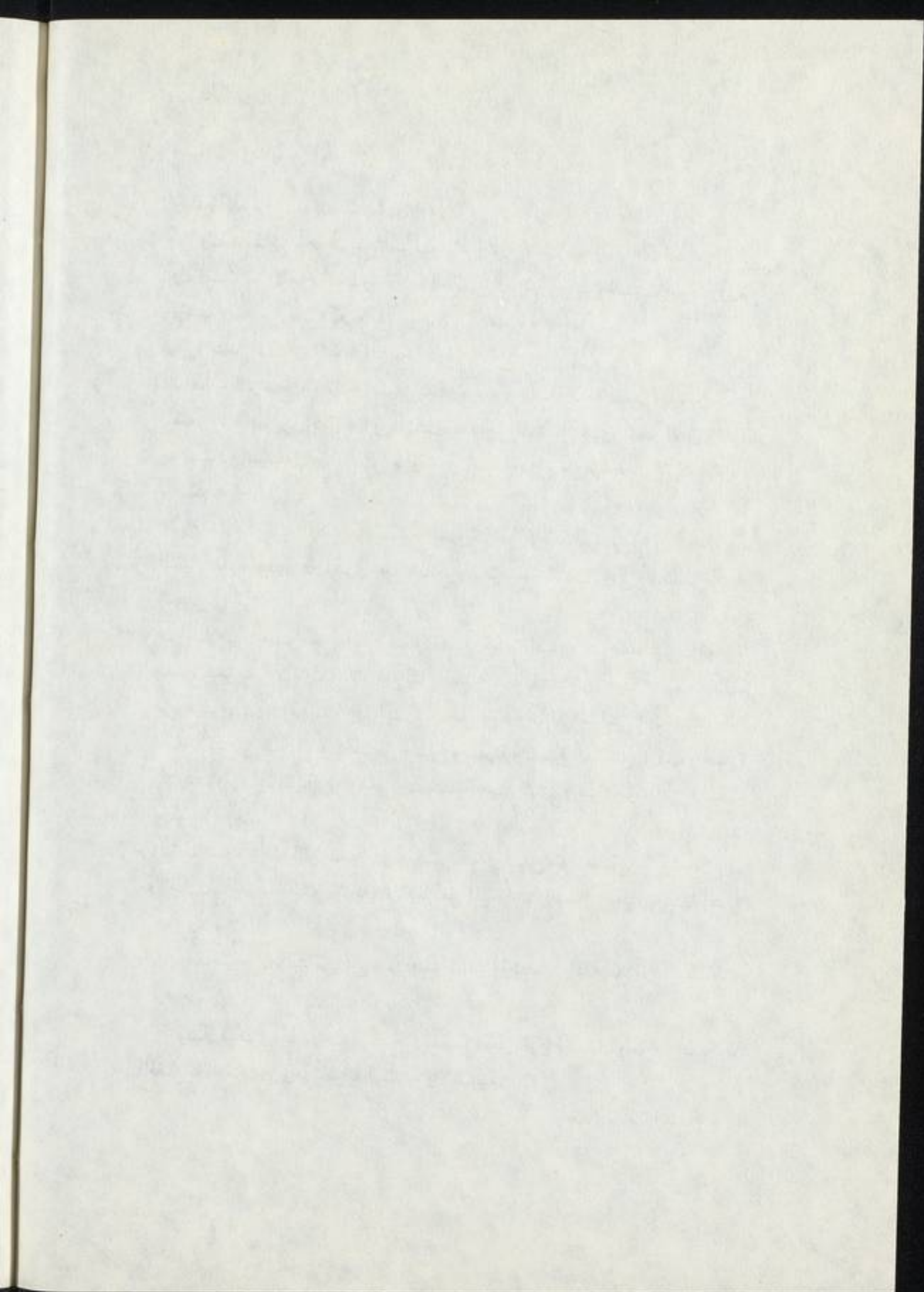
٣- إخلاصه: فهو حين رفض هذه الدنيا بجميع ما فيها، كان هدفه ليس ذاته وإنما شعبه، فبدأ ينفق ثروات البلاد على كل أبناء مجتمعه بالتساوي، دون أن يميز العاصمة على غيرها، ولا المدينة على القرية. بل انه وجه أكبر همه لشق الطرقات واقامة الخدمات التي تسهل على المناطق النائية والمنعزلة والفقيرة أن تلحق بركب الحضارة والازدهار والرفاهية. وان انجازات منظمة جهاد البناء (جهاد سازندگي) ليست خافية على أحد.

٤- تفانيه في أداء الواجب: فهو رغم طعنه في السن، تراه يعمل ليل نهار بلا كلل ولا ملال، لخدمة أمته وشعبه، مقاوما كل المؤامرات والدسائس التي يحكيها أعداء الحق والاسلام.

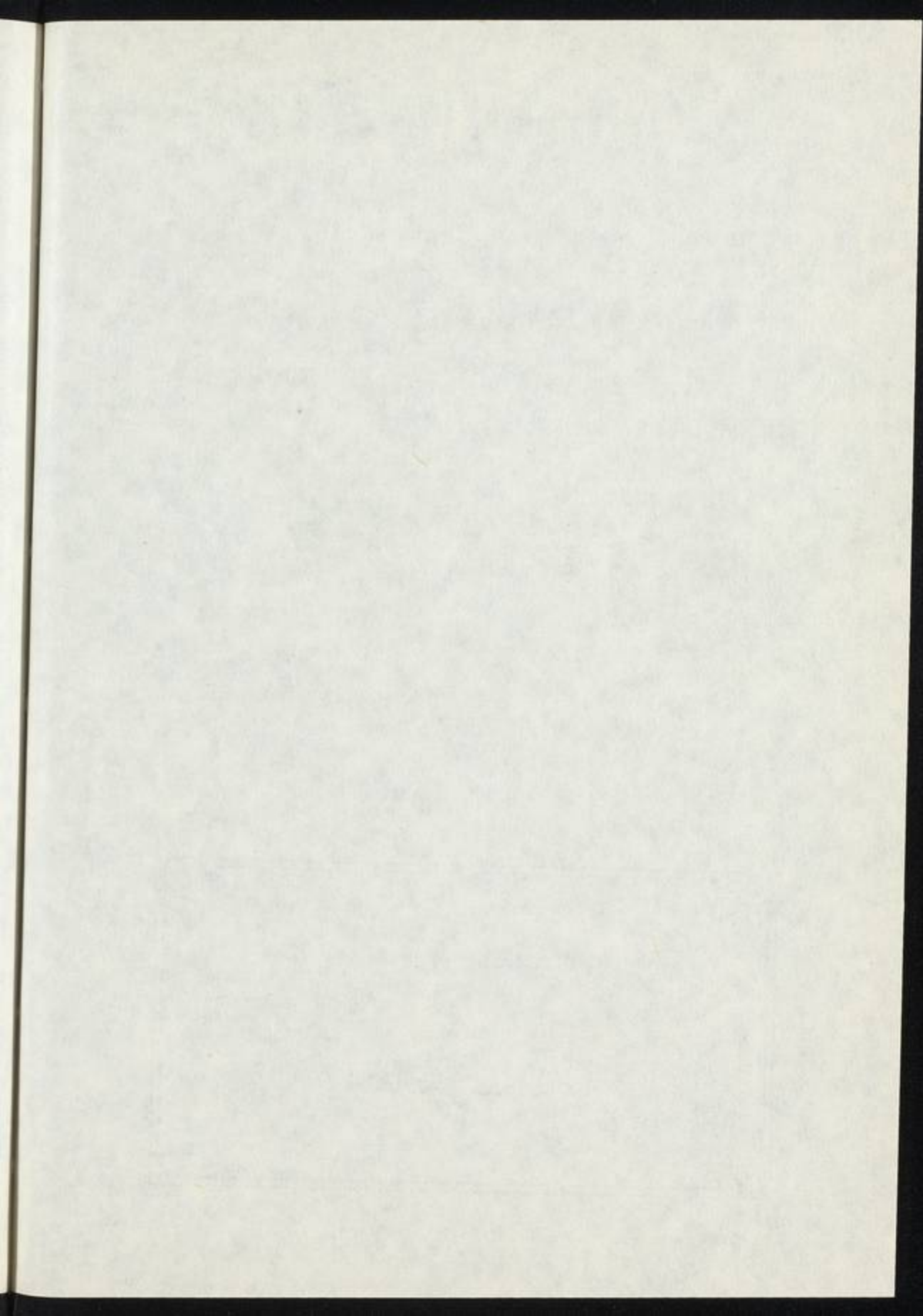
وصحيح ان الناس على دين ملوكها ورؤسائها. واذا صلح الرأس صلحت الرعية.

وهكذا نرى أن الاسلام قد حل معضلة الفقر نظريا وعمليا. وحق له أن يكون أفضل نظام مادي روحي عرفته البشرية والانسانية.

والحمد لله رب العالمين



تعليقات على هذه المقالة



١ - أي مع عدم كفاية مرتبة لأعمالهم.

٢ - لعلّ المراد من هذه الكلمة أنّ الفقر ربّما يجعل الانسان في حرج نفسي شديد يجعله في معرض البأس من روح الله سبحانه ومن أطفاه... بل قديدهم للخروج على القانون والتفرد حتى على الأحكام الشرعية الإلهية والاستئانة بها عن سابق علم ومعرفة... وتلك درجة خطيرة على صعيد الإلتزام بالحدود العقائدية التي لا بدّ من مراعاتها.

٣ - راجع التعليقة السابقة.

٤ - كون المقصود من هذه الكلمة هو ذلك يحتاج لمزيد من التأمل.

٥ - ربّما يقال: أنّ المقصود بالفقر هنا: هو يوم الفقر والفاقة وهو يوم القيامة. وإن كان الأظهر في معناها هو أنّ يكون المراد بالفقر: الفقراء إلى الله سبحانه على حدّ قوله تعالى «أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني».

٦ - لقد نصّ الإمام الحسن في خطبته بعد وفاة أبيه على أنّ أباه لم يترك سوى سبع مائة درهم أراد أن يشتري بها خادماً لأهله.

٧ - المقصود هو كثر الأموال من قبل الحكّام وأعوانهم الذين كانوا يأخذون أموال الدولة وبيت المال لأنفسهم (كما أوضحه السيد جعفر مرتضى في مقال له حول أبي ذر وطبعت ترجمته الفارسية تحت عنوان: «أبو ذر مسلمان یا سوسیالیست»).

٨ - قد تقدّم أنّ صرخته كانت في وجه الذين يستأثرون بأموال بيت مال المسلمين لأنفسهم.

٩ - لأنرى تناسباً بين هذه العبارة وبين ما يريد إقامتها كشاهد عليه.

١٠ - الظاهر أنّ المؤلف يريد أن يقول - إن إذا لم يوضع لهذا الفرد حدّ ولم يخضع لضابطة كان سرطاناً يمتصّ كلّ الطاقات من حوله دون أن يعطي شيئاً ويستعمل أساليبه الجهتية من أجل جمع المال وتكديسه... فكان أن اهتمّ الاسلام بوضع الضوابط التي تمنع انساناً كهذا من أن يعدو طوره فحرم الاسلام الاحتكار والربا الخ...

وأثما قلنا أنّ هذا هو مراد الكاتب لأنّ تحريم الاحتكار والربا الخ... ليس معناه القضاء والتخلص من ذلك الفرد...

١١ - هذه لا تصلح شاهداً على ما يريد الكاتب فإنّ المراد منها أنّه إذا أنعم الله عليكم نعمة، فليكن صبركم على طاعته ومجانبتكم لمعصيته تنميماً لها وليس المراد: أنّ النعمة تزيد بذلك...

- ١٢ - ومنها الدول الشيوعية التي تنهب ثروات البلاد بأساليبها المختلفة وفيها خلق الحروب لها لبيعها الأسلحة وفرض هيمنتها الاقتصادية المطلقة عليها بأساليب مختلفة... هذا ان لم تقم بمهاجمتها وابداء شعوبها متذرة بمجج واهية كما هو الحال بالنسبة لما فعله الاتحاد السوفياتي في أفغانستان وغيرها من بلاد العالم.
- ١٣ - قد تقدم من الكاتب ما يدل على حسن الفقر وما يتضمن مدحه وتجنيد وعلية فيرد سؤال: أنه إذا كان الفقر له هذه المكانة وإذا كان ممدوحاً الى هذا الحد فلماذا يهتم الاسلام بأزالته وبالقضاء عليه...؟! ولم يتعرض الكاتب لاجابة على سؤال كهذا... ولو بأن يذكر الفرق بين ذلك الممدوح وبين الفقر الذي يهتم الاسلام بعلاجه... وتلك ثغرة هامة في هذا البحث لاجمال للتفاضي عنها... فليلاحظ ذلك...
- ١٤ - بل حصلت قبل ذلك في مكة أيضاً.
- ١٥ - لكن ذلك مرهون بالإيمان وأما بدونها فان التفاوت حاصل إذ لا ريب في أن المؤمن يتنازع غيره في كثير من الحقوق...
- ١٦ - الضمان الاجتماعي خاص بالقاصرين دون المقصرين والأول هو مراد الكاتب.
- ١٧ - لقد شاع هذا المفهوم استناداً الى بعض الآيات القرآنية التي تدل على أكثر من أن الله قد جعل خليفة في الأرض...
أما أنه يكون خليفة لمن؟... فذلك ما لا تدل عليه الآيات القرآنية إطلاقاً...
- ١٨ - دلالة الآية على ذلك محل نظر.
- ١٩ - أي في هذا المجال.
- ٢٠ - الظاهر أن هذه العبارة لا تستطيع تحمل المعنى الذي أريد استنباطه فيها.
- ٢١ - قلنا فيما سبق أن هذا الكلام على اطلاقه محل إشكال والآية القرآنية المشيرة الى هذا المعنى ناظرة الى الأموال العامة ولا اطلاق فيها. راجع: «أبوذر، مسلمان يا سوسيا ليست».
- ٢٢ - الظاهر: أن الآية مطلقة، تشتمل قتل الانسان نفسه أيضاً.
- ٢٣ - هذا خاص بالتصرفات السفهية التي لا يرضى بها العقلاء وأما سائر أنحاء التصرفات غير المقبولة شرعاً فقد وضع لها علاجات أخرى من قبيل حرمة الاحتكار والربا وغير ذلك...
- ٢٤ - هذا على اطلاقه فيه اشكال فليراجع كتاب اقتصادنا وغيره... وإلا فأى معنى ذلك هو أن لا يصح نظام المضاربة ولا نظام الإرث في الاسلام والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.
- ٢٥ - راجع التعليقة السابقة.
- ٢٦ - راجع: كتب الفقه الاسلامي بالنسبة لهذا الغرض.
- ٢٧ - راجع التعليقة السابقة العدد ٣٠. فقد قلنا ان لو كان هذا صحيحاً لما صحت المضاربة وكذلك غيرها من النظم الاقتصادية الاسلامية وسواها من الأحكام الشرعية الفرعية. أضفنا الى ذلك: أن المال الذي يدخل في الانتاج لا يبقى على حاله وان بقي هو نفسه بعدها... وذلك لوجود تقلبات وتحويلات في قيمته الشرائية قوة وضعفاً... وإذن فاللازم - تبرير تحريم الربا بأمر أكثر واقعية وانسجاماً مع مجمل النظم والأحكام الاقتصادية في الاسلام...
- ٢٨ - هذا خلاف قواعد الاسلام... بل هو مأخوذ في فلسفات الماركسية والأ... فإنه إذا كانت الأرض مع البذر والمادة الأولية عملاً غزوناً وممارسة مباشرة للملكها، فلماذا لا تكون الأرض وحدها وأدوات الانتاج كذلك وهل البذر بدون الأرض يعتبر عملاً غزوناً أو هما معاً، إذا كانا معاً كذلك فلتكن الأرض وحدها كذلك: أليست الأرض قد بذل فيها عمل لإحيائها واستصلاحها؟ أضف الى ذلك أنه لماذا كانت

الأرض مع البذر ممارسة فعلية ولا تكون الآلة والأرض ممارسة فعلية أيضاً بل لماذا لا يكون العكس هو الصحيح؟ وهل صحيح: أن الأرض مع البذر ممارسة فعلية؟ وكيف؟!

٢٩ - لماذا كذلك... هذا ليس من الاسلام في شيء... هذا كلام الشيوعيين كما قلنا.

٣٠ - في عقد الجعالة ليس للصانع في الناتج حق كما هو ظاهر، بل له فقط ما يجمله له صاحب المال.

٣١ - هذا في خصوص استئجار الآلة وليس في عقد الجعالة.

٣٢ - لوصح هذا لكان العامل يستحق الأجرة فقط ولا يستحق في نسبة الربح شيئاً ويخرج بذلك عن كونه مضاربة.

٣٣ - هذه القاعدة ليست اسلامية وإنما هي متصيدة من أفكار الماركسيين على ما يظهر.

٣٤ - قد تقدم بعض الكلام في ذلك في تعليقه سابقة.

٣٥ - هذا ينافي ما تقدم من المؤلف من أن الاسلام قد دعى للزهد وحارب فكرة عبودية الانسان للمادة... ولعلّه يريد أن يقول أنه أراد من المجتمع أن يعيش حياة كريمة وشريفة وان يستمتع بثروات الطبيعة ويستفيد منها في دفع مستواه الاقتصادي العام... مادام أن ذلك يساعد على سمو الانسان في انسانيته ويضمن له كرامته وحرّيته.

٣٦ - جعل ضريبة الزكاة على المال لا تعني حرمة كثره.

٣٧ - هذا خاص بالتقدين الذهب والفضة وأما سائر ماتمّلق به الزكاة فلا يأتي فيه ذلك.

وعلى هذا... فقد كان ينبغي للمؤلف اعطاء الفرق بين التقدين وبين غيرها من سائر أصناف الزكاة.

٣٨ - هذه الآية ناظرة لاكتناز الأموال العامة وأموال بيت المال كما أشرنا اليه غير مرة. راجع «أبوذر، مسلمان يا سوسيا ليست».

٣٩ - الثابت هو أن الاسلام قد جعل الضمان الاجتماعي لخصوص العجزة والقاصرين، أما من يتمكن من العمل ويعمل، يخسر أو يربح، فإن بلغ هذه الدرجة، شمله الضمان وإلا فلا.

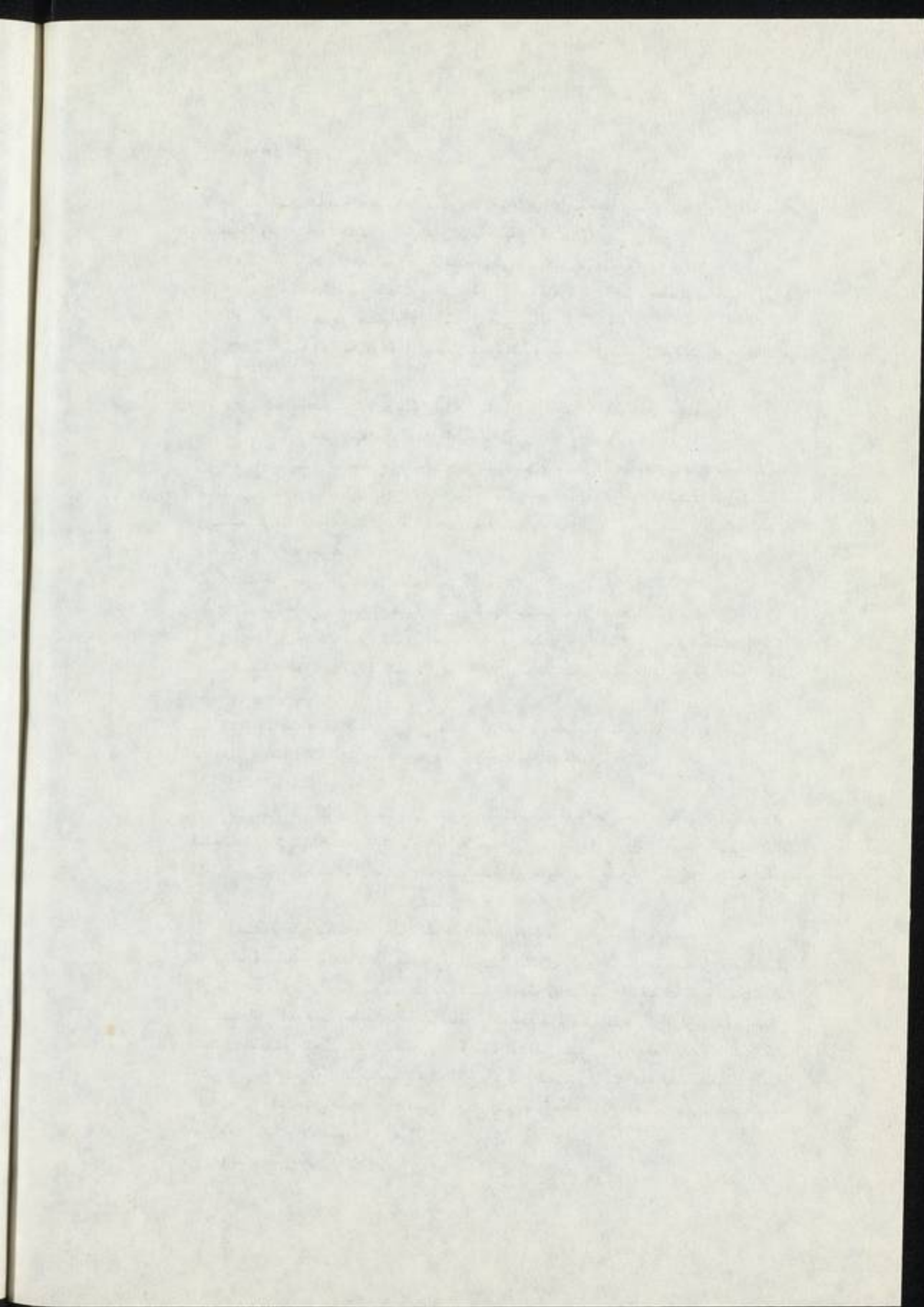
٤٠ - ماهو الدليل على ذلك؟

٤١ - كان على المؤلف أن يقيم بعض الشواهد على ثبوت مثل هذا الحق، وأما الآية التي استدل بها وهي قوله تعالى «كي لا تكون دولة بين الأغنياء» فلا تدلّ على ثبوت الحق في الثروات الطبيعية وإنما تشير الى أن الاسلام يرغب في ضمان التعادل وأن يصل الفقير الى حقوقه المشروعة ويمارس حرّيته في الاستفادة من حقوقه...

٤٢ - كان من المناسب ذكر بعض الشواهد والمصادر لذلك.

٤٣ - أنّ كلمة معاوية هذه لا تدلّ على ما يريد المؤلف الاستدلال عليه؛ فإنّ معاوية لم يدع الى رفع الطبقة، بل هو يدعوا الى بقائها وتكريسها، حيث أنه بالنسبة الى الفقير لم يطلب سوى الترفيه عنه ولعله لاسكاته. أما بالنسبة للثني فإنه طلب الحدّ من شراسته وجعلها شراسته معتدلة ولم يطلب تقليص شراسته أو تحديده ولا خفض مستوى المعيشة عنده... لتتقارب المستويات ويرتفع التناقض الطبقي... ولانتوقع من معاوية الذي كان حتّى في زمن عمر بن الخطاب يعيش حياة البذخ والترف والنعم... الا مثل هذه الكلمة المعبرة عن نواياه وأهدافه... وهل مثل معاوية الجاهل بتمعاليم الشريعة وأحكام الدين في مستوى من تؤخذ عنه نظرية وطُروحات الاسلام الاقتصادية أو غيرها؟!

٤٤ - قد تقدم بعض الكلام حول هذه العبارة.



الدّرس اللساني المستنبط
من الرسالة الإلهية
في نهج البلاغة

الدكتور. تهامي الراجي الهاشمي

المغرب العربي

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة
1950

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرى بعض الناس أنه من الصعوبة بمكان الاستعانة بنهج البلاغة لاستنباط درس لسانيّ حديث منه. إلا أنني أرى عكس ذلك وأقول، وأنا، والحمد لله، مدرك ما أقول: إننا نستطيع أن نجد في نهج البلاغة كل ما نحتاجه لتطبيق جميع النظريات اللسانية القديم منها والحديث.

وبما أن هذا المؤلف العظيم كبير للغاية وفيه من المعاني والبديع والبيان ما لا يخاطر ببال بشر فإنني اقتصر في هذا البحث الذي أشارك به في احياء الذكرى الثالثة للمهرجان الأثني لكتاب نهج البلاغة على فقرة وردت في الرسالة الإلهية، هذا نصها. أو على الأصح هذه فقرة منها:

«أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُلْفَأُ مَضَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَيَبْحُرُ لَا يَبْذُرُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَا جَأٌ لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَسُعَاعٌ لَا يُظْلِمُ صَوُّهُ، وَفِرْفَانًا لَا يُخْمَدُ بَرْهَانُهُ، وَتَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشَفَاءٌ لَا تُخْشَى أَسْقَافُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أُنْصَارُهُ وَحَقٌّ لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.»

تحليل النص:

بدأ كرم الله وجهه، هذه الفقرة بالفعل «أنزل» الذي اعتبره الفعل الرئيسي بحق وحقيق.

والفعل «أنزل» يعطينا «الانزال»؛ والانزال يكون على مستويين أساسيين ومستويات ثانوية.

إما يكون موجهاً الى الأسمى وإما أن يكون موجهاً الى الأسمى والى من هو دونه.

أما المستويات الثانوية الأخرى فسنشير إليها اشارات سريعة فيما بعد حتى لا يخرج بحثنا عن القصد الذي قصدناه.

الفعل «أنزل» الى الأسمى:

يستعمل الفعل «أنزل» وماتصرف منه، حين يكون موجهاً الى الأسمى مع حرف الجر «على» كما هو الشأن في فقرة أمير المؤمنين المستشهد بها في صدر هذا البحث. ونقصد بالأسمى، كما هو معلوم الرسول الموجه إليه الخطاب دون غيره، وفي القرآن الكريم أمثلة عن هذا كثيرة؛ منها.

أ- المجرّد: «نزل» في قوله تعالى: «إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ»^١

ب- مضتف: «نزل» في قوله تعالى: «أُمُّ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَاتِنَ تَدْنِيهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ»^٢ وفي قوله تعالى: «بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا»^٣ وفي قوله تعالى في سورة الفرقان: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^٤ وفي قوله تعالى في سورة البقرة: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^٥ وفي قوله تعالى في سورة الأنعام: «وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِي نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلُ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ»^٦

وفي قوله تعالى في سورة النحل: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا

١- سورة الشعراء، الآيات ٢٦ وما بعدها.

٢- الآية ٣ من سورة آل عمران.

٣- الآية ٤ من سورة النساء.

٤- الآية الأولى.

٥- الآية ٢٣.

٦- الآية ٧.

بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ»^٧
 وقوله تعالى في سورة الانسان: «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
 عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ، إِنَّمَا أَزْكَوَاتُ^٨» وفي سورة البقرة: «قُلْ مَنْ
 كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ»^٩
 وفي سورة الحديد: «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ
 اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ»^{١٠} وفي سورة الأنعام: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
 عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَابْعَثُونَ»^{١١} وفي غيرها من الآيات^{١٢}.

ج- المزيد بالهمزة: «أُنزِلَ» وهي الصيغة المستعملة في فقرة سيدنا علي
 أميرالمؤمنين كرم الله وجهه. جاءت هذه الصيغة إلى المستوى الأسمى أي مع حرف
 الجر «على» في قوله تعالى في سورة آل عمران: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
 مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...» الآية^{١٣}. وفي قوله تعالى في سورة النساء:
 «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ
 شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً»^{١٤}.
 وفي قوله تعالى في سورة الأنعام: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ
 شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَ تُبَدُّونَهَا
 وَتُخْفُونَ كَيْبَرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»^{١٥}،
 وقوله تعالى في سورة التوبة: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ
 هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخَفْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^{١٦}. وفي سورة النحل: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ

٧- الآية ٩٨.

٨- الآيات ٢٢، ٢٣، ٢٤.

٩- الآية ٩٧.

١٠- الآية ٩.

١١- الآية ٣٧.

١٢- من أمثال قوله: في الحجر/٦. «وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون» وفي الفرقان/٣٢، وفي محمد الآية ٣.

١٣- الآية ٧.

١٤- الآية ١١٣.

١٥- الآية ٩١.

١٦- الآية ٤٠.

وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^{١٧}، وفي قوله تعالى في سورة طه: «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ»^{١٨}. وفي قوله جلّت قدرته في سورة العنكبوت: «أَوَلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^{١٩}، وقوله: «وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ»^{٢٠}. وفي سورة الزمر في قوله عزّ من قائل: «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيبٍ»^{٢١}.

د- مزيد بالهمزة مبني للمجهول:

وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: «وقالت طائفةٌ من أهلي الكتاب آمينوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون»^{٢٢}، كما وردت في سورة الأنعام في قوله تعالى: «وقالوا لولا أنزل عليه ملكٌ ولو أنزلنا ملكاً لَفُضِيَ الْأَمْرُ لَكُمْ لَا يُنظَرُونَ»^{٢٣}. وفي سورة يونس في قوله تعالى: «ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين»^{٢٤}. وفي سورة هود في قوله عزّ وجلّ: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ»^{٢٥}. وفي سورة الرعد في قوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّا لَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْهِ تِلْكَ الْوَحْيَ وَإِنَّا لَنَزَّلُنَا بِالْقُرْآنِ مُتَدَارِكِينَ»^{٢٦}.

١٧ - الآية ٦٤.

١٨ - الآية ٣.

١٩ - الآية ٥١.

٢٠ - الآية ٥٣.

٢١ - الآية ٤١.

٢٢ - سورة آل عمران، الآية ٧٣.

٢٣ - الآية ٨.

٢٤ - الآية ٢٠.

٢٥ - الآية ١٢.

٢٦ - سورة الرعد، الآية ٢٧.

هـ - في حالة الاستفهام:

وردت في سورة ص في قوله تعالى: «ءَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَبْدُؤْهُوا عَذَابٍ»^{٢٨}.

أما حين يكون الإنزال من الحق سبحانه وتعالى الى الأسمى والى من هو دونه؛ أي الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغه الى كافة الناس فان الفعل يستعمل مع حرف الجر «الى» مثل ما جاء في قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْقُلُوبَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَعْتَهُلُونَ»^{٢٩}، وفي قوله تعالى في سورة النحل: «ومما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^{٣٠}، وفي غيرها من الآيات^{٣١}.

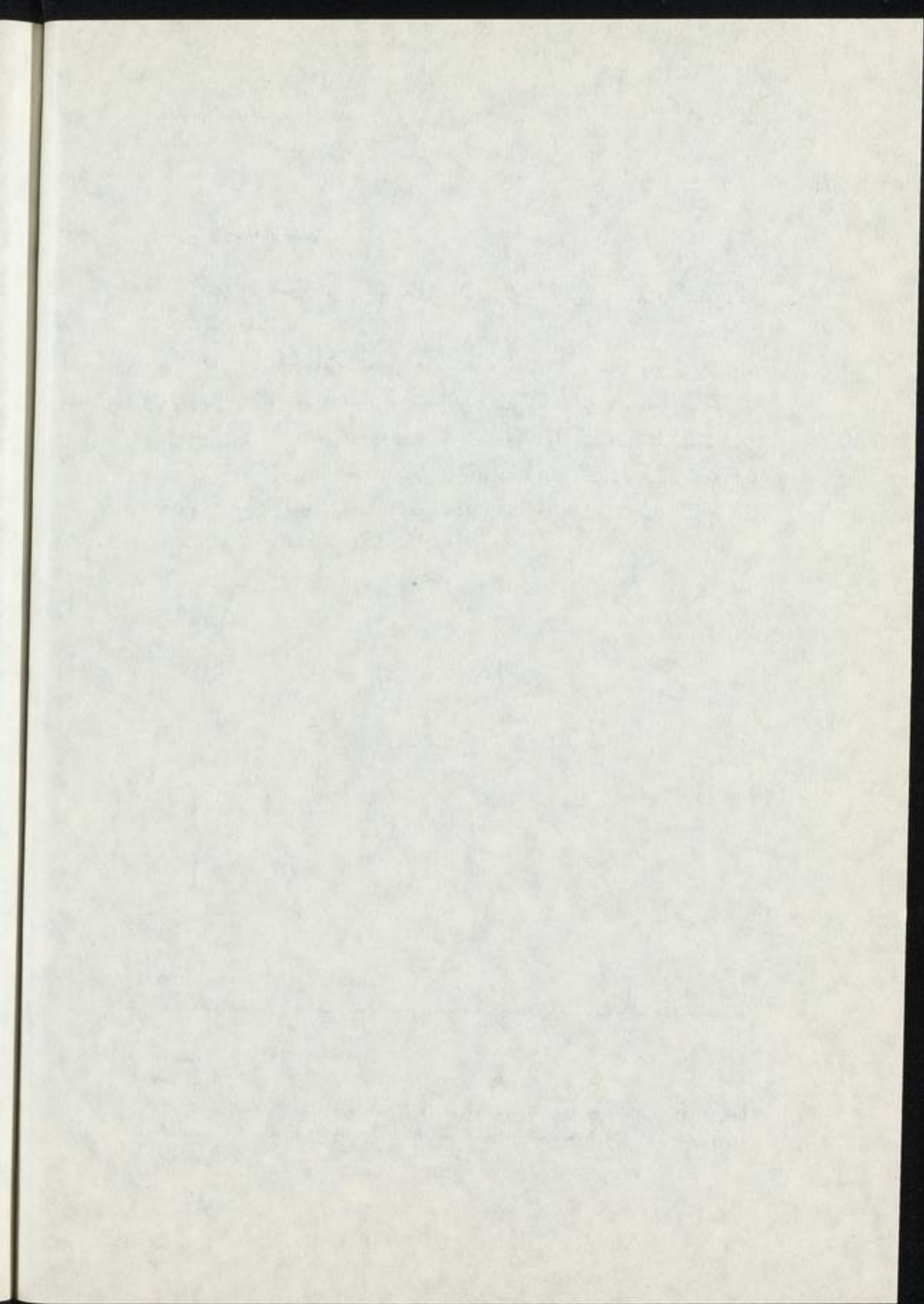
٢٨ - الآية ٨.

٢٩ - لأفضل هنا بين الضعف والمزيد كما فصلت قبل طلباً للاختصار وإن كنت أرتب الآيات حسب ما يقتضيه هذا التوزيع.

٣٠ - سورة الأنعام، الآية ١١٢.

٣١ - الآية ٤٤.

٣٢ - في سورة النساء، الآية ١٦٦. وفي المائدة الآية ٤٩. وفي سورة الأنعام الآية ١١٤. وفي الطلاق الآية ١٠. وفي البقرة الآية ٩٩. وفي النساء الآية ١٠٥. وفي الآية ١٧٤ من نفس السورة. وفي السورة الخامسة، الآية ٤٨. وفي النحل الآية ٤٤ وغيرها كثير.



تحليل الفعل الرئيسي «نزل»
وما تصرف منه في
نهج البلاغة

كلنا يعلم انه يمكن تقسيم نهج البلاغة الى ثلاثة أقسام كبرى هي :
أ- الخطب والأوامر.
ب- الكتب والرسائل.
ج- الحكم والمواعظ.

فان نظرنا الى نهج البلاغة ككل، أي بأقسامه الكبرى الثلاثة وحاولنا أن نبحث في توزيع هذا الفعل في هذه الأقسام من نهج البلاغة لوجدنا أن أمير المؤمنين سيدنا علياً كرم الله وجهه استعمل هذا الفعل وما تصرف منه مائة وعشرين مرة.
ولا يمكنني أن أعطي احصاء علمياً دقيقاً لورود هذا الفعل ومشتقاته في نهج البلاغة إلا اذا وزعته الى خمسة عشر قسماً.
القسم مثلاً هو: نزل ونزلت ونزلتم. ورد هذا القسم ثلاث عشرة مرة بالتوزيع الآتي:

- أربع عشرة في الخطب والمواعظ.

- سبع في الكتب والرسائل.

- ثلاث في الحكم والمواعظ.

وحق يمكنني أن أخص هذه الأقسام كلها وأقدمها مقارناً بين أجزائها ارتأيت أن أضعها في جدول بيانيّ تسهل قراءته مع التنبيه الى أنني تصرف في المعطيات التي

يقدمها لنا السيد جواد مصطفى الخراساني في كاشفه بالتقديم والتأخير لا يمكن من
توظيفها بشكل مرض. وهذا الجدول هو كما يلي:

| الأقسام ورود الفعل «نزل» وما تصرف منه في نهج البلاغة | الخطب و الأوامر | الكتب و الرسائل | الحكم و المواعظ | المجموع |
|--|-----------------------|-----------------------|-----------------------|---------|
| ١ نَزَلَتْ - نَزَلْتُمْ. | ١٤ | ٧ | ٢ | ٢٣ |
| ٢ نَزَلُوا - أَنْزَلُوهُ. | ٥ | ١ | ١ | ٧ |
| ٣ أَنْزَلَهُمْ - أَنْزَلَتْ. | ٧ | ٠ | ٠ | ٧ |
| ٤ تَنَزَّلَتْ - يُنَزَّلُ. | ٥ | ١ | ١ | ٧ |
| ٥ يُنَزِّلُهُ - تَنَزَّلَ. | ٦ | ٠ | ١ | ٧ |
| ٦ تَنَزَّلَ - أَنْزَلَ - انزَلُوا. | ٢ | ٢ | ٠ | ٤ |
| ٧ أَنْزَلُوهُمْ - أَسْتَنْزَلُوا. | ١ | ٠ | ١ | ٢ |
| ٨ نَزُولٌ - نزولك نزولكم. | ٤ | ٢ | ٠ | ٦ |
| ٩ مَنزِلَةٌ - منزلتكم - مَنزِلَتِهِ. | ١٦ | ٦ | ١ | ١٩ |
| ١٠ مُنَازَلَةٌ - تَنزِيلٌ - نَازِكٌ. | ٥ | ١ | ٠ | ٦ |
| ١١ نَازِلُونَ - نَازِلَةٌ - نَوَازِكٌ. | ٥ | ٠ | ٠ | ٥ |
| ١٢ نِزَاكٌ - نِزَالٌ - مَنزِلٌ. | ١٠ | ٧ | ٠ | ١٧ |
| ١٣ مَنزِلَتِكُمْ - مَنزِلَةٌ. | ٣ | ٠ | ٠ | ٣ |
| ١٤ مَنزِلُهُمْ - مَنَازِكٌ - مَنَازِلِكُمْ. | ١٢ | ٢ | ٠ | ١٤ |
| ١٥ نَزُولُهُ - نَزْلُهُ. | ٣ | ٠ | ٠ | ٣ |
| المجموع العام | ٨٨ | ٢٥ | ٧ | ١٢٠ |
| النسبة | ٧٣٣٣% | ٢٠٨٨% | ٥٧٩% | |

مكانة الفعل «أنزل» في الفقرة:

لقد استعمل أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه هذه الوحدة الكبرى الدالة في الخطاب على شكل الايجاب، فقال:
«أنزل الكتاب»

ثم تصرف في هذه الوحدة الكبرى الموجبة (UNITE MAXIMALE POSITIVE) وكأنها - من جهة شعاع تركيبى موجب مادام خالياً من أدوات النفي؛ أقول: تصرف فيه، كرم الله وجهه من جهة ثانية معتبرة شعاعاً تقابلياً (AXE PARADIGMATIQUE). ونعلم ان القاعدة اللسانية العربية الجامعة الواجب تطبيقها هنا تحتم على من يقوم بعملية التعويض أن يأتي بالمعوض به صالحاً للإنسجام في كل النواحي مع سابقه ولاحقه كما كان المعوض منسجماً من قبل سواء بسواء.

وحق له أن يفعل وبسهولة وهو الذي كرم الله وجهه لم تُعرف المباحث الكلامية إلا منه ولم تكن عيالاً إلا عليه لأنه قدوة فطاحلها وإمام أفاضلها. حق له أن يُعوض تقابلياً اللفظ الكتاب بالكلمة «فرقان» فقال بدأ «أنزل عليه الكتاب» ثم جاز له اعتباراً لما سبق أن يقول: أنزل فرقاناً.

فكانت هذه الوحدة الكبرى الدالة للبلاغ المعجز في نهج البلاغة مكونة، تعزيزاً للحكمة التي يريد أن يبلغها للناس من شقين اثنين وكأنها ثنائية لسانية كبرى (GRANDE DICHOTOMIE LINGUISTIQUE) تحتاج من ريبب الرسول الأكرم وصهره صلى الله عليه وسلم الى مزيد بيان.

فاقتضى النهج الدقيق والبلوغ الذي يستعمله، كرم الله وجهه ان يتبع هذه الشنائية اللسانية بوحدات أخرى كبرى للدلالة لها هي أيضاً سيماوات محددة وعامة؛ إنها كلها مركبة على الشكل الآتي:

أ- حال (للفعل الرئيسي) «أنزل» - نوراً - سراجاً - بحراً - منهاجاً - شعاعاً - تبياناً - شفاءً - عزاً - حقاً. بحيث استطيع أنا الآن أن استخرج من هذه الفقرة الصغيرة المستنبطة من نهج البلاغة في نطاق الرسالة الإلهية الخالدة. وحدات صغرى كلها آيات من آيات الله الخالدة. فأقول. أنزل الكتاب نوراً. أنزل الكتاب سراجاً أنزل

الكتاب بحراً أنزل الكتاب منهاجاً أنزل الكتاب شعاعاً أنزل الكتاب تبياناً. أنزل الكتاب شفاء أنزل الكتاب عزاً لا تهزم أنصاره وأنزل الكتاب حقاً لا تخذل أعوانه.

ب- منفية كلها بأداة واحدة هي: لزيادة في نقاء الانسجام الدلالي (LHARMONISATION) (SIGNISIANTE) (TRAITS) الذي يرمي اليه الامام علي كرم الله وجهه على طول نهج البلاغة وعرضها.

ج- يتبع كل هذا فعل مضارع شديد الإلتزام مع الحال في رأس الوحدة غير محايد ولا بريء إذ أنت بمجرد ما تنطق بالحال تكون حددت، بشكل لا يقبل أي لبس الحقل الدلالي المجهرى للفعل (LE MIGRO CHAMP SEMANLIQUE) الذي لزم أن يقترون بذلك المفعول الثاني. واذن فالاختيار الحر العشوائي غير وارد البتة: وان الدلالة الدقيقة التي تربط دوماً هذا الفعل بذلك المفعول الثاني هي التي تحدد الاتجاه وتوجه الاختيار في النطاق المرسوم من طرف اللفظ المثبت على رأس الوحدة انطلاقاً من السياء «أ» المشار إليها آنفاً.

سيكون هذا الفعل دالاً طبعاً على عكس ما يوحى به عادة المفعول الثاني مادام الرابط الذي يربط بينها هو الأداة «لا».

فالنور يناسبه لا ظلام

والنور عكسه ظلام

والنور يواجهه لانور

الى آخر الجمل البليغة المكونة للفقرة البليغة.

وهكذا سيستخرج أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه وصي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من هذه السياقات السالبة ثلاث اثنائيات شفهية يوضحها

لنا مستقيم الاضلاع الدلالي (LE RECTANJLE SE MIOLOJIQUE) الآتي:

نور (مواجهه) لانور (عكس) (عكس) (مناسب) (مناسب) ظلام (مواجهه) لاظلام

وطبعاً نجد هذه الاثنائيات في الأقسام الثلاثة المكونة لنهج البلاغة وهي الخطب والأوامر، الكتب والرسائل، الحكم والمواعظ.

هذه الاثنائيات الثلاثة هي:

١- الاثنائية الشفعية التواجهية (VEISUS)

نور لانور

الظلام لاظلام

التي نراها في البعد الطولي للمستقيم.

٢- الاثنائية الشفعية العكسية (CONTRAINE)

نور ← ظلام

لانور ← لاظلام

التي نراها على البعد العرضي للمستقيم.

٣- الاثنائية الشفعية الترادفية (SYNONINE)

نور = لاظلام

لانور = ظلام

ومعلوم أن هذا يتكون عندنا بالنظر الى الخطوط التي تربط النقاط الأربعة المكوّنة لزوايا المستطيل.

أ ب د ج

أما ان اعتبرنا المقولات اللسانية الموجودة على أضلع المثلثات أصبح عندنا أربع طوائف كلّ واحدة منها تجمع في نفس الآن المناسب والمواجه والمعاكس.

المثلث الأول، هو: أ ب ج

أ (مواجهه) ب (معاكس) ج (مناسب)

المثلث الثاني هو أ ج د

أ مناسب ج مواجهه د معاكس

المثلث الثالث هو: ب أ د

أ (مواجهه) ب (مناسب) د (معاكس)

المثلث الرابع هو: ب ج د

د مناسب ب (معاكس) ج (مواجهه)

الخاتمة. هذا هو الدرس اللساني الذي يمكن أن نستنبطه من الرسالة الإلهية في

نهج البلاغة أو على الأصح من كلام أمير المؤمنين سيدنا ومولانا علي كرم الله وجهه

الذي يقول فيه:

«أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُظْلَمُ أَضْيَاجُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُوتُ وَقْدُهُ وَبَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَا جَاءَ لِأَيُّضٍ نَهْجُهُ، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفِرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بَرْهَانُهُ، وَنَبِيَّاتًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ، وَشِقَاءً لَا تُخْشَى أَشْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ».

أقول هذا هو الدرس اللساني المستنبط من هذه الدرر الغالية قدمته بكل اختصار وتبسيط راجياً من الحق سبحانه وتعالى أن يمد في العمر لأقدم درساً آخر في المصطلحات اللسانية قديمها وحديثها التي أصبحت تشغل الآن بال جيلنا الصاعد الذي نريده صالحاً باذن الله. ولا غرابة مطلقاً أن تساعدنا نهج البلاغة في اغناء المصطلح اللساني وصاحبها هو الذي علّم النحو العربي لمؤسس النحو أبي الأسود الدؤلي وأرشد الناس بالمنهاج لا يضلّ نهجه، الى الفصيح من القول والمبين من الكلام؛ هو الذي تأدّب بأداب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وتربّى في حجره وترعرع بين يديه الكريمتين، فجاء كرم الله وجهه أعلى مثال للانسان الكامل في كلّ المجالات التي يمكن أن تخطر بالبال.

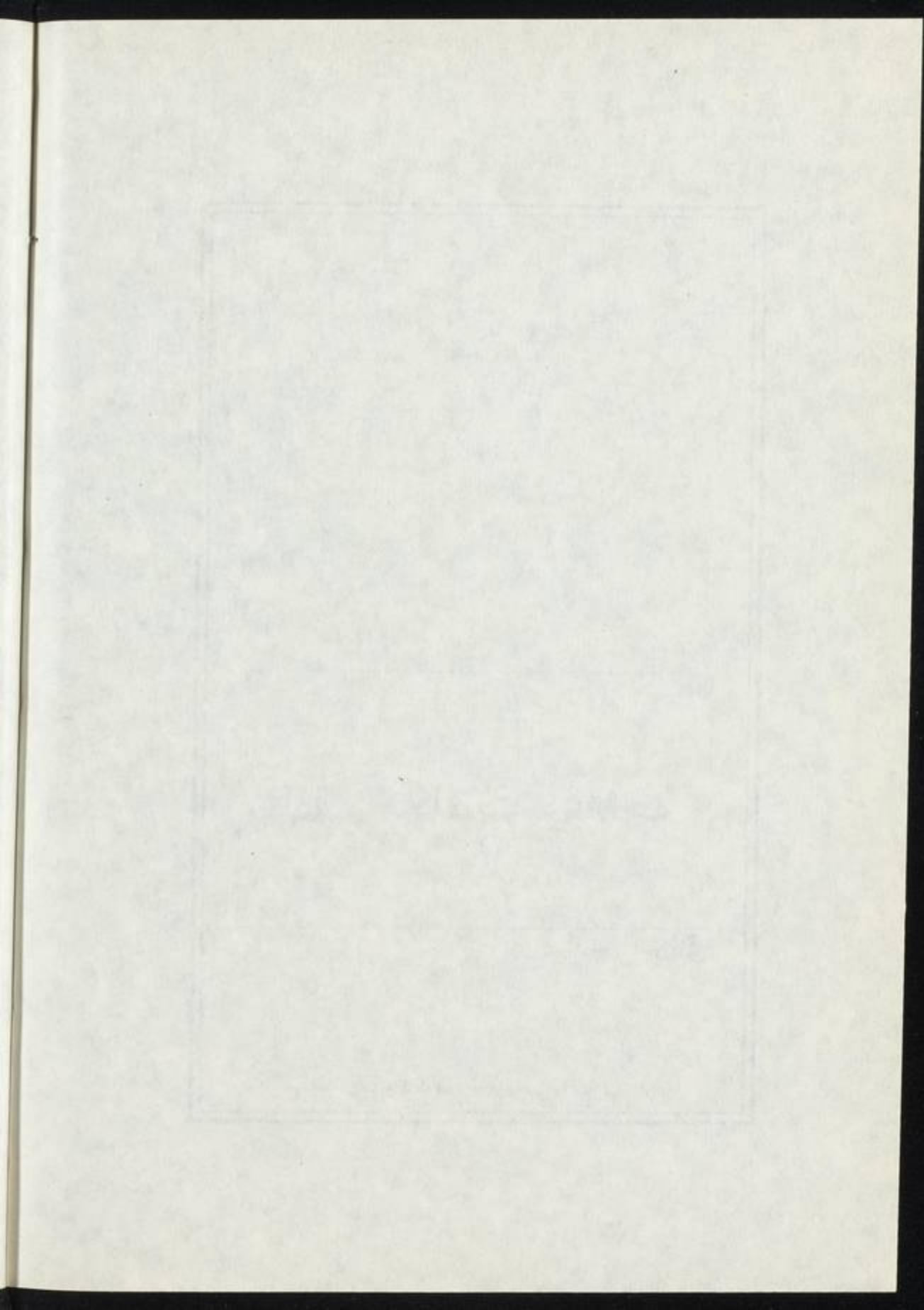
وختاماً أشكر شكرياً الرجال العاملين في مؤسسة نهج البلاغة الذين أتاحوا لي هذه الفرصة النادرة والسعيدة الطيبة لأتحدّث معكم. والله تبارك وتعالى أسأل أن يكون جمعنا دائماً جمعاً مباركاً سعيداً وأن يحصل بمتّهِ وكرمه تفرقتنا منه تفرقاً موقفاً معصوماً سالماً؛ أنه سميع الدعاء لاغيره، عليه توكلت هو حسبي ونعم الوكيل.

الفقر: مكافحته وعلاجه*

د. محمد خير الحلواني

سوريا

* على هذه المقالة أيضاً تعليقات للسيد جعفر مرتضى ، أشرنا إليها بالأرقام.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة^١

صادف مني هذا البحث صنوفاً من الضيق، والعسر، والتردد، كادت تأتي عليه قبل ان يلد بذرة فكري صالحة للنمو والتفرع، ومن الصعوبة بمكان ان يرود القلم مجاهل جديدة، وصاحبه موزع النفس بين مطامح البحث، ومشاكل الحياة الملحة، ثم يشاء الله ان يعين عليه، فيكتب، ولكن يبقى في النفس منه منازع إلى الكمال، والى ترميم ما يعثر جوانبه من نقص وتقصير، تمنح بي للاعتذار، والتماس الصفح.

وحملت النفس على ان تقتنع بالقول المأثور: ما لا يدرك كله لا يترك جله، ورحت استقري لسان العرب لعلي أجد فيه ادراكاً محمداً للفقير، فوجدت فيه مصداقاً لرأي اللغوي الانكليزي فيرث (FIRTH) الذي يرى ان معنى الكلمة انما هو استعمالها في نص ما، ذلك ان (الفقر) لا يرتكز معناهما على مفهوم معجمي محدد، بل يختلف ويتنوع باختلاف النص وتنوعه، ووجدت علماء العربية وفقهاءها القدماء لا يلتقون على رأي واحد في استقراء النصوص، وفي الموازنة بين (الفقير) و(المسكين).^٥

على ان معجم الحياة الاجتماعية يتيح لنا من اسباب الادراك فوق ما يتيح لنا معجم اللغة، فالافتقار فيه انما هو الاحتياج، ومفهوم الفقر في صفحاته يرجع الى علل ودواع يسهل حصرها وعددها، فهناك فقير يرجع سبب فقره الى عجزه عن العمل،

٥ - انظر في ذلك لسان العرب (فقر) و(مسكين).

كأن يكون مقعداً، او مصاباً بلوثة، او فيه عاهة تحول بينه وبين كسب قوته، وهناك فقير سليم الجسم، ولكن عمله لا يدر عليه من الربح ما يكفيه، ويكفي عياله، غير أنه يتعفف، ولا يظهر من اسباب الفاقة والعوز ما يلفت اليه الانظار، وهناك فقير سُدت في وجهه سبيل العمل في موطنه، ويرجع فقره الى تخلخل الحياة والمجتمع، وضيق المنافذ إلى الرزق...^٣

واذا عدنا الى معجم الفقه الاسلامي وضع بين ايدينا مفهوماً قريباً من مفهوم الحياة الاجتماعية، اذ ليس للفقر فيه مفهوم مطلق، بل يحدده مستوى الحياة المعيشية، فالفقير في نظر الاسلام هو الذي «لم يظفر بمستوى من المعيشة يمكنه من اشباع حاجاته الضرورية، وحاجاته الكمالية، بالقدر الذي تسمح به حدود الثروة في البلاد. او هو من يعيش في مستوى تفصله فيه هوة عميقة عن المستوى المعيشي للأثرياء في المجتمع».

اضرار الفقر:

وما أراني في حاجة إلى الاطناب في الحديث عن اذى الفقر وضرره، وحسي ان المّ بها المامة العابر، مشيراً اليها، لباحثاً ولا مفصلاً، فهو من حيث الضرر الخلقى يملأ النفس ضغائن واحقاداً، ويزرع فيها بذور التمرد والتشرد، او يسوق اليها دواعي الضياع فتستسهل بيع الجسد والكرامة، الى جانب سقطات اخرى لعل اهمها ضعف التربية العام، فالرجل - كما جاء في الاثر - «اذا غرم حدث فكذب، ووعده فاخلف». على ان هناك طائفة من الناس يتصونون، ويتعففون، ولا ياكلون بثديهم وان جاعوا، بل «يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف» بيد انهم - الى ذلك - لا تسلم نفوسهم من ضرر آخر، ينتج عن تخلخل المجتمع، واضطراب موازينه، لعل أقله اذى القنوط، والشعور بالنقص، وكبت الرغبات، ووأد النزعات في الصدور، وتضخم الحسد.

اما اضرار الفقر الصحية والجسدية فليست خافية على احد، فالعلاقة بين تنوع الغذاء والقوى العقلية والعضلية غير خافية، كما ان الاضرار الجسدية الناجمة عن قلة الغذاء أشهر من ان تشرح، فمنها فقر الدم، وتخلل الدهن، وتدهور الصحة العامة، اصف

الى ذلك ان قصر اليد، والعجز عن مراجعة الطبيب قد يؤدي الى تعشش المرض وتفشيهِ.

و ينعكس الضربان السابقان من الضرر على حياة الاسرة في المجتمع، اذ قد يودي الى الوان من الأثرة، والطمع، تقضي على المحبة، واسباب التعاون، وينداح هذا كله من دائرة الاسرة الضيقة الى دائرة الحياة العامة في المجتمع، فيلوث البيئة بانماط من التخلف، والتصرف، لا تزيدها إلا تقهقراً وضعفاً.

وربما كان من المناسب ان نكف هذه الاضرار مجتمعة بالكلمة الماثورة: «كاد الفقير ان يكون كفراً» على ان نوسع من معنى (الكفر) فنخرجه من إطاره الفردي الى اطار الحياة العامة، فاذا عني في الاطار الاول التمرد والخروج على اسباب العرف والخلق والهدى والانتفاء، فانه يعني في الاطار الثاني التفكك، والتخلف، والتزق.

المكافحة والمعالجة

اذ تجاوزنا الجذر اللغوي الذي يرجع اليه كل من هذين المصدرين استطعنا ان نستوحي من المكافحة مصارعة الفقر وجهاً لوجه، والقضاء عليه قضاء تاماً، أما المعالجة فتوحي الينا باتخاذ الاسباب والادوية التي من شأنها ان تزيله وتقضي عليه، وهذا يلتقي المصدران في النتيجة، وان كانا يختلفان في السلوك .

ومادام الامر كذلك فمن الممكن ان نسلك سلوكاً يجمع بين المكافحة والمعالجة في كل فقرة من فقرات البحث، فلعل ذلك اجمع لابعاده، واسهل استيفاء لجوانبه. ولن اتبع المنهج التاريخي الصرف، بل سأزواج بينه وبين غيره لدواع قد تتضح في نهاياته.

الاشتراكية ومعالجة الفقر:

لا يشك احد في ان جذور الفقر ضاربة في اعماق التاريخ، وان الانسان منذ كان يبحث عن اسلوب من العيش يكفيه حاجاته ومتطلبات الحياة من حوله، سواء أكان ذلك مرتبباً بتوزيع الثروات المتاحة ام كان يطمح الى تنظيم المجتمع تنظيمياً شاملاً يجمع فيما يجمع الجوانب الاقتصادية.

ومابي حاجة الى بحث الاساليب المقترحة على امتداد العصور، بل يكفي ان اقف عند بعض المقترحات الاشتراكية، لانها في أقرب تعريفاتها، ثمرة لمعرفه التاريخ

البشري من صراع على موارد العيش، ولما اصطنعته المجتمعات الانسانية من انظمة، ولما قدمته العقول من حلول.

ولئلا يطول البحث و ينشعب، ارى ان اختصر الاشتراكيات الكثيرة باشتراكية سان سيمون، واشتراكية ماركس، ففيها - كما ارى - ما يغني عن بحث مواقف الاشتراكيات الاخرى، ولا سيما ان ما قدمه ماركس بعد اكمال ما وصل اليه الفكر الاشتراكي، مع التفسيرات والتعديلات التي اضافها إنجلز، ولينين، واضرابها.

آ - سان سيمون والفقر:

اما سان سيمون فن الممكن تشيعب فلسفته الاشتراكية في شعبتين: اولاهما دعوته الى العمل، والثانية دعوته الى تنظيم الملكية. ففي اولى الدعوتين يحتمل المجتمع مسؤولية تأمين العمل لافراده، فاذا تم ذلك كان تقاعس الفرد عن العمل ضربا من ضروب السرقة يحاسب عليه، لانه يقطف ثمار ما يقوم به غيره، ومن هنا وجب على كل فرد ان يعمل بحسب قدرته، وان ينال الأجر الذي يستحقه بحسب الخدمة والانتاج.

وههنا يطلع عليه المجتمع بمشكلة الثراء الفاحش الذي يسمح لاصحابه الایعملوا، وان يجردوا مع ذلك من يعمل لهم، فلا يجد بدأ من الدعوة الى القضاء على الملكية، فيقدم مقترحات كثيرة يقضي بعضها بالغاء الميراث، حتى لا تنتقل الثروة الى ورثة ربما لا يستحقونها، او لا يحسنون القيام عليها. و يقضي بعضها الاخر بتنظيم الملكية بحيث يكون في المجتمع نوعان منها، ملكية عامة تسيطر فيها الدولة على الصناعة ومرافق الانتاج العامة، و ملكية خاصة تقتصر على المواد الاستهلاكية ليس غير.

ومامن شك في ان اشتراكية سان سيمون تقتفر على اعتدالها الى النزعة الانسانية اذ تسلب العامل حافزا مهما على الربح، والمزيد من النتاج، هو تأمين الحياة المرجوة لاولاده من بعده، فاذا عرف ان ثمار نتاجه لن تؤول اليهم بعد موته فقد يصير تصرفه فيها ضربا من التبذير و يقعد به عن العمل في اخريات ايامه.

وهناك انتقادات اخرى سوف تذكر في حينها، لئلا يتكرر القول في آراء

متشابهة.

الماركسية والفقر:

تنطلق الفلسفة الماركسية في معالجة الفقر ومكافحته من مقولة اجتماعية ترى ان الغني لم يبلغ مستواه الاقتصادي الا لانه سلب مال الفقير، وهذا يعني ان توزيع الثروة ووسائل الانتاج لم يقم على العدالة، بل قام على القهر والصراع، وان الغني لم يكن غنيا بمواهبه وقدرته على العمل، بل بتدخل المجتمع وتميزه، وان الفقير لم يكن فقيرا لضعفه وتخلفه وكسله، بل بتدبير الرأسمالي وحنكته التي يساعده عليها تناقض المجتمع وتجمع الثروة في يديه.

ولا يمكن ان نهض بالفقير، ونزيل عثرته، الا بالقضاء على المجتمع الرأسمالي، وقيام مجتمع شيوعي، تتحول فيه جميع وسائل الانتاج لابعضها الى الدولة، ونقل الملكية هذا لا يمكن ان يتم بتطور طبيعي بطي، للحياة والناس، بل لابد من تحقيقه بوسائل عنيفة اهمها الثورة المسلحة، والحرب الاهلية، مثلما حدث في روسيا، ولا يمكن ان تستقر الاوضاع بمجرد نجاح الثورة وسيطرة رجالها، اذ لابد من حراستها وحراسة ظفرها بحكم دكتاتوري تقوم به الطبقة البروليتارية بشكل يسمح لها ان تنقل الملكية الخاصة الى الملكية العامة نقلا مفاجئا على شكل مصادرة لا تعويض فيه، ففي اعتقاد ماركس ان منح اصحاب الملكية تعويضا عنها يتناسب مع قيمتها «يشلُّ الاهداف العميقة للحركة الاشتراكية»^٥

وحيث تصل الدولة الى المرحلة الكاملة من تطبيق الاشتراكية تكون جميع وسائل الانتاج، ورأس المال، وتنظيم المجتمع في يدها، اوفي يد جهازها الهرمي، وهذا يوفر منافع كثيرة منها:

- ١- تتأمن السلع الانتاجية لجميع افراد الشعب.
- ٢- تزول فوارق الثراء بين الناس، فليس هناك غني، وليس هناك فقير.
- ٣- يتحتم على الدولة ان تضمن لكل مواطن دخلا نقديا معيناً، وتسمح له ان ينفق دخله كيفما يشاء.
- ٤- تُحدَّد الاسعار بما يتناسب ودخل الافراد.

• - انظر: د. صلاح الدين نامق. دراسات في الاشتراكية. ص: ٦٢ القاهرة: دارالمعارف ١٩٦٨

وميزة هذا الاجراء انه لايعتمد على الربح، بل على حاجات المجتمع، ولذلك لايتطلع الى اسواق خارجية يفرقها ببضائعه، بل حسبه ان يؤمن لافراد الشعب ما هم بحاجة اليه. أضف الى ذلك أنه يخضع لتخطيط تقوم به الدولة بأجهزتها المسؤولة، وهذا التخطيط يصدر عن طبيعة المجتمع والحياة، فيحدد نوع الانتاج وكميته.

ومن الممكن «تلخيص السمات الاساسية للانتاج الاشتراكي كمايلي:

اولا - انه انتاج جماعي يشبع حاجات المجتمع ككل: اي هو انتاج الخيرات المادية الضرورية للمواطنين، دون تفرقة بين نصيب فئة من فئات المجتمع وفئة اخرى. ثانيا - انه انتاج هادف وبتاء على خطة مدروسة تضمن استخدام جميع الموارد القومية المادية والبشرية بطريقة عملية وعلمية، لكي تحقق الخير لمجموع الشعب. ثالثا - ان هناك اولويات في القيام بالمشروعات الانتاجية.

رابعا - ان الانتاج الاشتراكي لا يهدف الى تحقيق الربح، بقدر ما يهدف الى اشباع رغبات المجتمع، في ظل الخطة الاشتراكية الموضوعية.»*

ويتضح من هذا ان الاشتراكية الماركسية قدمت انضج الحلول الاشتراكية التي ظهرت في التاريخ، ولكنها مع ذلك ترتبط بنظام من الحكم اقل ما يقال فيه انه يقوم على سفك الدماء وانه يحفظ سيطرته بممارسة الارهاب، والجاسوسية، والسجن. واذا اغضينا على هذا، وجدنا في طبيعة النظام نفسه افتقارا الى الشعور الانساني خلال العمل، فالعامل لايقوم بالانتاج بوازع داخلي يهيب به الا يقصر او يغفل بالعمل، لانه لا يوضع نصب عينيه الا تأمين حياته وحاجاته، ولا يتمسك بالنظام الا خوفا من جلاديه ومعذبيه، فهو كالة التي يمارس بها عمله.

يضاف الى ذلك ان وسائل الانتاج سوف تسند الى ايد لا تؤهلها الخسارة، ولا يسعدها الربح، ولكنها تقوم عليها مثلما يقوم الموظف على اوراقه، وفي مثل هذه الاحوال تتفاوت الضمائر في الرعاية والعناية، فان لم يكن ثمة وازع من الشعور الذي يرتبط بقيم اخلاقية او دينية، فان الامر حينئذ يصير الى حال تفتقر الى الضبط والاطراد، وربما كانت الشواهد والادلة على صحة ما نقول مما يسهل الاشارة اليها في البلاد التي تطبق الماركسية او تأخذ بنظام التأميم والقطاعات العامة. والى جانب هذا ايضا قطعت الماركسية الصلة بين الانسان ومثله العليا حين

حالت بينه وبين السماء، فإذا اطعمته وامنت له مستقبلا ماديا فإن ذلك جاء على حساب مُثْلِهِ وروحه وديانته حتى يمكن القول: إنها حولته الى جسد صرف.

الحل الرأسمالي:

على ان الحل الرأسمالي ليس خيرا من الحل الاشتراكي، بل لعله ان يكون في طبيعته أكثر خصبا لنمو الفقر وتشعب فروع، اذ يقوم على فلسفة فكرية واقتصادية ترد الفقر الى اسباب ذاتية لاجتماعية، فوسائل الانتاج كما تراها متاحة لكل فرد، ومنافذ العمل متعددة ومفتوحة امام الجميع، وحرية الاختيار ليست مراقبة ولا موكولة الى دولة دكتاتورية، فاذا افتقر انسان في هذه الظروف الميسرة له فان فقره يعود الى ضعف فيه، او قصور في مداركه.

ولاشك ان هذه الفلسفة لا تقوم على مرتكز موضوعي صحيح، ذلك ان اتاحة وسائل الانتاج ليست في الحقيقة ميسرة للجميع، بل لا تيسر الا لمن يملك المال، وحينئذ يصبح الفقير العامل تحت سيطرة رب العمل، ويفرض عليه ضروب العسف والاستغلال ما يلائم مصلحته، وههنا ينجم التصدع بين شقي المجتمع: الشق العامل، والشق المستثمر. وينتهي هذا التصدع الى التفاوت في اساليب العيش، فهناك الفقير الذي لا يجد بين يديه ما يكفيه، ويكفي حاجات عياله، وهناك الثري الذي يفتن بالبذخ والتبذير، والترف. وتنشأ من جراء ذلك طبقة الاثرياء المتخمين وطبقة الفقراء المعدمين.

على ان الدول الرأسمالية الصناعية اضطرت في النهاية تحت ضغط الاشتراكية العالمية الى وضع نظام الضمان الاجتماعي، وسوف ينجلي لنا في فقرات هذا البحث.

ولعل اسوأ ما تحمله تناقضات الرأسمالية هو تلك الحرية السائبة التي لا تؤول الى غير الطمع، والمزيد من الارباح، وهذا يكون الدافع الى العمل ظلال الربح، لا تأمين الحاجات ويؤدي هذا الى البحث عن اسواق خارجية، بحيث ينتقل الضرر من اطار البلد او الوطن الى اطر أبعد منه فيصيب الجار القريب، والنائي البعيد.

وهذا نفسه يتيح لصاحب الملكية ان يتمتع بحق اقتصادي لا يخجل من غرابة، هو استعمال ما يملكه، وسوء استعماله اذا شاءت مصالحه الشخصية، «ومن هذا المنطلق

انطلقت تشريعات نابليون، وكل الانظمة الاقتصادية البرجوازية، وهكذا يتمتع المالك بحق الهي مطلق، فيستطيع ان يتلف دون اى عقاب كل مايملك، ولو كان في ذلك حرمان للمجتمع من ضروراته الحيوية، كمايكسد الخيرات ويحتكرها بلا حساب. والقانون الفرنسي الذي ينظر الى المؤسسات على انها امتداد لحق موروث يعطي الحق الى مالكيها في وقف اعمالها او التصرف بها، او تسريح العاملين فيها.*
وفي ظل النظام الرأسمالي تظهر الحلول الفردية لمشكلة الفقر، وربما كانت الصدقة بمعناها الضيق، واعني بها: «الاحسان» ابرز الدعوات التي ينادى بها المصلحون، ومن البديهي ان مثل هذه المقترحات تبقى في نطاق محدود، ولا تبلغ ان تصير نظاما يصون كرامة الانسان ويحل المشكلة حلا مقبولا. ٥

الحل الاسلامي:

مما تقدم رأينا أن كلا من الرأسمالية والاشتراكية لايتكامل فيها الحل، ولاينتهي بالفقير الى حياة سليمة من جميع الجوانب، بل يزيل مشكلة لتتجم بازالتها مشكلة اخرى، فهل يحل الاسلام مشكلة الفقر حلا جذريا يحقق ما عجزت عنه الحلول الارضية؟

ان من يستقري النصوص الاسلامية يستوحي منها ان الفقر مرض اجتماعي بالغ الخطورة فقد نقل عن رسول الله (ص) قوله: ٥ «كاد الفقر أن يكون كفراً» ٥٥ وقوله: اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل، والجن والبخل، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفوق» ٥٥٥
ولا بد إزاء هذه النظرة من ان يكون هناك دواء يعالج هذا المرض، و يكافح جراثيمه التي تفتك في الجسد، والنفس، والعقيدة، ويحول الانسان السوى المستقيم الى انسان ناظم، حاقد، مريض، لا يستطيع القيام بواجباته، ولا يقوى على قضاء حاجاته.
واول حل دعا اليه الاسلام هو السعي والعمل، فلم يجز للمسلم ان يقعد عن طلب الرزق، وان يتكسل على غيره فيه، لان السماء لا تمطر ذهباً ولافضة، «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض، وابتغوا من فضل الله.» (الجمعة ١٠) «هو الذي جعل لكم الارض

٥ - ما يمد به الاسلام: ٩٦/٩٥. دمشق ١٩٨٢: روجيه غارودي

٥٥ - انظر: ابن مالك: شواهد التوضيح: ١٠١. القاهرة: ١٩٥٧/١٣٧٦

٥٥٥ - رواه الحاكم والبيهقي

ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه.» (الملك ١٥) والاحاديث النبوية التي تخص على العمل كثيرة جداً، بل ان بعضها ليعده ضرباً من الجهاد في سبيل الله، فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلاً مر برسول الله (ص)، فرأى اصحاب رسول الله من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال لهم الرسول: ان كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، الى آخر ما جاء في الحديث.

وللعمل في الاسلام حوافز نفسية وانسانية، فهو لم يحرم على المسلمين الملكية الفردية كما فعلت الماركسية في مجالها النظري، ولكنه لم يتح ايضاً لها من الحرية ما يجعلها اذى وضراً للمجتمع، كما فعلت الرأسمالية، والاساس النظري للملكية في الاسلام ان الانسان نفسه لا يملك شيئاً، لان الملك كله لله وحده، فهو رب العالمين، ومالك كل شئ، ولكنه يستخلف عليه اناس ليقيموا به، ويتصرفوا فيه بوحى من العقيدة الدينية السليمة، «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» (الحديد ٧) «ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله» (الطلاق ٧) «وأتوهم من مال الله الذي آتاكم» (النور ٣٣).

واذن، فان الملكية الفردية ليست امتيازاً، كما في الرأسمالية، بل هي تبعة يسأل عنها الانسان امام الدولة، وامام ضميره الديني، فبابين يديه ملك له في الحدود التي يسمح بها الله، وهو في نفس الوقت ليس له، لانه ملك الله الذي يراه، ويراقبه، ولا ينأى له طرف.

ومن اجل ذلك ينكر الاسلام ان تتحول هذه الملكية الى هوس يؤدي بصاحبه، يجمع المال ويحرم منه المجتمع، ويسلك في الكسب مسلك الغش، والخذية، والكذب، وظلم الانسان، ومن ههنا حرم الربا في شتى صورته، ومختلف اشكاله، وقاوم الاحتكار، وعتف الغشاشين، ودعا الى اقامة الوزن بالقسط، وحرّم الكسب الذي لا يراعي تعاليمه، فلا يجوز الاتجار في المخدرات، والمسكرات وما اليها.

هذه الصور السلبية من المحرمات تقف حياها صور اخرى من الايجابيات تدعو الى مشاطرة المال واقتسامه، وتبارك الصدقات، وتحيل الملكية الى «خير» لاشرفه، اذ يجب أن يكون العطاء خالياً من الأذى، نقياً من المن، جالباً للأجر والمثوبة.

وفوق هذا كله تبقى الملكية الفردية في حدود الاخلاق الاسلامية، ولهذا لا يسعى المالك في كسبه الى الربح كيفما كان، بل لا بد له أن يسعى الى «خير» المجتمع، ويحتمل «شره»، اي لا بد له ان يسعى الى تأمين حاجاته، وان يكف عما لا حاجة به

اليه، فالإقتصاد في الإسلام يختلف عن النمط الغربي في التنمية، فهو لا يرى في الإنتاج والاستهلاك غاية يسعى إليها، ولذلك لا يصرف همه إلى المزيد من الإنتاج والاستهلاك، سواء أكان ذلك لازماً للمجتمع أم لم يكن كذلك، بله أن يكون خطراً على المجتمع والحياة، بل يرمي في عملية التنمية إلى إقامة التوازن والانسجام.*

بهذه المبادئ الإنسانية العامة يضع الإسلام حله السليم لمشكلة الفقر، وأول لون من ألوان هذا الحل هو الضمان الاجتماعي الذي سبق فيه جميع الأنظمة من رأسمالية واشتراكية.

فقد جاء في كتاب الاستاذ المرحوم محمد باقر الصدر: «اقتصادنا» عن نظام الضمان الاجتماعي في الإسلام ما يكفينا مؤنة الاطباب فيه، إذ ذكر ان الإسلام «فرض على الدولة ضمان معيشة افراد المجتمع الاسلامي ضمانا كاملا، وهي عادة تقوم بهذه المهمة على مرحلتين: ففي المرحلة الاولى تهتم للفرد وسائل العمل، وفرصه المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي الثمر،» فان لم تستطع لملاسات خاصة بها «جاء دور المرحلة الثانية التي تمارس فيها الدولة تطبيق مبدأ الضمان عن طريق تهيئة المال الكافي لسد حاجات الفرد، وتوفير حد خاص من المعيشة له» ويرتكز نظام الضمان الاجتماعي في الإسلام على مبدئين:

١- اولها التكافل الاجتماعي.

٢- والثاني حق الجماعة في موارد الدولة العامة.

ولكل من المبدئين حدوده ومقتضياته. فمقتضيات الاول - وهو التكافل - أن يكفل الاغنياء الفقراء في حدود إمكانياتهم، وهذا فرض كأى فرض آخر في الدين، وللدولة الحق في ان تلزم رعاياها بامثال ماتكلفهم به شرعا، «فكما يكون لها حق اكرام المسلمين على الخروج الى الجهاد لدى وجوبه عليهم، كذلك لها الحق في إكراههم على القيام بواجباتهم في كفالة العاجزين.» في حديث منقول عن الامام جعفر بن محمد يذهب إلى أن «أيما مؤمن منع مؤمنا شيئا مما يحتاج اليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودا وجهه، مزرقه عيناه مغلوله يدها إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به إلى النار»

• - انظر: زوجية غارودي، المرجع السابق ص: ٩٩

•• - باقر الصدر. اقتصادنا. ص: ٦١٥ / ٦١٧

ولاشك ان الامام جعفر في هذا الحديث يصدر عما أثر عن الرسول (ص) من احاديث ومواظب، كقوله: «ما آمن لي من بات شعبان وجاره إلى جانبه طاب»، وقوله: «اي رجل مات ضياعا بين اغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله.»*
وعلى الدولة الاسلامية في الضمان الاجتماعي مسؤولية مباشرة واساس نظري ترتكز عليه.

اما المسؤولية فتفرض على الدولة ان تضمن الفرد في حدود حاجاته الحيوية، كما تفرض عليها ايضا «ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يجياه أفراد المجتمع الاسلامي لان ضمان الدولة هنا ضمان اعالة، واعالة الفرد هي القيام بمعيشته وامداده بكفايته.»
والكفاية مفهوم مرن يتسع مضمونه «كلما ازدادت الحياة العامة يسرا ورخاء»**
واما المرتكز النظري فهو ايمان الاسلام بأن للفرد الحق في الانتفاع بموارد الثروة «لأن هذه الموارد الطبيعية قد خلقت للجماعة كافة، لالفئة دون اخرى» «خلق لكم ما في الارض جميعا» وهذا يعني ان كل فرد من الجماعة له الحق في الانتفاع بثروات الطبيعة والعيش الكريم منها.»***

اما الطريقة المعتمدة لتنفيذ هذه الفكرة فهي ايجاد قطاعات عامة، ينشئها الاقتصاد الاسلامي ليرتد ريعها على الفقراء بجانب فريضة الزكاة****، وذلك يعتمد على نص قرآني صريح، هو قوله تعالى: ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى، فله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى والمساكين، وابن السبيل، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم.
وهذه الموارد تشمل الزكاة، والوقف، والوصية، والغنائم، والصدقات العامة، بل لا يمنع الاسلام أن يُتفق من بيت الله على غير المسلمين من اهل الكتاب، فقد نقل عن الامام علي رضي الله عنه «انه مر بشيخ مكفوف كبير يسأل. فقال امير المؤمنين، ما هذا؟ فقيل له: يا امير المؤمنين انه نصراني، فقال الامام: استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعمتموه»*****

والضمان الاجتماعي في الاسلام اصل ثابت مرن يمكن التصرف فيه بحسب

* - باقر الصدر: نفسه. ص ٦١٨.

** - نفسه: ٦٢٠.

*** - انظر: الموصلي في شرح المختار: ١٢٩/٣. القاهرة بلا تاريخ.

**** - نفسه: ٦٢١/٦٢٢.

***** - نفسه: ٦٢٣.

ماتقتضيه المصلحة والبيئة، وفي الحدود التي يسمح بها الدين. انه ينظر في حاجات الناس التي تناسب مع حياة المجتمعات المختلفة، و يكفهم اياها. وهو يختلف عن النظم الحديثة في الغرب، لانه يقوم على أساس الحاجات المعيشية، اما هي فتقوم على «اساس عطاء المؤمن له من التعويضات والمساعدات بنسبة مادفع له من اقساط طوال سنوات عمله، لاعلى أساس حاجاته.»* ويشتمل الضمان الاجتماعي على اجراءات وتدابير كثيرة تقوم بها الدولة، بحسب ماتملي عليها الملابس، منها مثلاً:

- ١- تحديد الاسعار بما يتناسب ودخل الفرد.
- ٢- توفير المواد الغذائية الأساسية وإسهام الدولة في شرائها، وذلك كالحبز، والسكر واللحم، واضرابها.
- ٣- تيسير صناعة المواد الخاصة بالملابس، وتخفيض نفقاتها، وتحديد اسعارها.

«ويخلص الاسلام من ذلك الى القول: بان التوازن الاجتماعي هو التوازن بين افراد المجتمع في مستوى المعيشة لافي مستوى الدخل، والتوازن في مستوى المعيشة معناه أن يكون المال موجوداً لدى افراد المجتمع، ومتداولاً بينهم الى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام، اى ان يحيا جميع الافراد مستوي واحدا من المعيشة مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد، تتفاوت بموجبها المعيشة^٥، ولكنه تفاوت درجة وليس تناقضاً كلياً في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي.»

«وقد قام الاسلام من ناحيته بالعمل لتحقيق هذا الهدف بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الاسراف، وبضغط المستوى من اسفل بالارتفاع بالافراد الذين يحيون مستوى منخفضاً من المعيشة الى مستوى ارفع، وبذلك تتقارب المستويات حتى تندمج اخيراً في مستوى واحد، وقد يضم درجات، ولكنه لا يحتوي على التناقضات الرأسمالية الصارخة في مستويات المعيشة.»^{٥٥}

وأراني بعد هذا كله، في غير ما حاجة الى الاطناب في بحث قيمة الزكاة في مكافحة الفقر وعلاجه، والى تجاوز الحديث الفقهي عنها، فهو شئ أظهر من ان

* - الدكتور يوسف القرضاوى. مشكلة الفقر. ص: ٣٠ القاهرة ١٣٩٥-١٩٧٥

٥٥ - باقر الصدر. ص ٦٢٦

نتحدث عنه في مؤتمرننا هذا، وكل ما اریده هنا هو قدرة الدولة الاسلامية على الاستعانة بنظام الزكاة، اوقانونها للقضاء على الفقر.

فالزكاة كما هو معروف فريضة كالصلاة، والحج، وركن من اركان الاسلام التي تجمع بين العقيدة والتطبيق، إنها واجب على ذوي اليسار، وحق من حقوق الفقراء، ثم هي فوق ذلك مما تسعى الدولة الى تحصيله، ووضعه في خزينة خاصة لها نفقاتها المستقلة بها، وعلى هذا يمكن أن يكون لها مشروعاتها التنموية الخاصة التي يمكن أن تتكيف بحسب المجتمعات واختلاف مواردها، وحالات الفقراء فيها، فمن السهولة بمكان أن تنظم قوائم بأسماء الفقراء، ومستوياتهم، ومبالغ أعطياتهم، وأنواعهم، كالعجزة، وطلاب العلم، والعاملين عليها، ومن الممكن أيضا أن تستغل اموالهم للقيام بمشروعات اقتصادية عامة^٧، توجهها الدولة الى استثمارات خاصة تؤمن حاجيات المجتمع اولا، وتستقطب الايدي العاملة الفقيرة فيها، ومن شأن هذا ان يحقق التوازن في المجتمع.

وهذا كله تكون الزكاة من اهم موارد الدولة لتأمين الضمان الاجتماعي، الذي يحفظ كرامة الاخذ، ويحقق العدالة، ويوزع الثروة توزيعا عادلا مثاليا، وهي ليست احسانا فرديا «وانما هي تشريع عادل ملتزم يترجم تعاون المؤمنين إلى واقع عملي، هولاء الذين ينجحون في فهرانيتهم، وكبح جماح شحهم، والزكاة تركيز دائم بأن الاموال والارزاق ملك لله وحده، وبأن الفرد لا يمكن له التصرف على هواه، فهو عضويتسب الى جماعة.»^٨

• • •

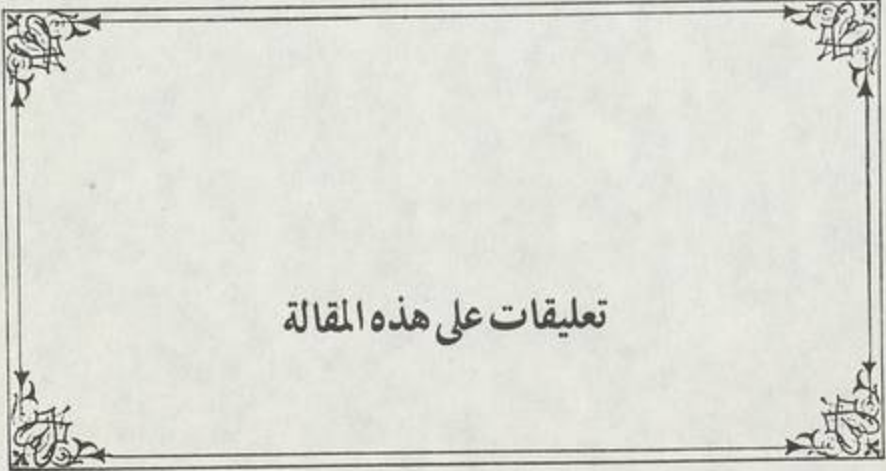
واسمحوا لي في ختام هذه الكلمة ان أكرر اعتذاري عن التقصير في البحث والتنقيب، ولعل ما قدمته لا يزيد على اشارات وتخطيطات، وقد كفاني كثير من الباحثين الاجلاء مؤونة الاطناب والتفصيل، أخص منهم بالذكر المرحوم الشهيد باقر الصدر، صاحب الكتاب القيم «اقتصادنا» والاساذ الدكتور يوسف القرصاوي صاحب كتاب «الزكاة»، الى جانب باحثين آخرين اطلعت على ما قدموه اطلاعا عاجلا، فلهم ولكم جميعا الشكر، ولمؤسسة «نهج البلاغة» والقائمين عليها اطيب تحياتي، وأمنياتي لها بالنجاح والتوفيق.

1870

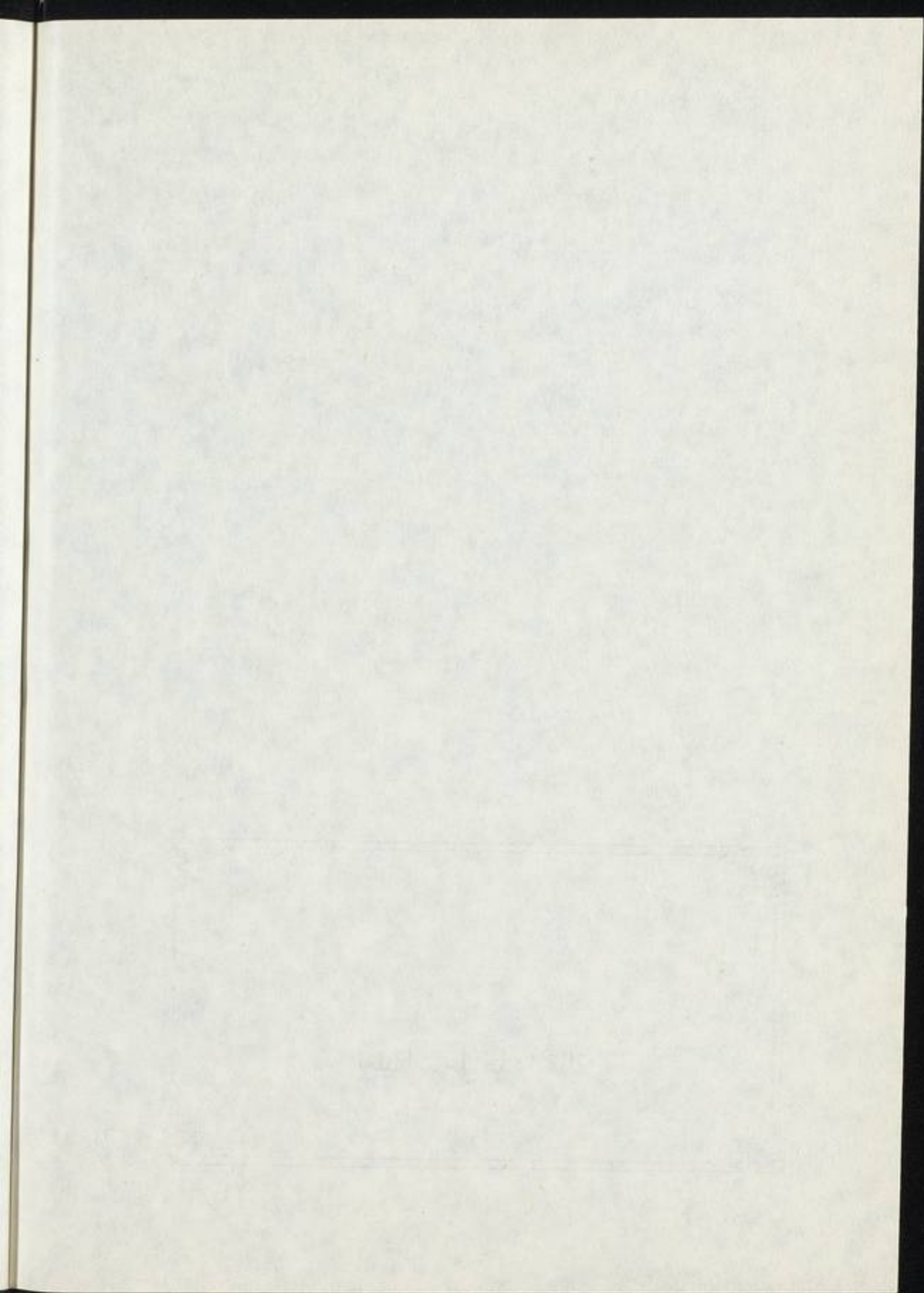
Dear Mother
I received your letter of the 10th and was
glad to hear from you. I am well and
hope these few lines will find you the same.
I have not much news to write at present.
The weather here is very pleasant now.
I have been thinking of writing you for
some time but have been so busy that I
could not find time. I hope to write
you more often in the future.

I have not much news to write at present.
The weather here is very pleasant now.
I have been thinking of writing you for
some time but have been so busy that I
could not find time. I hope to write
you more often in the future.
I have not much news to write at present.
The weather here is very pleasant now.
I have been thinking of writing you for
some time but have been so busy that I
could not find time. I hope to write
you more often in the future.

Yours affectionately,
John Doe



تعليقات على هذه المقالة



١ - لم يتعرض هذا البحث لموقع الخمس عن الاقتصاد الإسلامي بل اكنفى بالتركيز على الزكاة ونحوها وذلك انطلاقاً من المذهب الفقهي الذي يتبناه الكاتب ولأجل ذلك نجد أنّ بحثه قد جاء ضعيفاً نسبياً وليس قادراً على تقديم أطروحة متكاملة عن الاقتصاد الإسلامي. كما أنّ الكاتب متأثر جداً بفلسفات غير إسلامية ولأجل ذلك نجد في بحثه الكثير من الفجوات.

٢ - والظاهر أنّ في الجملة سقطاً. والساقط هو كلمة «والمسكنة».

٣ - ويعتبر عن ذلك في لسان الفقهاء بأنه من لا يملك قوت سنته وما يلبي حاجاته التي تليق بحاله وتناسب مع دوره الفاعل ومسؤولياته في الحياة الاجتماعية بصورة عامة...

٤ - المناقشات التي ذكرها المؤلف هنا ليست هي كلّ ما يقال حول الاشتراكية الماركسية؛ فهناك الكثير من الشغرات التي لا يمكن التغاضي عنها... ومن أراد المزيد في هذا المجال فعليه بمراجعة كتاب «اقتصادنا» للشهيد الصدر... والأفانّ ما ذكره الكاتب هنا ليس إلاّ مؤاخذات من الدرجة الثانية أو الثالثة وليست هي المآخذ الرئيسية على المذهب الاشتراكي الماركسي في أيّ حال... فليلاحظ ذلك بدقة وليراجع الكتاب المذكور.

٥ - ولاشك في أنّها كذلك مادامت لا ترتبط بالله ولا تشكل حلقة في جملة حلقات كثيرة تشكل مجموعها نظاماً متكاملًا كما هو الحال بالنسبة لموقعها في الإسلام...

٦ - وهذا التفاوت في الدرجة في داخل ذلك المستوى أنّها تفرضه طبيعة الاختلاف في مستوى فاعلية الفرد داخل المجتمع وحدود مسؤولياته فيه.

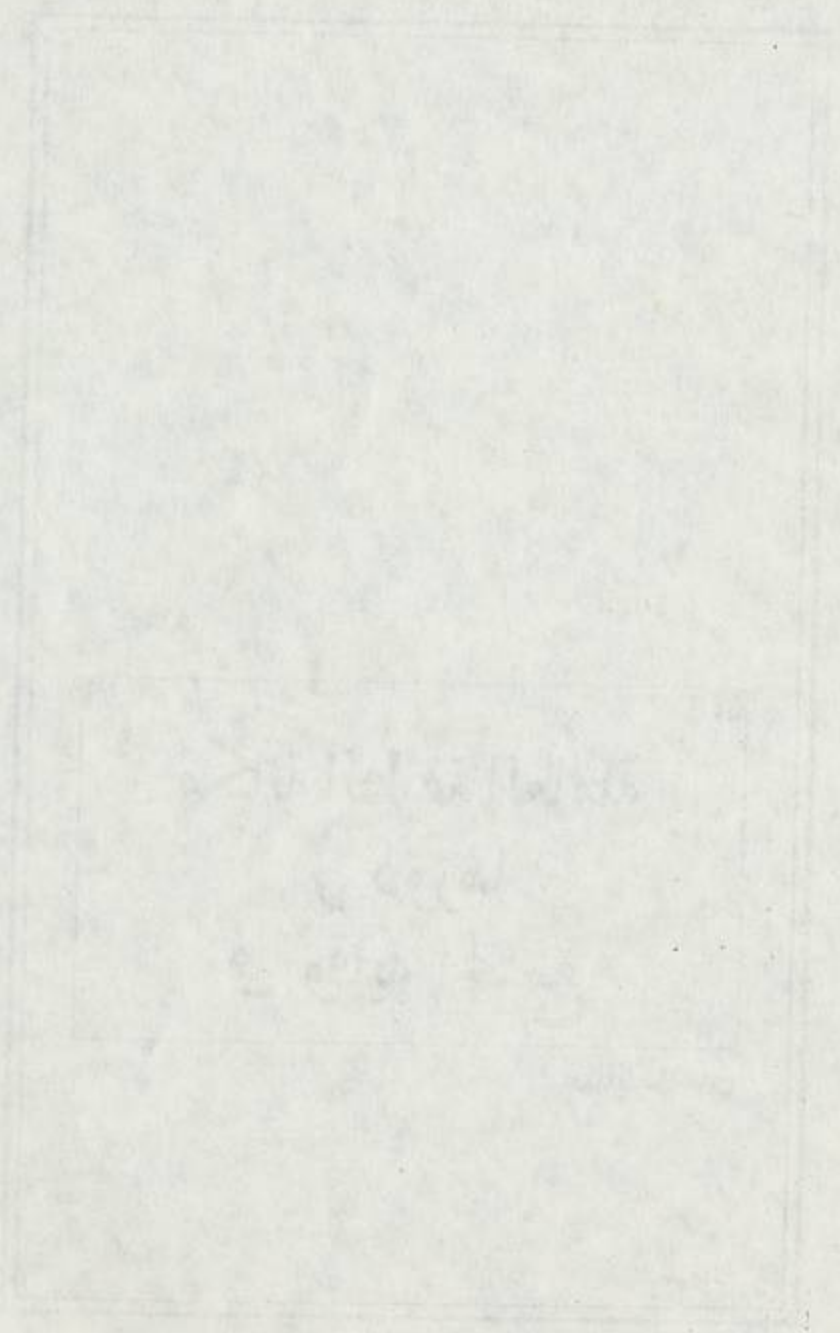
٧ - هذه النظرية فيما ترتبط بالزكاة تحتاج الى تمحيص فقهي من قبل أهل الاختصاص والمجتهدين.

Faint, illegible handwriting, possibly bleed-through from the reverse side of the page. The text is arranged in several lines and appears to be a list or a series of notes.

مكانة الطبقة العاملة
و دورها
في وقاية المجتمع

محمد بامبا انجاي

سنغال



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على خاتم الأنبياء، محمد رسول الله وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه
الأخيار.

إن كتاب «نهج البلاغة» للإمام علي عليه السلام عبارة عن خطب ووصايا
ورسائل، وأوصاف دقيقة تنير طريق كل مسترشد، وتساهم في تحرير كل من يتعرّض
لظلم وجور الطغاة، بل أنّها سجل تاريخي لكل إداري يتوخى العدل والمساواة في
إدارته.

ولقد تناول الإمام عليه السلام موضوعات مختلفة في هذا الكتاب، ودرس فيه
المسائل متباينة، وعرض في طياته حلولاً ناجعة لكل من يريد الانتفاء الى أمة التوحيد،
أمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً.

أمّا بعد: فبينما كانت للطبقة العاملة دور فعال ومكانة مرموقة في كل مجتمع يريد
الارتقاء، فإن الإمام علياً عليه السلام كرّس لهذا الباب جزءاً وافراً فيما يجب أن نسميه
أول موسوعة في التاريخ الاسلامي ألا وهو كتاب «نهج البلاغة». وللدخول مباشرة في
لبّ الموضوع نعرض على سماحتكم مقتبساً من إحدى رسائل الإمام عليه السلام الى

مالك بن الحارث الأشتر النخعي، لما ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر:

«واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمي الله له سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - عهداً آمنه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوّهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاهد، ويجمعون من المنافع، ويؤمنون عليه من خواص الأمور وعواقبها.

ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم وقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رفدهم ومعونتهم. وفي الله لكل سنة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خفت عليه أو ثقل.

كما يقول الإمام علي عليه السلام أيضاً:

«ثم أستوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فانهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، ومجلاؤها من المبادئ والمطابخ... فامنع من الإحتكار، فان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً: بموازين عدل، وأسعار لا تحجف بالفريقين من البائع والمبتاع. فن قارف حكرة بعد نيك إيتاه فنكل به، وعاقبه في غير أسراف.»

ومن هنا يظهر جلياً من خلال «نهج البلاغة» على أن للطبقة العاملة مكانة كبرى في وقاية المجتمع، لأن الإمام عليه السلام يراها كقوام للأصناف الأخرى في داخل المجتمع، وسنداً له لا يقوم إلا بها. وهم «أسباب المرافق، ومجلاؤها من المبادئ» وهكذا تشارك الطبقة العاملة في وقاية المجتمع من الآفات الاجتماعية التي هي أكثر خطراً من الأوبئة الفتاكة.

وعليه، نرى أن العمل، طبقاً لترتيبات الشريعة الإسلامية، يساهم كثيراً في تحرير الفرد بل في تحرير المجتمع من آفات الفقر، وعاهات الفاقة. والإسلام، كما يمكن ملاحظته، قد سبق المذاهب الهدامة والمتخلفة مثل الماركسية وماشاكلها في

تحديد مكانة الطبقة العاملة في المجتمع، وهو لا يراها في مكان العداوة والتباغض مع الطبقات الأخرى، بل هي تتولى عبء حماية غيرها من الطبقات، ولها مسؤولية وقايتها؛ وشتان ما بين هذا الدور الانساني، وهذه المكانة المرموقة وبين صراع الطبقات الذي يراه المذهب الماركسي كمحرك لتاريخ البشرية. وهكذا تسعى الماركسية جادة الى افهام الطبقة العاملة بأن قيادة المجتمع من أدوارها الأساسية وحق ثابت لها دون غيرها، وأن عليها تحطيم وتدمير الطبقة الثرية أي البرجوازية، والسيطرة على زمام الحكم بجميع الوسائل... ويجب الاحتفاظ به بواسطة الديكتاتورية البرولتارية. نعم، إن الإسلام، هو دين السلام، والوئام ودين الوفاق بين جميع أصناف البشرية الذين استجابوا لدعوة رسول الاسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا ألقينا نظرة خاطفة في جميع المذاهب والأيدولوجيات العلمانية نرى على أنها تفرق بين طبقات البشر وتضع الفوارق فيما بينها، وتجعل من الفقر والغنى مقياساً للأفضلية. وذهبت المجتمعات الجاهلية الى تبني فلسفة مادية شعارية «الغاية تبرر الوسائل» وكما قال الأستاذ محمد أسد: «فالرجل العادي في أوروبا، ديمقراطياً كان أم فاشياً، رأسمالياً كان أم اشتراكياً، وعملاً كان أم رجل فكر، إننا يعرف ديناً واحداً هو عبادة الرقي المادي، والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة إلا أن يجعلها الإنسان حرة طليقة من قيود الطبيعة.

أما كنائس - ومساجد - هذا الدين، فهي المصانع الضخمة ودور السينما ومختبرات الكيمياء ودور الرقص ومراكز توليد الكهرباء.

وأما كهنتها وأئمتها - فهم رؤساء المصارف - وأرباب العمل - والمهندسون والمثلاث وكواكب السينما، ورجال الأعمال من التجار والصناع».

نعم إن مثل هذه الرؤية الخاطئة للحياة والعمل حملت بعض مفكري الغرب الليبراليين أو العماليين الى القول بأن العمل للمصلحة الفردية أنجع وسيلة لتنظيم الحياة الجماعية، وان لا داعي الى تبني القيم والأخلاق بل يكفي أن نترك كل فرد يعمل كما يراه لمصلحته الشخصية مما سيحمله حتماً على العمل لمصلحة الجماعة! إن كل هذه النظريات لا تنتج فعلاً طبقة عاملة تلعب دورها الطبيعي في وقاية المجتمع. لأن العامل في هذه النظريات جزء تمام الانفصال عن المجتمع ولا يكون هدف العمل نبيلاً ولا إنسانياً، بل هو لارضاء المطامع الفردية، أو في أحسن الحالات لسد حاجيات شرذمة قليلة قدرت على العرش والناس في الدرك الأسفل من سلم الحياة.

وإن حياتنا اليومية تترجم بصراحة ووضوح عن انحراف هذه النظريات إذ نحن نعيش في مجتمعات تكون فيها الطبقة العاملة في صراع مستمر مع الطبقات الأخرى، وفي حروب ونزاعات لاهوادة فيها. ولا يوجد في مجتمعاتنا الحاضرة المنحرفة أي تماسك أو تلاحم فيما بينها، وذلك لأن دعامة الوحدة ابتعدت عن القلوب والأرواح بابتعاد الناس عن الاعتصام بمجبل الله الذي لانفصام له. وفي ضوء الإنقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى يمكننا أن نفهم حقيقة تلك الطبقة العاملة التي وصفها الامام الطاهر علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه «نهج البلاغة» ورأى رؤية صادقة صائبة على أنها ذومكانة رفيعة ودور فعال في وقاية المجتمع.

نعم، إن الإمام علياً عليه السلام يقتبس آراءه وتعاييره من الكتاب المقدس، ويستنير من نور خاتم الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما أن القرآن الكريم هو «القول الفصل» وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم «لا ينطق عن الهوى» فإن كل من يسير على هذا الدرب، و يتكلم عن لغة القرآن و يتمسك بتعاليم السنة النبوية الشريفة يتصف حتماً بصفات الصدق والإخلاص مثلما هي الحال لذلك الإمام الجليل الذي قال عنه نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم بأنه «باب مدينة العلم».

ولإدراك فحوى هذه الحقائق التي تتجلى في طيات «نهج البلاغة» لابد وأن نعرف بأن «العاملين» في منظور الإمام علي عليه السلام يتصفون بأوصاف أولها الإيمان وثانيها الإخلاص وثالثها التقوى.

فلنستمع الى قوله عليه السلام: «... وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم الصديقين، وكلامهم الأبرار، عمارة الليل، ومنار النهار... لا يستكبرون، ولا يعلون، ولا يعلون، ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل».

وهكذا يناشد الإمام عليه السلام بالعدالة الاجتماعية في جميع جوانبها وفي مختلف مظاهرها فيقول:

«وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً».

ثم يوصي قائلاً: «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم، من المساكين والمحتجين

وأهل البؤس والزمن، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترأ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم»
 «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله
 الذي خلقتك وتقعده عنهم جندك وأعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متنتع،
 فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن: «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف
 فيها حقه من القوي غير متنتع».

ويرى الامام علي عليه السلام على أن العمل مقرون بالإيمان بل هو مقياسه
 فيقول: «المؤمن بعمله» و«العمل رفيق المؤمن». أنه يقدر العمل حق قدره و يعرف بأن
 للعمل دعائم وقوايم لا يقوم إلا بها: فيقول: «العلم يرشدك، والعمل يبلغ بك الغاية».

ومن حكمة الإمام عليه السلام أن قال في نفس الرسالة التي سبق ذكرها:

«ثم أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختاراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجؤد
 والخيانة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوت الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة،
 فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع اشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً».

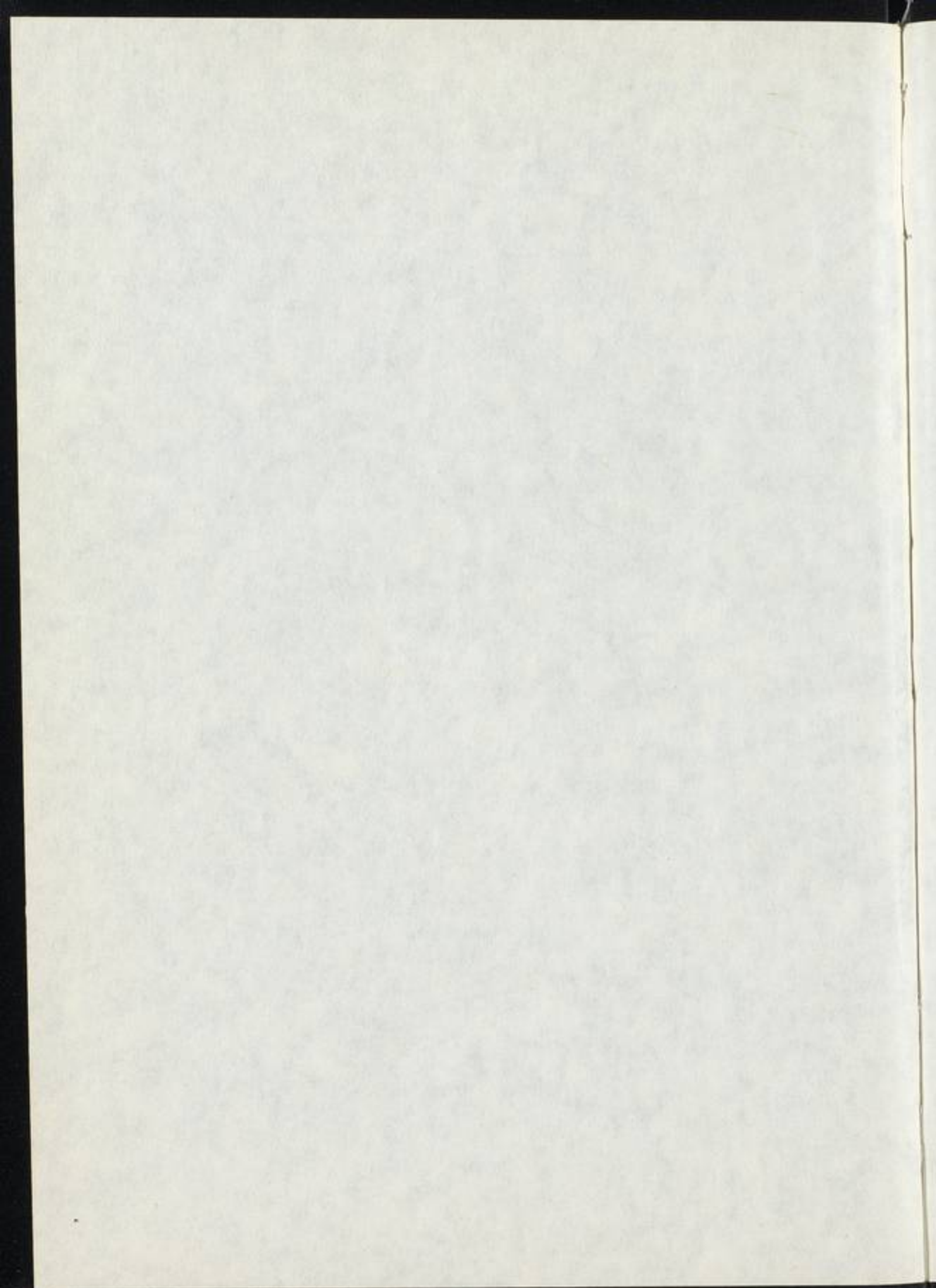
وهكذا يوصي الإمام للإرشاد والتوجيه في مهمة اختيار العمال، ولا شك في أنه لو توصل الأمراء
 والرؤساء الى تبتي هذه النظرية الرشيدة في انتقاء من يتولون الأعباء في الدول والمناصب
 والوزارات والمصانع والمعامل، لساد الأمن والسلام والاستقرار في كل أرجاء المعمورة.
 ولو أن أرباب الأعمال توخوا وصايا الإمام علي عليه السلام ونصائحه في تقييم أجور
 عمالهم لخدمت نار التوترات والاضطرابات الاجتماعية، ولانطفأت نيران وشرارات
 القنابيل المسيلة للدموع التي تتناثر بين رجال البوليس والعمال في حالة الإضرابات
 المتعاقبة والمقاطعات المترددة عن المصانع والمعامل، طلباً لاسترداد حقوقهم المغتصبة
 من طرف أولئك الذين يمتصون دماءهم ويستغلون مهارتهم وقوتهم، ولا يدفعون اليهم
 مقابل ذلك ما يسدون به رمقهم، ويشبعون به جوع عوائلهم.. بينما أمرهم الإمام عليه
 السلام في ذلك قائلاً:

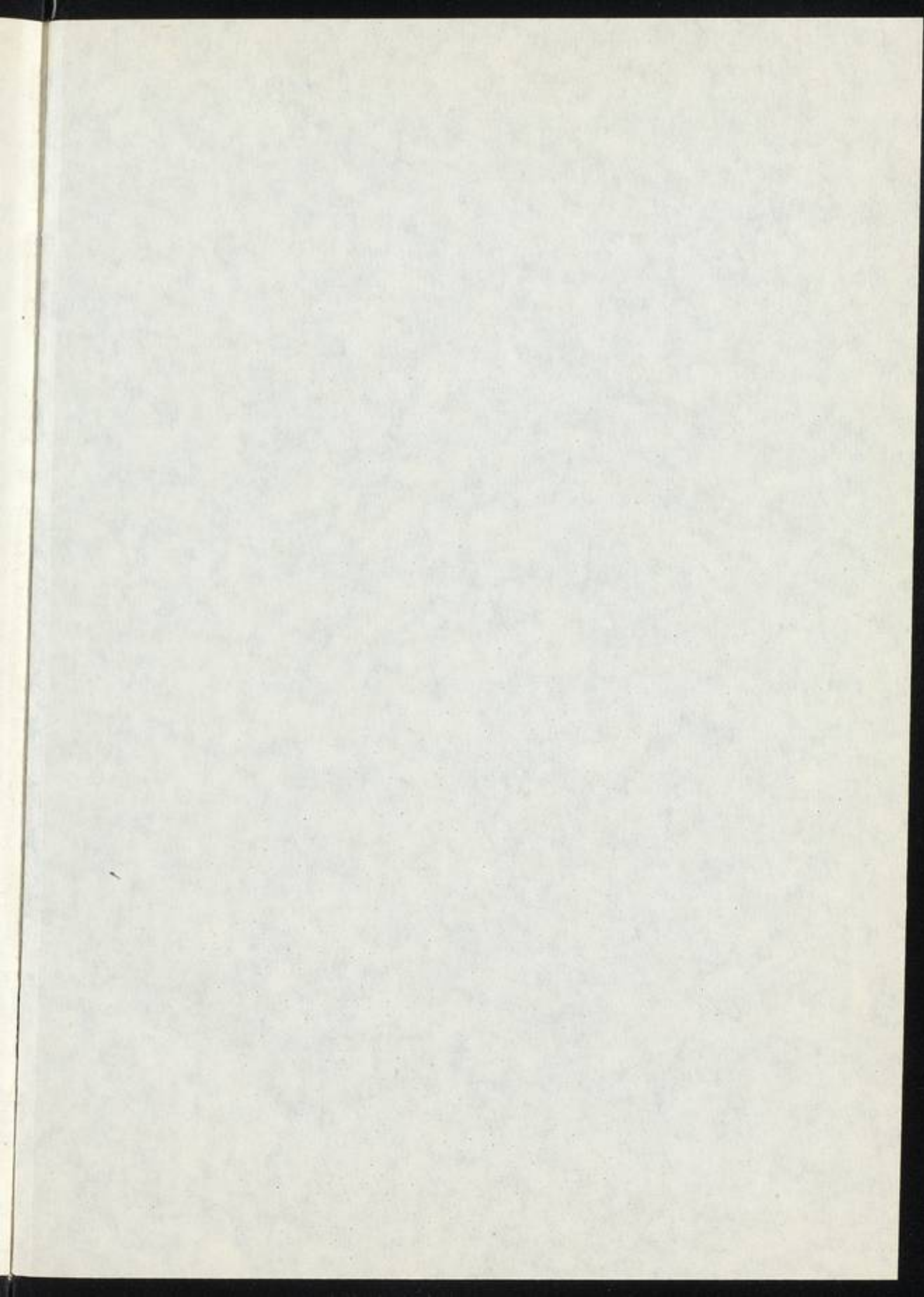
«... ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول
 ما تحت أيديهم، وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو نلبوا أمانتك، ثم بعد مراقبة الله الذي يرانا وان
 لم نكن نراه، يوصي الإمام عليه السلام بضرورة مراقبة العامل مراقبة لا تتناقى مع
 الانسانية والبشرية السمحاء:

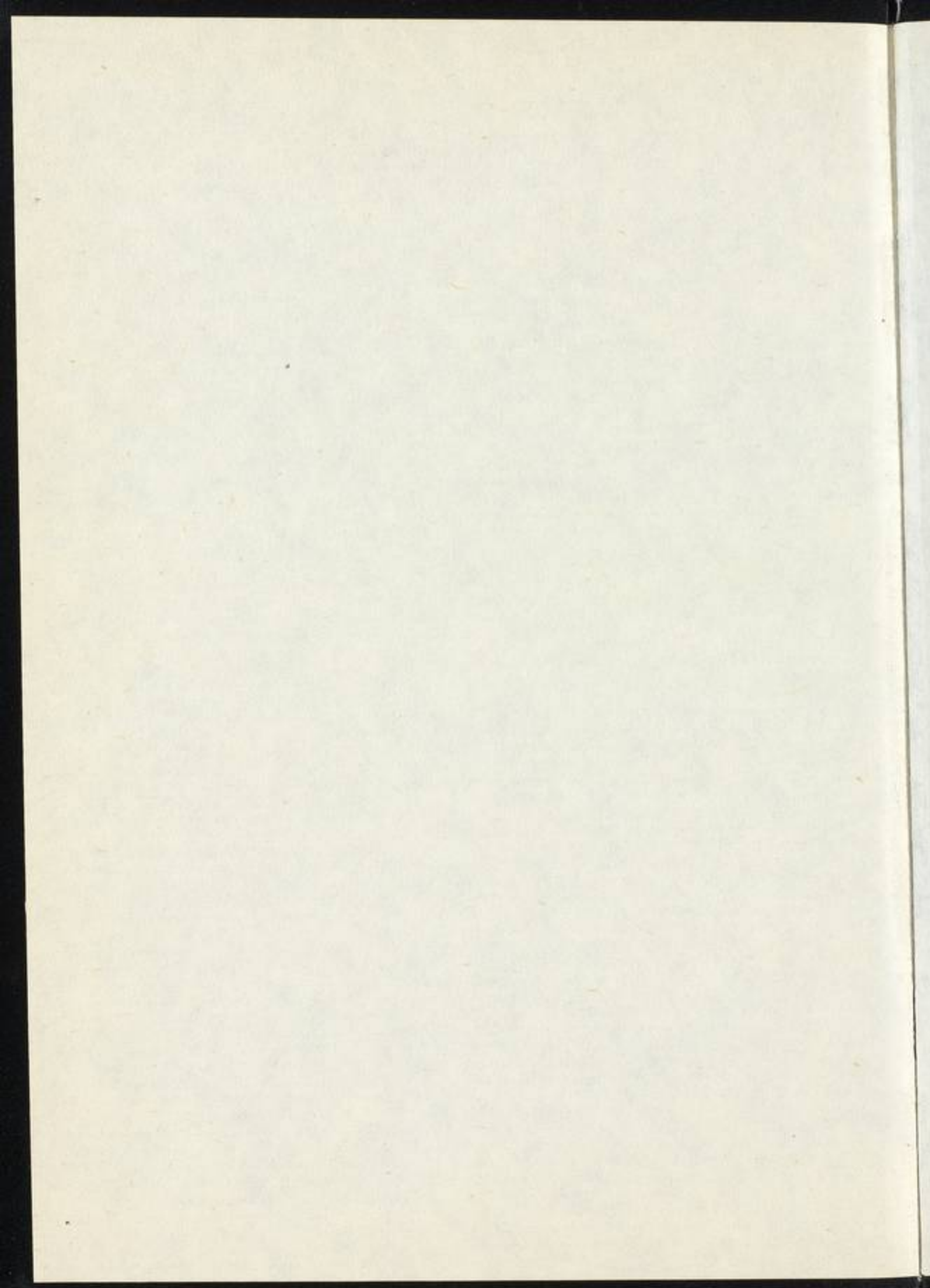
«ثم تفقد أعمارهم، وابتعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم
 حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده الى

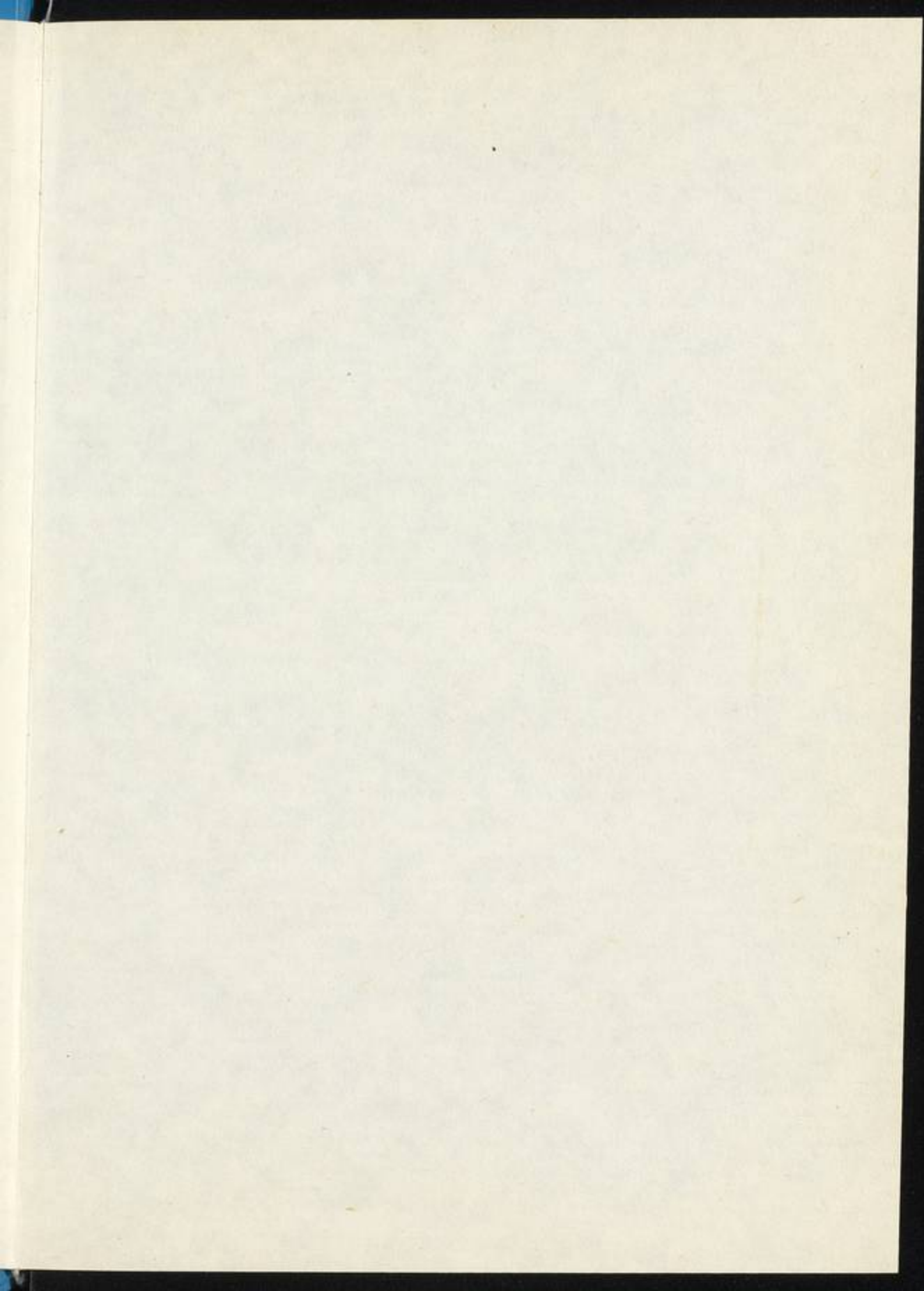
خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة. «هكذا، تكون العلاقات طيبة بين جميع طبقات البشر، وتتعامل فيما بينها معاملة حسنة إنسانية، و يلعب كل فرد دوره في جهاز المجتمع الذي يجسد فيه كل عنصر مرفقاً لا يجب على المجتمع أن يفتقر عنها. وذلك لأن العمل الإسلامي لا يُقاس بالكمية بل بالكيفية فلقد قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلّم «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». وإنما يدل هذا الكلام على ضرورة حسن النية اذ لا تصلح الأعمال إلا بها، و ينطبق على هذا المعنى قول الإمام علي عليه السلام: «لا يقبل عمل مع التقوى».

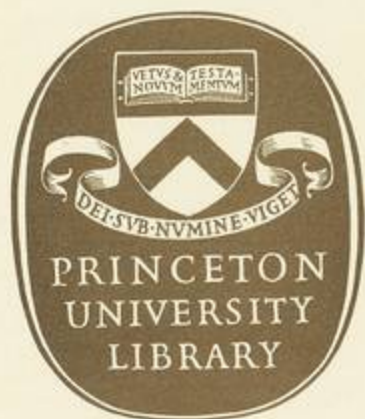
«والسلام على من أتبع الهدى»











طهران - ایران - صوبہ ۲۵۲

من مشورات



۱۲

۶۰۰ ریال